

وثائق ونصوص

فسي

١- تاريخ الدولة العلية العثمانية

٢- تاريخ مصر العثمانية

بجهاز رتدوم بها

دكتور/ عبد المنعم ابراهيم الجميلى
استاذ التاريخ الحديث



مقدمة

لكل عصر من العصور التاريخية مصادره ووثائقه التي تبرز من خلالها أحداث هذا العصر وطبيعته وظروفه . وتاريخ الدولة العثمانية يزخر بالعديد من النصوص والمصادر والكتابات الوثائقية . وقد حرصنا خلال تجميعنا للوثائق والنصوص الواردة في هذا الكتاب ان تشمل الموضوعات التي تتسق مع تدریس منهج تاريخ الدولة العثمانية لطلاب قسم التاريخ، ومنهج مصر العثمانية لطلاب قسم الجغرافيا بكتابات الآداب بالجامعات المصرية.

والهدف من جمع هذه الدراسات هو تعريف الطلاب بوثائق تلك العصر وبمسا كتبه سلف من المؤرخين والباحثين سواء كانوا مصريين أو أجانب عن تاريخ الدولة العثمانية تلك الدولة التي رفعت راية الإسلام لفترة تزيد عن ستة قرون ولستطاعت ان تفتح الجزء الجنوبي الشرقي من أوربا ، واكتسحت العديد من الدول الأوروبية واقتربت من مشارف العاصمة النمساوية فيينا والتي تعرضت للعديد من حملات التشهير عبر مسيرتها الطويلة من المؤرخين والباحثين الأوروبيين وغيرهم .

وحول الموضوعات التي شملها هذا الكتاب فالوثائق التي يتعرض لها فسي معظمها أصلية محفوظة بدار الوثائق القومية وبعض دور الوثائق العربية، اما بالنسبة للنصوص فقد حرصنا على الإشارة الى أسماء مؤلفيها وكتابتها والتعريف بهم وفاء لحقهم وجهودهم التي بذلوها لخدمة البحث التاريخي والكتابات التي رجعنا إليها هي قصة الحضارة" للمؤلف الأمريكي دن ديورانت والامبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية" للمؤرخ الروسي فينسل الكسندو فتانولينا، و"قيام الدولة العثمانية" للمؤرخ التركي محمد فؤاد كوبرلي ، "تسارخ سلطين آل عثمان" للكتاب الليثاني المولد يوسف أصف ، "محمد الفاتح" لسالم الرشيدى، "وبداع الزهور في وقائع الدهور" لمحمد بن ياس الحنفي، و"الدولة العثمانية دولة اسلامية مقترى عليها" للدكتور عبد الميز شذولي ، "اسباب خلع عبد الحميد الثاني" للباحث الفلسطيني يوسف حسين (جامعة اليرموك).

وفي النهاية نأمل ان يكون في دراسة هذه الموضوعات الافادة المنشودة لطلابنا فسي مرحلة الليسانس .

والله ولي التوفيق.....



أولاً: الوثائق

الوثيقة وأهميتها التاريخية

الوثيقة في اللغة العربية لفظ عام محدد المعنى . لم تعطه المعاجم العربية التقليدية والحديثة على حد سواء . ما يستحقه من شرح وتعريف بالمراد منه . وقد يكون القاموس . من اللغويين معذورين في ذلك . لأن علم الوثائق لم يكن معروفًا لديهم حينذاك أو على الأقل لم يكن معروفًا لديهم بهذا الاسم⁽¹⁾ . ومن هنا جاء تعريف الوثيقة في معاجم اللغة على أنها مؤنث الوثيق ومعناه الحكم أو ما يحكم به الأمر . ويقال أخذ بالوثيقة في أمره بمعنى بالثقة⁽²⁾ . واسم التفضيل من هذه الكلمة هو الأوثق . والمؤنث منه وثقى⁽³⁾ . وقد جاءت هذه الكلمة في سورة البقرة في قوله تعالى [فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم]⁽⁴⁾.

ونتيجة لهذا التعميم في توصيف الوثيقة فقد اختلفت الآراء . حول تحديد مفهوم الوثائق . فبعض المؤرخين قصد بها المستندات التي تصدر من جهات رسمية أو من أفراد لهم صفة رسمية وتعرف في هذه الحالة بالوثيقة القانونية . كالأوامر . والقرارات . والمراسيم . والاتفاقيات . والمعاهدات . هذا إلى جانب الرسائل التي تحمل هذه الصفة . وبعضهم الآخر يقصد بها كل ما خلفه الحدث التاريخي من آثار بمعنى أن لكل مكتوب قيمة تاريخية حتى لو لم يكن محررها صفة رسمية⁽⁵⁾ . ومعنى ذلك أن روايات شهود العيان . وكشوف

أسما طلاب الجامعات والمدارس والتعليقات الموجهة إليهم ، وقرارات وعظي رؤسا ، الأحزاب وغيرها تدخل في مفهوم الوثائق¹⁹¹ .

وتوسع البعض في تعريف الوثيقة فقال أنها كل آثار السلف حتى ولو كان ذلك خطاباً من ابن إلى أبيه أو من صديق إلى صديقه ، أو بيان حساب لأحد التجار أو حجاباً من الأحمية أو تعريفة من التعاريف أو إيصال دين أو قائمة بأسعار بعض السلع أو ما شابه ذلك ، وبخاصة أن كل ذلك قد يكون ذا أهمية كبيرة في دراسة التاريخ الاقتصادي والتاريخ الاجتماعي والثقافي وغير ذلك من الميادين الجديدة في علم التاريخ¹⁹² .

وحتى يمكن حسم هذا الموضوع فستعرض لبعض ماورد في أنظمة بعض دور الوثائق المتقدمة في العالم . ففي قانون دار الوثائق العامة في لندن الصادر في ١٩٨٣/٨/١٤ م (١٩٤٦هـ) نص على أن الوثيقة تعنى اللغات والسجلات والدمج والمستندات ، ومحاضر الجلسات والمراسيم ، والإشهارات واللوائح القانونية ، وكشوفات الجرد ، والكشوفات الحاسبية ، والأوراق والكتب . وفي القانون الأمريكي الصادر في ١٩٤٣/٧/٧ م (١٣٦٦هـ) جاء تعريف الوثيقة بأنها الكتب والأوراق والمرائط والصور الفوتوغرافية أو أية مواد وثائقية بغض النظر عن شكلها الطبيعي أو صنعها .

وعند تقييمنا لهذه الآراء ، يتضح أنه إذا قصرنا مفهوم الوثيقة على الوثائق الرسمية فإننا قد نصل إلى نتيجة قد لا يقبلها المنطق أو الواقع ، وقد تبعدنا عن الموضوعية وهي أن الكثير من أصول الأحداث التاريخية ليس لها صفة رسمية أو حكومية ، وأن الوثائق الرسمية في كثير من الأحيان لا تنفى بالفرض المطلوب في تفسير الأحداث مما يحتم على الباحث الرجوع إلى كل ما تركه الحدث التاريخي من آثار ، وهذا يعنى أن العديد من الدراسات الرصينة لاتعمد دراسات موثوقة ، ومن هنا فنحن نتفق مع الرأي الذي يرى توسيع معنى الوثيقة ، ونرى أن كل ما خلفه الحدث التاريخي من آثار يدخل في عداد الوثائق كما نضيف إلى ما سبق ذكره ضرورة وضع التسجيلات الصوتية والأرشيفات الفوتوغرافية والسينما توغرافية ضمن تعريف الوثائق خصوصاً وأنه ليس من المنطقي أن لا تدخل جلسات المؤتمرات الدولية المسجلة صوتياً والمحفوظة بوزارات الخارجية ، وفي هيئة الأمم المتحدة ، وفي وزارات الإعلام والمؤسسات العلمية وغيرها ضمن نطاق الوثائق بل ينبغي أن يشتمل دور الوثائق العربية على أرشيف الوثائق الصوتية archive snore والتي قد يكون في المستقبل هو أرشيف القد .

و عن أهمية الوثائق فقد اختلف المؤرخون والعاملون في حقل الدراسات التاريخية أيضاً في تحديد مدى أهمية الوثائق فمعظمهم نعتها بالعديد من النعوت التي تبرز قيمتها وأهميتها ، وبعضهم شكك في ذلك .

أما عن الفرق الأول : فقد وصفوها بأنها قطع من حياة الأسلاف ، وشهود معاصرة للوقائع التاريخية ، وأقوى المصادر حجة قبيما يتعلق بتصوير الحياة اليومية ويتعدد التواريخ والأساكن ، وكثيراً ما يؤدي إعمالها أو الاستغناء عن بعضها إلى أن يخطئ المؤرخ في أحكامه^(١٨) ، لأنها المادة الخام التي تحمل بين سطورها تراث الأمم وحضاراتها ، وهي الشاهد الأكبر على تراث الأمم وتاريخها ، وهي سند المؤرخ القوي الذي يجد بين ثنايا سطورها من الحقائق ما يسد الثغرات الناقصة ويستكمل الحلقات المفقودة ، وهي المصادر الأصلية والأساسية لدراسة التاريخ ، لكونها منبعاً بكرّاً يرد فيه الكثير مما لم يتوصل إليه المؤرخون^(١٩) ، وهي الأصول التي لا يمكن كتابة التاريخ الصحيح أو تحقيق الحوادث التاريخية بدونها ، وهي التي تنسم بالأصالة والنفرد والعمق ، وبخاصة إذا كانت تسد فراغاً في تاريخ البشرية ، وهي المصادر التزيية التي يصعب الشك في صحتها ، وبخاصة أنها لم تكتب أصلاً بغرض التأليف التاريخي^(٢٠) ، يضاف إلى ذلك أنها أفضل موصل لتبيان الحقيقة التي يجعل المؤرخ يقف على حقائق الأمور دون أي شك أو مواربة ، وترفع الستار عن الكثير من القضايا التاريخية التي يشوبها الغموض والتي لا يزال بعضها ألقاً محيرة^(٢١) ، كما قد يؤدي إلى تغيير مفاهيم خاطئة قد تورثها الأبا ، عن الأجداد ، والأبنا ، عن الأبا ، فأخذت ثوب الحقيقة عن غير استحقاق^(٢٢) ، كما أنها مصدر للمعلومات من الدرجة الأولى يفتح لنا أبواباً جديدة ومتعددة للدراسة لكونها مصدراً مهماً سطر فيه الكثير مما أغفله المؤرخون في كتاباتهم كما أن فقدانها أو تعرضها للتلف والضياع يزيد من الفجوات في مجرى التاريخ ، ويجعل حلقات كثيرة منه مجهولة إلى الأبد .

والى جانب ذلك فإن كل وثيقة لا يتسنى لأحد الوصول إلى قراءتها تعد وثيقة ميتة ، وهذا هو شأن الوثائق التي ما زالت مغمورة حتى الآن في بعض الخزائن الحكومية والحجاسة أو في حوزة جماعة تحاول احتكار الوثائق ، أو بسبب ظروف خاصة تحول دون نشرها ، وفي تلك الحالات نظل هذه الوثائق معطلة ، لا يمكن الإفادة منها في البحث التاريخي إلا إذا خرجت من مخابئها إلى طريق النور حيث يتم نشرها والاستفادة من معلوماتها ، وتحولها من مادة خام سائمة إلى معلومات تاريخية قد تضيف إلى العرقة شيئاً جديداً .

أما عن المجموعة الثانية التي شككت في مصداقية الوثائق ودقتها فإن حديثها في ذلك أن العديد من الوثائق تعبر عن رأي أصحابها الذي قد لا يخطر من التحيز ، وأنها قد تحتوي على معلومات خاطئة أو محرقة أحياناً بلغت إلى أحد المستولين قيادراً بحصلها إلى حكومته دون التثبت منها أو ربما كان أحد الأشخاص قد حاول تزوير ما فيها من معلومات ، لذلك لا يجوز للمؤرخ أن يقبل ما جاء في الوثائق وبخاصة أنها لا تحتوي إلا على ما كان يفكر فيه صاحب الوثيقة .

والواقع أن كلاً من الرأيين له وجهته ، فعلى الرغم من أنه لا يوجد شك كبير في أصالة وحياد الوثيقة وتزاهة كاتبها ، وبخاصة أنه عاش في وقت لم يكن يتوقع أن ما كتبه سيكون ذا قيمة تاريخية بعد ذلك ، أو يعتمد عليه في التأليف التاريخي^{١١٣} ، ولذلك تنتفى الأوهام القائبة عن الوثيقة التاريخية وتصبح مصدراً رئيسياً للمعلومات من الدرجة الأولى^{١١٤} . فإنه من المعروف أن بعض الوثائق لا تخفى من التحيز والهوى أو التحريف ، لذلك فإنه لا يجوز للمؤرخ أن يقبل كل ما جاء في الوثائق بل إن مهمته هي غربلة المعلومات الموجودة بالوثائق ومقابلتها بغيرها من المصادر للتوصل إلى الحقيقة والتعرف على ملامح الواقع . فعلى الرغم من أهمية الوثائق فإنها في حد ذاتها لا تصنع الحقيقة التاريخية بل تظل أداة خرساء في يد من لا يعرف كيف يصفى عليها من علمه وخبرته فيها^{١١٥} ، وبخاصة وأن الوثائق لا تعطينا صورة كاملة مترابطة عن الحداث وإنما تقدمنا بصورة متناثرة ، بينها وبين البعض الآخر الكثير من أنواع النقص وعدم الارتباط والاختلال وأن دراستها وتحليلها وإكمال كل نقص وسد كل فقرة بينها ، وتنقيتها كما تنقى الحبوب الطيبة من الحصى والقشر وينصب ذلك من المؤرخ أن يتتبع بوجهة خاصة يستطوع بها إحياء الماضي بكل ما كان عليه وأن يميز بين الحقيقي وغير الحقيقي ، مستعيناً بالشواهد المعترف بأنها صادقة ، كما يحتاج ذلك أحياناً إلى مؤرخ واسع الثقافة ، وثاقه حصيف يتمتع بقدرة علمية عالية ، وقدرة على معالجة المسائل التاريخية والتعرف على ملامح الواقع ، فيجهد لإبراز ما بها من غنقايا وإيضاح الجديد فيها ، وذلك هي الغاية الأولى للتاريخ . فاستخلاص الأحكام التي تتعلق بالإنسان والإجابة على الأسئلة التي تتعلق بجهود البشرية ومنجزات الإنسان في الماضي بما فيها من عجز وعظمت ، لتسير على منوالها في المستقبل ولاسيما أن الإحاطة بأعمال الإنسان ، والإلمام بدقائق الحياة اليومية في العصور الماضية يتألبها ومشاربها ، كل ذلك يمكن أن يقيد إنسان المحاضر في تجنب أخطاء من

سابقوه ، والتسبر على منوال محاسنهم ومآثرهم . ذلك أن الحضارة الإنسانية ليست بنت ساعتها ، بل هي تراث عصور ومجهودات أمة وشعوب عاش الإنسان تجمارها العديدة القباينة حتى ظهرت لنا حضارة القرن العشرين .

ومن هنا ينبغي أن يخطر ببال أساتذة الجامعات من المؤرخين الذين يفتون أعمارهم في البحث عن الحقيقة ، ويدلون أنفسهم في الوثائق والإحصاءات ، أن الماضي ميت إلا بقدر ما يوتر في أخلاق وغايات الأحياء من الناس ، وأنه لا قيمة للتاريخ إلا بقدر ما يثير الحاضر ، ويعين على توجيه المستقبل .

وأنة إذا ما كتب التاريخ بهذه الطريقة فسيعرف العالم حقيقة الطبيعة البشرية معرفة أفضل مما يكتبه علماء النفس والفلسفة والاجتماع في العالم¹¹³ . وعلى كل حال فبعد أن انضحت أهمية الوثائق في الكتابة التاريخية أخذت الأرشيفات الخاصة بها في التطور فبعد أن كانت مخازن للملفات غير المستعملة ، ومأوى لخلفات المصالح الحكومية ، ومنسجوداً للحشرات¹¹⁴ أصبحت بمثابة المعامل الحديثة للدراسات التاريخية . وقد تطورت هذه المعامل ، ونظمت بحيث تلبى حاجات الباحثين وظهرت . منها أنواع جديدة .

ومن المعروف أن مصر كانت من أوائل الدول العربية التي تنبعت إلى أهمية وثائقها فأصدرت مرسومًا وزارياً في عام 1954م بإنشاء لجنة الوثائق التاريخية لجمع كل موارده المحفوظات ذات الفائدة التاريخية في إدارة مركزية عرفت باسم دار الوثائق .

وقد تأسست هذه الدار طبقاً لنص القانون رقم (356) لسنة 1954م . ومهمتها جمع الوثائق التي تتصل بتاريخ مصر في جميع العصور وتيسير البحث والاطلاع والعمل على نشر الوثائق ورفع مستوى البحوث التاريخية¹¹⁵ .

هذا وقد نص القانون 356 في مادته العاشرة على تشكيل اللجان الدائمة للمحفوظات ، وعمل سجلات لها ، ولتكون حلقة الاتصال بين تلك الجهات ، ودار الوثائق القومية .

وعن تحديد معنى الوثيقة فإن كل وثيقة مهما كانت مادتها فإنه يمكن أن تكون جزءاً من المادة التاريخية على مرور الأيام ، خصوصاً وأن جميع الوثائق لازمة للتاريخ سواء في ذلك الوثائق المالية أم الإدارية أم التعليمية أم القانونية أم غيرها¹¹⁶ .

ومن المعروف أن الإنسان ليس عبداً للوثائق والمخطوطات بل هو ناقد حسيق يختار منها ويكتب ما يطلب به عقول الناس في كل عصر .

ومن الديقوس القول أن الشعوب التقدمة في سلم الحضارة تحافظ على وثائقها خصوصاً وأن هذه الوثائق تعد كنزاً ثمينة . فهي الشاهد الأكبر على التاريخ ، وهي الدليل الأعظم على الشخصية الحضارية لأي شعب من الشعوب .

والدراسات التاريخية المتكررة تعتمد اعتماداً كبيراً على الوثائق لكونها من المصادر التاريخية الأصلية والأساسية لكل باحث . يرغب في إثباته حقائق علمية لم تكن معروفة من قبل سواء للمؤرخين أم غيرهم .

الهوامش :

- ١ - د. سليم ميلاو : الوثيقة القانونية - مذهبها - أمزازها أحييتها - القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٦ ص ١٠ .
- ٢ - مجمع اللغة العربية - للمجموع الوسيط ج ٢ - القاهرة ، ص ١٠٣٣ .
- ٣ - بطرس البستاني : محيط المحيط - بيروت - مكتبة لبنان ١٩٨٣م ص ٩٥٦ - ٩٥٧ .
- ٤ - الآية ٢٥٦ .
- ٥ - د. علي الغمراوي : تقرير بيليجورالي عن بحوث فرنسا ونشأتها في القرن الثامن عشر - مجلة العلوم الاجتماعية بالرياض - العدد السابع ١٤٠٣ - ١٩٨٣ ، ص ٧ - ١٠ .
- ٦ - د. عبد العظيم رمضان : الذكريات النسائية وأحييتها بين وثائق تاريخ مصر المعاصر - دراسة غير منشورة ضمن بحوث ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث ، ١٩٧٧ ، ص ٣ .
- ٧ - د. حسين ربيع : وثائق الجزيرة وأحييتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لقرن الحجاز واليمن في العصور الوسطى ، بحث منشور ضمن الجزء الثاني من مصادر تاريخ الجزيرة العربية - ص ١٣١ .
- ٨ - د. أحمد السعيد سليمان : وثائق التاريخ العربي وكيفية صياغتها - حوليات كلية الآداب - جامعة عين شمس ، المجلد التاسع ١٩٦٤ .
- ٩ - محمود عباس حمودة : الدخول إلى دراسة الوثائق العربية - القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٠ ، ص ٣ .
- ١٠ - لم يكن لدى الناس الذين دونوا أعمالهم منذ مئات السنين أية معلومات محددة عن الطريقة التي يعمل بها الترخ المعاصر .
- ١١ - النارة : العدد الأول ، شوال ١٤٠٥ هـ/يونيو ١٩٨٥ - مقال للأستاذ عبد الله الحليل تحت عنوان أهمية تجميع تراثنا التراثي المتناثر في مكتبات العالم - ص ١٩٠ .
- ١٢ - لم يعد مجهولاً أن أجيالاً متعاقبة من أينا - مصر قرأت تاريخها الرظن على غير حقيقته .
- ١٣ - د. حسين ربيع : البحث السابق ص ١٣١ .
- ١٤ - د. سليم ميلاو : وثائق أهل الؤمة في العصر العثماني وأحييتها التاريخية - القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٨٣ ، ص ٣ .
- ١٥ - يرى البعض أن مجرد العثور على الوثائق ونشرها ومناقشتها يكون ذات فائدة للتاريخ - انظر : لويس جودتلك : كيف تفهم التاريخ - مدخل إلى تطبيق المنهج التاريخي - ترجمة عائدة سليمان وأحمد أبو حاكم - بيروت ، دار الكتب العربي - ١٩٦٦ .
- ١٦ - عبد الرحمن بدرى : متاعج البحث العلمي ص ٢١١ .

١٧ - ولد ديروانت - متابع الفلسفة - ترجمة أحمد نواز الأحرابي - القاهرة ، الأناضول المصرية ، ١٩٥٤ .

ص ٨ .

١٨ - يذكر أنه رسمت أنه عندما صعد إلى القلعة في عام ١٩٣٥ لتفقد الوثائق المصرية وجد أوراقها وسجلاتها مكتوبة بعضها فوق بعض في أكياس لايزمها سوى الجهادين والشعابين . انظر : مجلة المشرق البيروتية الجوزية ١٩٣٧ ص ٤٧٧

١٩ - محمود عباس حمودة : النشاط الدولي في خدمة الوثائق - مطبوع في ٤٩ .

٢٠ - دار الوثائق القومية : نشرة لفسير الوثائق ٣٥٦ لسنة ١٩٥٤ وتنظيم المحفوظات ص ٣٦ .

- 1 -

اربع وثائق تتعلق بالشؤون العامة للدولة العثمانية

د. كامل جميل العسلي

وَدَعَا الْوَهَّابَةَ السَّيِّئَةَ الْخَيْرَةَ ح ١٧٧-١٨٢

تستهل وثائق العصر العثماني بأربع وثائق تتعلق بالشؤون العامة للدولة العثمانية .
الوثيقتان الأولى والثانية تتعلقان بموضوع واحد هو الجهاد ضد روسيا وانجلترا وفرنسا بعد دخول تركيا
الحرب ضد هذه الدول في سنة ١٧١٤ .
الوثيقة الأولى منهما هي بيان أصدره شيخ الإسلام في استانبول في ٤ محرم سنة ١٧١٢ { ٢٢ توفيق
١٩١٤ } يحض فيه المسلمين في داخل الدولة العثمانية ويخرجها عن الجهاد ضد المسكوف ومقاتلهم من انجليز
وفرنسيين .
بعد أسطر هذه الوثيقة ٢٤ سطراً من ضمنها أربعة أسطر فيها التيسلة والتكثيرة من السلطان محمد رشاد
بأنه أمر بتدوير الوثيقة في جميع أقطار المسلمين . ثم للربيع الوثيقة بأية الاسم : محمد رشاد .
وفي الزاوية العليا اليمنى من الصفحة رسم العلم العثماني .
وفي نهاية البيان تسعة وعشرون وثيقة أعدتها توقيع شيخ الإسلام وعفتي الأتام خيرى بن عوفى
الأركوني . ومنها توافيق شيوخ إسلام سابقين وقضاة المسكر وقضاة ومدرسين وكبار موقفي الشريعة
الإسلامية .

وكتب في آخر البيان
طبعت بالمطبعة المطبعة بدار
الخلافة العثمانية

وتربيتا المسورة شكل هذه الحروف التي هي كخط اليد تماماً .

وقد صيغ البيان بلغة تستلهم حمية المسلمين للصورة دولة الخلافة ورسوخ الآيات القرآنية
الكريمة . التي تفرس عن المسلمين الجهاد إذا استبيحت ديار الإسلام .
ومن المعروف أن السلطان محمد رشاد الخامس^(١) قد أعلن - بوصفه خليفة المسلمين - الجهاد الأكبر ضد
انجلترا وفرنسا وروسيا بعد دخول الدولة العثمانية الحرب في ١٦/١٠/١٩١٤ (٩ ذي الحجة سنة ١٣٣٢) .
والخلفت الحكومة العثمانية تعمل على نشر دعوة الجهاد بين المسلمين في مختلف الأقطار . وهذا البيان صدر بعد
دخول الدولة العثمانية الحرب بحوالي ثلاثة أسابيع .

(١) حكم من ١٢٢٧ - ١٢٣٤ هـ (١٩٠٩ - ١٩١٨ م) .

ومما هو جدير بالإشارة إليه في هذا الصدد أن إعلان الجهاد قد تبعه احتفال موهوب عند نهر الرسول بالدينة المنورة أخرجت فيه راية النبي صلى الله عليه وسلم ثم نقلت إلى دمشق حتى شارك الجيش . وقد استقبل سكان دمشق الراية التي وصلت بالقطار في ١٥ كانون الأول ديسمبر سنة ١٩١٤ بكل مظاهر الحفاوة والإكرام ثم نقلت الراية من دمشق إلى بيت المقدس في العشرين من كانون الأول - فاستقبلت في حفل كبير أقيم في حرم المسجد الشرفة وشهده جمال باشا وحكم الاحتفال بإقامة الصلاة في المسجد الأقصى^[١٦] .

والبيان وثيقة مقدسية تاريخية بمعنى أنها طرقت عليها (هي والوثيقة التي شياها) في القدس . وفي ملف خاص بالعتلة الخالدية مطبوع في المكتبة الخالدية^[١٧] .

والوثيقة الثانية التي تتعلق بموضوع الجهاد هي صور لكتاري أصدرها شيخ الإسلام خيري بن عويش الأركوني رداً على أسئلة وجهت إليه حول وجوب جهاد المسلمين ومناصرتهم للدولة العثمانية ومشاربتهم لأعدائها .

وقد طبعت هذه الوثيقة أيضاً في مطبعة دار الخلافة . وفيما يلي نص الوثيقتين الأولى والثانية :-

[١٦] من المعروف أن العلاقات العربية التركية كانت متوترة آنذاك بسبب إجراءات التتريك التي اتخذتها حكومة الاتحاد والترقي. وقد بدأت سنة ١٩١٤ قامت تلك الحكومة بإجراءات شديدة ضد الجمعيات العربية وبدأ عمل مطابقتها بمنح العرب مشاركة كاملة في الحكم . كما أنها حطمت الكتاب العربية في الجبل الفلسطيني .

وتدهورت العلاقات العربية التركية بصورة خاصة في عام ١٩١٥ . ففي ٢٦ آي من ذلك العام أصبح جمال باشا ٢٦ شهيداً ثم اتبعم ٢٦ شهيداً في أيار سنة ١٩١٦ . الأمر الذي جعل في إعلان الثورة العربية بقيادة الشريف حسين بن علي في الشهر التالي ، حزيران ١٩١٦ .

[١٧] يحتوي ملف العتلة الخالدية على أوراق مكتوبة بالهجرية الأولى تطوي على معلومات ذات أهمية بالنسبة لتاريخ عائلة الخالدي وتاريخ القدس في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين . ويبلغ عدد هذه الأوراق حوالي ٥٠ ورقة كتبت أريافها تقريباً باللغة العربية والربع باللغة التركية . ومن بين الأوراق التركية ٩ برقيات تعود ملكيتها لأفراد من عائلة الخالدي ويريدان بشأن مساعدة تجارية عليها الدولة العثمانية مع فرنسا وبريطانيا وروسيا حول تسيير حدث في القدس . ووثيقة حول صرف أموال العمرة السلطانية لدى الأوراق العربية فيمنح الأتراك بالجزيرة الشمالية . واستثناء عدد قليل منها . ومن هذه وثيقة تشيرناها في العهد الأول من هذا الكتاب هي المادة بحسوبة الخريطة القادرية للشيخ عبد الرحمن الدهلوي شيخ زاوية الهنود بالقدس . ومنها الوثيقتان اللتان نحن بصدد الحديث عليهما . وهما بيان الدعوة إلى الجهاد والكتاري التي تلي . ومن بين وثائق الملف التي استشرها فيما يلي من هذا الكتاب وثيقة بشأن تقرير سيرة من آل الدراري (العسلي) بحسبة من أموال العمرة السلطانية .

مقبول شيخ الأديب مع ما به مرجعاً لتمامها انما اذ لم يكن في قلبه من العلم والبر والحق والعدل والبر
 الاية من انفسهم اذ لم يكن في قلبه من العلم والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر
 قد كثر بعد ذلك من العلم والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر
 كون من بعد ذلك من العلم والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر
 اذ كان في قلبه من العلم والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر
 في هذا الصدد انما المقبول من العلم والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر
 الاية من انفسهم اذ لم يكن في قلبه من العلم والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر
 من بعد ذلك من العلم والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر
 وبعد الصبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر
 كما ان في قلبه من العلم والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر
 وحيثه فبذلك انما المقبول من العلم والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر
 المقبول من العلم والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر
 كما ان في قلبه من العلم والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر والحق والعدل والبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
صور الفتاوى الشريفة الصادرة من طرف المشيخة الإسلامية العليا
في حق الجهاد الأكبر
منه التوفيق

ما قول شيخ الإسلام دام بابه مرجعاً لكم فيما إذا تولى هجوم الأعداء على الإسلام والمسلمين واحقق
أنهم يستأثرون على البلاد الإسلامية باستئثارهم في السلب والنهب وأسر المؤمنين ونسبي المؤمنين وسدائر أسر
أهل المؤمنين بالجهاد والنزوح العام فهل صار بذلك الجهاد فرساً على جميع المؤمنين بمقتضى قوله تعالى: ﴿أَنْفَعُوا
خِلاَفًا وَآثَارًا وَيَجْعَلُوا مَسَاقِمَكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي سَبْعِينَ مِائَةً مِنْهُ لِيَأْتِيَنَّكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ
وَالَّذِينَ سَبَقُوا كَانُوا مِنْ شَيْءٍ مَثَلًا لِمَنْ آمَنَ مِنْكُمْ فِي سَبْعِينَ مِائَةً مِنْهُ لِيَأْتِيَنَّكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ
لَقَدْ أَنْزَلْنَا مَا جُورِينَ

الجواب: الله تعالى أعلم

قد صار الجهاد بذلك فرساً على جميع المؤمنين وصارت مسألتهم كذلك بالنفس والدين فرس على

كتبه الفقير إلى الله تعالى
خيري بن عوني
الأركوني
على
منه

وبهذه الصورة إذا تسلق من الروس والإنجليز والفرنسيين ومن ظاهريهم البغي والعدوان اليوم على الخلافة
الإسلامية هاجمين بسيفهم الحرية وسائرهم البرية على دار الخلافة وسائر البلاد المحروسة العشائرية ساعين
والعيار والله تعالى إلهاء نور الإسلام فهل تكون مسأرة هذه الحكومات من عموم المسلمين للفرس مطين الجهاد
على تلك الحكومات فرساً أيضاً أم لا لفتونا ماجوريين .

الجواب: الله تعالى أعلم
تعم تكون مسأرتهم فرساً أيضاً

كتبه الفقير إليه
خيري بن عوني
الأركوني
على
منه

وبهذه الصورة إذا كان حصول القصور متولفاً على مسأرة جميع المسلمين للجهاد وتطلق بعضهم والعيار
بالله تعالى فهل يكون تطلقهم معصية ويستحقون بها غضب الله والجزاء على هذه المعصية الشريفة أم لا لفتونا
ماجوريين .

الجواب الله تعالى اعلم

كتبه الفقير إليه
خيرى بن
عوني
الأركوني
عقرى منها

نعم يستحقون ذلك

وهيئة فمسلحوا تلك الحكومات الخارية للحكومة الإسلامية هل يدوم عليهم شرماً بصورة فظيمة أن يحاربوا مسلح الحكومة الإسلامية ولو أكرهوا وقتل أنفسهم وإتناء جميع عائلاتهم ويستحقون إن مسلحوا ذلك دار الجحيم لكونهم قاتلين أم لا القتل ما يجوزون

الجواب الله تعالى اعلم نعم يستحقون ذلك .

كتبه الفقير إليه
خيرى بن
عوني
الأركوني
عقرى منها

مطبعة عامرة دار الخلافة الإسلامية.

الصورة السلطانية

٣٥٤/٤٣٤/٤٣٣/٤٣٢/٤

[٩٦][٩٥][٩٤][٩٣]

الصورة السلطانية

من قديم الزمان ومنذ أيام الدولة الآشورية كانت ترقى إلى القدس الهبات والمطايا من الخلفاء والسلاطين لتوزع على خدام الحرم الشريف وعلى الفقراء والمحتاجين من أهل المدينة . من ذلك مثلاً ما أورده ابن حلال القدس في « منير القرام » (ص ٤٧) من أن الوليد بن عبد الملك كان يعطي إبراهيم ابن أبي حنيفة تصاع الفضة ليقتديها على قراءة مسجد بيت القدس . وكان غير الوليد من الخلفاء والحكام يفعلون ذلك على مدى العصور^(١) .

وقد غدت « الهبة » التي تقدم للعاملين في المسجد الأقصى سنة ثابتة زمن العثمانيين . على ما يستفاد من سجلات المحكمة الشرعية في القدس . فقد كان سلاطين بني عثمان كسلاطين المماليك والأيوبيين قبلهم يعطون اعتماداً بالغا بمصالح الحرم القدس الشريف والمدينة القديمة بل إن الهبة السنوية أصبحت مؤسسة قائمة بذاتها لها رسومها وانظمتها . وكانت هذه الهبة تدعى « الصرة » . وعين الصورة في استنساخ « المون غايس » يتولى الإشراف على شؤونها كافة . وخاصة ما يتعلق بكيفية توزيعها على المستحقين . ويحتفظ « للصرة » بسجلات أو دفاتر يعاد النظر فيها كل عام .

كتب السائح التركي أولياء جنبي في أواخر القرن الحادي عشر يقول: هناك ثمانمائة موظف يتقاضون رواتب في المسجد الأقصى . ومن ضمن هؤلاء ثمة للطاقم الأربعة يوعظ ويحرسون وخدام . وفيه خمسون من المؤذنين والمسبحين والمطعمين والقراء والسنة . وكانت رواتب هؤلاء تدفع من جيب السلطان . فإن خائن السلطان (حين الصورة) كان يأتي سنوياً ليوزع عليهم الهبات والهوايا^(٢) .

وكان هؤلاء جميعاً يتقاضون رواتبهم من الشعب الذي يرد من الأستانة ضمن الصورة في كل سنة . وبالإضافة إلى الذهب كانت الصورة تشمل على كميات من اللحم والخبز والمؤن المشقة التي كانت توزع على موظفي الحرم حسب وظائفهم .

(١) مصادر العلم في بيت القدس ص ٧١ .

(٢) Eskiya Tchelebi's Travels in Palestine - Translated by St. H. Stephan in ODAP Vol. IX, No 2 p. 94 .

ويتنقل عارف العارف وصفاً لحفل توزيع الصرة ورد في أحد سجلات المحكمة الشرعية^(١) كما يلي :

(أرسل السلطان أحمد خان^(٢) اثنين من كبار رجال الدولة هما أمير لواء غزة هاشم محمد باشا وأمين الصرة حسين آغا فجاهد يميلان (الصرة) عن سنة ١١٢٠.. وفيها ألفان وأربعمائة وستون ذكياً شريفياً^(٣) ... وقام الاثنان بتوزيع هذا المبلغ على المستحقين فقبض كل واحد منهم ما هو معين له (بمقتضى دفتر السلطاني) وقد تم ذلك بحضور العلماء الأعلام وشيوخ الحرم الكرام والخطباء والأئمة والمصدرين وخدم المسجد الأقصى الشريف فتزايد الدعاء من العلماء والسيادات والشيوخ والصالحين والضعفاء والفقراء وجميع سكان هذه الديار القدسية لسلطان الإسلام والمسلمين فامع الكثرة والمحمدين السلطان أحمد خان)

وكان مبلغ الصرة يختلف بين وقت وآخر . وفي سنة ١١٧٠ كانت الصرة ٥٠٠٨٤ قرشاً أسدياً أي حوالي ٣٨٠٠ سلطاني ذهب .

وتورد فيما يلي أربع وثائق تتعلق بالصرة مأخوذة من سجلات المحكمة الشرعية في القدس . وفي السجلات صيغ عديدة تتعلق بالموضوع نفسه . وما تقدمه ليس سوى أمثلة . وثلاثين الصيغ معلومات مختلفة من الصرة منها مثلاً :

- (١) أن الحصة المقررة لشخص ما في الصرة كانت تؤخذ .
 - (٢) كان من الممكن للمستحق في الصرة أن يتنزل عن الحصة المقررة له إلى شخص ثانٍ بطريق الفراغ أو التنازل مقابل مبلغ من المال يدفعه الثاني لأول (أي له أن يبيعها) . ويشترط أن يتم ذلك بمعرفة القاضي وتصديقه .
 - (٣) كان الإتمام الأصلي عن شخص ما يحصله في الصرة يتم ببراعة صادرة عن السلطان . ويتولى القاضي التصديق على صحة البراعة .
 - (٤) كان للصرة دفتر خافقي خاص تسجل فيه أسماء المستحقين في كل سنة .
 - (٥) إن المستحقين كانوا ينقسمون إلى جماعات أو فئات فهناك مثلاً : جماعة الصلحاء ، و جماعة قضاة أجزاء شوبلة ، و جماعة قضاة أجزاء والده السلطان ، و جماعة البلقين في الحرم الشريف ، الخ . وهناك جماعات كثيرة أخرى بحيث كان يستلزم من الصرة عدد كبير من سكان المدينة .
- ومن الجدير بالذكر أنه كانت ترد إلى القدس في العهد العثماني صرة أخرى غير الصرة العادية . وهي الصرة المدرية ، كما ترون لنا الوثيقة ج ٣٥ . وكانت هذه الصرة ترد سنوياً أيضاً من حكام مصر . ولا تعرف بالضبط الفترة التي غلت هذه الصرة ترد خلالها .

(١) الفصل في تاريخ القدس ص ٢٤٥ . يذكر العارف أنه ينقل هذا الوصف عن السجل ٢٧٢ من ٦١ السنة ١١٢٠ . غير أننا لم نطرح عن الوصف في السجل المذكور . وألحج أن هناك خطأ في رقم السجل أو الصفحة .

(٢) أحمد الثالث بن محمد (١١١٤ - ١١٤٢) .

(٣) ظهر دفتر الشريف الذهبي في عهد السلطان سليمان الثاني (١٠٩٩ - ١١٠٢) .

١ - الصبغة الرومية

قرر مولانا وسيدنا العلامة الفاضل القاهنل القاهنل الكامل قدوة فضلة الإسلام دكر ولاية الانام خلاصة في عهد
ملك الفخام الحاكم الشرعي الولي محمد القدي الشريف الموقر خطه الكريم اعلا نظيره دام غشله وعلامه لجمال
هذه الكتاب الشرعي وتاقي ذا الخطاب المرعي قدوشي الكليلين زبدي التلامم الثارين وهما مولانا الشيخ محمد
ومولانا الشيخ صالح ولدا قدوة الاطهار العتيرين الشيخ عبد الجواد الشهور نسيه البارك بالعسلي ثمانية سلطانية
زعبيا من الصبغة الرومية الواردة في كل سنة من مدينة قسطنطينية الحمية الى القدس الشريف الستة سوية بينهما
من جماعة الصلحا عويساً عن قدوة للتربسين الكرام عطا الامام زبدة الفقون الفخام مولانا هبة الله
القدي بن الرحمون شيخ الاسلام بركة الانام شيخ الفقها والمحدثين العظام مولانا عبد الغفار القدي مفتي القدس
الشريف كل تعدده الله بالرحمة والرضوان بسكم فواغه لهما من ذلك في يوم تاريخه اذناه بحسن اختياره ورفاه
واذن مولانا الحاكم الشرعي المرعي اليه دامت نعم الملل عليه للشيخ محمد والشيخ صالح المزبورين بتأويل
الشافية سلطانية المزبورة في كل سنة في وقت من محله اثنو اطلها سوية بينهما لا مزنة لاحدهما عن الاخر
تقريراً واناً صميمين شرعيين مقبولين شرعاً ثم تعوض الفارغ اللومي اليه من الفروع لهما نظير فواغه من ذلك
مبلغاً قدره ستون قرشاً اثنو^(١) قبض ذلك منهما سوية بينهما بالحضرة والمعاينة القدي الشرعي ثم توافقوا
على ان التجمد المستحق في شهر رمضان لسنة ستين ولف الذي سيورد في سنة تاريخه للفارغ المزبور وان التجمد
بعد شهر رمضان لسنة ستين ولف والى يوم تاريخه اذناه للفروع لهما سوية بينهما موافقة مرجحة صدرت بينهما
بالتراضي المرعي تحديراً في غنام محرم الحرام افتتاح شهر سنة احدى وستين ولف .

شهود الـ			
الشيخ مصطفى العلمي	الشيخ زكريا الديري كاتب اصله	الشيخ مصطفى الدجاني	الشيخ عفيف الدين الديري
			الشيخ نور الدين الشافعي كاتبه

(١) سلطانية بمبلغ ١ قرش اثنو . اي ان ١٠٠ قرشاً اثنو تعادل ١٠٠ سلطانية ذهباً .

وثيقة من أوراق آل جودة مستجلة في المحكمة الشرعية في القدس سنة ١٧٧٧.

٢ - الصورة الرومية

صدر التقرير من القاضي
المسيد محمد القاضي بالقدس الشريف
(مُخَمَّ القاضي)

سبب تحرير الشريف هو أنه بالرجوع الشرعي التبريد المرعي أجله . تعال قر مولانا وسيدنا العالم الكبير العامل التحرير صدر دقائق الفقه والتصحیح مطر قواعدهما الحسن تقرير الفرض قضاء الإسلام اولى ولاه الأتام صدر الساطع الوالي العظام بدر سماء العالي العظام فرع الشجرة الركية طراز العصابة الكريمة الهاشمية الساكن الشرعي المولى الوقوع خطه الكريم اعلام دام فضله وراه علاه حامل هذا الكتاب الشرعي ونقل ذا الخطاب العتبر المرعي مختر الأفاضل والسادات الكرام السيد جون الله اعندي رئيس المسامة المؤذن بالبحر الشريف القدس في سنة ذهب سلطاني ونصف سلطاني وربع سلطاني من الصورة الرومية الواردة في كل سنة من تسطيطانية الخدية الى اعالي القدس الشريف السنية من جماعت قرأ اجزا شريفة يعقام سيدنا موسى الكليم عن شينا وعليه وعلى ساير الانبياء والدرسين^(١) صلوات الله الجليل وفي نصف سلطاني وربع سلطاني من الصورة الزبورية من جماعت قرأ اجزا والده سلطان عليها من الله تعال الرحمة والرفوان وفي سلطاني ذهبيا من الصورة الزبورية من جماعت ميلفين حرم شريف عوضاً عن وادي لقيه هما السيد حله والسيد فتح الله يحكم وقتهما الى رحمة الله تعال واتحائل ذلك عنهما الايل اليهما ذلك بموجب ثلاث براء شريفة سلطانية والذ مولانا وسيدنا الحاكم الشرعي السيد جون الله اعندي المقرر الزبور بمباشرة واداً خدمة الشكور اعلاه وقبض معلومها واقدره في كل سنة حسباً ذهب سلطانياً ونصف من الصورة المذكورة بالاستئذنية عند الحاجة تقريراً وانأً صميمين شرعيين مقبولين شرعاً تحريراً في رابع عشر شوال سنة احدى وسبعين ومائة والالف .

شهود الـ
القاضي ابراهيم القفير علي القفير... الله القفير الحاج القفير حسن القفير فيض الله
القاضي الشهابي القاضي القاضي محمد الشاذلي القاضي القاضي القاضي القاضي

كاتبه

الدقاق

(١) خطا - المراد : المرسلين .

(من ملف وثائق العائلة الشاذلية)
جامد علي ...
عثر له

٣ - الصورة الرومية

ختم

سبب تحرير الحروف هو أنه بالرجوع الشرعي الحوزي القرني اليه تعامل حوز مولانا وسيدتنا العالم العامل الفاضل الكامل الفاضل بين الحق والباطل الحاكم الشرعي المثلوق بخلق اجماله خاتمة هذا الكتاب وثالثه الخطاب الفخر والرخي فخر الخدرات السيدة فطومة خاتون ابنة المرحوم السيد عبد الله اعزاز قلعة القدس سابقاً في سلطاني ذهباً من الصورة الرومية الواردة في كل سنة من الاستانة الطيبة من جماعة باب حطة اول وفي سلطاني ذهباً أيضاً من الصورة الرومية من جماعة مجاهدين اقدس شريف وفي سلطاني ذهباً أيضاً من الصورة الرومية من جماعة باب القلائين وفي سلطاني ذهباً من الصورة الرومية من جماعة جامع شعري مع زاوية فتود جملة ذلك في كل سنة عشرة رطله موهباً من متصرف ذلك فخر الامام المكرم السيد موسى بك ابن المرحوم احمد آغا ميرالاي الشهيرة بالقدس سابقاً بحكمه فراغها عن ذلك في يوم تاريخه عن طيب قلب وانسراح صدر الابل اليه ذلك بموجب تقرير شرعي وان مولانا وسيدتنا الحاكم الشرعي للسيدة فطومة يقبض وثائق العشرة والرقة من الصورة الرومية في كل سنة والاستمالة عند الحاجة لتقريراً وانما صمغين شرعيين صامرين كبرياً بعد ان الوهب لها العوض وقيل منه ذلك تحريراً في نصف رجب سنة خمس وتسعين ثمانية وارب

شهود السيد السواد

الفقر الحاج ابراهيم الشاذلي	الفقر علي	الفقر صاحب الله الشاذلي	الفقر حسين الشاذلي
الفقر السيد احمد الشاذلي	الفقر السيد صالح الترمجان	كاتبه السيد علي الشاذلي	

(1) ان السيد موسى بن احمد آغا وبسبب السيدة فطومة حضرت في الصورة ولم يبعها اي

الصورة المصرية

قرر مولانا الحاكم الشرعي حامل هذا الكتاب الشرعي الشيخ عبد الحليم ابن الخوج
الحاج عيسى القطب في خمسة وأربعين فقرة^(١) مصرية من الصورة المصرية الواردة في كل سنة
من مصر الحموية لأهالي القدس الشريف السنوية عوضاً عن متصرف ذلك السيد خليل آغا ابن
عبد الرحمن آغا الصبي بحكم فراقه له من ذلك من طيب قلبه والتشراح صدره من غير إكراه له
في ذلك ولا إجبار الأهل إليه ذلك بالاتفاق عن جدته شريفة بموجب دفتر الصورة الرقوية
والتصرف القديم وأن الحاكم الشرعي للمقر الرقم يتناول الخمسة والأربعون نسخة من
الصورة وبلاستانية عند الحاجة تقريباً^(٢) وأن أصحاب شريعتين وتعويض الفارغ المرفوع من
المرفوع له نظير فراقه من ذلك نسخة واحدة^(٣) ويصاف حوضاً حالاً مقتبوساً بيد الفارغ من المرفوع
له حسب اعترافه الاعتراف الشرعي تحريراً في غرة جمادى الثانية سنة تسع وتسعين ومائة
والف ...

(١) دفتر القام السلطاني كان يعادل ١ - نسخة مصرية .

(٢) نسخة : ستة نسخة عثمانية (بولونية الأصل) تعادل ٢ - مائة وثلاث ١٩٠٢ تم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قد أمرت بفتح هذا البيان
في جميع أقطار المسلمين

٤ / المحرم سنة ١٣٣٢
(٢٢ نوفمبر ١٩١٤)
محمد رشاد

أيها المؤمنون

إن المنكوف الذين ما برحوا منذ تصور عداء للإنسانية الداء والعداء الفلاح المظروفك اشداء ويريدون أن يستعيدوا الاسم ويضعوا عليها الاغلال ويحرموها ما منحها الله جل وعلا من الاستقلال قد استطاع خسرو شيرازي من الشرق إلى الغرب وأقاموا هذه الحرب العالمة اليوم في أوروبا وأمريكا ومعهم الفرنسيين (١) والإنجليز الذين ما فتىء الغرور يحل في الواقع استعمار الملايين من المسلمين والفتح يزين لهم امتصاص حياتهم وما تزال تعني في صدورهم مراحل الجحيم حل الخلافة الإسلامية ولا يحدون شفاه لا في القوسم من اليقضاء إلا يجهان بتيازها ويزمنة تركتها ذلك بانها ملكية المسلمين وسند الدين هؤلاء الجاهلون الذين يقال لهم الانتلاب انكثت قد طغوا في العصر السالف على المسلمين الذين كى الهند وفي آسيا الوسطى وفي أكثر أنحاء أفريقيا فاستلبوهم وجردوهم من استقلالهم وأقاموا أنفسهم حكماً مستبدين عليهم وكذلك طاهر بعضهم بعضاً منذ نصف عصر بل أكثر فأخربوا قسماً من البلاد العثمانية من أزرها وأغلامها وبالنسبة أخروا علينا جيراننا وبعدهم الظاهرة وخطوهم يولدون علينا الحرب البلقانية فكانوا فيها سبباً أن تهرب دعاء ملكات الآف من المسلمين وأن تهتك الحرم ويحني عن القطم وتصعب المعاهدة الظاهرة ملكية للحيثك وبيئة للأرجاس وما هم أولاء قد عمدوا اليوم إلى إيقاد الفتن تضييق تاريخاً بأهل الأرض كلهم ويريدون أن يردوا محل القلب من الآلة الخمدية بأفند هذه الجمار لثماً وانظموها وفقاً يريدون أن يملطوا نور الله بأقوامهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون (٢) غضب الله حائق لا محالة عاجلاً أو آجلاً بمن يريدون سره بهذا النور الإلهي والدين السماوي الذي إنزله للفلاح البشر مولانا رب العالمين من لا تعي حكمه الفهوم ولا تحبذ بدمته العقول وليس كسكته شيء سبحانه وتعالى ويوجب هذا البغي قد رأى الظلمة أورد الله تعالى من الواجب أن يستلقر المسلمين كلمة تجارية هؤلاء البغاة اعلام تكلمة الله وتوداً عن بلاد الإسلام ودره عن بيت الله الحرام وروضة حفر الآلام ومصباح الظلام وندياً عن المشاهدة المباركة في بيت القدس والتجف وكربلاء ومشار مقامات الأنبياء والأولياء والشهداء وحفظاً للخلافة الإسلامية من لوث الأضداد وفتناً بهذا الدين المدين أن يتاله مركز ذوي الأحقاد وقد عدل في هذا بما يقتضيه مقام الخلافة وما دلت عليه القارون الشريفة واستمدت عبارة التعزير ذي الانتقام من القرآن وبأشر نور الإسلام فدعا إلى حمل السلاح جميع من هم ضمن حكومة الخلافة من العثمانيين من أبناء العسرين إلى

(١) الترمذ (١٠٠) في رواية الصفة بقرنم الوثيقة المتسلسل في الكتاب السابع اعتمى الوثيقة العثمانية الأولى في الكتاب ومن هذا الشكل المتسلسل
بطية الوثائق
(٢) الصحيح الفرنسيون
(٣) سورة التوبة - الآية ٢٢

ابناء الخامسة والاربعين وفيهم العالمون سباً^(١) والمعلمون من سائر طلاب العلوم والفنون وفيهم كذلك المؤلفون والمؤمرون من كل من هو ——— آية وزيهته ونوره فجهز منهم جميعاً الفرائق وملا بهم الاساطيل وهم يسبقون اليوم على بركة الله تعالى إلى مواطن القتال طلائع وجيشاً مشاة وفرساناً ، وكذلك يدعو جميع المسلمين ان يعتنوا بالنصيب من ثواب هذا الجهاد العظيم اتباعاً لقول العظيم الحكيم ﴿انفروا خفافاً وثقلًا وجاهدوا يامكروا﴾^(٢) فمن اعظم واجبات الدين اليوم على المسلمين الذين هم تحت سيطرة تلك الحكومات الجائرة كاعلى القرم وقزاق والتركستان وبخارى وخيوة والهند والمسلمين الذين في إيران والافغان والصين والمسلمين الذين في افريقيا وسائر اقطار الارض ان يبادروا إلى الجهاد الاعظم باسمهم وانفسهم مع العثمانيين وان يتأملوا في قوله تعالى : ﴿يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انكفتم إلى الارض الرضيمت بالصيافة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل﴾^(٣) ارفوله عز وجل ﴿الا تنفروا بعدكم عذاباً اليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تفسروهم شيئاً والله على كل شيء قدير﴾^(٤) وقوله سبحانه ﴿وعلم ان كان لياركُم وابتلاكُم واخراتكُم وانواركُم ومظنونكُم والسرائر اقتربتموها وتجاهرتنفسون كسارها ومسالك ترضونها احب اليكُم من الله ورسوله وجاهد في سبيله فترضوا حتى ياتي الله باسمه﴾^(٥) نعم يجب عليهم ان يتأملوا في هذه الايات الكريمة والارشادات الحكيمية ويبادروا إلى انقاذ النفس من الخطاب الاليم وارباحها الثواب العظيم والتعميم القيم وقد علمت المسبية وجل الخطاب بان طلق هؤلاء الاعداء بحضريين جلواً من ابناء المسلمين الذين تحت دعهم ويسوقونهم إلى محاربة الشقيقة ومظالمه ويرمونهم إلى اعظم مآسرين هذه الهجاء استعاراً واكثرها تهلكة ودماراً فمن اعظم العبادات اليوم للمسلمين ان ينظر^(٦) إلى تلافي هذا الخطب العظيم ويضع هذا البلاء الشريع وان يتوكلوا على ربهم ويسبقوا في هذا السبيل مهما اولئوا ويضع عليهم من بغي هؤلاء الخصوم فان هذه البرية تفسر الاكابر وتتشوي النهج ولا تلبثها النفوس والله سبحانه قد وعد الصابرين اجراً كبيراً وقرراً عظيماً ولهم من بركات الرسول صلى الله عليه وسلم مدد يا له من مدد وسند اعلم به من سند . يا امة النبي اشفتار ان الله تعالى قد اتى هذا الدين المبين وهداكم بهدي الفضل المرسلين لتكونوا اهل الامم وائمة الناس في الفضائل والهمم والمزايا وعلوم الخيم كما قال الله تعالى : ﴿وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾^(٧) من اجل ذلك يجب على اهل هذا الدين الذي اساسه التوحيد والانتفاء وشعاره العلم والعمل^(٨) العقل والسمعة مهما كان جنس كل واحد منهم ومهما كانت حكومته وبلاده وان يكونوا كلهم امة واحدة مجتمعين كلهم تحت لواء محمد صلى الله عليه وسلم متجهة للربوب إلى الله ووجههم إلى الكعبة بيت الله وان لا يكون خسرهم إلا إلى رب العالمين فانه قد طرح على نواصيرهم طابع ﴿ذلك تميد وياك تستعين﴾^(٩) وان يستعدوا الآن يصدق فيهم وصف ﴿ولقاتين في سبيله صفاً كأنهم يتان مرموسين﴾^(١٠) تجاه من يبغى الاعتداء على جامعهم العظمى وكلمة الله العليا . اي عباد الله المسلمين ان السمعة نصيب من يبقى من الجاهدين في الدنيا وان الشهادة نصيب من يسبق منهم إلى الاخرة فيا ايها العفتاش إلى العزة والسمعة ويا ايها الجاهلون باسمهم وانفسهم لتبل الشهادة الصديقا إلى قول الله سبحانه ﴿واقتصموا بينكُم الله جميعاً ولا تغزوا﴾^(١١) واستكروا هذا الامر العظيم والقبوا هذا الهدي الحكيم واجمعوا على قلب رجل واحد

(١) التوبة مضمومة ثم غلصت وللكه التكميم غير واضح .
 (٢) سورة التوبة - الآية ٤١ .
 (٣) سورة التوبة - الآية ٢٨ .
 (٤) سورة التوبة - الآية ٢٩ .
 (٥) سورة التوبة - الآية ٢٤ .
 (٦) سورة التوبة - الآية ٢ .
 (٧) كلمة الفصحة - التوبة بصوتها .
 (٨) سورة الفاتحة - الآية ٤ .
 (٩) سورة الصافات - الآية ١٧ .
 (١٠) آل عمران - الآية ٢ .

حول سرير السلطة وتمسكوا جميعاً بأركان عرش الخلافة وأعلموا ان الدولة انما تجاري اليوم من هم اعداء حياؤها وهم السكوف والفرنسيس والانكليز والذكورا ان الذي يدعوكم الى هذا الجهاد العظيم انما هو خليفة رسلكم الكريم عليه افضل الصلوة واكبر التسليم فقاتلوا في سبيل الله انه سبحانه مؤيدكم وبأسركم وقد وعدكم في كتابه المجيد وهدى حق وقوله صدق في قائلهم يذهبهم الله بايديكم ويخزيهم⁽¹⁾ ويتصركم عليهم ويشك صدور قوم مؤمنين⁽²⁾ .

قاضي العسكر شريف توفيق	قاضي العسكر محمود اسعد	قاضي العسكر تجم الدين	قاضي العسكر قاضي العسكر
قاضي العسكر محمد اسعد	قاضي العسكر احمد عليوي	قاضي العسكر مصطفى توفيق	قاضي العسكر ابراهيم اسعد
قاضي العسكر زادة	قاضي العسكر عمر خلوصي	قاضي العسكر امين الفتوى علي حيدر	قاضي العسكر امين الفتوى علي حيدر
قاضي العسكر محمد شكري	قاضي العسكر عمر خلوصي	قاضي العسكر امين الفتوى علي حيدر	قاضي العسكر امين الفتوى علي حيدر
شيخ الإسلام ومفتي الامام سابقاً اسعد	شيخ الإسلام ومفتي الامام سابقاً موسى كاظم	شيخ الإسلام ومفتي الامام سابقاً شيهاد الدين	شيخ الإسلام ومفتي الامام سابقاً شيهاد الدين
شيخ الإسلام ومفتي الامام خدي	القرر الثامن للدرس بالحضرة السلطانية أيوب	القرر الخامس للدرس بالحضرة السلطانية	القرر الخامس للدرس بالحضرة السلطانية
القرر الخامس للدرس بالحضرة السلطانية ولدان ؟	القرر الرابع للدرس بالحضرة السلطانية طراوة في محمد طليم حلمي	القرر الثالث للدرس بالحضرة السلطانية نصوص اقليد زادة	القرر الثالث للدرس بالحضرة السلطانية نصوص اقليد زادة
القرر الاول للدرس بالحضرة السلطانية محمد الشرف	رئيس مجلس الشقيقات الشرعية حسن كامل	القرر الثاني للدرس بالحضرة السلطانية مصطفى عامر وكيل الدرس علي	القرر الثاني للدرس بالحضرة السلطانية مصطفى عامر وكيل الدرس علي
القاضي بدار الخلافة العلية مصطفى رضا قاضي العسكر عصمت	مستشار المشيخة الإسلامية لولاية زادة ابراهيم اوليا	القاضي بدار الخلافة العلية مصطفى رضا قاضي العسكر عصمت	القاضي بدار الخلافة العلية مصطفى رضا قاضي العسكر عصمت
مدير الاعلانات الشرعية علي رئيس مجلس الشايخ محمد اسعد	مكتوبي ⁽³⁾ المشيخة الإسلامية مارويشي ؟ يوسف صفدي اقليد زادة أبو العلاء رئيس المسؤلين ؟ احمد اسعد	القاضي بدار الخلافة العلية مصطفى رضا قاضي العسكر عصمت	القاضي بدار الخلافة العلية مصطفى رضا قاضي العسكر عصمت

طبعت بالطبعة العامرة بدار الخلافة الإسلامية

(1) في الأصل ويخزيهم .
(2) سورة القدره ، آية ١٤
(3) أي مدير التحرير أو مدير النشر .

أرقام مجلة القرية

1	1	1	1	1	1	1	1	1	1
2	2	2	2	2	2	2	2	2	2
3	3	3	3	3	3	3	3	3	3
4	4	4	4	4	4	4	4	4	4
5	5	5	5	5	5	5	5	5	5
6	6	6	6	6	6	6	6	6	6
7	7	7	7	7	7	7	7	7	7
8	8	8	8	8	8	8	8	8	8
9	9	9	9	9	9	9	9	9	9
10	10	10	10	10	10	10	10	10	10
11	11	11	11	11	11	11	11	11	11
12	12	12	12	12	12	12	12	12	12
13	13	13	13	13	13	13	13	13	13
14	14	14	14	14	14	14	14	14	14
15	15	15	15	15	15	15	15	15	15
16	16	16	16	16	16	16	16	16	16
17	17	17	17	17	17	17	17	17	17
18	18	18	18	18	18	18	18	18	18
19	19	19	19	19	19	19	19	19	19
20	20	20	20	20	20	20	20	20	20
21	21	21	21	21	21	21	21	21	21
22	22	22	22	22	22	22	22	22	22
23	23	23	23	23	23	23	23	23	23
24	24	24	24	24	24	24	24	24	24
25	25	25	25	25	25	25	25	25	25
26	26	26	26	26	26	26	26	26	26
27	27	27	27	27	27	27	27	27	27
28	28	28	28	28	28	28	28	28	28
29	29	29	29	29	29	29	29	29	29
30	30	30	30	30	30	30	30	30	30
31	31	31	31	31	31	31	31	31	31
32	32	32	32	32	32	32	32	32	32
33	33	33	33	33	33	33	33	33	33
34	34	34	34	34	34	34	34	34	34
35	35	35	35	35	35	35	35	35	35
36	36	36	36	36	36	36	36	36	36
37	37	37	37	37	37	37	37	37	37
38	38	38	38	38	38	38	38	38	38
39	39	39	39	39	39	39	39	39	39
40	40	40	40	40	40	40	40	40	40
41	41	41	41	41	41	41	41	41	41
42	42	42	42	42	42	42	42	42	42
43	43	43	43	43	43	43	43	43	43
44	44	44	44	44	44	44	44	44	44
45	45	45	45	45	45	45	45	45	45
46	46	46	46	46	46	46	46	46	46
47	47	47	47	47	47	47	47	47	47
48	48	48	48	48	48	48	48	48	48
49	49	49	49	49	49	49	49	49	49
50	50	50	50	50	50	50	50	50	50

مجلد رقم ١٠٠

مصر والدولة العثمانية في عصر محمد علي حروب محمد علي بجانب وضد الدولة العثمانية

مساندة محمد علي للدولة العثمانية في محاربة اتباع الشيخ محمد عبد الوهاب

مساندة محمد علي للدولة العثمانية في حروب استقلال اليونان

حروب محمد علي في الجزيرة العربية :

بعد أن نشأت الدولة العثمانية في مواجهة رجالات الدمشوية السلفية من طريق إرسال ولاية الشام والعراق لحصارهم بسلب السلطان مصطفى الرابع من محمد علي والى مصر التمسك بهذه المهمة على أمل استعادة السيادة العثمانية على الحجاز ، ويبدو أن محمد علي لم يكن راضيا في القيام بهذه المهمة في بداية الأمر حيث تذكر الوثائق أن محمد علي كان يمتثل في تنفيذها وبشكا في إرسال هذه الحملة بحجة

سواء أحوال مصر الاقتصادية التي لا يمكنه من الانتعاش لهذه الحرب وريعية في قيام الدولة العثمانية بإمداده بالأخشاب التي تنكسه من لشقاء السن اللازمة لعبور البحر الأحمر ، وإمداده بالذخائر والمعدات التي تنكسه من خوض المعركة ⁽¹⁹⁾ ونتيجة لتكرار مطلب الدولة العثمانية، وخشية من أن يستتر محمد علي غضب السلطان العثماني اضطر إلى أن يصدر أوامره بإرسال الخلة تحت قيادة ابنه أحمد طوسون .

وفي الثالث من سبتمبر 1811م أبحرت قوات محمد علي من السويس إلى بنبع ومنها أجهت نحو المدينة الثورة ، وقد استولت هذه القوات في طريقها على تريتس « بدر » « والسراة » إلا أن رجالات القمصوة وقتوا لها بالرصاص عند « الحديدة » وكادوا يقتلون عليها مما اضطرها للراجع إلى « بنبع » وقد وصف الخبر في ذلك بتوله « انزبوا جميعها وولوا الأديار وظلوا جميعا الدار » ⁽²⁰⁾ .

ونتيجة لترحيل موقف قوات طوسون بلقا قام محمد علي بتعزيز تسواته ، كما تبيل على ضم بعض القبائل إلى جيشه مما أدى في نهاية الأمر إلى نجسح قوات طوسون في الوصول إلى مكة وحدة .

وفي أواخر عام 1812م سافر محمد علي إلى الحجاز لتولي القيادة بنفسه ، وخلال ذلك عينت قواته بهزية متكرة عند بلدة « ثرية » بالقرب من الطائف ⁽²¹⁾ ولكنها سرعان ما استطاعت تحقيق انتصارا كبيرا في « بسل » ⁽²²⁾ .

وخشية من تطور الموقف ضد محمد علي في مصر ، وما تردد حول هروب الثييين من تنساة في « البسا » عاد محمد علي إلى مصر . ونظرا لتدهور أحوال قوات محمد علي في الحجاز ونتيجة لفشل طوسون في الامسك بزمام الموقف جيع محمد علي قواده ورجال الحكم والسلطة وأمرهم لهم عن رغبته في التمسك قائد جديد للخلة بدلا من طوسون وخلال ذلك لم يبسط إحدى الطوائف الكبيرة في قصره ووضع في وسطها تساحة ، وقال ان الذي يتسائل القاعة بيده ، ويتبها إلى دون ان يس السجادة لكنه بقيادة الخلة ، فأخذ الحافرون بالمللون على التساحة

بلا جسدي الى ان جاء دور ابراهيم وكان قصر القباة ، فلم يزد على
انه تساول طرف الطنفسة بيده ، وطواها الى ان وصل الى التسليحة
تساولها وامطاعها لايه فولاد تبادا الجيش (٣٢١) وبعد ان واصل ابراهيم
باشسا الى بلاد الحجاز بدأ في بناء الحصون ، كما عمل علي جذب
البدو اليه ففتح لهم روابب منقنسة وهدايا مما يكثره من جذب اكر عدد
من القبائل البدوية اليه ، وبعد ذلك بدأ في زحفه صوب نجد وتساكن في
تصاية الأثر من الوصول الى الدرعية واستلمت الدولة السعودية الأولى
في عام ١٢٢٢ هـ سبتمبر ١٨١٨ .

ومند تطولنا لأسباب المصدام العسكري بين الدولة العثمانية
والدولة السعودية الأولى بنضم ما يلي :

١ - أنه كان هناك سوء فهم للدعوة من قبل العثمانيين
فبعد ان احدثت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب نزما لدى تاضفيسا
حاولوا بمحاولتها تشتتوا عليها حريا نفسية ونكرية لا هراة فبيسا
يهتف اصناد المسلمين منها فذكروا ان رجالات الدعوة مظلوا سبيل
الحج من الحرمين الشريفين والحنيفة ان اصباح الدعوة لم يتمتعوا احد
من الحج الا ان كان مخالفا للطرق الشرعية(٣٢٢) .

٢ - أنه على الرغم من المصدام بين العثمانيين واتباع الشيخ
محمد بن عبد الوهاب ناله لم يعلن احد من الأتراء السعوديين الخروج على
دولة الخلافة او اعلان الخلافة على المسلمين كما اصر بعض اصحاء
الدعوة وجعل السلطان يرسل جيوش لمحاربتها .

حقيقة لقد سابع الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الامر
محمد بن سعود على الاسارة ، ولكنه لم يبلغه على الخلافة العسيلة
للمسلمين والظليل على ذلك ان الأتراء السعوديين ظفوا يتمتعون السلطين
العثمانيين في مراسلاتهم بالخلفاء والسلاطين في الوقت الذي كانوا يتعاونون
فيه انفسهم بالتتابع الخلفاء للسلطان (٣٢٣) .

وعلى كل حال فقد عم الفرج والمسبور مأساة الدولة العثمانية
بعد سقوط الدرعية (٣٢٤) كما كذا السلطان العثماني ابراهيم باشا على

هذا الانتصار بتمينه ولما على الحجاز ، ونتيجة لهذا الانتصار وسودة إبراهيم باشا إلى القاهرة في ٢٢ صفر ١٢٢٥هـ الموافق ٩ ديسمبر ١٨١٩ جذا محمد علي يعد عدته لنجح السودان .

٤ - محمد علي وفتح السودان :

أخطت الأورخون في اسباب حملة محمد علي لفتح السودان وفيما يلي نعرض لاهم هذه الآراء :

١ - اعتقاد محمد علي بأن ارتباط مصر والسودان ضرورة حالية لتحقيق بناء دولته الحديثة .

٢ - رغبته في مطاردة بقايا المماليك الأسرى من مصر إلى دنقلة الشسيرة لهم بطون خطراً شدة .

٣ - رغبته في اكتشاف مناجم الذهب والماس والمعادن التي أتبع عواجدها بكثرة في السودان .

٤ - رغبته في تجديد السودانيين في جيشه النظمي^(٢٥) .

٥ - سعيه إلى اكتشاف منابع النيل .

٦ - توسيع نطاق العلاقات التجارية بين شطرى الوادي .

٧ - رغبته في النظم من بقايا جنوده الأهلان والأرتاود وغيرهم من الرق غير التظلية التي كانت نفس مضاجعه ، وتعيق عملية تحديث الجيش التي يتشدها ونتيجة لذلك بدأ محمد علي في اعداد الحملة في يونيو ١٨٢٠م وترغلت قواته في السودان دون أن تجد بتساوية تذكر مع أن هذه الحملة لم تحقق النجاح محمد علي في الحصول على مناجم الذهب ، وقاتناع نطاق العمليات التجارية ؛ وق تجديد السودانيين؛ فقد اهتم الباشا بتأسيس مدينة الخرطوم عند ملتقى النيل الأزرق بالأبيض وأنقل الزعامات المعربة إلى السودان^(٢٦) كما اعتر بإرسال البعثات الطبية ، واصلاح الإدارة والنساء تجارة الرقيق وتنشيط الأمن والحضارة .

٥ - محمد علي وحرب استقلال اليونان :

بعد أن تابت التسوية في بلاد اليونان ضد الحكم العثماني في 1821 بتشجيع من الدول الأوروبية وبخاصة روسيا أرسلت الدولة العثمانية جيشا بقيادة خورشيد باشا لقمعها ، ولكنه فشل بالفشل مما جعل السلطان محمد الثاني ينفذ محمد علي لير القضاء على هذه الثورة في نظير أسفلة بالتسوية اليه .

وعلى الرغم من أن بلاد اليونان لم تكن بطبيعتها آلام محمد علي في أي وقت من الأوقات لأنه حاول انتزاع الفرصة ليثبت العمام على تعاطف قواته العسكرية وقرنها على مساعدة السلطان ليس يساهم في القتال .

وفي عام 1825 أرسل محمد علي قواته بقيادة إبراهيم باشا إلى أرض المورة^(٣٣) واستطاعت بعد عدة محاولات النزول إلى بلاد اليونان، وحرب الصليب على منطقة نغرين *Nevegrine* وتمكن من استيلائها ودخول قواته إليها في الثامن عشر من شهر 1825^(٣٤) ونجدة ذلك خشيت الحكومات الأوروبية من عواقب انتصار القوات المصرية ، وبدأت القضية اليونانية تستحوذ انتباه الرأي العام الأوربي ، وببشاشة كانت الحكومات الأوروبية تنعم إبراهيم باشا بفروق حرية قواتين الحربه كان القائد المصري يملك اليونانيين نارا جانبية ، حتى سقطت مسولنجي *Missolonghi* في التسعين والعشرين من أبريل 1826م ونسبح بذلك الطريق إلى أثينا^(٣٥) مما جعل الدول الأوروبية تتدخل في الأمر ، فتصابت أساطيلها بالساحرة بحرية بمشاركة لإتلاف القتال واجبار السلطان العثماني على إخلاء المورة ، وكانت روسيا أكثر الدول الأوروبية رغبة في التدخل العسكري ضد قوات محمد علي ، وفي الخامس من سبوتوبو عام 1827م وقعت إنجلترا وفرنسا وروسيا في معاهدة عقدت بلندن على فرض هدنة خريسية بين الطرفين ، ومع أن إبراهيم باشا اعترض الهدنة ، فإن اليونانيين تابوا بالاستمرار في قتال قواته مما اضطر القوات

المصرية التي أورد عليهم وتشسوب معركة بحرية بين أساطيل الدول الأوربية والاسطول المصري والعثماني في العشرين من أكتوبر 1827م انتهت بتخليم الاسطول المصري التاليف وتقدان حوالي ثلاثين ألف جندي (37)

ولما رأى محمد علي أنه لا نائدة من استمرار القتال وشعر بالخاطر التي يمكن أن تسببها الدول الأوربية له تم الاتفاق بينه وبين قسائد الاساطيل الأوربية المختلفة على سحب قواته من المورة ، وبماثل الأسرى بين الطرفين (38) ونتيجة لذلك أرسل محمد علي ابنه إبراهيم بأمره بالرجلاء عن المورة فون انتظما لأمير السلطان ، فسحب إبراهيم قواته ودرك الباب العالي وحيدا بما أخرج بوقته .

وبع أن خسارة بحر كانت فاحشة في هذه الحرب من الناحية العسكرية فإن مكاسبها السياسية كانت كبيرة (39) فقد فازت الدول الأوربية لأول مرة بمصر دون وساطة الدولة العثمانية مما اكسبه مصر منزلة معتوية كبيرة ، كما أن هذه الحرب كانت أول حرب يخوضها الجيش المصري في أوروبا وابتد من خلالها قدرته على مواجهة الموقف ، ويؤكد فيما تنتمه بأساليب الحرب الحديثة وتلونها .

وعلى كل حال فقد استند شقيق السلطان من محمد علي لتفاوضه مع الدول الأوربية فون أنه ، وسحب قواته فون الرجوع اليه ، كما بدأ محمد علي يراجع خطته تجاه الباب العالي الذي لم يكفاه على خدمته رغم تخليم اسطوله ولم يبتحه سوى حكم جزيرة كريت مما جعله يترك جنديا في الاستيلاء على بلاد الشام وتوسيع رقعة املكه على حساب الدولة العثمانية .

٦ - هروب محمد علي في بلاد الشام :

من المعروف أن بلاد الشام كانت مطمح انتظام محمد علي منذ هروبه في الجزيرة العربية فقد طلب من السلطان اشارة بنصب ابنائه في الشام الى منصب والي بحر مجرا ذلك بالكتابة الحصول على الإخشاب وجبج الجند من هناك ولكن طلبه كان بصره الأهم . ولما ضللت

حرب المورة كثر محمد على طلبه بحجة تعويضه عما تكبده الجيش المصري من خسائر في هذه الحرب ، ونظرا لرغبتى السلطان لهذا الطيب للمرة الثانية حاول محمد على غصب هذه البلاد بالقوة مستغلا في ذلك انهيار الدول الأوروبية في مسألتها الداخلية واتساع الدولة العثمانية والقوات الداخلية وخربها المتعددة التي خرجت منها بنوكة القوى .

وقد تزوج محمد على في ذلك بزواجه مع عبد الله باشا الجوزار والى صيدا الذي رفض تسليم آلاف الفلاحين المصريين اللاجئين اليه^(٢٦٧) . وهم وثاقه بدين عليه ، ولتأززه لأموال بعض التجار المصريين وأستولاه على تجارتهم في بلاد الشام^(٢٦٨) ومن هنا قام برسالة حيلته لتأنيبه فإرسال ملاحه جيشه الى مكة في ١٤ من أكتوبر ١٨٢١م فاستولت في طريقها على يسانا وجنسا دون مساومة تذكر وفي الثامن من ديسمبر من نفس العام خرجت الحملة المصرية حصارا حول عكا وأرسل إبراهيم باشا أذكارا الى واليها يطلبه فيه بتسليم قلعة المدينة حقتسا للدماء ، ونتيجة لرغبتى عبد الله باشا لهذا الأذكار أمر إبراهيم باشا بخرب عكا بالقتال من جميع الجهات^(٢٦٩) .

ونظرا لفشل المحاولات التي بذلها السلطنة العثمانية لصسوة المشكلة طلب السلطان من والي حلب اعداد المعونة لحاربة محمد على مما أدى الى حصرج الوقت وجعل إبراهيم باشا يتحرك بجزء كبير من قواته لمواجهة الجيوش العثمانية قبل وصولها الى عكا ، وقد نجح إبراهيم باشا خلال حروبه مع القوات العثمانية في التزاع طرابلس منهم وتعقبهم في حصن وعزيتهم في سبيل الزرامة مما أوسع الاضطراب في سنوادم والجاهم الى الدرار^(٢٧٠) وبعدما وصل إبراهيم باشا حصاره لعكا حتى سقطت للمعنا في السابع والعشرين من مايو ١٨٢٢^(٢٧١) وكان ذلك بداية لانتسارات ساحقة لقوات إبراهيم باشا حتى تم له الاستيلاء على بلاد الشام كلها والتوصيل الى الحدود الفاصلة بين المنصتين بالعربية والمتكلمين بالتركية فقد تقويت القوات المصرية بصرمة حائلة داخل بلاد الشام واحتلت دمشق وانزلت القزاقم بالجنشتر المشائى بالقرب من حصن ويواصل إبراهيم باشا تقدمه فدخل حلب في التي مع القسائد العثماني حسين باشا في معركة فاصلة عند مخصيق

بيسان والحق به الهزيمة⁽¹⁴⁾ وبعدها تكدت قواته داخل الانطيسبول وهزمت القوات العثمانية في «قونية» في نوفمبر 1822م ثم يخى ابراهيم بكاسيا في زحفه تجاه كوناخيه فوصلها في الثالث من فبراير 1822م واسبغ الطريق الى الاسكندرية بطوخا اليه بما ارجع الدول الكبرى تأييدت روسيا قلها من هذه الانتصارات كما ايدت استعدادها لمساعدة الدولة العثمانية ولا تردت الاكسار بان القوات الروسية قد اجبرت لندوة السلطان العثماني محمود التزمت انجلترا وفرنسا التي وجدت ان تدخل روسيا يمثل خطرا كبيرا بعدد التوازن العام في اوروبا ، ورات الدولتان وجوب اتخاذ اجراء سريع للتطولة فون ومسول الترسية الروسي الى الاسكندرية مقابل تمسلا انجلترا وفرنسا في مصر محمدا طيسا ونسحاء بضرورة وقف زحف جيوشه والقضاء مع السلطان . كما اوضحت الحكومة البريطانية لحد من اضرارها على حين استغفر كيسان الدولة العثمانية وعدم تنكته⁽¹⁵⁾ مما جعل محمد علي يرسل الى ابراهيم بكاسيا ليرا بان يتوقف زحفه حينما كان « وانتي الذي لم يسلح كوناخية الذي نزل فيه السلطان لحد على من كبرت وسورية باندا امنية وبعد قبول السلطان العثماني لتسليح كوناخية في مايو 1822 بدأت ايل محمد علي في تكوين دولة مستقلة ضد حنودها الى انسي بلاد الشام شيلا تبدو واضحة للعيان ، خصوصا وان احتلاك الشام يحويه من ترين السلطان به ، ويسير جنسائه الاين ، ويتحتم السيادة على بيت القدس ضمن الاديان الثلاثة ، ويعطيه دمشق الحدي المدن العالمة بالثقافة الاسلامية ، كما يوتر له معظم حاجياته الاقتصادية⁽¹⁶⁾ .

ولا تاتي محمد علي الدول الكبرى بشأن طلمائه هذه علفضه انجلترا التمد المعارضة ، وحفرته من مواهب هذه الخطوة وهددته باستخدام القوة ضد انا تنكك برأيه⁽¹⁷⁾ وعند استنطت الدولة العثمانية ذلك الوقت ، وبدأت في استفزاز محمد علي والتعرض بقواته المرابطة في بلاد الشام ، وترقب الفرصة المناسبة للانتمام بنسه . ولا كانت الحرب واقعة لا محالة بين الطرفين لقد بدأت القوات العثمانية تستنق القوات المصرية ، ويظهر على بواشعها ، كما بدأ محمد علي يثاقب

المسلطان محمود الثاني بأن يكون حكم مصر والشام يرثيا في قريته
ما انقلب السلطان ، وجعله يسرع بإعلان الحرب عليه فتمت
الدولة العثمانية الى بلاد الشام جيشا كبيرا في عام 1200هـ تمت قيادة
حسايبه بلشا وذلك لادلة القوات المصرية وطردوا من هناك ، ونتيجة
لذلك زحف ابراهيم باشا بقرانه حيث تجمع الجيشان بالقرب من
سجل « تريب » وهناك تم الاشتباك بينهما في الحادي عشر من ربيع
الثاني 1200 هـ الموافق الرابع والعشرين من يونيو 1829م في معركة
حامية انتهت بهزيمة القوات العثمانية ، وفتحت ابواب مملكة الخلافة
على مصرانها لاستقبال الجيوش المصرية المنتصرة ، مما ازمج الدول
الاربية ودمجها الى تدخل بكل ثقلها في المسألة لانتقال الدولة
العثمانية من السقوط حتى لا يتعاقم نفوذ محمد علي الى الحد الذي
يضعف نفوذها في المنطقة ، وقد تزعمت إنجلترا هذه الحركة فسد
محمد علي وطلبت من السلطان العثماني ألا يبرم اي اتفاق مع محمد
علي ما تم توقيع عليه الدول الكبرى⁽¹⁴⁾ . وفي امقلب ذلك بدأت إنجلترا
وفرنسا تميلان على ايجاد التصاميم امام قوات محمد علي في بلاد
الشام فشجعت الاهالي على العصيان واندهم بالسلح اللوسوف
شدها⁽¹⁵⁾ وفي امقلب ذلك بدأت إنجلترا في التفاوض مع
الدول الأوروبية بهدف العييل على الخشاع محمد علي للسلطان
والنهي الأمر بمغيد بمساعدة لسنن في الخشاع عشر من يوليو
1820م والى تفسيحت أن يعرض السلطان على محمد علي حكمة
بحر وراثية له ولابنائه بعده ، وحكم عكا طوال حياته ، ويحرمه
من السيطرة على الجزيرة العربية ، وسورية ، وكريت في نظير ان
يكون له الاستقلال الداخلي بمصر في ظل نفوذ معينة مثل فتح الاسواق
المربوطة على بحر لاسانة مستويا وعدم تشكيل بحر في الخسارج
وتحديد الجيش والاسطول ومسلطة منح الاقلاب ومك التتسود ،
فالذا لم يفل هذه الشروط في مدة عشرة ايام تنتم من حقوقه ولايسة
عكا ، والا تأخر عشرة ايام اخرى ولم يتبل ما عرض عليه للسلطان

الحق في انخساق أي طريق تشير به عليه بمسألحة الخاصة ونتيجة لرغبت محمد علي لهذه الشروط في الأيام العشرة الأولى خسامت منه ولاية عكا ، ولما بدأ العد التنازلي للأيام العشرة الثانية ، ولم يجد محمد علي المسالمة من فرنسا أو غيرها قبل شروط الدول الكبرى^(١٤) ، وعلى أثر ذلك صدر فرمان ١٨٤١ وأهم شروطه .

- ١ - أن يعطى محمد علي ولاية مصر وتكون وراثية في أسرته .
- ٢ - أن يتولى حكم مصر بعد وفاة محمد علي كغير الأسراده أسرته منسباً .
- ٣ - تجنيم عدد الجيش المصري بحيث لا يزيد عن ١٨ ألف جندي .
- ٤ - قيام مصر بدفع مبلغ سنوية للدولة العثمانية بتسارعا ٣٢٠ ألف جنيسة .

وبما سبق يتضح أن هذه التسوية لم تكن إجراء داخلياً بين السلطان ومحمد علي وإنما كانت تسوية دولية تحمت الدول الكبرى لئلا في تضيق أمال محمد علي لمساندات مصر إلى حدودها القبية بأفانبة السودان إليها ، كما أهلت بشروعات محمد علي الاقتصادية والعمالية.

١- معركة نفارين NAVARINE البحرية

٢٠ أكتوبر ١٨٢٧ (١٢٤٣هـ)

دراسة في وثائق المعية السنوية

أهجت يايوم نفارين أشجاني
ففيك طاشت رجوم الحاسد الجاني
وفيك دالت أماني النيل والندثرت
عرانس النيل لم تظفر بميدان

من قصيدة أحمد زكي أبو شادي : نكبة نفارين

أولاً : المقدمة

كتابة التاريخ من واقع مصادر الألفية تليح للمؤرخ الإمام الذبيقي بحقائق العصر الذي يدرسه، وتجهل أمامه صورة الأحداث وانحصره وتضيف دلائل جديدة وموضوعية ليحده ، وتجعله يتبع نهج الأسلوب العلمي الذي يحتم عليه ألا يعتمد على النقل عن الغير وإنما يستلج التاريخ من أوثق المصادر والأصول التي تجعله يتفك على حقائق الأمور بلا أنسى شك أو مواربة ، فأوثق هي المادة العلم التي تحمل روح العصر الذي كتبت فيه ، والتي تغطي القوم الصحيح له وتفسر لعدله .

وديوان المعية الحديثة^(١) بترجمته العربية والتركي والذي اعتمدنا عليه في كتابة هذه الدراسة يتميز عن غيره من الدواوين بأهميته التاريخية خاصة وأنه الديوان الذي ينشر أوامر الوالي ، ويخلص مختلف أعمال الدولة ، ويعمل في القضايا التي تخصها إليه الدواوين الأخرى ، وكانت بواسطته يتم الاتصال مع الدول الأخرى .

وهذا الديوان عبارة عن وحدة أثرية متكاملة منظمه تشمل العديد من القفاقر والمحافظ ويتكون القسم العربي منه من ٥٠٤ سجلاً كتبتها المسجل رقم (١) بتاريخ سنة ١٢٤٥هـ (١٨٢٩م) وأحدثها بتاريخ ١٢٤٧ هـ (١٨٧١م) وهذه السجلات تشمل العديد من الأوامر والشروح والخطابات والقرمات .

أما القسم التركي من دفاتر المعية والذي اعتمدنا عليه بصفه أساسيه في هذه الدراسة فمعلمه مترجم إلى العربية ، وبديهة كتابة أوامر الوالي وتعليماته فيه أقدم من سجلات القسم العربي فمن المعروف أن الأوامر الحكومية الرسمية كانت تكتب في بداية عصر محمد علي بالفتح التركي ، ثم كتبت بالتركية والعربية ثم رجعت إلى التركية فقط ، وأن هذه الوثائق قد تم ترجمتها معتمداً على العربية في عصر الملك فؤاد الذي عمل على إعادة تنظيم صفا مكتوبه دار المسفوتات من وثائق بهدف الإثراء بأعمال جديه إبراهيم ومحمد علي وولده إسماعيل وإبراهيم دورهم في تأسيس مصر الحديث^(٢) .

والوثائق التي تعرض لها تشمل صورة حيه بالأسانيد والأرقام الرسمية لحروب محمد علي في بلاد اليونان منذ أن طلب منه السلطان محمود الثاني مساندة في إخماد الثورة اليونانية وحتى وثيقة نظارين البحرية وما أعقبها من تطورات .

^(١) أطلق على هذا الديوان مسيوحات جديدة ملها ديوان الوالي ، وديوان شوري العمارة ، والديوان العالي وقد نشرت وزارة الثقافة والإرشاد القومي السجل الأول من القسم العربي من هذا الديوان والذي يشمل الفترة من ٨ يوليو ١٨٢٩ إلى ٢٤ ديسمبر ١٨٢٠ في يوليو ١٩٦٠ .

^(٢) طلت التركية لغة الدواوين معظم عصر إسماعيل حتى ترجم بعد الله تكري الترتيح إلى العربية .
للإصول نشر كتابها الجامعات للكتابة التاريخية في تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، القاهرة ، حين الدراسات والشر ١٩٩٤ من ٤٥ وما بعدها .

والجدير بالذكر ان لغة هذه الوثائق سواء العربية او المترجمة من التركية في معظمها ركيكـ لم يراع فيها قواعد النحو أو الهجاء إلى جانب امتزاجها في معظم الأحيان بكلمات تركية وفارسية وقد إنسلرتنا حقلنا على الأمانة التاريخية إثبات هذه الوثائق بأصولها كما هي وعدم التدخل بالتصويب لأي خطأ يكون مصدر الوثيقة قد وقع فيه حقلنا على أمانتها ، ومراعاة لأسلوب النص الذي كتبت فيه .

والجدير بالذكر أن التاريخ السبع في تسجيل هذه الوثائق هو التاريخ الهجري ، وينكر أحياناً بجانبه التاريخ القبطي خاصة في الوثائق المتعلقة بالزراعة ومواضعها .

من المعروف أن بلاد اليونان كانت جزءاً من السلطنة العثمانية منذ أن دخلتها قوات محمد الفاتح في عام 1453م ، وأن السلطان العثماني كان يرمك إليها من يحكمها من ولاته حتى الربع الأول من القرن التاسع عشر واستمرت الأمور على ذلك المتوال حتى أسس التجار اليونانيون جمعية أطلقوا عليها ميتريا أي جمعية الإخوان Hestias Pallas بهدف طرد الأتراك من أروبا ، وتخليص اليونان من التبعية الإسلامية ، وإشاد الحضارة الإغريقية من سيطرة الأتراك تحقيقاً لوصية بطرس الأكبر وكاترينا .

وقد استلذت هذه الجمعية على عدة وكائل منها :

مبادئ الحرية والمساواة التي أثلقتها الثورة الفرنسية ، والمساواة المدنية والمعنوية من العديد من الجمعيات الأهلية التي تشكلت في معظم بلدان أوروبا تحت اسم جمعيات محبي اليونان هذا بالإضافة إلى تشجيع بعض الدول الأوروبية خاصة روسيا على الثورة ضد العثمانيين ، واشتداد الثورة ضد مساوئ الحكم العثماني والميلقة في وصف هذه المساوئ ، ونتيجة لذلك اتخذ اليونانيون من الثورة حصناً منذ عام 1821م وشكلوا حكومتهم ، وتشملت ليران ثورتهم ، واستلماوا أن يكفروا العثمانيين خسائر فادحة حيث كالموا بتوجيه الضربات المناجحة للحاميات العثمانية في العديد من المواقع ، كمال ضيقوا الخناق على الأسطول الشمالي الرابط في المياه الألبانية ، وقلعوا الطريق عليه حتى أضحي كالأسير مما اضطر السلطان العثماني محمود خان⁽¹⁾ إلى طلب التجسدة من محمد علي والي مصر لئله يستطيع جيشه واسطوله القضاء من هذه الورطة وإعادة الأمور إلى نصابها في نظير منحه لقب "حاكم كريت والوردة" و لقب " قاطع دابر الكفرة والمشركين"⁽²⁾ .

وعلى الرغم من أن بلاد اليونان لم تكن مطمئناً لأمال محمد علي في أي وقت من الأوقات فقد أكدت الوثائق أن محمد علي لم يتردد لحظة في إعجابه السلطان إلى طلبه⁽³⁾ بل حاول إقتناع الفرصة ليؤكد للسلطان مدى قدرته على مساعدته في الظروف الصعبة ، وليلهاض تمام رخصه لما تأمره به الدولة فأرسل رسالة إلى السلطان يقول فيها " إني بصفتي كوني خادماً لولاي نعمتي صاحب الشوكة السلطان المعظم فإنه يمكن للدولة العلية أن تطلب جميع ما تريد ، وإني مستعد للقيام به وفاة بحق الدين والملة ، وأن ذلك على من الأمور المعنى بها ، وإني

⁽¹⁾ السلطان محمود الثاني .

⁽²⁾ رواية وجورج كلفوري : محمد علي وأوروبا - ترجمة هزينة باولز - القاهرة . دار المعارف ، 1952 .

ص 81 - 82 .

⁽³⁾ مقترحة تركي بتاريخ 24 رمضان 1226 هـ وثيقة رقم 222 .

لا أتأخر عن بذل نفسي في سبيل ثغرية شأها وإعلاء كلمتها ورفع قدرها⁽¹⁾ . ونتيجة لذلك أمر محمد علي مسهورة أمير البحر محرم بك⁽²⁾ بتجهيز الأسطول والتحرك لمساندة الأسطول العثماني المحاصر ، وتعزيزه بالمهمات والذخائر⁽³⁾ .

وقد أعد محرم بك أربع عشرة سفينة حربية بما يلزمها من الجنود ، وألق بها لمساندة الدولة العثمانية في محتلها وبعد أن وصل إلى مياه كريت إشتبك مع بعض السفن اليونانية التي كانت تواجه سفينة تجارية عثمانية ، كما قام بمطاردة سفن القراصنة في بحر إيجه ، وتلقوا للخصائر التي تعرض لها الأسطول المصري في هذه المناوشات عاد إلى الإسكندرية مضطراً في محاولة لإعادة تنظيم وتوبيخ ما قلته وإصلاح ما يحتاج من السفن إلى ترميم⁽⁴⁾ .

وفي محاولة من محمد علي لتتيز الموقف أعد أسطولاً آخر يتكون من ١٨ سفينة تحت قيادة " طيو زادة أوغلي بوجي باشا محمد آغا " لمساندة الأسطول العثماني والعمل على تخليصه من الحصار⁽⁵⁾ . كما أعد جيشاً برياً مكوناً من ١٧ ألف جندي من المشاة ، وأربعة بلوكات من المدفعية وسبعمئة وخمسين من الفرسان ، وأوكل قيادته لابنه إبراهيم ومساعدة الكولونيل سيف⁽⁶⁾ . وقد أكلعت هذه الحملة من الأسكندرية في ١٩ يوليو ١٨٢٤ واتفق على أن يتجمع الأسطولان التركي والمصري في جزيرة رودس ثم يتحركا في اتجاه الجزر اليونانية المتنازعة في بحر إيجه حيث كانت تمثل المعقل الرئيسي للتواري والقراصنة الذين هددوا المراكب العثمانية وبعدها يتحركون نحو شبه جزيرة العمارة المركز الرئيسي للثورة . وطبقاً لتعليمات الباب العالي فقد تولي القيادة البحرية العليا للأسطول القبطان " خسرو باشا"⁽⁷⁾ ، بينما تولي " إبراهيم باشا " قيادة القوات البرية .

⁽¹⁾ انظر وثيقة رقم (١) تحت عنوان رسالة من محمد علي إلى السلطان محمود خان .
⁽²⁾ أسلمه من قومه ، وقد استقدمه محمد علي في كثير من المناسبات ، وقلقه به زوجه بكريته قياده هالم ، وحمله محافظاً للأسكندرية . كما أقال إليه يارة أسطولاً وشارك في حرب العمارة ودراسة القوانين ثم عاد إلى الإسكندرية محافظاً .

انظر دار الوثائق : محافظ إيجات ، صفحة ١١٤ .
⁽³⁾ انظر وثيقة رقم (١) بتاريخ ١٠ شوال ١٢٢٦هـ .

ومن المعروف أن تكوين البحرية المصرية في العصر الحديث بدأ في عام ١٨١٠ منذ أن شرع محمد علي في خوض سباق الحرب مع الفرنسيين في ترسانة برفاق أنشئت السفن التي استعملتها مصر في البحر الأحمر خلال حروبها مع الفرنسيين . وفي ترسانة الإسكندرية أنشئت السفن التي كانت تصغر صياد البحر المتوسط حيث عهد محمد علي إلى تشار أفندي الأسكندري وإلى الحاج عمر أحد مشاهير الصناعيين في بناء السفن بالأسكندرية مهمة إنشاء وصيانة أسطولها . كما أنشأ إدارة خاصة لهذا الأسطول جعل على رأسها مسهورة محرم بك .

⁽⁴⁾ فقد الأسطول المصري في هذه المناوشات ثلاث سفن . كما تعطل أربعة .
انظر عبد الرحمن زكي : التاريخ العربي لمصر محمد علي . القاهرة دار المعارف ١٩٥٠ من ١٢٩ .

⁽⁵⁾ انظر الوثيقة رقم (١) .
⁽⁶⁾ بقر ١٤ مجلة تركية تاريخ ثورة رجب ١٢٢٩هـ (١٨٢٤م) من ٦٠٤ وللأسفل انظر عبد الرحمن الرافعي : مصر محمد علي ، القاهرة ، الهيئة المصرية ، الطبعة ١٩٥١ من ٢١٦ . ويبيد كراييس إبراهيم باشا - ترجمة محمد بدران - القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٢٧ من ٧٠ .

⁽⁷⁾ أول وفي عثمانى لمصر بعد جلاء الفرنسيين عنها في عام ١٨٠٦ . وبعد أن تم إخلاءه عن مصر بملء يداه من محمد علي تولي القيادة القبطية أكثر من مرة في الأسكندرية .
انظر دار الوثائق : محافظ إيجات صفحة ١١٤ موضوعات متفرقة .

ونتيجة لعدم توحيد أمر القيادة العليا في يد قائد واحد يستلزم إدارة دفعة القتال ، ونظراً للكراهية الشديدة التي كان يكتفها خسرو باشا لمحمد علي وليه ، ولرغبته في إظهارهما أمام السلطان بمظهر غير المتعاون وغير المهتم بمصلحة السلطنة أخذ خسرو باشا في كتابة التقارير ضد إبراهيم وإرسالها إلى الأستانة ، كما إنشك إبراهيم من " خسرو " لعدم إسماعه بالسفن اللازمة لثاء حصار ميسولونجي ونتيجة لذلك وحرصاً على حسن سير العمليات البحرية طالب محمد علي السلطان بأن يتولى ابنه إبراهيم القيادة العليا للأسطول بجانب قيادته للقوات البرية حتى يتمكن من إحراز النصر^(١٧)

ومع أن السلطان قد وافق على عزل خسرو من القيادة البحرية فإن لم يمتد إبراهيم مكانه بل غن عزت باشا فيودان^(١٨) للأسطول كما أصدر السلطان فرماناً في ٦ مارس ١٨٢٤ بتعيين إبراهيم باشا وأباً على جزيرة كريت ومورة ، ومنحه الحرية الكاملة لإعادة النظم والاستقرار في بلاد اليونان .

وسارت العمليات البحرية على قدم وساق ، وفي حين كانت القوات البرية بقيادة إبراهيم باشا تحقق الانتصار تلو الآخر كان الأسطول الممضى المصمري^(١٩) يتلقى ضربات الموجهة في البحر ويحقق اليونانيون العديد من الانتصارات عليه وقد يرجع السبب في ذلك إلى مهارة اليونانيين البحرية ، وعدم وجود قواد بحريين أكفاء لدى الشماليين أو محمد علي هذا بالإضافة إلى حداثة عهد المصمريين بركوب البحر ، وقلة السفن اليونانية المستعمرة على المناورة وسنة الحركة أكثر من السفن الشمالية الضخمة ثقيلة الحركة .

وعلى أي حال فقد استغل إبراهيم باشا الخلاف الذي نشأ في معسكر الأحمريق ، وتكتم بعض بحارتهم وإسرايم بسبب عدم دفع رواتبهم واستطاع أن يشرب الحصار على نهارين Naxos معقل بلاد اليونان وتمكن من إسقاطها في الثامن عشر من مايو ١٨٢٤ وكانت هذه المعركة ذلحة التصارته في حرب المورة ، كما استطاع لاحتلال تريبوليتزا Tepozita بوسط اليونان في الثالث والعشرين من يوليو ١٨٢٥ . وفي انقلاب ذلك أخذت قوات إبراهيم باشا تأهب للزحف نحو نوبليا Nephelia^(٢٠) قسوة بلاد اليونان مما أدى إلى اقتراب الثورة اليونانية من نهايتها دون أن تحقق مبتغاها في الاستقلال .

ونتيجة لذلك ارتاحت أوروبا خشية من عواقب لتتسار القوات المصرية ، وعقدت نييها على ألا يستتكن الصليب للهلال^(٢١) فبدأت الحكومات الأوروبية في الإسائة إلى سمعة إبراهيم باشا وتشويه صورته أمام الرأي العام الأوربي بالتهامه بالبربرية لقيامه بسفك دماء الأوسرى ، وخرق قوانين الحرب .

^(١٧) لبطر وثيلة ولم (٧) تمت حران رغبة محمد علي في توحيد القيادة العليا للأسطول ووضعها في يده إبراهيم .

^(١٨) يعني قائد الأسطول .

^(١٩) كان الأسطول المصمري مكوناً من ثلثي عشرة سفينة حربية على حين كان الأسطول الشمالي مكوناً من ست عشرة سفينة ، وأربع سفن توغية وجزيرة ، وست جزرات ، وأربعين مركبة نقل الجنود .

^(٢٠) كانت حكومة الثورة قد اتخذت من هذه المدينة عاصمة ومقر لها .

^(٢١) بيز كريتس : إبراهيم باشا - ترجمة محمد بدراق - القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ من ٧٧ .

وبينما كان القائد المسمى بـسلي للثوار تاراً حامية ويتحقق له القول الصالح في المارك التي خاضها والتي كان أبرزها سقوط (مسولنجي) Missolunghi في الثالث والعشرين من أبريل ١٨٢٦^(١) مما جعل الطريق إلى أثينا مفتوحاً رأيت الدول الأوروبية أنه لا مفر من التدخل الفعلي لمساعدة اليونانيين وتأييد جانبهم . وتمكن لنا الوثائق عن عقد إنجلترا وفرنسا وروسيا لمؤتمر في لندن في الخامس من يوليو ١٨٢٧ بتصد إنهاء الأزمة اليونانية ، وإعادة حل الأمن في البحر المتوسط^(٢) واتفاقها على ضرورة قيام الباب العالي بفتح بلاد اليونان استقلالاً لإدراها في ظل السيادة العثمانية ، وعلى أساس دفع جزية سنوية ، وإذا لم يقبل الباب العالي هذه الوساطة في خلال شهر شهر من الزمان ، ويوافق على وقف القتال فإن الدول الثلاث تتفاوض فيما بينها " لتعرض الهدنة على الطرفين بمنهما من مواصلة القتال ، من غير أن تشترطه هي مباشرة في الحرب "

وبينما كانت المناورات الدبلوماسية مستمرة ، وجهود الدول الأوروبية لوقف القتال تتحرك في كافة الاتجاهات استولى إبراهيم باشا على أثينا ، وحسب الحصار على قلعة الأكروبوليس^{Acropolis} حتى سقطت في ٢٧ يوليو ١٨٢٧ مما شجع السلطان على رفض وساطة الدول الأوروبية بحجة أن معاملة أمر العصاة من حقوق الدولة العلية ، وأن الثورة اليونانية تعد مسألة داخلية بحتة ، وأن السلطان لن يقبل أي مسمى في هذا السبيل لأن التدخل في مثل هذه الشؤون بالنسبة للعلاقات الدبلوماسية بعد لمرأ في غير محله^(٣).

وعلى الرغم من اسرار السلطان العثماني على موقفه وتشدده في معاملة الأمور ، فقد كان لمحمد علي رأي آخر فرضه عليه تفكيره في صواقب الأمور إذا ما تدخلت أساطيل إنجلترا وفرنسا وروسيا في المارك لصالح الثوار ونتيجة لذلك أرسل إلى المصدر الأعظم بالإسكندرية بعرض عليه الحالة الحربية في بلاد النوبة بشكل واضح والمأزق الذي يمكن أن تتعرض له القوات والأساطيل الإسلامية إذا لم يتم تسوية الأمر سلمياً بقوله " إن عمل الدول في الوقت الحاضر لم يعد بمثابة تهويش بل يلوح منه شبح الحرب ا .. نعم نحن قوم من أرباب الحرب والحرب إلا أننا ما زلنا في مستهل كتاب العرب نقراً في حرف الألف والباء أما الدول فقد أتوا كتب هذا العلم أبو بدرناهم بالحرب فيني أرى بسعة حقلية أن الأساطيل لاخير منها على الإطلاق ، وستهلك أرواح الكتلين أو الأريمن ألقا من الجوده الموجودة فيها^(٤) .

وحفظاً لمام الوجهة اقترح محمد علي توسط القنصا في الأمر حتى يمكن تسوية الموضوع بالشكل الذي يرضى السلطنة . ونظراً لرفض السلطان لأي مسمى سلمي ، وتشدده في معاقبة الثوار رأيت الدول الأوروبية أنه من الصعب حسم النزاع لصالح اليونانيين إلا بالاتجاه إلى قوة لصالحهم ، وأنه أصبح من واجب القوات البحرية المتحالفة أن تبدأ الاتصال بالثوار

^(١) حول تفاصيل هذه المعركة انظر عبد الرحمن زكي ا مرجع سابق ، ص ١٩٩-٢١١ .

^(٢) محافظ بحر برا ، مطبعة رقم ١١ ترجمة قسم القنص بالقاهرة من المكاتبة رقم ٤٩ بتاريخ ١٢ رجب

^(٣) ١٢٤٢ هـ .

^(٤) نص الوثيقة .

^(٥) انظر وثيقة رقم (١٢) تحت عنوان مقترحات محمد علي السلطنة بشأن قبول وساطة الدول الكبرى ونهاية الأزمة اليونانية سلمياً .

اتصالاً ودياً ، وإن تصادرت كل الإمدادات التي ترسلها الدولة المشابهة عن طريق البحر لمحاتهم .

وإلى جانب ذلك حاصرت أساطيل الدول المتحالفة قوات إبراهيم باشا ، وقامت بتخزيه من التقدم بقوته أو خروج أسطولها في عرض البحر حتى لا يتم استخدام القوة ضده . وكان رد إبراهيم باشا على هذا التخزين أن مهمته لا تشمل الوسوسة وأن المفاوضات يكون مع محمد علي في مصر أو مع السلطان في الأستانة ، وحتى تستدر إليه التعديلات في هذا الشأن فإنه يتعهد بوقف جميع الأعمال الحربية التي تقوم بها قواته البرية والبحرية مؤقتاً بشرط توقف الثوار عن أعمالهم القتالية⁽⁹⁾ .

وخلال ذلك بدأ اليونانيون يتحلبون الفرصة للإتياع بإبراهيم باشا واستغلال قوته خاصة بعد أن وصلتهم الإمدادات من ألمانيا أوروبا قاموا بحركات عديدة في خليج كورنثوس ، وحاصروا كورينث ونجحوا في قيادة حملة عسكرية مما أدى إلى تفرغ مركز القوات المصرية في باتراس (شمالى مورة) وجعل إبراهيم باشا يضطر إلى قلع جبل المهادنة ومطاردتهم ومن ثم لجؤ إلى باتراس مع مجموعة من السفن الحربية مما جعل يوقوع الكارثة فقط لثمة قادة الطلام بنقض الهدنة المعلق عليها ، وأرسل " كوردنجتون " قائد الأسطول الإنجليزي سفنه لتكعب السفن المصرية ، وتهديدها بالحرب إذا لم ترجع من حيث أنت فاستطرت للمودة إلى نظرين . وعلى الرغم من ذلك فقد زحف إبراهيم باشا بقوة من جنده داخل مورة لإيجاد المعايير المصرية التي تطاول عليها الثوار مما دفع قوات الأساطيل المتحالفة إلى اتهامه بنقض الهدنة واتخذت من ذلك ذريعة للتعرض بالبحرية المصرية المشهورة.

وكانت السفن المصرية والمشهورة داخل ميناء في ثلاثة صفوف متوازية تقريباً كل في شكل نصف دائرة ، وكانت السفن الكبيرة والقارقات⁽¹⁰⁾ في الصف الأول ، وبها سفن القرويت⁽¹¹⁾ ثم سفن الأبريق⁽¹²⁾ وغيرها بعدها في الصف الثالث . وكانت بتفارين استحكامات لتحمي سفن الميناء كما وضعت بطاريات من المدافع في طرف جزيرة " أسانكتريا " مع مساعدة سفن خفيفة من القارقات⁽¹³⁾ .

وخلال ذلك أرسل أمير البحر الفرنسي (ريس) إلى الضباط الفرنسيين العاملين في الأسطول المصري بترك أعمالهم والتخلي عن الخدمة في الأسطول المصري حتى لا يحاربوا فرنسيين مثلهم قبلوا الدعوة⁽¹⁴⁾ .

⁽⁹⁾ حول الكارثة عن هذا الموضوع انظر : أمين سامي : القوم قبل ج 2 من 230 .

⁽¹⁰⁾ القارقات كانت تملك حوالي خمسمائة من الجنود ، و 64 مدفاة كبيرة وصغيرة .

⁽¹¹⁾ القرويت مركبة حربية تحمل حوالي مائتين من الجنود أو مائتين وأربعين كما يحمل من التين وخشرين إلى خمسة وأربعين مدفاة صغيرة وكبيرة .

⁽¹²⁾ الأبريق مركبة حربية له صفاران ويحمل من الجنود حوالي مائة كما يحمل مائتين 16 و 18 مدفاة صغيرة فقط .

⁽¹³⁾ صغر طرسون : سفينة من أربع مسر في 30 مدفاة على ، الجيش المصري البري والبحري طيلة 1240 من 209 .

⁽¹⁴⁾ القارقات مركبات تتحمل فيها القيران لتدفع وسط سفن الأعداء لتزلقها بنرها ، ولك من طريق توجيهها بواسطة دفع القيران لثراها .

⁽¹⁵⁾ عبد الرحمن زكي : مرجع سابق من 218 .



مركز الدراسات والبحوث
البيئية والبيئية
1990, 1991, 1992

البحر المتوسط

البحر الأحمر

البحر الهندي

وفي منتصف الساعة الثانية من ظهر العشرين من أكتوبر ١٨٢٧ اقتحمت القوات المتحالفة قيوخان ، واضطفت وفقاً لنظام حربي على شكل نصف دائرة تقريباً أمام الأسطول المصري^(١٦) والعثماني واقتربت منه حتى أصبحوا وجهاً لوجه ، وخلال ذلك تطلعت رسامة من سفينة مصرية على بحارة إحدى السفن الإنجليزية مما كان أربعة ليالٍ سابقاً الطلاء بإطلاق نيرانها في منتصف الساعة الثالثة بعد ظهر العشرين من أكتوبر ١٨٢٧ على الأسطول التركي المصري ، وتجاوبت المدافع ، وعلا الدخان وتأثرت أشلاء القتلى في مشهد رهيب ، واستمر قتال حوالي ثلاث ساعات ، وانتهى بتدمير الأسطول المصري التركي في منجبة مروعة ، وقتان حوالي ٢٠ ألف جندي .

وعلى الرغم مما حدث فقد رفضت الأسكاملة أن تعترف بالهزيمة أو تدّعي بأن تدمير أسطولها يعني إنهاء القتال^(١٧) بل طالبت بإتخاذ التدابير اللازمة لاستمرار القتال في حين أخذ محمد علي - الذي تألم كثيراً عند سماعه خبر تدمير قوة مصر البحرية الوليدة^(١٨) - أخذ يبحث عن وسيلة للخروج من هذا المأزق الخطير خاصة وأنه أخذ يشعر بالمخاطر التي يمكن أن تسببها له الدول الأوروبية ، وكانت الوسيلة المثلى لديه هي المفاوضات وعقد الصلح مع الحقاء وقد تم ذلك في الثالث من أغسطس ١٨٢٨ والذي تم بمقتضاه جلاء قوات إبراهيم باشا عن شبه جزيرة القورقة ، والتعهد بإعادة الأسرى اليونانيين ، وعدم إجبار اليونانيين المقيمين بمصر على مغادرتهم في نظير إعادة جميع الأسرى المصريين والسفن المصرية التي استولى عليها الحقاء في الحرب^(١٩)

ونتيجة لذلك صدرت الأوامر للقوات المصرية بإخلاء المدن اليونانية والاستعداد للرحيل إلى مصر دون انتظار لأوامر السلطان مما أخرج مركز الباب العالي ، واضطره في النهاية إلى الاعتراف بالاستقلال الذاتي للبلاد اليونان^(٢٠)

ومما سبق يتضح أنه على الرغم من خسارة مصر الفاتحة في هذه الحرب بعد ضياع الأسطول الذي يشارى محمد علي وحدته من مختلف العمالك الأيوبية ، فإن المكاسب السياسية كانت كبيرة فقد تفاوضت الدول الأوروبية ولأول مرة مع محمد علي دون وساطة الدولة العثمانية مما أكسب مصر منزلة سياسية أجنبية ما يكون بالاستقلال الفعلي عن تركيا ، وإلى

^(١٦) كانت وحدات الأسطول المصري المتواجدة خلال المعركة إحدى وثلاثين سفينة تكلف من أربع فلفلفات، وعشر سفن من نوع القرويت ، وست سفن من نوع الإنبيق ، وخمس من نوع القوت ، وست حركت هذا بالإضافة إلى سفن كثيرة .

^(١٧) محمد فؤاد شكري والقران : بناء دولة مصر محمد علي - السياسة الداخلية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٤٨ ص ١٢٨ .

^(١٨) لين ساسي : مرجع سابق ج ٢ ص ٢٤١ .

^(١٩) سجل رقم ٢١ مجلة تركي - صورة ترجمة لكتاب رقم ١٨ بتاريخ ١٢ ربيع الثر ١٢٤٢ هـ من محمد علي إلى محرم بك .

^(٢٠) عن نص شروط هذا الإتفاق فخر :

Dodwell , H.L. The founder of Modern Egypt - A study of Muhammed Ali , Cambridge, 1931 p.22 .

وليساً إسماعيل سرهك : ملحق الأخبار عن دول العار ج ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

^(٢١) عثت دول الأوروبية معاهدة لي لندن عام ١٨٢٧ أميرت فيها الباب العالي على الاعتراف باستقلال اليونان ذاتي ، وفي عام ١٨٣١ استطاع القمم اليوناني فتراج لستقله التام وتوج في استقلال حريته وأعلى تلك مثلاً لشعرب التي كانت تهدف إلى تحرير نفسها .

جانب ذلك فإن هذه الحرب كانت أول معركة يخوضها الجيش المصري في أوروبا مما أكسبه تدريباً حقيقياً على غروب المعارك الحديثة .
ومع ذلك فإن تورط محمد علي في شؤون أوروبا السياسية قد أفهك موارده إلى حد كبير خاصة وأن ما أنقذه من الأموال الطائلة على بناء سفنه ، وبنى شراء السفن والذخائر التي كسفت على المورة ، ثم إن ما جمعه من الرجال ودرّته من الجنود ، وبمنايا به إلى ميادين القتال كل ذلك قد ذهب أدرج الرياح بين عشية وضحاها بعد أن عاد جيشه من المورة وهو في حالة حذل وقندان لثقة ويؤس شديد¹¹ .
وعلى أي حال فقد إنشأ ضيق السلطان من محمد علي لتفاوضه مع الدول الأوروبية دون لئنه ، وسحب القوات دون الرجوع إليه ، كما بدأ محمد علي يراجع خطته تجاه الباب العالي الذي لم يكافئه على خدماته رغم تخليصه من خطر إسطنبول مما جعله يفكر جدداً في توسيع رقعة أملاكه على حساب الدولة العثمانية وذلك بالإستيلاء على بلاد الشام .

¹¹ بعد عودة هؤلاء الجنود إلى مصر وهم في حالة سيئة وخسّن محمد علي ليعيدهم بالإقامة في بلاده سنة أو أكثر من أجل إعتناءه 228 إلى توسيعهم ، ثم صادرت إليهم التعليمات بعد ذلك بالعودة إلى القاهرة وتزويدهم من مبالغ منهم في أوطانهم الجديدة .
الوثائق المصرية العدد 196 في 18 ربيع الآخر 1246 هـ (1830) تحت عنوان جوائز الجهادية .

ثانياً : الوثائق

وثيقة رقم (١)

موضوعها : تجهيز محمد علي لاسطوله ، وإرساله إلى المورة لتثبيت الثتارين على الدولة
بناء على أوامر السلطان العثماني
مصدرها : دفتر ٤ مئة تركي - ترجمة المكاتبة التركية رقم ٢٩٢
تاريخها : ٢٩ رمضان ١٢٣٦ هـ .

من المعوي :
إلى ملجا الصدارة .

حضرة سلاطتي ومولاي صاحب الدولة والعنفة والعنوفة والرقة والآية وني القمم العالي
الهمم الكثير اللطف والكرم .

بينما كان عديكم بمصر في شبرا وصل في يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر رمضان
لمركم السامي الصادر بالشرف سابقاً الأمر بتجهيز مقدار مناسب من سفن عديكم وكئين قائد
عليها وإرسالها تورا إلى جهة مورة^(١) ، وإلهام قائدها أن يعمل على بمقتضى السهل بالمخافة
مع علي بك قائد السفن الهامانية الموجودة في حوالي ألبانيا " بلاد الأرواد " وإرسال سفينة أو
سافيتين من السفن الصالحة للعمل أيضاً إلى الجزر فيما وراء رودس بناء على أن رعايا مورة
قد عصوا بسبب ما دبره كبار الروم من الوسواس وما تصدوه من شرك الدسائس ، وصري
صبياتهم إلى مجاورهم^(٢) ، فأظهر المظنون أيضاً رعايا لوانيه وصالة والله فسعدوا الطريق
حتى أرسل حضرة والي الروم إيلي^(٣) باشا إلى جانب مورة صساكر كما يلزم وأقيمت أيضاً
أوامر السبي والاسترقاق بموجب الرخصة الشرعية ، ولقتضت المسلحة إسراة السطوة
والجلاءة التالية نحو مورة ، وقد قام كبار جامايجه وصوليجه وإيساره^(٤) أيضاً ورقدوا
رموسهم . وحيث توجد عند هؤلاء المذكورين سفن حربية فمن الملاحظ أن يتعرضوا لسفن

^(١) إقليم المورة في جنوب اليونان اليوم أكثر فقر . جباله كسيرة ، ومرافقه ندية ، وشبهه مستوي .
^(٢) يذكر ديورتي أن ثوار المورة قلعوا الطريق على المسافرين وانهاروا العرباب الخارجة من استنبول وفيها
قتلى العسكر القمري لثمان مئتي وبعض الججاج وقتلهم من آخرهم . قتل الجزء الرابع من عديكم
الإثني في الروم والأشبار من ٣٤١ تحت عنوان واملول شهر ذي القعدة يوم الأربعاء سنة ١٢٣٦ هـ .
^(٣) تضي وآيات الروم . وهذا التعبير كان يطلق عليها على الأرنسي القبطانية الواقعة في شرق أوروبا .
^(٤) كانت Pizzo مثل مركزاً عاماً لقراسته في غرب جزيرة خيوس Hios .

التجار التي تطرق وتمر بها ، ولتخاذ التي ترسل إلى الأستلة ، وللمسافر الذين يتلقون من الأستلة إلى قروم ايبي ، ولتقضي أيضا بأرسال التذاخر الممتد إرسالها كل سنة من الأقاليم المسورة إلى الأستلة ، مع ضم مائها عليها في هذه المرة لئلا تقع مقاسمات ضائعة في الأستلة من جهة التذاخر بسبب ما حدث في الفلك وبعدها⁽¹⁾ من الفتن ، فلعلنا لندان يد التكرم بهذا الأمر الكريم وكبت بعد الإفطار في السفينة " لثجه" وأتت إلى الاسكندرية ليلة الخميس فجهزت ثلاث عشرة سفينة ببركات ختمكم السماوية في مدة أربعة عشر يوما من قيوام الربع حشر من شهر رمضان إلى اليوم الثامن والعشرين منه بمضاطعة السعي ليل نهار ، وقد اشترت أربع سفن من تجار الأفريج ولجأت إلى تجهيزها وتجهيزها أيضا بمذابة خامسة ووضعت فيها المدافع ورمات المدافع ، وعين عبدكم محمد أغا طوبزاده من رؤساء القويين في الأيوان العالي كذا عليها فيرسل مع تلك السفن بمئة تالفي في اليوم العاشر من شوال بعد العيد إلى جهة رومس ، وتلقى السفينة الموجودة في الاسكندرية في الأسطول الهياولي أيضا بتلك السفن بوضع المسافر والمهمات فيها وحيث توجد في رومس وبغروم⁽²⁾ سفينتان لسهري عبدكم محرم بك وسفينة لعبدكم ، وسفينة لهورية أيضا في رومس فيرسل إليها ما يكفي لهذه السفن الأربع من الأتفا وسائر المهمات والملحق بتلك السفن ، وتحرز تلك السفن أيضا من وراقها بتجهيز ما يرد من الخارج من سفن من عبدكم ، وسفن عبدكم التباضي الساحلة العمل مع الإسمراي على إقتراء مقدار واث من السفن الواردة إلى الاسكندرية الموقوفة بها من تجار الأفريج وإرسالها أيضا بوضع المسافر والمهمات فيها على أن لحاق سفن عبدكم الرسالة ، واجتماعها مع سفن الأسطول الهياولي ، وإن كفا من الأمور المشككة ، بالنظر إلى ما بلغنا من مد لشقاء البحر المنضيق بسفن كثيرة ، لكن من قبيل القلائم والمأزوم للاجتماع تجول هذه السفن في تلك المياه ، وسمى سامور الأسطول الهياولي جهده في الورد فاعليه لئلا مضطاعة قوة سامور الأسطول الهياولي وحمله إلى اجراء الأداة الملوكية في أقرب وقت ، وبعد اجتماع سفن عبدكم مع سفن الأسطول الهياولي بمذابة رينا القناح ، وأعادة جذب مرسل قرياق ، وسيرهما على سفن لشقاء البحر بالاتفاق وحصول التخلب عليهم ، وقهر الاشتياق المذكورين ، وتجهيزهم وتجهيز لشهور جهة البحر منهم بقوة حظ حضرة صاحب ملك مملكة العاقم يكون من الأمر سهل فهين أهر الجزر المذكورة ، واستعمالها وبعد ذلك إلى أي جهة لتكثيف السفن بالاتفاق سواء كان هذا الانتداب لجهة مورة أو لأي جهة أخرى يواصل من وراقها المسافر والأثوات اللازمة بوضعها في سفن التجار وإرسالها على التعاقب وتستحصل اسباب عاقبتهم ، وقد استؤجرت بعد تكوير دقيق على سبيل التجربة سبع سفن من تجار الإنجليز لإيصال التذاخر إلى الاستلة في هذه الأيام ، وشحنت السفن المذكورة بخمسين ألف "كلكا" هنا "كيل" من القمح وجهزت للترسال على أن تسلم للملحان العامرة ، فبعد إرسال السفن المجهزة بيوم ترسل سفن التذاخر هذه إن شاء الله تعالى ، ولدى وصول خبر دخول التذاخر المذكورة بالسلامة من المنضيق إلى الداخل ، وبلغ هذا الخبر لوصول عبدكم بسرعة ترسل التذاخر إلى الأستلة على التعاقب ويكمل المقدار الذي هو مطلوب لتقام العاشي من التذاخر ، ويرسل على التعاقب أيضا ما طلب من التذاخر التي تعرض للبيع بكمياتها الجارية

⁽¹⁾ يقصد وإيبي الفلكي والمدان بروماليا .

⁽²⁾ سميتها بوجروم وهي إحدى المدن التركية الهامة التي تقع في أقصى جنوب تركيا ، وتقع إلى شمال من جزيرة رومس بحوالي ٦٠٠ كم .

بتجهيزها لتباع في الأستانة بأسعارها الجارية ، وحيث انه لا ريب ولا شبهة اني أبذل كل
 حثي ومكثي لاجراء مضمون الأمر العالي ولتفاد الأمر والإرادة في جميع الأزمان ولاسيما
 في مثل هذا الأوان كما لا شك لي أن الجهاد والمزوة فرض عين عليا فلا محالة أنه لا يضمن
 بالخدمة والسعي جيد الطاقة لوق رسمي من كل الجهات في سبيل الدين والعملة ، وفي سبيل
 دوامنا ومرضاة لمولانا وولي نعمتنا صاحب الشوكة والكرامة والمهابة السلطان ملجأ الاسلام
 ملك الملوك الذي من جلوه الملائكة الكرام . وقد ازدادت أيضا يد التكريم بمرور ما صدر
 محقوقا بالشرف سابقا ولاحقا في هذه المرة من نحو أربعين أو ثلاثة أوامر من أوامر ولي نعم
 السامية ، ووصلت أيضا إلى عيذك مكاتيبكم السامية الخيرية المحررة بخطابنا لبلشوات
 مقاطعات الجزائر وتونس وطرابلس الغرب ومراكزها العسكرية " وجاهات " وحيث كان
 ورودها عقب رسالي رجالا من رجالي إلى هولاء البلشوات بيوم تعريضا أهلي تلك البلاد
 على الجهاد والغزوة والصغرية ضد إشتياق البحر قاتلا لهم ان هذا الزمن لما هو زمن الخصمة
 للدين المبين ، والدولة العلية الأبية ، وزمن اكتساب حسن التوجه الخسروي من حضرة
 مولانا السلطان الحارس للدين ملك ملوك وجه الأرض صاحب الشوكة والكرامة ، قد ارسفت
 هذه المكاتيب السامية الواردة من ولي نعم بعد يوم من يوم ورودها إلى البلشوات الموحى
 فيهم بحرا بالقتال رجل من اتباعي عيذك لذلك مع الاستمجال بشأن عودته بأجورتها وقد
 صارت قلادة ما ذكر باعثة لمرض عيديتي فالأمر والإرادة لدى حصول الشرف لنا بوصول
 هذه العريضة إليكم ، وإجملة عظمك العالي الشامل للعالم بذلك ،

٢٩ رمضان ١٢٣٦

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- ترحيب محمد علي بالأمر السلطاني الخاص بتجهيز سفنه للمشاركة في حرب
 المورة .
- تعرض الثوار اليونانيين والقرصنة لسفن التجار المسلمين .
- تجهيز محمد علي لثلاث عشرة سفينة وشراؤه أربع من السفن من التجار الأتريج
 وتجهيزها بالمذائق والرمات .
- العمل على قهر إشتياق البحر وتأييدهم .
- إرسال محمد علي الأختار وشحنات القمح إلى الأستانة .
- طلب المعونة من ولاية الجزائر وتونس وطرابلس الغرب وتحرير أهالي هذه
 البلاد على الجهاد ومحاربة إشتياق البحر .

وثيقه رقم (٢)

موضوعها : رسالة من محمد علي إلى السلطان العثماني محمود خان بشأن إرسال سفينة للمساعدة في تأديب الثائرين ومساعدة الأسطول العثماني ضد مراكب اليونانيين
مصدرها : دفتر ٤ مئة تركي - ترجمة المكاتب التركية رقم ٢٨٨
تاريخها : ١ شوال ١٢٣٦ هـ

إلى المندوبة العليا

حضرة سلطان مولاي وسلاطين النوبة والحالية ، والمطوفة والزلفة ، والآبئة والى التعم
الداني المهم الكثير لطلب والكرم .

سبق الانتهاء في عريضة عيدكم المقدمة إلى مقامكم العالي بتاريخ ٢٩ رمضان أنه
سجيز بهمكم السابعة ثمانى عشرة سفينة من سفن عيدكم الموجودة في ميناء الإسكندرية ،
ومن السفن المشتراه من تجار أوروبا ، ويعين عيدكم محمد أفندي^(١) بطوبزاده من رؤساء
اليونان^(٢) باليونان العالي كاتبا عليها ويرسل بعد العيد إلى جهة رودس ، وحيث أنه توجد
سفينة من الأسطول في الإسكندرية فتستحق تلك السفينة بعد شحنها بالمهمات والعتاد تلك
السفن ، كما أنه توجد سفينتان لسبيري محرم بك^(٣) وسفينة لى في رودس ويودروم^(٤) وسفينة
أيضا من الأسطول الهلبونى^(٥) في رودس وسترسل العتاد والعتاد إلى تلك السفن ،
وتحق بالسفن السابقة لتترك أيضا ، وأنه قد نيه على عيدكم العوما إليه أن يتحول ويحط في
تلك المياه ويسرع في التحاق بالأسطول الهلبونى ويسعى جهده بالالتحاق في شهر أشتياق البحر
وتدبيرهم وأنه ستتم تلك السفن من ورائها بترتيب وتجهيز سفن من سفن عيدكم ، ومن
السفن التي لتقريبها من قباضي ومن تجار أوروبا ، وبارسائها وبعد أن تجتمع السفن المتكورة
من سفن الأسطول الهلبونى ، وبعد أن تتم مهمة شهر أشتياق البحر وتدبيرهم فالى أي اتجاه
سيرت تلك السفن ، وبإية مهمة أمرت يرسل إليها من ورائها العتاد البرية ، وسائر المهمات
بسفن التجار ، وكان لشير أيضا في تلك العريضة إلى أنه قد استوجرت سبع سفن من تجار

^(١) لما نعى رئيس أو سيد .

^(٢) عنوان رغبة خاصة لدى المايب ، وقد كلفا بإقناع هذه السفن ، ومنسما إلى الأسطول العثماني ، والعمل
على تخلصه من الحصار المفروض عليه من الثور اليونانيين .

^(٣) هو محرم بك الأميرال صهر محمد علي ، وكان حاكما للميزة ثم عين محافظا للإسكندرية ، فكان
للأسطول المصري الذي ذهب لأخيرا فيوان لمطاردة الثور ، ولشرك في حرب البرية .

دار الوثائق : محافظات - منطقة ١١٤ ، موضوعات متفرقة
وقد كلفه محمد علي بإقناع السفن الحربية والملاح بها لتكليب الثور اليونانيين . فطر الأمر التركي
المتعم بتاريخ ٢٤ رمضان ١٢٣٦ هـ .

^(٤) ميناء على شاطئ الإسكندرية .

^(٥) كلمة هلبونى لقريسة الأصل ومعناها القوي مبارك ، أو مقبس ، أو حسن الخط .

الاجاز لايصال الفخاري إلى الأستكة العلية ، وحمل عليها تسعة وسبعون ألف كيل وماتت كيل من القمح فأصبحت جاهزة للإرسال على أن تسلم للمخازن المأخرة بها هي محمد لله تعالى قد أرسلت السفن المذكورة إلى جهة رودس في اليوم الحادي عشر من شوال المكرم الجاري بهواء لطيف وريح موفقة ، وأوصى القائد الموصى إليه أن يلتحق بالأسطول الهمايوني في أقرب وقت ، وأن يتحد ويتلق مع مسوري السلطان الهمايوني ، وأن يهزوا سائر الحصنة والخبرة في قهر الأتقاء البحر واستقلالهم ، وقهم تلك الوصايا ، وبلغ فيه أيضا أنه إذا تمذر المرور بسبب قتل المضايق ، وتمذر للحاق بالأسطول الهمايوني لايقوم في مكان ما عطلا بل يبقى نائرا للفتوح وماتا لظفار التمسر إلى الأطلرنة ، ويهاجم سفن الأتقاء إذا صادفها مستعينا بالله غير مكترث بقتلها أو كثرتها ، ويوزل المسكر في الجزر العاصية ويضربها ما وجد إلى ذلك سبيلا* .

ومن المعلوم أنه إذا خبط سرب أو سرعان من سفن الأتقاء المذكورين ، ووقعت الإغارة على جزيرة أو جزيرتين منها أسرا وقتلا لأهلها وانكس طابعهم ، ويسولي الرعب والخوف على قلوبهم وتشتت جماعاتهم وتزداد عساكر المسلمين شوقا وغيرة ، وتمتلئ قلوب الموحدين قوة وسكينة ...

¹¹ كما في الأصل المترجم - وأمل مسحتها على شوال كما يظهر من ترخيص الكتابة .

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- 1 - استجابة محمد علي الثالث السلطان بإرسال أسطوله للمساعدة على تكميل قوتنا اليونانيين وتخميس الأسطول العثماني الذي أصبح كالأجور في أيدي اليونان .
- 2 - إرسال أسطول يتكون من 18 سفينة تحت إمرة محمد أفندي طوز ، للالتحاق بالأسطول العثماني .
- 3 - إرسال أربعة في سفنهم مزمع بك بالتحرك لمساعدة الأسطول العثماني الضعيف والمهزول بالهجمات والفتن .
- 4 - استتباب بعض سفن التجار الاجاز لايصال الفخاري العلية والفتح إلى الأستكة ورودس .
- 5 - استتباب التدة مع الأتقاء البحر ، والعمل على قهرهم على تركع فروج السفن التي سفنهم .

وثيقة رقم (٣)

موضوعها : نصائح محمد علي إلى رجال أسطولته عند التحاقهم بالأسطول العثماني .
مصدرها : دفتر ٧ مئة تركي - ترجمة المكاتبة التركية رقم ٢٨٤
تاريخها : ٢٩ شوال ١٢٣٦ هـ .

من الجواب المالي إلى باشيرخ الأسطول المصري قد حررتكم وتكررت أنه ورد من حضرة باشيرخ الأسطول الهلالي خطاب إلى كاشي روس يقول فيه . أننا على وشك الذهاب إلى بيروت^(١) لاستقبال الأسطول الموجود في جهة مورة لئلا نلزم استسحابنا من ميناء الأسطول المصري أيضا تبين الأسطول المصري على الاستعداد والتأهب إن كان ورد إلى روس ، وتكون أيضا خمسة عشر رافدا يعرفون مياه مورة ، وتلبيروتا عن قنم جاهزون وأن الأسطول المصري ورد إلى روس حتى نأتي ، ولستحسب الأسطول المصري ، ونسير إلى جهة مأوريتا . ولقد حررت جواب خطاب العمومي إليه المرسل سابقا في مضيئ يوم وأرسلتموه مع الجاويش الذي ورد إلى طرف القلنس العمومي إليه ثم عنتم مجلس المشورة مع سمايل كوردان^(٢) ولحمد بك وحررت : أنه قد تفرقت نتيجة مذاكرتكم على أن يجاب عن هذا الطلب بأن يقال إن مولانا لما بلغه تسلط الأتقيا على السفن المعتردة إلى هذه المياه ، وعلى الهلاك الإسلامية للكثيرة في هذه الموانئ جيز السفن التي تركيها على قدر ما تيسر ، وأعطى المون والأواد اللازمة لمدة شهر فقط لمن فيها من الصاكر ، وأمرنا بالمسارعة إلى روس ، والوصول إليها في أقرب دقيقة كاتلا لنا إني أقوم بتجهيز السفن الموجودة في هذا الطرف ، وأرسل إرسال المهيات والمون اللازمة لكم من وراكم ، وإن لم يكن عنكم الآن إقتدار المقاومة لسفن الأتقيا فعلى هذا يستوجب مسيرنا بهذه الحالة إلى مسافة بعيدة أنواع الصعوبة وطول إذا مرتتم أنتم إلى السورب المقصود وانتم لنا في العودة إلى الاسكندرية ، ونعود إلى الاسكندرية ولستحسب السفن المجهزة وتتم لوازمنا المسفوية ومضروفتنا ومثوتنا وأرؤفنا . ولتحقق من وراكم وبهذه الصورة فليتم السلام . وقد علمت مال مكاتبتكم المتكورة ومطاهيم سائر الأوراق ، وكشفت خلاصة إرادتنا لكم "عد مبرمكم" أنه إذا لم يخرج الأسطول الهلالي ، ولم يمكن اجتيازكم من المضائق ولا تضائق بالأسطول الهلالي تقومون بتسرب جزيرة قشوت لئلا يكون سبيكم عينا وتبولون أيضا ثم تسودون ، ولما إذا خرج الأسطول الهلالي ، وتيسر التحاكم به تلاميذ موظفي الأسطول وتسيرون معهم إلى أي جهة ساروا ولا تتعدون الطراز الرسمي في لقاء مساعدتكم معهم ، ولا تتكلمون بكلمة أريد من ذلك ولا أنفس ، وعند مرور سفن أو جالقات الغرب يحملونهم على فتح الأعلام لهم "تحية عسكرية" ولما أنكم فلا تتكلموا بشي ، ولا تقولوا لماذا لم يفتح لنا الأعلام . هكذا كنت أفدت لثقتكم كرارا ومرارا ولديتكم عليها ، وكان المقصود مجرد الذهاب مع الأسطول والقيام بخدمته ، وقد نسيتم بالمرأة أروالي المتلفة بمنابعتكم الموظفين والأسطول ويظهر

^(١) حاصر اليونانيون الأسطول العثماني بلكة الجهة ، وكان يقره القبطان تسوخ زاف .
^(٢) الذكر . بعض المصادر باسم سمايل جيل طارق .

أنكم أخذتم ترغون في الإستقامة والهرب من القديس . وكان الواجب عليكم حينما دعاكم
موظفو الأسطول الهيلوني إلى معيهم أن تلبوا دعوتهم ، وتقولوا لهم نحن حاضرين متهيون
ومع ذلك كنتم جواب التوقف معترين بأعلى حتى أعدتكم جوابكم الهليني المذكور . فإنا عندما
علمتم ورود الأسطول الهيلوني إلى استثنكي وأه برد إلى رودس . وإنما كان يسمح مثل
جوابكم هذا . إذا كان الأسطول الهيلوني لم يخرج أو بقي في التردليل "جناق كلمة" أو في
محل آخر ولزم للتنازكم مدة شهرين أو ثلاثة أشهر وبعد ذلك توج عثر وأما أعدائكم مثل هذا
الجواب الهليني حين خروج الأسطول الهيلوني ومعيته إلى استثنكي ورويس ووجوب
مئسكم لموظفيه على وفق أمرنا وتبهيها وذهابكم معهم حيثما ذهبوا . فلا يكون إلا من كمال
حماقتكم ، وحيث أن مساني أنواع الأتباب بالسعي لول نهار وإرساله إياكم بكل سرعة ليتسا
كانت لأجل التحالكم عاجلا بالأسطول الهيلوني لطلب ملكك فلما بان أن لشقوا من غير توقف
بالأسطول الهيلوني على طيق تنبهي السابق وأن تلبوا موظفيه ، وإن ذهبوا معهم حيثما
ذهبوا وعليه حررنا مكالمتنا الخاصة هذه لئيبها وتكديدا ، وإرسالها مع أحمد أغا رئيس موظفي
الدخان لدينا ليلزم أن تلبوا إلى العمل على الوجه المقرر ، وأن تتأثروا من توبيز خلافة
المستوجب للمستولية .

بمختلف من هذه الوثيقة ما يلي :

- ضرورة استعداد رجال الأسطول وتأهبهم لأي مخطار محتملة .
- تفكير محمد علي في استئجاب الأسطول المصري إلى المعركة .
- التناق بالأسطول العثماني للسير معه ، وتلبية لأمره .

وثيقة رقم (٤)

موضوع الوثيقة : ترجمة الأمر رقم ١٨ بشأن انضمام الأسطول المصري للأسطول التركي
في حرب المورة
تاريخها : ٢٧ محرم ١٢٢٧
مصنوعها : العبة السلية ، قطر ١٠ مية تركي

أمر كريم إلى : الوزير الحكيم إبراهيم باشا

لقد فحتم الأسطول المصري قبل مدة إلى الأسطول السلطاني وأبحر للعمل ضد اروام المورة
الذين عمدوا إلى الحسبون وأعمال الشنارة .
ولما كان قد اتصل بالأسطول السلطاني المصري ان ذلك نحو ٦٠ سفينة من سفن الأتقيا
قد تجمعت في ميناء فلاتسيدي لكانت في خليج إينه تيجي قد سارت عليها السفن الصغيرة في
الأسطول السلطاني برقة الأسطول المصري تحت قيادة طيوزاده . ولما أن بلغ هذا الأسطول
تلك الجهة وكان الأسطول المصري إذ ذاك يقل قوات من المسافر البرية خرجت هذه القوات
إلى قبر ومرعان ما اتصل بالمخافرة مع يوسف باشا الفيروزي الذي كان يربط بمساركة في
تلك القلعة ومن ثم كسنت القوات وزحفت على يانتي وتوجه فلاتسيدي واستولت عليها بعد
قتال وضمت ما كان فيها من مال ومناج وأمرقت منازلهما . وقد تم الاستيلاء كذلك على
٤٠ سفينة من سفن الأتقيا فربضت في ميناء فلاتسيدي وأحرقت ٦٠ سفينة .

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- انضمام الأسطول المصري إلى الأسطول العثماني والعمل معا ضد الثوار .
- الاستيلاء على بعض سفن الثوار ومهاجمة معقلهم .

وثيقة رقم (٥)

موضوعها : أمر كريم : إلى : فرمان اسماعيل ^{١١١} * الشهير ببطلان السلطان * القائد العام للأسطول المصري .

مصدرها : دفتر (١٠) مئة تركي - ترجمة الأمر رقم ٣٧٧ ورقة ٧٣ تاريخها : غرة محرم ١٢٢٨ هـ .

تسلمنا كتابكم الواردة أخباراً وأفلامنا على جميع اشعاركم فيها . فتم في أحد هذه الكتب انكم تأملون فتح المورة وتنتظرون ذهاب الاسطول السلطاني إلى المضيق * اليوسف * بل توغله في الداخل وتحدثتم عن قلة مؤنكم وضرورة اضلائكم بمعض القود محسوبة على مرتبات البحارة والقوامين وقد كفتلنا لكوننا حضرة صاحب الدولة آياتنا أمير البحر لأرسل كتاباً قال فيه : ان فتح المورة أصبح قاب قوسين وأنه يمكنه ذلك إلى ان يتم هذا الأمر الخيري .

لها فرمان اسماعيل : سواء بقى الاسطول السلطاني هناك في تلك المياه أو توجه إلى المضيق فواجبه حسن الخدمة والعمل على نيل الرضا ، وإذا أتاك كتابي هذا يجب أن تلج سائلاً إلى ريادة سفننا وبحارتنا وقوامسها وتقدمهم فانا نطلب منهم اتقان العمل وحسن الخدمة واتنا كنا نلقنا لهم الموزن والمدات والأموال على ظهور الجمال في أرض الحمير ولم نجعلهم يمانون هناك أي ضيق والأمر فيحيث أن كل شيء ينقل على السفن فيمكن إرسال كل ما يحتاجون اليه برسائل أكثر سهولة من ذي قبل ، وأنت أيها الزمان يجب أن تهتم بحسن إدارة هذه السفن وتعلم بأحوال البحارة والقوامين عالية تثبت لك * جبل قطار * حقا وأما إذا أعلت في واجبه أو سلكت طريق التعلل والأعذار فيجب أن تعلم جيدا أنني أرسل إليك سفينة * بوك * القليلة عن الإزدراء وأملى لك لا تستظرنى لذلك وفلك تتفرغ للبحث عن الوسائل التي تكفيك ملايين الاضباب والتغير بدلا من الإزدراء والتغير وخلاصة القول اني لانسلكم ولأدعكم تقاسون حيثما في شيء ما ، هذا يدعي كما في ادعوا لكم بالتوفيق وانصف عليكم من كل قاضي وإذا علمت ذلك فيجب عليكم المعالجة إلى العمل وفقا لاشعاري والاتحاد بين القليلة والقليلة بما يجب الشعراء ...

بمقتضى من هذه الوثيقة ما يلي :

- ضرورة قيام قائد الاسطول المصري بحسن الخدمة والاجتهاد واتقان العمل سواء شارك الاسطول التركي في القتال أو كلال وحده .
- العمل على امداد الموزن والمدات الخاصة بالبحارة .
- ضرورة الاهتمام بأحوال البحارة والقوامين .

^{١١١} بقصد اسماعيل، جبل طارق .

وكان قائد الاسطول الذي ذهب لأول مرة إلى مياه رومس لمطاردة القرار هناك ، ثم شارك مع محرم بك، سيور محمد علي في حربه لتورة .
دار الوثائق - محافظة بيروت - موضوعات متفرقة مطبوعة ١١٤

وثيقه رقم (٦)

موضوعها : ترتيب المون لحملة العمرة
مصدرها : دفتر ١٢ مئة تركي
تاريخها : شهر رجب ١٢٢٩

من : محمد علي
إلى : جناب الصدر الأعظم

حضرة سيدي صاحب الدولة والحفاة والمطوفة والرفقة والأية والى التمتع على الهمم كثير
الطلب والكرم

حيث أنه جرى في هذه السنة السعيدة الميمنة ترتيب وزراء وأساقير وعساكر كثيرة لأجل
الجهوم على أطرافها أيضا برا بفريق متمدة واستعدادات قويه ، والسعي في التطلب على
عصاة الكفرة ، والاقام على ذلك بالاتحاد ، وبلغ عدد المأمورين والعساكر المرتين إلى عدد
يتراوح بين الخمسين ألفا والسكن ألفا على أن يتجمعوا عقب يوم أول الربيع كما أنه اقتضى
المهارة الى وسيلة تكاريه المون أيضا بصورة مستوفيه لكيلا يحصل أي خلل أثناء العمل من
عدم وجودها غير أنه بالنظر إلى تعسر مداركة التفخيز الوافرة من جهة الروماني^{١١} المسماة
بالحمق والارزاء منذ مدة لهذا الحد الكبير من العساكر ، وتعذر توصيلها إلى هناك ، من
بجالت اخرى ترتيب مون مختلفة الأنواع من جهة مصر بمقدار خمسمائة ألف كبل استقبولي
، وتعلقت الإرادة المشيه بخصوص ترتيبها سريريا ، وإرسالها إلى مورة بحرا بتحميها في
السفن في أول الربيع بمنه تعالى على أن يكون أكثرها بكسماشا ودقيقا وما عدا شعير وقول ،
وعلى أن لا يخل ذلك بترتيب قعد والمعونة لكريد ثم أصدر بهذا الخصوص أمر عال مرشح
أعلاء بالخطوط السلطانية ، وإرسال مع عيكم صاحب السعادة محمد نجيب أفندي^{١٢} من رجال
الدولة العلية ، والنظار الحالي لدار البارود العامرة ، ووكيلي لدى الباب العالي على أن يلقى
الخصوصيات اللازمة شفيها ، وإن قيل العساكر المسوقة إلى كريد في الأول والأخر لقلية
والصبر ، وحسن اجتهادى أرجبا كمال المسرة الملكية وحصل التفضل بالعناية والإحسان بتوب
مسور مزركش سلطاني مستوجب المرور ، وسيف ملكي مرصع مضمون المدو وأرسل كذلك
مع وكيلى الموصى إليه قد استقبل بموكب عدا وصوله إلى أطراف مصر ، ووروده إلى جوار
باب القصر ، وتقبل بخطوات التعظيم والتبجيل عند قدومه إلى محل الديوان وتمت مراسيم
محاسن التكريم والتبجيل ، وجعلت القروة المذكورة زينة لكشف الإلتخار ، والسيف الذى ربط
في الوسط رمزا للقوة والاقام ثم صاف الدعاة لنوام وتأييد عمر وشوكة حضرة الخليفة زينة
للكسنة القوية الاخلاص والثناء القوام وتأييد شأن وسلطنة السلطان وإسلا إلى السماء العلية .
فالمولى خالق الأرض والسماء يجعل عمر وشوكة والى نعمتنا والندفيا صاحب شوكة وقهبة

^{١١} منعها قروم إلى وتضى وآيات قروم وشامت كلفتها خطأ الروماني لأهيا كلسان .
^{١٢} نجيب أفندي ، مندوب السلطان لدى حضرة إلى مصر ليلام محمد على فرمان الولاية على مورة .

والكرامة سلطان العالم ومكث الزمان بحيث لا نهاية لهما ، ويجعله مملونا وسعيدا بنيل معالي النصر والظفر والفتوحات ومظلل الأمن والأمان لمفارق الملكة والمنة بظل عطفته السلطانية ثم يجعل ذاتكم الولية لتمام العلية مسرورة ومحيرة في إيدان صدور الأوامر وعينا لامعة للزمان والأيام في محفلة خاتم الدولة والاقبال أمين . هذا وقد حررت عريضة عبدكم ، وكدمت إلى عتبة إجلالكم بالخبز والخبز والخبز بالخبز والخبز بالخبز والخبز بالخبز ، وفي سياق اشهر الشكر والتمنوية والافادة عن المائة الف أرب الف الف المصرية التي صدرت لفرمان بشلها سيجر ترتيبها وتحليلها في السفن ، وارسالها إلى مورة وإلى المحلات الأخرى التي فيها المأمورون بالمخيرة ثم أن الوصايا السنية والتبهيات السلطانية التي أودعت في حافظة الأقدى العمومي اليه صارت حلة لميساع كفتي واقتبامي واحدة فواحدة فستتذ بكمال المطوعة مع ايفاد لوازم العبودية كما أن أمر ولي التعم الساسي للشمائل كل كفاية وخصوص بهذا الشأن ، والمشمائل على أنواع المحاسن والتوجه الذي أرسل مع عبدكم الأقدى العمومي اليه صار زينة ليد التملط ، وكان خصوص لمسيح معلوما بأذن عبدكم التوسيم الاخلاص على نحو ما بسط فيه وذلك بمطالعة مرة أخرى ، وقد جعل الفناء فرضا على عهد العبودية وأنه أرسل الأمان إلى متصرفي الجزائر وتونس برا مع الهجان الذي الوصول ان شاء الله تعالى ، والحلطة علمكم العالي بأن عبدكم ليس له أمل سوى الخدمة والغيره في سبيل الدين والدولة العلية ، وان هذه الخدمة ستجرى بكامل الممنونية ، ويحصل الاعتناء في فناء اجراء مقتضى الأمر السلطاني ، والتبهيات الملكية المقرونة بالكرامة . فان الأمر والفرقان بخصوص التفضل باسداء توجهات وتصفات ولي التعم للعبد .

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- الاستعداد لمهاجمة العورة برا وبحرا .
- تركيب العنوة المطلوبة للقوات لمحاربة من مصر بمقدار خمسمائة الف كبل استتبولى وتكملها على السفن .
- تنفيذ التوجيهات السلطانية بشأن تحميل السفن بالامدادات المتجهة إلى العورة .
- ارسال الأوامر السلطانية إلى متصرفي الجزائر وتونس برا .

وثيقة رقم (٧)

موضوعها : رغبة محمد علي في توحيد القيادة العليا للأسطول ، ووضعها في يد ابنه ابراهيم.
مصدرها : دفتر ١٣ مكية تركي - ترجمة المكاتبة التركية رقم ٢٢١ من ١٠٤
تاريخها : غرة رجب ١٢٢٩ هـ (١٨٢٤م)

من محمد علي باشا
إلى الصدر الأعظم

حضرة سيدي صاحب الدولة والتمالية والمعلوفة والرئاسة والأهبة والى التعم عالي الهمم
كثير الخلف والكرم

صدرت أخيراً الأرادة القاطعة السلطانية بما موريتي على المورة واقتدب لإبلاغها إياي
عندكم صاحب السعادة نجيب الدين^(١) ثم لدى وروده أصبحت مشاهدين ومزانيا
الأمر العاليه والمكاتبات السنية التي يحملها معلومة للعد ، وتشتت التبيهات السنية السلطانية
المودعة في حافظة على لوح الخاطر من تقريره الشهر ، ولعلني بأن القيام دائما بحسن
الخطة وبمصلحة الدين والدولة موجب للفخر ، ومؤد لسعادة الدنيا والأخرة ، وبالتنظر إلى نسي
عد الدولة العلية متواضع ومحسوب للسلطنة السنية نشأ بتعمها قد بعثت إجابة مسلحة المورة
إلى عندكم أنواع المصرة والفخر ، وبما له لا يوجد أي نقص في خصوص المهمات والعساكر
والعوز في ظل الحضرة السلطانية فإن شاء الله تعالى سأرسل عندكم صاحب السعادة ولدي
ابراهيم باشا باستعدادات قوية ، وعساكر كثيرة ، وجعله ينسق هذه المصلحة بحسن توجه ولى
التعم ، غير أنه لما كان توحيد الكلمة ، واعطاء التقوى والاستقلال للمشار اليه في مهمته مثل
هذه المهمة من مقتضى الحال فإن التفضل بالاحسان إلى سماعته برتبة القيادة العليا للأسطول
السلطاني الذي سيرسل بالمقدار المخرج في السنة السابقة وتوقيضه ما يقتضى لتصفية وتطهير
جزيرة المورة وجزر البحر المتوسط إلى سماعته بالاستقلال على ألا تحصل مدخله من طرف
المأمورين الأخرين في مسألة الجزر المذكورة بوجه من التوجه ثم توجيه إياله المورة الآن
إلى عندكم المشار اليه على أن توجه إلى الذي يراد من طرف الدولة لظية بعد فتران المسافة
بالتام ، وتدارك خيول وبغال بمقدار يتراوح بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف من الروملي ،
وتويلتها بعباء بره وزه^(٢) لجلبها إلى المورة واستخدامها في خصوص نقل العوز والمهمات
على أن تغطي قيمتها أو أجرئها من طرف عندكم هو من رجاء المحسوب لكم كما أن حصول

^(١) ملابو سلطان الذي جاء إلى مصر ليضم محمد علي فرمان الولاية على المورة .
^(٢) صفتها بروية ، وكان الأسطول المشفي محصوراً في تلك الجهة .

مساعدة ولي التعم السنية بذلك هو من ملتمس العيد ، وإن الخصوم التلزم والمقتضى أدرج
في عريضة عيدكم تحييد الذي وعليه فإن الأمانة بما ذكر أوجت عرض عريضة عيدكم شأن
الله لدى حصول العلم لولي التعم فإن الأمر والفرمان بخصوص التفضل بإبداء مساعدتكم
التخيوية، وإمداد إسمائكم البهية من مسؤوليات العيد .

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- صدور الأمر المشطبي بالحق دائرة العمرة إلى محمد علي .
- رغبة محمد علي في إلحاق القيادة العليا للسلطان المشطبي لابنه إبراهيم ، وتوجيه وكالة
العمرة إليه أيضا .

وثيقة رقم (٨)

موضوعها : تكليف إبراهيم باشا باستكمال شاقة ثورة المورة وتأخره في أداء مهمته حتى تكتمل الاستعدادات اللازمة لذلك .

مصدرها : ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦ محافظة بحر برا - محافظة رقم (١)
تاريخها : ٥ رمضان ١٢٢٦ هـ

مكتبة بكتم محمد علي

سيدى صاحب دولة والطاية والمعلقة والأهبة والى التعم عظيم الجود والهمم .
لقد تلقيت أمركم الكريم الذى تضمنتم ولثرتم فيه إلى أن الحاضرة العلية السلطانية على الرغم مما بذلته من الجهود في سبيل إنهاء أمر المورة منبع لاسد الأمة اليونانية لم يتيسر حتى الآن معالجة هذه الحالة الأمر الذى كان له وقته المولم عند جلالة السلطان . إن جلالتك قد قابلت واهتى المسانحة في القيام بهذه المهمة بالرضاء السلمي حيث وجهت إلى عنكم الوزير المكرم تجلى سعاده إبراهيم باشا والى جدة لقيادة العليا للأسطول الممصرى السلطاني وولاية المورة لادبر شئونهما برأيه المستقل كما عهد إلى سعاده بتلخيص بعض الجزر من الإشباق وقد عين قتي محيته . عدا السفن الحربية العشرة إلى أوفدت إلى الاسكندرية بقيادة البطرولة مسليون^(١) . السفن الحربية العشرة في مياه ياقوه بادره بقيادة خليل بك الجشمه في - وصدر الأمر للكريم الى خليل بك بذلك ، واجتبت ملتصاتي الأخرى التى كان من المستطاع اسماعلى بها ، وقد تضمنتم وتوهمتم كذلك بأن سعيد نور أفندي قد قام إلى هنا لتحمل لسماعة تجلى العرسوم الصادر ' بالتوجيه ' وانتدابه لقيادة المهمة ثم ظلمتم أن يقوم تجلى البشا المشار إليه بمن فى محيته من المسافر والمهمات والعتاد فى أقرب وقت ، وأن يسمي السعى الحثيث لانتهاء أمر المورة وحليرضى جامليجة وصوليحة . ولقد تلقيت كذلك الأوامر العلية التى لوهمتم عنها ووقفت على مضمونها الكريم أقدم لله حضرة صاحب الشوكة والقدرة والى نعمتها ، ومولانا السلطان وأيقناه مدى الدهر على أريكة ملكه متمتعاً بصفاة البذل واستقرار الحال ، وخذل الله أعداء الخلافة والدين والقولة ، ومناهم بتلكت والاضمحلال أمين . إن جلالة مولانا السلطان يطمئنى العبد الذى وقف نفسه لخدمة الدولة العلية الأبدية الدوام والسلطنة السنية السرمجية القيام ، والذى لا يرضى بالنفس والقيص فى سبيل الدولة العلية . وإن الإرادة السلطانية التى تشرفت بتلقياها والقضية بأحالة أمر معالجة هذا الخطب الجميع على نجلى لما تستوجب الفخر العظيم لهذا السعيد بين الأكران ، وتنتج فى نفسى السرور والخيور ولقد رفقت لكف الضراعة إلى الله لعمرة بعد المرة بدوام بقاء جلالتك . إن نجلى المشار اليه ومن فى محيته من المسافر والمهمات والذخائر على استعداد للحركة على نحو ما بيته أخيراً عطوفة نجيب أفندي فيوكتشدا غير أن

^(١) بقصد قتله لضملى البطرولة مطار بك .

السنن السلطانية التي تستعمل إلى هنا بقيادة خليل بك لم يظهر لها أي أثر بعد وهي بعد وصولها إلى هنا لابد من الترتيب مدة من الزمن لإكمال نواقصها وترميم النواحي التي تحتاج إلى الترميم فيها ثم لن السفن التي تقرر إبحارها إلى هنا من موانئ بر الشام لم تصل كذلك ، ولا أدرى ماذا تم بمسندها ، وكذلك السفن المتألمة التي تستعمل من الأستنة وطبها صهاريج الماء لم تدر عنها أي شيء حتى الآن ومن أجل هذه الأسباب تأخر قيام نجفنا إلى ما بعد العيد ، وسيحرك من هنا في اليوم الثاني أو الثالث من العيد إن شاء الله تعالى .. هذا وإني لأرجو أن يتدل نجفنا صلف ولي النعم الجليل الكثير البركات - فإني هو أشد مضاء من الأكبر - حتى ينال النصر وتلكى خدمته الرضاء السامي السلطاني وأخيرا أقررتي لأستطيع أن أفي هذه التطلقات السنية حقها من الشكران والأمر والإرادة لمحضرة صاحب الدولة والعتبة والمعلقة والأهبة ولي النعم عظيم الجود الهم سلطاني

ختم

محمد علي

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- عدم تمكن السلطان العثماني من السيطرة على زمام الموقف في المورة .
- تكليف إبراهيم باشا بتعقب القرص .
- عدم وصول الامدادات العثمانية من السفن والمواني في الوقت المقرر لها ، وتأخر إبراهيم باشا من التحرك بقواته حتى تكتمل الاستعدادات .

وثيقة رقم (٩)

موضوعها : نجاح القوات المصرية في تليب عصاة أهل جزيرة قشون وتمزيق شملهم
وأسر بعض منهم .
مصدرها : دفتر رقم ٦٤ سائر المعية وثيقة رقم ٤٢٦ صفحة ١١٥
تاريخها : ٢١ شوال ١٧٢٦ هـ .

من الجليل العالي (محمد علي باشا) إلى الصدر الأعظم (في الأستانة)
كنت عرضت في كتابي الذي قدمته لأتايك العالية قبلا أن قيام ولدي عبدكم صاحب
المنطقة إبراهيم باشا وإلى المورة وسر عسكر^(١) الأسطول المصري السطلي من هذا الطرف
(مصر) متوقف على ورود الفلوس الماء ، وعلى ورود السفن السلطانية التي هي تحت قيادة
خليل بك الجشمة لي من يالورة (إذ في المورة) ولكننا في هذه الأونة أرسلنا مقدارا كافيًا من
عسكر وسفن لتأديب عصاة أهل جزيرة قشون وتوكلهم عند حدهم فأرسل لنا عبدكم حسين
بك^(٢) قائد العام للعسكر المرسل إلى تلك الجزيرة هذا الكتاب الولود الخيرا المقدم لأتايك
الأسفة وفيه توصيل ما حدث للعصاة المذكورين الذين لم يقدروا أن يشقوا أمام عسكر الإسلام
الذين مزقوا شملهم وفرقوا جمعهم كما أن من بنى منهم فروا نحو الجبل متقنين بالليل طلب
الاستئمان راجين إعادتهم بمدد الأمان ، فأعطى لهم الأمان بشرط الاستئمان ، ولما لم يكن شك
ولا شبهة بأن هذه المأثرة الجليلية ستكون منعمة لتوجهات عظيمة بحسن الله عز وجل وبركة
أناس حضرة السلطان الأعظم وبمن توجهات حضرة ولى نعم (الصدر) قد جسرنا على
كتابة هذا الكتاب وعرضه مبشرين بما هو الواقع وقد غفلنا مما هو تحت أيدي أولئك العصاة
المنحوس خمس عشرة سفينة من طراز بريك وغولت وفرقاطة . وقد كان من لازم النعمة نعمة
الرق والمعونة أن نرسلها إلى ميناء الترساة الصامرة (في الأستانة) ولكن إبقائها بقصد
استخدامها في خدمة نقل المهيات والذخائر العائدة للعسكر الذين سيذهبون بمعونة عبدكم ولدي
صاحب المنقلة إبراهيم باشا والتكون برقة السفن الإسلامية التي ستسكن إلى بحول الله تعالى
وقوته على سفن عصاة جزيرتي جامليجة وصوليجة وبما أنه لم ترد الأذان التي قطعت أثناء
هذه الواقعة . وفي الحرب التي قامت قبلا في جزيرة كريد كما عرضنا تفصيلاتها على أعتابكم
العالية فتمت ورددت قاتنا سترسلها لتطرح على شراب القلعة والصغار وتكون محل العظة
والاعتبار وقد ورد نحو ثلث الفلوس المطلوبة التي هي سبب الألام الأعظم في قيام عبدكم
إبراهيم باشا المشار إليه . ولم يظهر خير عن الثنتين الباقيين وجاء أيضا عبدكم خليل بك
(الشمه لي) هذا ومع أنه من الممكن استخراج عبدكم المشار إليه وإرساله في الحال بدون

^(١) قائد الأطل قنات .

^(٢) بعد ١٤٤٠ محمد علي الذي استطاع القضاء على كريت ، واستطاع فرود معالهم في سنكلية .

النظر إلى عدم الانتهاء من ترميم السفن السلطانية التي هي بعمية خليل بك إلا أن عدم ورود
بقوة القناصل القنصى اترقب وورودها لشدة الحاجة إليها وما نحن بانتظارها حتى هذا الوقت ،
ومعنى ما وردت عن قريب فتناسلوا إلى إرساله من غير توقف ولا إبطاء .
هذا ما دعا إلى كتابة عرضة العمودية وتقديمها لاختاب دولتكم .

يستخلص من هذه الوثيقة :

- استعمال محمد علي قنصل العوا لشدة الحاجة إليها .
- تأديب عصابة أهل جزيرة قاسون ، وقرارهم إلى الجبال والاستيلاء على ما تحت
أيديهم من سفن .

وثيقة رقم (١٠)

موضوعها : محاولة اشقياء البحر الزحف على قلعة أفريريوز وعزيتهم
مصدرها : مخطوطة رقم ٩ بحر برا ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٩
تاريخها : ٢١ ذي القعدة ١٢٣٩ هـ

(من عهد حسين)

حضرة صاحب الدولة والطاية والمرحمة والأبهة والى تسمى
ان قاتف المذائق التي سرغت لجنود أفريريوز من حملة البيوف وسواهم قد ظهر عند
انطلاقها ان رسامها غير جيد حيث ان المسافة التي قطعها هذه القنولات كانت قصيرة
المدي ، ولما انتهى أمرها إلى الباشا قائد البحار .. (قودان باشا) طير خبرها بدوره إلى الساب
المالي وقد ظهرت خيانة اليهودي أن: كوروشجي باشي * (رئيس مسلحة الرصاص) المكلف
برؤية أمور المهمات وقد جن به إلى كنفها المصدر الأعظم ، واستلم عن الموضوع من نظار
المهمات السابقين واللاحقين فكانوا جميعهم يلقون مائة هذا العمل على اليهودي المذكور الذي
تفرغته تولته لاعدائه غير أن هذا الاعداد قد تبدل أخيرا بالنفى . وختم بالشمع على
متزله والمطلل الأكر الساماني :

لما أن شاهد صاحب الدولة الوزير المكرم عمر باشا محافظ قلعة أفريريوز أن اشقياء
البحر يدبرون الزحف على القلعة المذكورة ، ويقومون بالاستحكامات حول جهتها الأربعة
لنقض عليهم بمساركة ، والشك معهم في قتال وإذا ذلك شاهد الاشقياء الكفار أن المساركة من
حملة البيوف أيضا قد خرجوا من القلعة من خلفهم فخرت عزيتهم ، وسرعان ما انقلوا إلى
من لهم وولوا الأديار ، وعلى أثر ذلك ركب الباشا ومن في ميعته من المساركة في المراكب
وطافوا حول الجزيرة وأخذوا يتفقون الاشقياء الذين خرجوا إلى جزيرة خالصة من السكان ،
ولما كان الباشا قد صمم على قتال الكفار فخرج اليهم وأمن فيهم فقتلوا حتى قضى عليهم
جميعهم وقد بعث حضرته إلى هنا بأن الاشقياء التي سلحت فكان عددها ٢٠٠-٣٠٠ رجلا
فوضعت في المكان المخصص لعرضها على الناس وقد علم أخيرا ان الباشا الموما اليه قد
دخل ومساركة لينا حيث عسكر في البساتين القائمة هناك وقد استشهد الكثير من المساركة ايمان
القتال . وقد أجرب مصطفى باشا الأشقودرة في إلى ملتصقه بلاء على الأعداء التي كدها ، وإن
مصطفى باشا والى الروم ليلي قد تحرك من "بلى شهر" ونزل في مكان بعد مسافة ساعة ،
وعر على وشك القيام إلى مقر مهمته وأنه قد فهم من أخبار والى الروم ليلي التي وصلت إلى
حضرته أنه سيرجع إلى الأمام من ثلاث جهات ، وتاريخ ١١ من شهر ذي القعدة الحالي
وصل السمات بالتم في يملون بشرى انتصار دولة الباشا قائد البحار ودخوله ليمساركة ، بتوفيق
الله وبمن الحضرة السلطانية . وقد فرح أهل الاسلام لهذا البشري وكان جلاله السلطان إذ ذلك
قد خرج للقره في غاية السرور القائمة بجوار قوله لى فلم يطل المقام بجلالته هناك لشدة

سرور. وعاد إلى سراى بشكطشي حيث اتم على كل ساع ممن حملوا هذه البشري بفرده قيمتها ١٢٠٠ قرش ثم ٢٠٠ قرش نقدا ، كما اتم على كل من كتفدا الصدر المعالي ورتيس الكتاب (إلنلر الخارجيه) وأثناء الترساة ب ٥٠٠ قرش وخلمه للحمد لله ثم الحمد لله فحن بينما كنا تنتظر في قلق أخبار القتال إذ بهردار الباشا المشار اليه يصل إلينا على عجل ويعلن أن الباشا قد طرد الفلاني لتي يعتمد عليها الكفار وأخرج إليها ٨ آلاف وتيف من عساكر أزمير ، والأرتوط والصنكر حملة السيوف " وإل لبيع " من الغزاة الذين تفضوا على الكفار بينما ظل هو في الاسطول الرابض تجاه هذه العوالي يدير دفة القتال من البحر وقد دام القتال من البر والبحر مدة ٣٦ ساعة دون انقطاع قتل في خلالها ارتوط لأن الذين تمسكوا في الأبرية وأخرت الجبهه خناة التي كانت موجودة في الأبرية وجعل الكفار طمسة للبار ، واستولى على ١١٠ من السفن الكبيرة والصغيرة وعلى أكثر من ١٠٠ مدفع ، وقطعت رقاب ١٠ من الرعاء، كما قطعت رقاب ٦٠٠ من الكفار الآخرين ، وأسر أكثر من ٥٠٠ من الكفار ، وهلم أكثر من ١٢٠٠ من لانهم كما استولى على ٣٦ علما من اعلامهم وعلى غير ذلك من الآلات العربية وقد عرضت جميعها للباس عبرة للسايرين . وفي اليوم التالي اتم الباب المعالي على التوجوقدار بأروة من السمور الفاخر كما اتم على المهردار التوسا اليه باقطاع ابراه السنوي ٢٥٠٠ قرش و ٥٠٠٠ قرش اضلها نقدا ، واتم على كل تابع من التابعه بمبلغ ٢٠٠٠ قرش . وقد ذكر المهردار أن بلاسلى زاده والمكشلى لمدد بك ، وقائد أزمير وكثير من القوساء قد جرحوا ، وأن الذين جرحوا واستشهدوا كثيرين وقوه بما آداء القهرميران كور ابراهيم باشا (الأعشى) من الشجاعة القلقة على الرغم من اضطرابه من حلة عينه والتي عليه كثيرا هذا وفي نحو الساعة السابعة من ليلة الثاني عشر من الشهر المذكور شب حريق هائل في القرن المتصل بخان بالطه جبار الكتان بطريق كلمه قاعة خالتهمت القيران درب طومريق القائم تجاه القرن ، والجهات الأخرى الكائنة حوله ، وقد هدم نصف خان بارطال باشا ، وتلحقه المطبخ من منازل العروحم جابي القدى للجاولة دون سرية النار إلى نواحي أخرى وفي اليوم التالي شبت النار في جهة سلامك الأضواء في القصر الساحلى الكتان بـ " دقتر داريروسى " الخاص بالسلطانة خديجة وقد احترق نصف القصر ، واحترق بداخله أربعة من الفقراء ...

في ٢١ ذي القعدة ١٢٣٩

ختم

حسون عبيد

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- تجاه اليهودى المكلف بتزويد القوات بتقائف البنادق بالخفاة لعدم صلاحية الرصاص الذى سلمه للجند .
- محاولة ألقاه البحر الزحف على قلعة أذربوز وهزيمتهم .
- إرسال ٢٠٠ زوج من أذان الثوار المملوغة إلى الأستكة لرضها على الناس هناك .
- وصول بشرى الانتصار إلى السلطان واتمامه على حاملى البشري بالهدايا .

وشيقة رقم (١١)

موضوعها : محاولات الدول الأوروبية للتدخل في المسألة اليونانية .
مصدرها : مخطوطة ١١ بحر برا - ترجمة قسم الخاص بالموعة من المكتبة رقم ٤٦ .
تاريخها : ١٢ رجب ١٢٤٢ هـ

من مجهول إلى العمدة :

لقد عقد امير فلورنجا والتمسا وروسيا وفرنسا وبروسيا مؤتمرا تناولوا فيه الرأي ثم وضعوا القرار التالي كتبينة لرأيهم القاسد وهذا نصه :
حيث ان الدولة العثمانية لم تكن طيلة هذه السنين باهر كبح جماح رعاياها الذين حملوا ثواب العسيان ، ولم تأخذ خلال هذه امددة بأسباب الإصلاح ، وتوطيد الأمن في البر والبحر ، وحيث انه يلوح من بعض الاثلة ان هذه الدولة لن تعد الى التفكير في مثل هذه الأمور بعد الآن أيضا . وحيث ان هذه الحالة وانضطراب حيل الأمن في البحر الأبيض تشنط كل دولة من دولنا لأن تأتي في هذا البحر ٨ أو ١٠ من سفنها لتتولى المحافظة على مصالغ التجار من رعاياها وفي هذا ما فيه من المنفعة المثلثة التي تتحملها جزائر دولنا بدون فائدة ، وحيث ان شعب الروم كان قديما الدولة اليونانية التي تثلت عليها الدولة العثمانية ، وقطعت لومها مع الأيام وأخرجتها من مصاف الدول وأمنجتها في صفوف رعاياها ، وقد تغلب هذا الشعب الآن على الترك ولأخذ يطالب بحقه في تصرفه بملكه ، وحيث انه مما لا جدال فيه ان هذا الشعب على حق في طلبه بحيث يجب ان يتخلص من وضعه الحالي توطئة لاعادة حقوقه اليه فانه يجدر بنا والحالة هذه ان نتوسط لهذا الشعب لدى الدولة العثمانية في منحها استقلاله واعادة الملكية اليه وان نعملها على ان توافق على ذلك .

وبعد حتى ثلاثة أو أربعة أيام على تاريخ هذا القرار القاسد عباد امير فلورنجا التمسنا ، وكال ان هذه المسئلة من المسائل الداخلية في الدولة العثمانية وليس في الاسول المشبعة ان يتدخل الغير في معالمتها فان لكل دولة منا رعايا فلانا ما أوجب الأمر ان تتدخل لدول في حيل المسائل الداخلية التي تظهر في لية دولة فان الحالة تنوء بذلك ، وهذا ليس من المنطق في شيء ، وإذا فتي مسحت كلاسى ، ورجعت عن رأسي الأول . غير ان ملوك هذه الدول لم يأخذوا بهذا الرأي ، وكأول ان التمسنا دولة ضجعة بالنسبة لنا ونذهبوا إلى ان رجوع ملك التمسنا عن الرأي المتفق عليه بهذه السرعة ، ومن غير ما الكثرات قد يكون مما أوجت به السياسة الروسية ولذا فانهم قد ظلوا متمسكين بقرارهم الأول . وقد أدركت الدولة العلية ان جميع هذه الدول متمسك على ان التمسنا كثيرا قديما الدولة اليونانية ، وتطلب بلسان واحد بوجوب انتهاء الحرب وقرار السلم والأمن ، وقد تصان لتدخولاه الملوك بوزراء الدولة العلية ، بسورة مربة وقال لهم : ان الدول متمسك موافقة الدولة العلية على ان يكون اليونان حكومة ملكية ، ولما كان ليس ثمة أي محور في عدم اجابة هذا الطلب إذ ان الدول لا تقم على عمل أي شيء في حالة الرضا فان الأمر يقضى برفضه في الحال . وعلى اثر ذلك قرر الوزراء العظام ان يكون الرد على هذا الطلب السخيف ان مطالبة أمر الرعايا التمسنا من حقوق الدولة العلية فالحرب القائمة حرب داخلية ولذا فان تدخل الأجانب في مثل هذه الشؤون يعد بالنسبة للحاكتات الدولية وضع في غير محله . فعلا عند سفير فلورنجا في بادى الأمر إلى تقديم تقرير في هذا

المضى . أما روسيا فقد قررت عدم تدخلها في هذه المسئلة وفقا لما جاء في معاهدة القرم
التي اعتبرت مسئلة عصاة الروم من المسائل الداخلية في الدولة العثمانية على انه وان كان من
لظاهر ان روسيا سوف لا تتدخل في هذه المسئلة لكنها لا تقبل من قبل افعال التجنيز
ومماثلتهم المصطنعة قد ارسلت هي الأخرى تقريرها المعامل لتقرير التجنيز . غير أن الرد
على كل حال سيكون الرافض حسبما قرره الوزراء إذ أن هذه المسئلة من المسائل الداخلية التي
لا يجوز لتغير أن يتدخل فيها .

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- استنجد ثوار اليونان بدول أوروبا وتداول القباطنة وملكوك الجبلتار والنمسا وروسيا
وفرنسا وبروسيا في الأمر وتهامهم للدولة العثمانية بأنها لم تأخذ بيد الإصلاح في
هذه البلاد مما عرض مصالحهم للخطر .
- محاولة بعض الدول الأوروبية اقتاج الدولة العثمانية بمنح اليونانيين استقلالهم .
- تردد النمسا في الأمر بحجة عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية ولسررار
باقي الدول على اعطاء اليونان الاستقلال .
- رفض الدولة العثمانية الوسيلة الأوروبية على اعتبار أن تمرد ثوار اليونان ومواجهة
الدولة لهم من المسائل الداخلية التي لا يجوز لتغير التدخل فيها .

وثيقة رقم (١٢)

موضوعها : المتاح قوات ابراهيم باشا الى بعض المواد الخفيفة ، وامداد محمد علي
لهذه القوات بما يلزمها .
مصدرها : دفتر (٢) عاشرين ورقة ٢٢ لمره ١١٠ .
تاريخها : غرة رمضان ١٢٤٢ هـ .

من الذئاب العالي

الى صاحب النولة ابراهيم باشا

كتم لي كتابكم الذي تضمنتم بالرسالة اخيرا الى والكم ان لزمة المون التي يمتونها
الجوش المنصورة التي في قواتكم قد بلغ انفسى حدها وانكم اذا كتمت قد شعرتم قبلا بعقدار ما
عندكم من المون ميلة في كلمة غير انه نظرا لعدم ورود المون من الجزر كما كانت ترد في
السنة السابقة فينظر وقوع ضيق على انكم في ضيق من جهة القنود بمسقة خاصة وانكم ارسلتم
قائمة بكم فيها المون الموجودة عندكم .

و قد علمنا ما جاء في كتابكم ، وبما انه يوجد من القائمة المرسله ان هناك حاجة الى
الملح والسمن والقيق من انواع المون قد كتبنا الى بالل اعلا^(١) ان نمدد مؤننا تكفي لثلاثة اشهر
ويحتملها سقنا للمسلحة نصف تسليم ويرسلها الى طرفكم فلنمنا تصل هذه السان الى طرفكم
تخرجون ما فيها من المون بسرعة وتجهزون السان الوان وتكتفون بهذا القدر الى ان يصل
الاسطول الجديد هذا ما نطلبه منكم . وقد قررنا ان ترسل مركبات سنة واحدة لكيلا تحدثوا
مضايقة من جهة القنود ، وانما لم يكن اكتمال مركبات سنة واحدة الى ان يتم الاسطول فلابد من
ارسال مركبات ثمانية اشهر .. واخيرا نطلب انكم مرة اخرى سرعة تفريغ السفن التي مستعمل
اليكم محملة بالمون واعادتها الى هذا والا قد تتهيز هذه الفرصة للموال عن سعادكم اذا وصل
كتابتنا بان الله تعالى واحفظكم علما بما فيه فاملوا لنا السبل على النحو المقرر فيه .

(١) كاتبة الاموال معروفه به .

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

معاملة قوات ابراهيم باشا في بلاد المورة من نفس في المواد الخفيفة وقيام محمد علي
بامداد هذه القوات بما يلزمها لمدة ثلاثة اشهر ، هذا الى جانب ارساله مركبات الخنود لمدة

وثيقة رقم (١٣)

موضوعها : مقترحات محمد علي للسلمة بشأن قبول وساطة الدول الكبرى ونهاية الأزمات اليونانية سلميا .
مصدرها : دفتر رقم ٢ عاين - ترجمة المكتبة لتركية رقم ٣٢٢
تاريخها : ١٧ ربيع الأول ١٢٤٢ هـ .

من الجنب العالي
إلى : مولانا الصدر الأعظم

إن أوامر دولكم الواردة إلى أولنا وأخرا وعيت مضامينها ، ووقفت على مزاياها حرقيا . فعيدكم هذا هو عيد خالص بيثل الروح فداه ، وأنى اعتبر شخصي مكلنا بتقيد الأزمات الملكية في كل مادة ، لاسيما في مسافة المورة هذه . وبما أنى على يقين من أن الواجب يفرس على أن اعنى بتسخير المورة ، وتأييد أشتباه الروم وأهزمهم ، واستخلاص جامليجه ومصوليجه من أيدي الأشتباه وتطهير تلك الأرجاء من ليران الأروام للقسام ، فإن كل أفكارى التي تساورنى ليلا ونهارا منصرفة إلى حال الأسطول ، وإلى أحوال المكلفين به ، وأيس لدى ما يشغل بالى بحسب المأمورية غير هذه المسألة .

لقد ظننت مما فعلتموه في أترككم الداورى أن الدول قد اتفقت وإن اساطيلهم وشبك وصولها ، وعزمتها الأتباء التي ترامت إلى من الخارج ، إلا أنه لم يمسبني أدنى فتور من ذلك بفضل اسنطاللى بنلال الحضرة الملوكية ذات الكرمات ، ولم اسمح لهمتي والتنافس أيضا في أداء الخدمات التي تقتضيها هذه المصلحة الخيرية وأتمنى أن أبقى ثابتا على العهد من بعد الآن ، وعلى ما أنا عليه ، وأن لفلن دائما موفور السعي طالما كانت الروح في الجسد ، والجسد قوى بالروح ، وأن أقدم على أداء ما يفرضه على الواجب والله ولي التوفيق . . .
ولما كان ليس من العاقل أن يكون اجتماع المتضامنين^(١) في حكومة واحدة لحرارا لقد رأيت أن الاجتهاد العالي القاطعة المبلغنة إلى سفراء الدول التي تقول بحرية الأروام موافقة بالنسبة للدولة والمالك والملة . وأن دولكم بايزادكم هذا الرد قد رفتم من شأن الدولة الطيبة ، ووفيتكم واجبت السلطة السنية . وبما انكم فعلتم القول على ذلك فإن هذا الجيد الخاضع لسلك هذا المسلك وملتج أترككم . فلما بثلت كل قوى أداء الخدمات القبلية المحالة على عهدتى وتجهيز عيدكم محرم بك محافظ الإسكندرية ، وقائد الأسطول المصري العام السفر مقتضا لشر الأسطول الهمانى ، مستدعيته مرارا وطابت منه بلهجة لتأكيد أن يأخذ كفايته من الماء من الشاطئ السفلى (الأناضول) وألا يتهم بل يعمل على الوصول إلى المورة بكلمى سرعة حتى إذا ما تقلل مع نجلى عيدكم إبراهيم باشا حتى ياتعد ما يحتاج إليه هناك ملها في وقت قصير ، وقام يكمل قوته بعد اكتمال نواصسه متوجها نحو جامليجه مدائرة المحاصرتها وإن

(١) لغة يقصد المحكومين .

يضع يده عليها بدون تمهل . ثم زودت اليك القيو .- (أسبوعا درجة ثلاثة ... قائد الأسطول الهولندي) يمثل هذه الوصايا ، وشرحت له كل ما يتضمن بمأموريته . والسامون الا يهملوا هذه الوصايا بل يعملوا على تنفيذها بالتالي قسماهما .

وما أنكم تفضلتم بإرسال صورة من أمركم العالي إلى عيذك لنبينا ليشا المشار إليه فلا يد أن يكون على علم بما حوته من الوصايا السنوية ، والتكبيات العلية وحيث أن عيذك اليك القيوته وعيذك محرم بك وما في معيتهما من سفن الأسطول هناك ، فلا شك في أن نجلا يتولى إيلاهما وما يحتويه الأمر العالي من التعليمات ويعمل من جانبه على إيفاء ما تقتضيه مأموريته . بيد أن هذه المسألة ، مسألة خطيرة وعظيمة جدا ، ولذلك أفضى ليلى ونهاري في لاق ومع لي كنت قبل ورود أمركم السامي الألف الذكر أيضا أوجب اجابات بكل شجاعة على الأبناء التي تراسي إلى عن هذا الموضوع ممن يقدون علينا من أوروبا ويذهبون إليها ، ولولا لي كنت كلما أفكر في صحة هذه الأبناء مساورتي اللقى والألم والكدر ، كما لي خلاصات الأوامر الكريمة التي وردت إلى ملك مرتين ، ضاعفت كدري وعسى . ولقد اقتضى الأمر أن لكتب لأعتاكم الكريمة في معرض الرد ، لكني لم أجرد على التحرير لاني فقدت المقرة على التحرير فكتلا ان هذا الموضوع هو على هذا الشكل أو غيره . وفضلت التحرير إلى التوكثدا بحسبة سرية وبصورة عرض للحالة مشورا إلى بعض ملاح بركري بحسب قصر عظمي ، ثم عدت عن ذلك أيضا ولم أجسر على ارسال ما كتبت ، وبقيت في حيرة من أمرى . . . وإذا وردت أخيرا إلى بعض الرسائل من لدن عيذك ابراهيم باشا ، وسارعت في ارسال الرسالة التي وردت إلى من ابراهيم باشا إلى أعقاب دولكم ، وإلى ارسال المكاتبه السابق لتحريرها إلى عيذك قبولكثدا والتي لم أجرد على إرسالها أولا إليه ، وستعلمون كل بعد الاطلاع على رسالة ابراهيم باشا ، وعلى المكاتبه المرسله منا إلى القيو كثدا

سيدي ا مالا أقول ؟ ... وماذا أستطيع ان أقول ؟ ... ان عمل الدول في الوقت الحاضر لم يعد بمثابة تهويش بل يلوح منه شبح الحرب ا . . . نعم نحن قوم من ارباب الحرب والشرب ، إلا أننا مازلنا في مستهل كتاب الحرب نقرأ في حرف الألف والباء . أما الدول فقد تصورا كتب هذا العلم لئلا يدرناهم بالحرب فاني أرى بحسبة محققة . بحسب ما يعمله على عظمي القاصر ان الأسطول لاخير منها على الإطلاق ، وستهلكه أرواح القتلتون أو الأرحمين ألقا من الجنود الموجودة فيها . وان تنتهي الحرب من بعد ذلك إذ يقفون حجر عثرة في سبيل القوة في سبيل القوة الجديدة التي ستطوى للدولة العلية ، ويمنعون وصول الجنود المنظمة . . . وبناء على ما تقدم كتبت إلى عيذك ابراهيم باشا بالتزيت لحيون ورود أمر كريم آخر من لدن ولي نعم فان كنتم تفكرون في اختيار أعون الثرور في هذا الضلع الجسم لحيون مسلحا وتكونون قد كنتم بما تقرضه واجب النظر في عواقب الأمور . . . وحذا لو عيذك في الوقت الحاضر بالمذاكرة مع دولة فرنسا التي يؤمل منها الصداقة منذ القديم أو مع دولة أخرى يعتمد عليها ، وتوسيطها وإفراج الموضوع في قالب آخر حتى إذا ما صعدت الدولة العلية فيما بعد في ترقية شغلها ، وتنظيم مصالحها تتوصل بوسائل لحد الضرر والانتقام

هذا ما عسى من الملاحظات ، وفي الواقع لا أجد في نفسي اللقاة لحل الأمور المنظمة وهـ . . . ما لي لا بد أن يكون وزراء الدولة العلية أعرف بروح الشئون وأقدر على استخراج النتائج . وولي ما هو لا من قبيل الاخطار يميل على الغفلى وسدقتي ، والرائى الأعلى لمولاتنا فما لنا إلا عبد أمره ، والمفروض على أن أصل وفقا لما يصدر من : ولتكم

بمقتضى الخلاصى . ورأى هذا المايجز انما هو عرض . وعلى كل حال فالأمر والقمرمان
لحضرة من له الأمر .

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلى :

- اعلان محمد على خالص عبوديته وطاعته للسلطنة واستمراره على العهد
- عرضه للحالة الحربية بشكل واضح وتخوفه من تدخل اساطيل انجلترا وفرنسا
وروسيا فى المعارك لصالح الثور
- اقتراحه بضرورة الموافقة على مؤتمر لندن الخاص بمنح بلاد اليونان استقلالاً ادنيا
فى ظل السيادة العثمانية وابلاغ ابراهيم باشا بذلك لئلا يفسر بمقتضى هذه التعليمات .
- التحذير من خطورة مواجهة الدول الكبرى فى البحر خشية خنابح الاساطيل والجنود
وخطورة التنصير بمواقف هذه الأمور .
- اقتراحه بانكالية وساطة النمسا فى هذا الموضوع حفظاً لواء الوجه .

**موقف الدولة العثمانية من توسعات محمد علي
في بلاد الشام
(دراسة في وثائق عابدين)**

تعتمد هذه الدراسة على مجموعة منتقاة من وثائق عابدين الخاصة ببلاد الشام والتي ترجمت من التركية إلى العربية تحت إشراف الحكومة المصرية في عهد الملك فؤاد بهدف أحياء ذكرى والده إسماعيل وجنيه إبراهيم ومحمد علي.

وواقع أن بلاد الشام كانت مطمح لظفر محمد علي منذ حروبه في الجزيرة العربية⁽¹⁾ فقد طلب من السلطان إضافة منصب لواء الشام إلى منصبه والى مصر مبرراً ذلك بإمكانية جمع الجنود من هناك، وتكوين الجيوش لمحاربة رجالات الدعوة السلفية، ولكن طلبه كان مصيره الإهمال.

ولما قامت حرب العورة قرر محمد علي طلبه إلى السلطان بأن يضاف إليه حكم سورية بجانب حكمه لمصر تعويضاً عما تكبده من خسائر في هذه الحرب، ونظراً لرفض السلطان لهذا الطلب للمرة الثانية حاول محمد علي ضم هذه البلاد بالقوة لاستغلال مواردها التي تنقل إليها مصر، وحتى تكون حاجزاً حصيناً بين مصر والدولة العثمانية إذ ما فكرت الأخيرة في محاربهته.⁽²⁾

وعسن للتوقيت الذي اختاره محمد علي لمحاربة السلطان، ومحاوئته اقتصاص بلاد الشام منه فيمكن القول أنه اختار الوقت المناسب لذلك.

⁽¹⁾ لاند رستم: المخطوطات الملكية المصرية - بيان بولاق الشام - بيروت، ١٩٤٠، ص ١١٣ -
⁽²⁾ أحمد الرحمن الرافعي: عصر محمد علي، القاهرة، الهيئة المصرية، ١٩٥٦، ص ٢٤٤.

ففي الوقت الذي كانت فيه الدول الأوروبية منهيمة في مسائلها الداخلية وتتنازع كل منها السيادة على أوروبا بعد تصفية الإمبراطورية النابليونية وفي الوقت الذي أصبحت فيه الدولة العثمانية تمثل رجل أوروبا المريض المتهرك القوى نتيجة الثورات الداخلية التي لاحتها في كل جانب ولحروبها المتعددة التي خرجت منها منهوكة القوى .

وفي الوقت الذي قامت فيه الدولة العثمانية بتصفية الانتكارية الذين كانوا بمثابة العمود الفقري للجيش العثماني انتزع محمد علي حكم مصر كل هذه الفرص لأظهار قوته أمام السلطان محمود الثاني وبخاصة أن جيشه كان في حالة ملية ، ولأنه كان قد اجتذب إليه الأمير بشير الشهابي كبير أمراء لبنان في ذلك الوقت (٢٧) .

وقد نذرع محمد علي في ذلك بزاعة مع عبد الله بلشأ الجزائر والي صيدا (٢٨) الذي كان قد شجع الآلاف من الفلاحين المصريين الهاربين من عسف حياة ضرائب السلطة في مصر باللجوء إلى ولايته ورفضه تسليمهم إليه (٢٩) فانتهم بسوء نيته تجاهه ، وعدم وفائه بدين عليه وابتزاز له لأموال بعض التجار المصريين واستيلائه على تجارتهم في بلاد الشام مدعياً أنها لبعض التجار من أهل نابلس (٣٠) ومساعدته على تهريب بعض البضائع من الجمارك المصرية ، ومن هنا قرر إرسال

(١) نفسه ص ٢٢٨ .

(٢) ولاية صيدا كانت تسمى مكا ولذا سميت أحيانا بولاية مكا .

(٣) Dodwell, H. : The Founder of Modern Egypt A. Study of Muhammad Ali, Cambridge at the University Press 1931 p. 108.

ويذكر محمد كرد علي أن عدد هؤلاء كان ستة آلاف ، وأن عبد الله بكشا امتنع عن تسليمهم لجدد علي بحجة أن قضيتهما يتبعان سلطان واحد . للتسجيل انظر : خطط الشام ج ٢ ، بيروت - دار العلم للملايين ، ١١٧ .

ص ٥١ .

(٤) أسد رستم : المصدر السابق ج ١ ص ١٢١ .

حملة لتأديبه، وعن ابنه إبراهيم باشا قائدا لها وبالرغم من محاولات السلطان العثماني للتدخل لاصلاح ذات البين ورغبته في اطفاء فتيل الحرب بينهما^(١٥) فان محمد علي كان مصرا على تأديبه هذا الوالي، فأرسل طلائع جيشه الى عكا في ١٤ اكتوبر ١٨٣١ فاستولت في طريقها على يافا وحيفا دون مقاومة تذكر^(١٦)، وفي ٨ ديسمبر من نفس السنة ضربت الحملة المصرية حصارها حول عكا وأرسل إبراهيم باشا انذارا الى والي عكا يطالبه فيه بتسليم القلعة حقنا للدماء^(١٧) ونتيجة لرفض عبد الله باشا لهذا الانذار أمر إبراهيم باشا بضرب عكا بالقتل من جميع الجهات^(١٨).

وخرصا على عدم انفلات الأمر من الدولة العثمانية كره السلطان محاولات لراب الصدع بين الجانبين المتحاربين، فأرسل مندوبا الى محمد علي ينصحه بالعدول عن الحرب متعاسفك دماء المسلمين، وخرصا على عدم اطلاق الرعية محذرا له من عواقب الاستمرار في الحرب ولما دارت المفاوضات بين المندوب السلطاني ومحمد علي تظاهر الأخير بالاخلاص للدولة العثمانية، وألح أن الهدف من حربه هو المحافظة على شرف مصر الخالد واعداء مجددها في نيل الدولة العثمانية، وانه في حربه يجارب حاكما - شبه مستقل - خارجا عن طاعة الدولة^(١٩) كما ألح

(١٥) بحافظ عابدين - محفلة رقم ١٤ (بحرياً) - بلخس الوثيقة رقم (٢١) بتاريخ ١١ ربيع الأول ١٢٤٦ هـ .

(١٦) أسد رستم : المصدر السابق ج ١ ص ١٢٨ الوثيقة رقم ٢٤٠ (١٧) نفسه ص ١٢٩ . الوثيقة رقم ٢٢١ .

(١٨) داود بركت : البطل الفاتح إبراهيم وفتح الشام ١٨٢٢ القاهرة : الطبعة الرجائية - د. د. ص ٧ ص ٩ والجدير بالذكر ان القتل وقتل لم تكن سوى كل من العديد والولاء المستدير التي ذلك رتهدم ولا تنفجر .

(١٩) عبد الرحمن الرامس : المرجع السابق ص ٢٥٠ ص ٢٥٢ .

على لسان ابنه ابراهيم بأنه لا مانع من تسوية الموقف اذا قامت الدولة العثمانية بعزل عبد الله باشا والى عكا وتعيين والى آخر حائزاً ثقة محمد علي .^١

ولما تعثرت المفاوضات نتيجة لعدم موافقة السلطان على مطالب محمد علي ، أمر الأخير ابنه ابراهيم بمواصلة الحرب وتشديد الحصار على عكا حتى يتم فتحها غير آبه بنصائح السلطان ولا بوعيده ، ومن هنا اتهمه السلطان ببذخ بذور الفتنة والفساد بين الناس واستصدر فتوى بأن محمد علي وابنه ابراهيم قد خانا الدولة ومرقا عن دين الله وذلك لاستنصار الأتالي ضدعما ، كما أمر بعزل محمد علي عن منصبه ، مما أحدث ضجة عنيفة داخل الأوساط الدينية في مصر حول شرعية حكمه ، وقد واجه محمد علي هذه الضجة بالعنف فأعدم كل من وصل الى مسامحه أنه آثار هذه الضجة ، ومن بينهم بعض علماء الأزهر (٦) .

وتظنرا لفشل المحاولات السلمية مع محمد علي طلب السلطان من والى حلب اعداد العدة لمحاربهه وتأييده في نظير تنصيبه حاكماً عاماً على بلاد الشام ، وأن تكون له اليد الطولى في تصريف أمورها (٧) .

ولكى يتقاضي محمد علي المصاعب التي يمكن أن تواجهه قرأته أمام حصون عكا ، وتوفيرا لجهودها القتالية أوعز الى ابنه ابراهيم بمحاولة استمالة أفرادها من جنود عبد الله باشا بالمال عن طريق دفع رواتبهم المتأخرة ووعدهم بالحماية والتأمينات الكافية ولكن ابنه لم يرحب بهذه الفكرة بل رأى أنه من العار فعل ذلك (٨) .

١ - محافظ عابدين : محفلة رقم ٢٢٢ ترجمة الوثيقة رقم (٥٨) بتاريخ ١٣ رمضان ١٢٤٧ (رسالة من ابراهيم باشا الى محمد علي .
Dodwell : op. cit., p. 110. (2)
٢ - محافظ عابدين : محفلة رقم ٢٤١ ترجمة الوثيقة رقم ٤٤ بتاريخ ٢ رجب ١٢٤٧ = (مكتبه من ابراهيم باشا الى محمد علي) .

ونتيجة لذلك طلب ابراهيم من والده ضرورة الاهتمام بالأسطول المصرى وتجهيزه بالمدافع والأسلحة اللازمة بعد أن أثبت عدم كفايته فى ذلك خصوصاً عكا ، وحتى يستطيع مناوأة الاسطول العثمانى وعرقلة جهوده فى مساعدة المدافعين عن عكا(٤) .

وخلال تلك الفترة بدأت الدولة العثمانية استعدادتها للهجوم على القوات المصرية المحاصرة لعكا بهدف تطويقها وطردها من بلاد الشام مما أدى الى تخرج الموقف ، وجعل ابراهيم باشا يتحرك بجزء كبير من قواته لمواجهة الجيوش العثمانية قبل وصولها الى عكا(٥) تاركاً بعض القوات امام عكا لتتابعه حصارها .

وقد نجح ابراهيم باشا فى - خلال جروبه مع القوات العثمانية- انتزاع طرابلس منهم ، وتعقبهم فى حمص وهزيمتهم فى سهل الزرارة مما أوقع الاضطراب فى صفوفهم وأجأهم الى الفرار(٦) .

وخلال غياب ابراهيم باشا عن قواته المحاصرة لعكا انتهر عبد الله باشا الفرسة فأمر بشروج قواته من معقلها والهجوم على القوات المصرية ، وقد نجح فى تدمير بعض استحكامات هذه القوات وردّها الى الوراء ، مما جعل ابراهيم باشا يسرع فى العودة الى عكا ، ويعيد احكام حصارها برا وبحرا .

ولبأ طال أمد الحصار أرسل ابراهيم باشا رسولا الى والى عكا للتفاوض معه فى أمر الكف عن سفك الدماء ، وبأن يقوم بتسليم القلعة

(١) محافظ مابدين : محفظة رقم ٢٢٢ ترجمة الوثيقة رقم ٥٨ بتاريخ ٢٢ رمضان ١٢٢٧ .

(٢) الراغبى : المرجع السابق من ٢٥٤ .

(٣) سليمان أبو عز الدين : المرجع السابق من ٨٢ - ٨٢ .

في مقابل أعطائه الأمان ، لكن عبد الله باشا رفض هذه الفكرة ، وتمام رجاله باطلاق نيران بنادقهم على هذا المدوب^(٤) ، مما جعل ابراهيم باشا يقوم بالهجوم على القلعة في محاولة منه للضغط على رجالها ، وبالرغم من نجاح جيشه في الاستيلاء على السور الشرقي من قلعة عكا وتدمير المدافع الموجودة عليه^(٥) فإنه لم يتمكن من احتلال المدينة بل تم تراجعه لشدة استتسبال المدافعين ، واصابة بعض ضباطه بجراح^(٦) ، واتخرج الموقف طلب ابراهيم باشا من الأمير بشير الشهابي التقدم اليه - ومعه بعض قواته - الى عكا للمساعدة ، ولا تباطأ الأمير بشير في الأمر شكاه ابراهيم الى والده ، فأرسل محمد علي الى الأمير بشير كتابا يلومه على تأخره وينذره بسوء العاقبة اذا خلف عهده معه ووعد له وتوعد به انه اذا أججم عن الانضمام لابراهيم فإنه سيجرد عليه خصما من الآليات^(٧) لتخريب مساكنه وزرع أرضها تينا ، وقيل وصول هذا الكتاب الى الأمير بشير كان قد تحركت على رأس مائه فارس الى عكا ، ٥٥ .

وبالرغم من ذلك فإن محمد علي كان قلقا من جزاء عدم سقوط القلعة^(٨) وثبات المدافعين عنها مما جعله يستدعي بعض قواته الموجودة

- (١) : محفظ ماينين : محفظة رقم ٢٢٤ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٤٨ بتاريخ ١٠ ذي الحجة ١٢٤٧ مكتوبة من ابراهيم باشا يكن الى محمد علي .
(٢) : لسد رستم ونواد البستاني : المصدر السابق ص ٨٢٢ .
(٣) : محفظ ماينين : محفظة رقم ٢٢٢ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١١٠ بتاريخ ١١ شوال ١٢٤٧ .
(٤) : لسد رستم : المصدر السابق ج ١ . الوثيقة رقم ٢٦٢ ص ١٢٥ .
(٥) : داود بركات : المرجع السابق ص ١١ .
(٦) : محفظ ماينين : محفظة رقم ٢٢٢ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٤ . بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٤٧ .

في كريت للمساعدة ، كما فكر في الحضور بنفسه الى عكا لمراقبة الموقف هناك (١) .

والسؤال المطروح هل ترجع الصعاب التي واجهها ابراهيم باشا وتواته الى مناعة أسوار عكا واستئصال جنودها فقد أم أن هناك أسبابا أخرى .

الواقع أن الخطة التي سلكها الباب العالي ضد محمد علي بتجريده من منصبه وإباحتة دمه ، قد أثارت الرأي العام الاسلامي ضده وشجعت المدافعين عن عكا على الصمود ، وجمعت بعض علماء المسلمين يسيرون لعنايتهم على محمد علي ويتهمونهم بالخروج عن طاعة السلطان مما زاد من اصرار والي عكا على المقاومة .

ونتيجة لطول أمد الحصار ، وعدم قدرة القوات المصرية على اقتحام عكا تزايدت الشائعات بين الناس داخل مصر حول مصير الخطة مما جعل محمد علي يصدر في ٨ مارس ١٨٣٢ أوامره المشددة بحرمات اذاعة انباء حصار عكا داخل مصر ، وبشرب أعناق مروجي الشائعات ولما لم يرتدع بعض المرجفين لأوامره أمر بضرب أعناق أربعة منهم وزج بعشرين آخرين في غيابات السجن ليكونوا عبرة لكل « الذين لا يستطيعون أن يمسكوا لسانهم » وقد عرضت الحكومة على الناس جثتين كتب عليهما العبارة الآتية : « هذا هو العقاب الذي يحل بمن يتولون السوء عن الحكومة خفية » (٢) .

وعن محاولات كل من محمد علي وعبد الله باشا لرفع روح قواتهما الموجودة داخل أسوار عكا وخارجها فقد أرسل محمد علي أمرا الى

(١) محافظ مابدين : مخططة رقم ٢٢٤ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦٧ بتاريخ ١٦ ذي الحجة ١٢٤٧ هـ مكتوبة من ابراهيم باشا الى محمد علي .

(٢) بدير كريبس : ابراهيم باشا - ترجمة محمد بدران - القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٢٧ ص ١٥٦ .

قواته يبلغهم فيه تحياته وثقته فيهم وآماله الكبيرة التي ينتظرها منهم من حيث اظهار الشجاعة وبذل التضحية والثبات والميرة والاجتهاد خلال الزحف على عكا مذكرا اياهم بالانتصارات التي حققوها في العديد من المعارك السابقة ، ومبشرا لهم بقرب سقوط عكا^(١١) .

أما عن عبد الله باشا ، فقد استصدر من علماء عكا ورجال الدين فيها فتوى تتضمن أن من يموت من عساكر محمد علي فمصيره الى النار^(١٢) ، ومن يموت من عساكره فمصيره الجنة وقد استند علماء عكا في اصدار هذه الفتوى على ما أصدرته الدولة العثمانية من أن محمد علي واهل بيته باشا قد خانوا الدولة ، ومرقا عن دين الله .

ولما كان السيف والمنتشاق الضام هما الطريق الوحيد الموصل لتحقيق النصر ، فقد قام ابراهيم باشا بمعاينة الأعمال العسكرية التي كلف بها جنوده ، واتخذ التدابير اللازمة لسرعة نقل ذخائر جيشه ومهمات الى المواقع الجديدة كما هدد المخاضلين من ضباطه بالمقاب الصارم^(١٣) وطالبهم بأن يكونوا متناهدين عندما يحمي وطيس المعركة ، كما استدعى من الاسكندرية الكولونيل « روماي » الايطالي ، الذي كان قد علا نجمه خلال حصار قلعة موسولينى باليونان ، فوصل مع بعض زملائه الى معسكر عكا وبدأوا في تغيير شكل الحصار^(١٤) وبناء طوابق المدفعية المناسبة والاقتراب من سور المدينة حتى تصل قنابل المدفعية اليها بطريقة سليمة^(١٥) .

- (١) اسد رستم ومؤاد البستاني : المصدر السابق ج ٢ ص ٨٢٤ .
- (٢) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٢٥ وثيقة رقم ١٤٠ بتاريخ ٢١ محرم ١٢٤٨ هـ .
- (٣) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٢٤ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦٧ بتاريخ ١٦ ذي الحجة ١٢٤٧ هـ .
- (٤) داود بركات : المرجع السابق ص ١٢ .
- (٥) اسد رستم ومؤاد البستاني : المصدر السابق ص ٨٢٤ .

ونتيجة لتدهور الأحوال في عكا ، وتناقص أفراد حاميتها وقلة المواد الغذائية ، وتفشى الأمراض بين الناس راودت عبد الله باشا فكرة التفاوض مع ابراهيم باشا في أمر الصلح ، فرغم أعلاما بيض فوق أسوار عكا ، وقد وافق ابراهيم باشا على هذه المبادرة وأمر جنوده بإيقاف الضرب خصوصا بعد أن أرسل عبد الله باشا مندوبيا عنه للتفاوض^(١١) ، ونظرا لثمنر المفاوضات عدل حاكم عكا عن فكرة الصلح وبخاصة بعد أن ابلغته الحكومة العثمانية بتقديم قوات جديدة من جيشها لمساندته^(١٢) ونتيجة لذلك أمر ابراهيم باشا جيوشه باستمرار اطلاق النار على عكا حتى يتم فتحها عنوة^(١٣) ، وقد أخذت هذه القوات تصلى عكا نارا حامية ليلا ونهارا لمدة ثلاثة أيام متتالية وبعدها قاد ابراهيم باشا الهجوم على عكا ، وبعد كثر وفر تمكنت القوات المهاجمة من المسعود الى القلعة عن طريق برج الباب وناحية الزاوية وأخذت في التشديد على المدافعين حتى ضعفت مقاومتهم^(١٤) وظهر الضجر والسآمة عليهم وسقط العلم من أيديهم وتم احتلال القلعة^(١٥) في ٢٧ مايو ١٨٣٢ ، وبذلك زالت أكبر العقبات أمام القوات المصرية الزاحفة على بلاد الشام بعد صمود دام أكثر من سنة شهر .

- (١١) حيدر الشهباني : من تاريخ الأمير حيدر المسمى الروض النضر ج ٣ ، القاهرة - مطبعة السلام . ١٩٠١ ص ١٠٢٢ .
(١٢) سليمان أبو عز الدين : المرجع السابق ص ٨٠ .
(١٣) حيدر الشهباني : المصدر السابق ص ١٠٢٥ .
(١٤) محافظ ملبدين : محفظة رقم ٢٢٤ ترجمة الامادة رقم ١٣٠ بتاريخ الأحد ٢٧ ذي الحجة ١٢٤٧ هـ .
(١٥) محافظ ملبدين : محفظة رقم ٢٢٤ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٥١ بتاريخ ٢٠ ذي الحجة ١٢٤٧ هـ (مكتوبة من ابراهيم باشا الى سليمان بك) .

وعن الموقف الدولي تجاه فتح عكا ، فقد انزعجت الدول الكبرى من انتصارات محمد علي فأبدت روسيا قلقها ونظرت اليها بعين الخوف والوجل ، كما أخذت بريطانيا تعيد حساباتها حول النتائج التي يمكن أن تترتب على استيلاء محمد علي على بلاد الشام ؛ أما فرنسا فقد كانت علاقاتها الودية مع محمد علي تجعلها تملك وسائل اقناعه بالاعتدال خشية استحصال الخطر الروسي .

وفيما يلي تعرض لوثائق هذا الموضوع

وثيقة رقم (١)

موضوع الوثيقة : رغبة الباب العالي في حسم النزاع بين محمد علي

ووالي عكا بالطرق السلمية .

تاريخها : ١١ ربيع الأول ١٢٤٦ هـ .

مصدرها : محافظ بحريرا محفظة رقم ١٤ .

من مجهول الى الجنب العالي

« بناء على مايتدو من جنابكم العالي من امارات التفصيل بالأخذ في أسباب تأديب والي عكا وسوق القوة عليه بقصد التنكيل به ، وذلك نظرا لتضيقكم عليه وحدث بعض ما يؤدي الى اشتداده من الأسباب هذه المرة قد أرسلت محررات من قبل المقام القائم الى مقامكم البرقيع والي الوالي المشار إليه في سبيل صلاح ذات البين وبهذه المناسبة أقول : ان ذاتكم الخديوية الحميدة الصالح لمستم مثل غيركم في وجه من الوجوه ولا سيما ان حضرة صاحب الجلالة بيلطان السلاطين لا يرضى مطلقا بما يزعج خاطرهم التسلي على ما استمعوه وحيثه هذا العاجز ولذلك أكد الى الوالي المشار اليه بان يكون في حالة الانتقاد ، ثم ان اهتمام جنابكم العالي بموضوع تأديب والي عكا يفتنم مشغلة أخرى على ما يشغلكم من الشواغل الكثيرة المهمة من جهة ويؤدي الى اختلال (الأمن والنظام) في تلك النواحي من جهة أخرى وخصوصا يفكر في هذه الأيام في تعديل إيالة الشام وبقاء الاحتماب في الشام الشريف ولكيلا يمتد الاحتلال الى الشام الشريف أيضا بسبب عكا فلو تفضلتم وعملتكم في هذا الموضوع بمقتضى الكتاب القائم على لئال عملكم هذا القبول والتقدير وارتياح جلالة السلطان هذا ما فهمته من كلام بعض الواتقين على لدينات الأمور وبسبب الغال لبيان الواقع وبعد فالأمر بيد حضرة من له الأمر » .

يستخلص من هذه الوثيقة رغبة الباب العالي في اصلاح الامر بين محمد علي ووالي عكا حتى لا يخطر الأمن والنظام في بلاد الشام .

وثيقة رقم (٢)

موضوع الوثيقة : محاولات تسوية النزاع بين الدولة العثمانية ومحمد
على بالطرق السلمية ، وتحضير إبراهيم باشا لوالده من
مراوغة الباب العالي خلال المفاوضات .

تاريخها : ٢٣ رمضان ١٢٤٧ هـ .

مصدرها : محافظ عابدين : محفلة رقم ٢٣٢ : ترجمة الوثيقة رقم ٥٨ .

من سمو إبراهيم باشا السر عسكر

الى الجنب العالي :

« هذا ما بيديه عديكم :

تلقيت أمر دولتكم الصادر في ١٧ من رمضان ١٢٤٧ وتلونه
بالاجال والتعظيم وقد جاء فيه انكم اذا كنتم تعدون العدة من أجل
ايفاد عديكم بهرام آغا الخزينة دار^(١) الى الأستانة اقترح المأمور
نظيف أفندي^(٢) على دولتكم أن يذهب اليها مع اثنين من رجال دولتكم
المعتبرين في سير سريع للتوفيق بين هذا الاختلاف وحله ثم يعود
وانكم ناظرون في هذا الشأن ومنجزون ماثيبه هذه الأقوال التي
قيلت . وقد يخطر ببالي يا مولاي ، أن الأمور مصطفي أفندي المشار اليه
أراد أن يمحس ما في ضمير دولتكم بسؤاله . ألا يصح أن تولي الدولة
على عكا بعد فتحها وزيراً يتبع رضوانكم ؟ وقد سبق أن دار هذا

(١) خزينة مأخوذة من الكلية العربية خزانة ، وكلية دار فارسية بمعنى
مستأجر أو مدير .

د عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مخترى عليها
ج ١ ، ص ٥٦٦ .

(٢) مصطفى نظيف أفندي أحد رجال الدولة العلية ورئيس محاسبة
الحرسين .

الحديث بيننا وبين برتو أفندي^(٣) فلو قيل له يا أفندي لقد كنت رفعت إلى المتامات العليا وبينت لها « اني لست طامحا في عكا وانما تريد أن يزلوا عنها هذا السفينة ولهم الخيار في تولية وزير مناسب وارساله وليأخذوا الخزينة التي يجدونها في عكا ان شاعوا » واني لم أزل تاويا هذه التبية ، وكان عرضي من هذا أن أحفظ لمصر شرفها ومكانتها في ظل الذات الشاهانية بهذه الوسيلة وأن أقدم للدولة العلية خدمة بهذه الملائسة واللنا^(٤) من الأمور التي زعموها وذهبوا اليها لم تكن من الشؤون التي تقع بخا دي ، ولقد التصمت قبل ايام اسناد ولايتي صيدا والشام الي تكهما من الذات الهمايرنية . وانما قلت عذا بنية خالصة هي القيام بالخدمة نحو ديني ودولتي عامرا تلك الديار وعملها أحوالها . ولقد أصلحت أمور جزيرة كريت دون أن يدعي أنه أحد^(٥) حتى صارت الي هذا المسير الحسن فليستردوها اذا شاعوا . اما اذا شاعوا أن تصبح أكثر عمراثا فليتزوكها لنا . فهذا أمر منوط بعشيقية الدولة العلية وحدها . أما اذا أرادوا أن يطعنوا في أو يسوقوا على جنودا متخذين وسائل من هذه المقاتلات فليعلم أن يفكروا في العاقبة التي تترتب على ذلك . لاننا نضطر بلا حرية الي عمل ما نستطيع عمله غير ملتفتين اذ ذلك الي أي شيء من تلك الاعتبارات . . فاني لأظن على ما يجزم به عقلى القاصر أنه لن يجد اجابة على هذا التصريح وأما مصطفى أفندي^(٦) فقد يفهم من اقتراحه السفر والعودة مع اثنين من رجال دولتكم الاعتبارين انه يعمد الي خدعه يريد التخلص بها اذ أنه لم ينبئ أن تكون هناك حاجة الي سفره مرة أخرى الي اسطنبول والعود منها لانجاز المهمة وفنائها ، ولأن الموفدين حتى الآن لانجاز مثل هذه

(٣) كتبخدا المصدر الاكمل .

انظر : اسد رستم . المصدر السابق ص ١٢١ .

(٤) كذا في الأصل ولعلها اللغو .

(٥) يقصد بدون اراءة دهاء .

(٦) يقصد مصطفى أفندي نظيف .

المعالم قد قضا مهمتهم كتابة ولم يدعوا الى رجوعهم الى اسطنبول . ولا يبعد أن يقصد هذا من رغبته في السفر الى اسطنبول مع اثنين من رجال سمورك المعتمدين محض اقتناعهما بزخرف الكلام وملا أدمنتهما كما يشاءون وتدوين أسئلة أساتذتهم^(٧) واجوبة هذين الرجلين وأذاعتها في كل جهة اتهاما لمصر ثم أعادتهما الى مصر ليعترعا فيها ما على به دماغهما ليكونوا رابعين من هذه الوجهة أيضا . ولئن أرسل نفر من رجال دولتكم المعتمدين لا يبيططيموا مجاوبة أولئك القوم فلذلك أفضل أن يتدب الموفدون من صغار الرجال إذ كان أريد من انتداب رجل أو رجلين ، لكي يحدثوهم كما طموا وصفوة القول يؤخذ من ظواهر أحوال مصطفى أفندي وأطواره ، ومن كلمات رجال اسطنبول المتطويصة على الفساد ومن ضمانتهم الطبيعية ان حكومة اسطنبول اتهمت في هذه المسئلة سياسة ذات وجهين فانتدبت مصطفى أفندي مزودا بخدع ودسائس لاكتساب الوقت وتنفيذ أغراضهم الأصلية إذ نحن أقمنا ما هنا عند عكا ، أو محاليتنا إذ نحن لم نقدم عندها ، ريثما يجدوا وسيلة لوقف زحفنا الى الأناضول وتوغلنا فيها توغلا بليغا . ولذلك لنا سمعوا اشاعات مبالغ فيها عن الفتشيل الذي أصاب أصحاب السفن المصرية في ضرب عكا فإلوا هذه من فرصة هزيمتهم التي يتبعى انتهازها ونوسلوا بتحقيق أغراضهم المشؤومة التي كانت تكنها صدورهم من قديم الزمان . وهذا أمر معلوم ظاهر من أعمالهم وخرجاتهم وأطوارهم ولئن نظرنا الى انهماك حكومة اسطنبول ومبالغتها في اعداد الاسطول والى دعوتها والى سلسرة دعوة خاصة وشعوله بالعطف والاکرام الى هذا الحد وتنزيلهم جنودا الى سواحل انطاكية والملاكية فلا يبعد ان يتصدوا مصر بأسطولهم مباشرة في حين سوقهم علينا جنودا نذلانيين وغير نظاميين من جهة البر منتظاهرين بأنهم يقصدون بر التمسام ونفهم من قرائن أحوالهم أنهم ما داموا لا يخالفون بأس الاسطول المصرى

(٧) كذاوردت واطلها اساتذتهم .

يحكم الأشاعل المبالغ فيها التي سموها ففى أمكانهم أن يرسوا أمام
الاسكندرية أو أبو قير أو بورلس (٨) ودمياط ان لم ينزلوا جنودا الى
السواهل المصرية وهم يزعمون أنهم يقدرون بذلك على منع نقل الذخيرة
والمهمات الى هذه الجهات كما يستطعمون اغواء أهل البلاد وتحريفهم .
والحق أن اسطولهم لو خرج بسرعة فاحاط بنا ولم نأتنا قبل ذلك من
الذخيرة ما يكنينا نحو أربعة أشهر أو خمسة فانهم يستطعمون أن
يخرجونا هائما ويذيقون ضائقة شديدة ولا ريب أن الذى يحصى السواهل
المصرية ويمنعها من حصارهم ويحول دون رسوهم فى أى جهة كما
يرومون ودون انزالهم الجنود ، انما هو الأسطول المصرى وامراء أنهم
يخشونه فلستم دولتكم فى حاجة الى من يعلمكم بل أنتم أعلم من كل
أحد بوجود اعداد الأسطول المصرى فى اقرب وقت عاريا من كل زينة
وزخرفة مكتفين بالأعمال البخارية واخراجها الى عرض البحر ، ولا
يخفى على دولتكم أن ذلك من أهم الأمور لذلك نرجو من عمم دولتكم أن
تعدوا (٩) القياق الثلاثة فى اقرب وقت دون أن تلفوتكم دقيقة واحدة نظرا
لما تقتضيه الأحوال مهما أمكنكم على أن لا تنشأ فيها غرق بل تنجز أعمالها
طبق أصول عبدكم لحاج عمر (١٠) فتخرج الى البحر ؛ وان لا توقف كل
سفينة أعدت وتم بناؤها فى ميناء الاسكندرية بل تخرج الى رحسة
الاسكندرية فتقوم بالتدريب والتعليم ويؤخذ من أحوال والى الشام
والسائفة التى يعانها بأن أخذ الألفين وخمسمائة أردب الشعير المجموع
فى قلعة مزيرب (١١) ومجموع البرغل الموجود بها لنفقات الحج ونقلها
الى الشام وصرعها فيها بسبب التقط الذى أصابها ، ونظرا لأن المبالغ

(٨) كذا فى الأصل ولعلها البرلس .

(٩) بارجة كبيرة دخلت البحرية المصرية فى أيام سيزيزى .

(١٠) من أهلى الاسكندرية . كان مهندسا بارعا فى فن بناء السفن ،
كما كان صاحب ادارة ومعرفة فى فنون البحر للفاصيل انظر : الراعى .
المرجع السابق ص ٢٤٩ .

(١١) تقع المزيرب شرقى بحيرة مطرية .

المغنية المرصودة لأجل الانفاق نقداً قد نقصها أربعة آلاف كيس ، ونظراً لعدم مهالاته واهتمامه بذلك يؤخذ من كل ذلك أن الحجاج المسلمين ليسوا بمعابري طريق الشام في هذه السنة المباركة فهل يؤذن إلى الحجاج المسلمين بأن يسافروا عن طريق مصر أي أن تكون نحن قدوة في الأعلان بأنهم ليسوا مسافرين عن طريق الشام ، فهذا أمر مترط باقرار ارادتكم السامية ، ولما كان كلا من الآليين المشيخه المرابطين بجزيرة كريت مدرباً أحسن تدريب فاني اظن أنه يحسن لو اعيد إلى الاسكندرية فيعسكرها بها وبأبو بكر ولا سيما الآلي الثاني الذي يعادل الآلين . من أجل هذا يفضل أن يرجعنا إلى مصر ويرابطا بها . ويقول عبدكم عثمان بك^(١٣١) أن في مستطاع وادكم مصطفى باشا أن يدير الجزيرة المذكورة مع الآلي الحادي عشر والجنود السكبانية^(١٣٢) والفرسان الموجودين في معيته ويظن انه اذا وضعت على هذه الصورة عشرة بلوكات من جنود الجهادية ، وبلوك البلطجية^(١٣٣) في قلعة حانيا وستة بلوكات في قلعة رسو وارملتان في قلعة قندية ووزع الجنود

(١٣١) هو عثمان نور الدين اميرال اسطول المصري .

(١٣٢) السكبان تعني كلاب الصيد ، وكانت هذه اللقطة تطلق على ملوئنه من الجنود غير النظميين .

الشناوى : المرجع السابق ج ٢ ، ص ٧٤٠ .

(١٣٣) فرقة عسكرية تعنى قتلعى الأشجار ، لها عن كابة بلطجى فهي شائعة الاستعمال في الوقت الحاضر وتعنى الشخص المنحرف ذا القوة العضلية الذى لا يكتفك بالخروج على القانون في سبيل تحقيق اهدافه .
للتفاسد بل انظر : د. عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية - دولة اسلاجية مفترى عليها الجزء الأول القاهرة - الاتلو المصرية - ١٩٨٠ ، ص ٤٧٤ - ٤٧٥ .

الأخرون انسكابيه^(١٥) والفرسان في خارج البلاد بالنسب التي تقتضيها الأحوال واتباع ولدكم ممسلي بلنا الحكمة والتدبير في أعماله فلا يشقى خال على ادارة تلك البلاد . والأمر لحضرة من له الأمر عند اطلاع دولتكم على ما تقدمناه .

سلام على ابراهيم

الخاتم

(١٥) سبق التعريف بهذه اللفظة .

يستخلص من هذه الوثيقة :

انه في محاولة لتسوية النزاع بين الدولة العلية ومحمد علي باشا عكا اقتراح ابراهيم علي والده انه طالما ان الهدف من حرب عكا هو عزل واليها عبد الله باشا والمحافظة على ايجاد مصر في ظل السلطنة العثمانية فانه يرى ان تعيين وال جديد من قبل الدولة العثمانية على عكا يكون حائزا لثقة محمد علي سيكون له حلا للمشكلة . وحذر ابراهيم من مراوغة الدولة العثمانية في المفاوضات بهدف اطالتها حتى تعيد حساباتها العسكرية ، وتتكن من ايقاف تقدم الجيش المصري كما حذر العثمانيين من اللجوء الى القوة مهددا لهم بسوء العاقبة . وناشد ابراهيم والده الاهتمام بالاستطول المصري ، وسحب بعض القوات المرابطة في كريت للمساعدة في حروب الشام .

وثيقة رقم (٣)

موضوع الوثيقة : فرمان^(١) من السلطان العثماني محمود الثاني بإسناد
منصب السر عسكر لبلاد الشام الى محمد علي باشا في نظير
اعداؤه العدة لطرد محمد علي من بلاد الشام .

تاريخ الوثيقة : آخر شوال ١٢٤٧ هـ .

مصدرها : محافظ عابدين . مصفظة رقم ٢٣٢ ترجمة الوثيقة رقم ١٦٠

« فرمان سلطاني الى محمد علي باشا والي حلب ورقه وسر عسكر
بر الشام » « الدستور الكرم ، نظام شؤون العالم ، مدير امور الجمهور
بالفكر الثاقب متمم مهام الأتنام بالرأى الصائب ، ممدد بنيان الدولة
والإكتيال مشيد أركان السعادة والاجلال ، المحفوف بمتنوف عراطف
الملك الأعلى والي حلب ورقه الحالي وسر عسكر سواحل بر الشام وسائر
بلاد العرب^(٢) أدام الله تعالى اجلاله .

أعلم اذا بملك هذا التوقيع الرفيع الهاميوئي^(٣) اني لا أسندت
الى عهد ليافتنكم ولاية حلب مع منصب السر عسكر لبلاد الشام احسانا
هاميوئيا متى وأصدرت في ذلك أمرا شريفا وأرسلته اليكم ذكرت فيه
مفصلاً وموضحاً أن سوق الجنود من مصر على مكا يخالف رضاعنا السلطاني

(١) فرمان هو الأمر السلطاني الصادر عن الديوان الهاميوئي في
الاستتابة .

(٢) يقصد بلاد الشام .

(٣) التوقيع الهاميوئي هو العلامة الملكية التي توضع على فرمانات ،
علما بان لفظ هاميون نارية الاصل ومعناها القموي مبارك أو حسن الخط
أو متنس .

Gibb, Hamilton and Harold Bowen : Islamic Society and the
West Vol. 1, Part 1 p. 47.

من كل وجه فكتب كتاب من لدن قائمقامي⁽¹⁾ يتضمن النصح والتذكير
منعاً لسفك الدماء بين الفريقين ولتقاء أطلاق الرعية وإزعاجهم كما أوفد
أحد رجال الدولة العلية إلى مصر لهذا الغرض . وقد رأينا مع ذلك
لوازم الحزم والاحتياط فأعدنا معدات قوية بسرا وبحراً ، وأبتدنا
مهمات كلية لكي تنفذ فيه حكم الفتوى الشريفة التي صدرت فيه إذا هو
لم يرجع عن طريق غيه وبغيه ولم يسحب جنوده متبعاً في ذلك التسويات
الشيطنانية فجددنا جنوداً من جميع أنحاء الأناضول والروم إلى⁽²⁾
واليوسنة وبلاد الأرنؤوط والأستانة وأنشأنا آليات وجملناهم تحت
أمرتك وأرسلناهم مع الوزراء الذين انتدبوا لتأييدهم والرجال
الجزيرانية وسائر المأمورين ولفقتنا ترتب النبأ الذي يأتي من مصر
فجاءت منه عريضة قبل أيام سرد فيها أذاراً واهية ومطالب غاسدة
فأجبناه بأن اجابة مطالبه أمر محال بل فوق المحال وأنقرناه وخامة
العاقبة مرة أخرى وأردنا أن نوقفه ونذكره . ولكن لم يأت منه رد حتى
الآن كما أنه قد أظهر بدلالة القرائن الحالية أنه سيظل مكباً على الفساد
الذي ألقاه ومصرأ على مخالفته وطغواه ، أنضرب عن كل هذا صفحاً فإنه
تد حال بين الحجاج الموحدين الذين هم مفاخر الإسلام وبين سفرهم
وقدمهم في هذه السنة المباركة فأظهر مبالغته في القيام بأعمال البيه
والطغيان ، ولم يقدر التعم التي نالها هي ظل شوكتنا الشاهانية ولا شكر
مساعدتنا السلطانية فكان اجتساره آخر الأمر على انتراف الأعمال التي
لم يسبق لها مثيل قط من الأمور التي لا تقبل التأويل ولا التفسير .
ولكن لم يدخل بعد ذلك في دائرة الطاعة والانقياد دخولا حقيقيا ومن
صميم قلبه ولم يسحب جنوده المخذولين إلى حيث أتى
بهم لأرئيسه قسوة سلطنتي القاصرة كما هو مفروض على ذمتي

(1) قائمقام لقب اصطلاحي يطلق في العادة على من يقوم مقام أحد
النساء غيابيه .

(2) تعنى ولايات الروم وتكتب أحيانا الروميلي .

الشاهانية لذلك كان مما اقتضته إرادتي الملكية أن يسير المأمورون من
غورهم هذا برا وبحرا يسير سريعا فينفذوا ما أمروا به . فأرسلت أوامر
عليه شاهانية الى كل من المأمورين فردا فردا بموجب خطي الهمابوشي
ألقرون بالمعابة الذي زاد صحيفة الصدور والسفوح شرقا فلذا أحطت
بما تقدم تفصيله أنت أيها السر عسكر المشار اليه فأعلم أنك لا كنت
مشمولا بملطنا وأعجابنا من بين وزرائي العظام الممهورى السيرة
ووكلائى الفخام المرضى الأكثر لا اتمتت به من كمال الغيرة والشجاعة
وما عرفت به من حسن الروية والالهام بتصريف الأمور وما شهد لك
به حتى الآن من الهمة والصدافة فقد نصبتك سلطنتى السنية سر عسكر
مستقلا لخدمة بلاد الشام باستقلال تام وترخيص كامل على أن يكون
لك الخيرة فى الاحسان الى الذين يجاعدون معكم ويخدمون بالصدافة
فى تصريف كافة الأمور التى تختص بمنصب السر عسكرة الخطير ولا
سيما فى أموركم ، وفى تأديب الذين يجرأون على العمل بما يخالف
الرضاء وتنكيلهم كائين من كانوا ، وفى منحكم من تروته استحق رتبة
من رتب باب دولتى العلية بالخدمة والصدافة الرتبة التى استحقها
وابلاغ أمره باب سعادتى كتابة مبينين أسماءهم والقاهم لكى تصدر
الراسيم اللازم اصدارها ونرسلها اليكم ، وتصارى القول فيما يتحق
ببلاد الشام من عزل ونسب ونفى وتأديب وترقية فيكون كل من شرك
وشكائتك مثمرا لدى مقامنا الشاهانى . ولا يخرب عن ذلك الصدافة
أنك بماكتر اوصافك الحميدة مشمول بحسن توجيهاتى الشاهانية وبوثوق
واعتماد واعتقاد من لدن ذاتى السلطانية . واعلم لأن تقوية نفوذك من
وجه وشدة عضدك انظارا لقدرتك أمر ملتزم لدى ذاتنا الملكية فأرجو منك
وانتظر أن تظهر صدافتك وغيرتك فى هذا الشأن وغيره من الشؤون
بهفتنى جوهرة لياقتك المكتونة فى ذلك وما اتمتت به من الشجاعة
والدراية . فاذا أوصل اليكم أمرى الشريف فخطيكم أن تصحبوا الوزراء
والميرميرانية وسائر الموظفين لميبتكم فتبدلوا همتكم وجهودكم فى هزم
جنود الموجودين من حلب لغاية طرابلس وحول عكاه . وقد صدر

فرماني السامي متضمنا تأكيد انتدابكم واستقلالكم . فامرك أن تعمل
بمضمون هذا فرمان الواجب الاتباع والامتثال الذي صدر على الوجه
الذي تقدم عندما يصل اليك وأن تعتمد على العلامة الشريفة .
تحريرا في أواخر شوال سنة سبع وأربعين ومائتين والقب

طبق أصله العالي الفقير اليه	قائمقام
عز شأنه كياني زاده السيد شرف	القسطنطينية الحروسية
الدين المولى خلاله بجهاء عفى عنه .	

يستخلص من هذه الوثيقة ما يأتي :

أ - بعد قيام محمد علي بهجومه على شكا ارسل السلطان العثماني
محمود الثاني ترماتا الى والي حلب أوضح له فيه ان ما حدث يعتبر مخالفا
لرؤسائه ومع ذلك فإنه حقا لدماء المسلمين حاول أن يحل المسألة مع محمد
علي بالنصح والموعظة والنهي من العواتب ، فإذا فشلت هذه الطريقة
معه فلا يمر من اعداد العدة له وتواجهته بالقوة .

ب - اتهام السلطان لمحمد علي بنكران الجليل ، ويذكر بتور الفتنه
والفساد بين الناس ويمنع هجاء بيت الله الحرام من أداء الفريضة .

ج - تعيين السلطان لوالي حلب في منصب سر عسكر بلاد الشام
في نظير اعداد العدة لبحاربه محمد علي وطرد جنوده من بلاد الشام .

وثيقة رقم (٤)

موضوع الوثيقة : فتوى فحواما أن من يموت من عساكر عكا يدخل الجنة
ومن يموت من عساكر مجد على يدخل النار .

تاريخها : بدون .

مصدرها : محافظ عابدين . مخطوطة رقم ٢٣٥ صورة المرقق العربي
للوثيقة ١٤٠ .

« ما قول الأعلام عنى عنوم الملك السلام

فى خارجى خرج عن طاعة الامام السلطان الأعظم وجمع له أقراما
كثيرة وخرج من موضعه يريد سبي أبناء الاسلام وسفك دماهم واستباحه
أموالهم وأعراضهم وجبن عدة العرب والقتال للاسلام ، وصدر الأمر
الملوكى الخافقنى بالنفير العام لردده وزجره وردعه عما هو عليه فهل
يجب على الخامس والعام من كافة ديار الاسلام قتاله وردده وردعه عما
هو عليه فاصد له ، وهل اذا هلك أحد منهم يتكون الى النار واذا مات أحد
من أبناء الاسلام الرادين له فى الجهاد يكون شهيدا ومثواه دار النعيم
أفيدوا بالجواب ولكم الأجر والثواب من الملك الوهاب .

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

حيث الحال كما هو مقرر فى السؤال ، وصدر الأمر الملوكى بالنفير
العام لقتال هذا البياغى الخارج عن طاعة الامام يجب على كل مسلم قتاله
ومن كان موافقا له فيما قصدوا ان مات أحدا من المجاهدين يكون فى

الجنة ولا كلام وإذا ملك أحد منهم وممن وافقه على ما يريد في النار
دار الجحيم والله أعلم .

الفقير إليه عز شأنه
الشيخ محمد الفندي الشافعي على عنه

الفقير إليه عز شأنه
السيد محمد أفندي المغربي الحسبي
المالكي على عنه

الفقير إليه عز شأنه
السيد الحاج محمود أبو الهدى
قاضي عكا عفا عنه

الفقير إليه عز شأنه
السيد سعد أبو الهدى التاجي
مفتي عكا على عنه

يستخلص من هذه الوثيقة :

أن علماء عكا استندوا في فتواهم بدخول من يموت من يدافعهم الجنة ،
ودخول من يموت من قوات محمد علي النار على أن السلطان كان قد أعلن
حياته محمد علي للدولة ، وبروته على دين الله وعزله .

أرسل أخيراً عيدكم اليك الموقر إلى داخل القلعة لتبلغ عيدانك باشا مغادرة القلعة حالاً، فبعد أن غاب اليك هناك زهاء ساعتين إذا بعيدانك باشا يرسل إلينا كتاباً تحريراً بإرسال بضع دواب لركوبه ولركوب كتحذاته وبعض خدمه، فأرسلت إليه بضع دواب في هذا السيل . ثم حضر الباشا عندي خارج السور ومعهم سليم بك ونحو عشرة أنفار من عبيد الباشا، فركبنا كلنا فوصلنا الليلة، ليلة الاثنين في الساعة الخامسة والنصف إلى قصر البيجة، كما أننا الأهالي والعساكر كذلك، فأنهت هذه المشكلة وفي الحمد هكذا بفضل همه مولاي ومزجه المتينة فبادرت إلى تشيير مولاي بهذه البشري العظيمة ، وعلى كل فالأمر للمولاي في كل الأحوال .

٢٧ ذي الحجة سنة ١٢٤٧

ختم : موسم هي إبراهيم

وثيقة رقم (٧)

موضوع الوثيقة : فرج الدولة العثمانية بسبب سقوط عكا .

تاريخها : محرم ١٢٤٨ هـ .

مصدرها : مفاظ علبدين - محظلة رقم ٢٣٥ ترجمة الوثيقة التركية
رقسم ٢٨ .

ترجمة الكتاب الرومى العنبرة^(١) الوارد من الفواجة توتنيجه
بإسطنبول في اثنى عشر يوماً في ليلة أول أمس ، وصل الى هنا رسمياً
نبا الاستيلاء على قلعة عكا فحدث هزة عظيمة لدى الدوائر الحكومية
شملها ياس وحزن شديدان فدعى القوم كتحدا نجيب افندى الى البان
المالى وتلد نشانا واحداً ومصدر اليه الامر بان يسافر مع الجيش ويلحق
بالنيز عسكر حسين باشا^(٢) وليس يعلم احد الامر الذى دعى من اجله
نجيب افندى . ولم يكن ينتظر احداً فتح قلعة عكا فورود خبر الاستيلاء
عليها الا ان اطلق بال الدولة العلية اقلاناً حقيقياً بالغاً للغاية . ولم يعامل
تابع نجيب افندى القادم من مصر الى اسطنبول حاملاً المكاتبات بأى
معاملة فنترك على حاله . هذا وقد ذهبت اليوم الى الترسانة لبعض
شأني ، ولم أر فيها أثراً من العناية والنشاط اللذين كانا يسودانها قبل
خمس أيام لاعداد السفن المتأخرة واخراجها الى البحر بسرعة والذي

(١) يقصد به المکتوب باللغة التركية ، وكلمة الروم حسب المعنى
الشائع في ذلك العصر يقصد بها الدولة العثمانية .

(٢) من اعلام المسكرين العثمانيين ، وكان ذراع السلطان من الخلفى
من الانتكارية وعب له السلطان ولاية مصر وكريت اذا استطاع هزيمة
الجيش المصرى ، ولكن البطولة التي ابدعها رجال الجيش المصرى
والانتصارات التي حققوها قد حالت دون ذلك .

للتفصيل انظر الرافعى : المرجع السابق ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

وايضاً : الشناوى المرجع السابق ج ١ ص ٥٢٢ .

يبدو من الفرائض الحالية أنه صدر أمر بالحدود عن أعداد السفن والرأى
السائد بين الجمهور أن السطول أسطنتبول لا يريد أن يكون عاملا
لاشارة الحرب . ولكن داخلهم يخوف . بالغ من جراء سفن النار الجارية
الانشاء هناك متسائلين عن الغاية المشوذة من انشاء هذه السفن .

وفي ظنى أن الدولة العلية ستعرض للصلح عما قريب ، وليسيب عرض
الصلح من جانبها يلاحظ أن الجانب المصرى يقابل هذا العرض بالاياء
ويظهر شيئا من الدلال . والانباء التي تصل الينا من الأناضول تفيد أن
الجيابكر المجتمعمة فيه تعاني أزمة شديدة في المؤن والمهمات وبقية اللوازم
وفي النفود بصفة خاصة إذ لم يصرف للجيش منذ سافر من هنا الى الآن
الإ مبلغ ثلاثة آلاف كيسه . ويشعر خسرو باشا في هذه الأيام
بخوف شديد .

فالوقت الطلى أنضى الأوقات بالنسبة له فان له عدوا هائلا وينا
على هذا السبب لا يغيب عن حضرة السلطان حقيقة واحدة .

يستخلص من هذه الوثيقة :

مدى الباع والفرع الذى أصاب العثمانيين نتيجة لسقوط عكا .

من انتصارات الجيش المصري

معركة نصيبين (نزيب)

أولا : مقدمة تحليلية

سيطرَت المِسكرية المصرية صلحة مضيئة ومشرقة في معركة نصيبين (نزيب Nezip)^(١) التي دارت رحاها في يونيو ١٨٢٩ بين القوات المصرية الحديثة العهد والجنسية النظامية^(٢) والقوات العثمانية التي تم تزويدها بالعديد من الشيراء الروس والألمان^(٣).

وعلى الرغم من تفوق القوات العثمانية من ناحية العدد والعدة وبخاصة اللقعية فإن الجيش المصري كان ياقوق جيش العثمانين في شواحي النظام

١ - يسمونها المؤرخون العرب نصيبين نسبة إلى مدينة تقع شمال شرقي حلب ويسمونها الأتراء والأوروبيين نزيب وكان العديد من الرحالة أمثال ابن جبير والقزويني قد زاروها وقد وصفها ابن جبير بقوله إنها مدينة " شهيرة المتلة والقدم .. وتلف بها عن يمين وشمال مساتين ملتقة الأشجار .. وتلق عليها رونق المضارة وإن كان شعث اليابسة يفر عليه "

انظر رحلة ابن جبير - تطليق حسن لسان - القاهرة مكتبة مصر - ١٩٥٥ كما وصفها القزويني بقوله إنها مدينة عامرة كثيرة المياه والأشجار والمساتين .

انظر زكريا بن محمد القزويني : انوار البلاد وأخبار العباد بيروت - دار بيروت للطباعة والنشر - ١١٠٤هـ/١٩٨٤م ص ٤٦٧ .

٢ - يرجع ذلك الى حرمان الأتراء ومن قبلهم المماليك الأبناء مصر شرف الانتماء إلى الجندية .

٣ - محمد كرد علي : خطط الشام ج٢، دمشق: مطبعة التراثي ١٣٤٢هـ، ص ٦٧ وكان من أبرز هؤلاء الشيراء القائد الأتلي الشهير " فون مولك" للقاصيل انظر - عبد العزيز الشلوبى: القوة العثمانية دولة إسلامية ملقرى عليها ج١ ص ٥٥٥ .

وقوة التدريب والمران وبراعة القيادة^(١) هذا بالإضافة إلى معنوياته العالية ؛ خاصة وأن القوات المصرية كانت قد خرجت طافرة من جميع المعارك التي قاتلت فيها العشائين في بلاد الشام^(٢) مما زاد من ثقتها بنفسها وقيادتها التي خاضت معها المعارك ورفعوا معا أعلام النصر من قبل^(٣) .

والدراسة التي بين أيدينا تعد الثالثة ضمن سلسلة الدراسات التي أخرجناها عن وثائق عابدين الخاصة ببلاد الشام في عصر محمد علي ، والتي كان باكورتها دراسة صدرت تحت عنوان " الجيش المصري وفتح مكة " ثم تبعتها دراسة تحت عنوان " ثورات البروز والموازية ضد حكم محمد علي في بلاد الشام " وها نحن أولاء نقدم الدراسة الثالثة عن انتصار الجيش المصري على القوات العثمانية في معركة "كرب" ومستبها بدراسات أخرى إن شاء الله .

وهذه الدراسة كسابقاتها تعتمد على مجموعة منتقاة من الوثائق المصرية المحفوظة أصولها - المكتوبة باللغة التركية القديمة - في دار الوثائق القومية بالقاهرة^(٤) والتي تم ترجمتها في عصر الملك فؤاد^(٥) ذلك الملك الذي

- ١ - عبد الرحمن الرافعي عصر محمد علي، القاهرة: النهضة المصرية، ١٩٥١ ص ٢١٦ .
- ٢ - عبد الرحمن زكي : التاريخ العربي لعصر محمد علي الكبير - القاهرة - الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م ص ٤٦٠ .
- ٣ - الرافعي : الرجوع السابق ص ٢١٦ .
- ٤ - برزت هذه الوثائق باسم وثائق عابدين نظرا لأنها كانت تحفظ بأحد بيوت قصر عابدين بالقاهرة ، ولما نقلت بعد ذلك إلى دار الوثائق القومية احتفظت باسمها القديم .
- ٥ - ترجمت هذه الوثائق ترجمة دقيقة إلى اللغة العربية حيث كان يعود إلى مترجمين بترجمة الوثيقة الأصلية ، وبعد ذلك يقوم مراجع بإعادة النظر في ترجمتها وإشغال ما يراه لازما من تعديلات ثم يوضع بعد ذلك على صيغة ما تم ترجمته .

اقتن عصره بالنهضة العلمية والأدبية التي ظهرت في مصر إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، والذي وجه جلّ عنايته إلى الدراسات التاريخية الخاصة بفسرته وذلك لإحياء ذكرى والده "اسماعيل" وجديه "محمد علي" و "إبراهيم".

وتتضمن هذه المجموعة من الوثائق عدد (٦٦) وثيقة تشتمل على تقارير حربية خاصة بالجيش المصري توضح مراحل الاستعدادات لمعركة "نزيب" سواء من الجانب العثماني أم من الجانب المصري هذا إلى جانب مراسلات متعددة من كبارهم باشا "إلى" محمد علي "لرئته إلى قواده وجنوده أو من قواده وكبار رجالاته إليه . ونظرا لأن الوثائق تعد من المصادر المهمة والعظيمة القيمة والفائدة ، خاصة وأنها تعبر عن روح العصر الذي كتبت فيه ، وتكشف لنا بصورة قاطمة العديد من الأحداث التي لا يروى إليها الشك وتصور الحياة اليومية وتحدد التواريخ والأماكن بطريقة واضحة كما أنها الأصول التي يصعب كتابة التاريخ الصحيح أو تطبيق الحوادث التاريخية بدونها لما تتسم به من الأصالة والتفرد والعناء حيث تقدم العديد من المعلومات ذات الفائدة لتاريخ بلاد الشام السياسي في النصف الأول من القرن التاسع عشر بصفتها شامدا معاصرا لوقائمه التاريخية ونظرا لكل ذلك فقد استعدنا على النصوص الكاملة للوثائق الخاصة بهذه المعركة ، كما قمنا بدراستها وتحليلها ونشرها كاملة كما هي دون زيادة أو نقصان حفاظا على روح النص (١).

١ - من المعروف أن لغة الوثائق بصفتها عامة تكثر باللغة التركية من حيث الأخطاء الإملائية ، ووثيقة البسطة وطواها .

وقبل أن نترك هذه الوثائق لتحكي لنا الاستعدادات العربية لهذه المعركة وتطورات أحداثها نود أن نشكر أنه بتقدينا للمكتبة العربية هذه الدراسة الوثائقية التي تتصل بوحدة من أهم المعارك التي تلتقت التوازن الأوربي والسكاة الشرقية فإنا نهدف من ذلك تقديم العديد من النروس ، والمصحات المستفادة ، من هذه المعركة حتى تستفيد منها الأجيال الحالية والمستقبلية، ويكوّن التاريخ المصري بمثابة المدرسة التي تتعلم منها الأجيال على مدى العصور والعصور ، وفيما يلي نعرض لموضوع الدراسة .

بعد قبول السلطان المماليك لصلاح " كوثاغية"^(١) في مايو ١٨٢٣ بدأت آمال محمد علي تكوين دولة مستقلة تمتد حدودها إلى أقصى بلاد الشام شمالاً وتبلغ واشنطن العراق ، وبعلا فانتج محمد علي الدول الكبرى بشأن تطلماته هذه ، ولكن مخطتها وخاصة إنجلترا عارضت في ذلك أشد المعارضة وحضرت محمد علي من عواقب هذه الخطوة ، وهدته باستخدام القوة إذا تمسك برأيه^(٢) بينما تحققت بعضها مثل فرنسا على مثل هذه التطلمات . وقد

١ - يفتقد هذا الصلح الفتح الطرفان على إختلاف قوات محمد علي لإقليم الأناضول وإيمانها إلى ما وراء جبال طوروس في نظير أن يفتح محمد علي ولاية مصر طوال حياته . ويتم تعيينه على ولايات الشام الأربع (دمشق وحلب وكمكا وخرابلس) وعلى جزيرة كريت ، وأن يعين ابنه إبراهيم وأبنا على إقليم ألبنة . وسميت هذه المعاهدة بمعاهدة كوثاغية نسبة إلى المدينة التي كان بها إبراهيم باشا عند توقيعها .

٢ - لقاصيد ذلك انظر بوير كرايبينج : إبراهيم باشا - ترجمة محمد بدران - القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٢٧ ص ٢٢١ .

استقلت القوة العثمانية ذلك الموقف، وبدأت في استفزاز محمد علي والتحرش بقواته الراكبة في بلاد الشام، ولما كانت الحرب واقعة لا محالة بين الطرفين فقد بدأت القوات العثمانية تستنزف القوات المصرية وتغير على مواقعها . كما بدأ محمد علي يطالب السلطان "محمود الثاني" بأن يكون حكم مصر والولايات الشامية التابعة لها وراثيا في ثورته مما أغضب السلطان، وجعل يسرع بإعلان الحرب عليه فبعث إلى بلاد الشام بجيش كبير في عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م مجهز بالمطعمية تحت قيادة "حافظ باشا" يصحبه أربعين مهنسا روسيا وروسيا^(١)، وقد أخذ هذا الجيش في استفزاز القوات المصرية، والاعتداء على بعض مواقعها، وتحريض الأمازيغ على الانتفاض عليها .

وبنتيجة لذلك زحف "ابراهيم باشا" إليهم بقواته المكونة من أربعين ألف مقاتل^(٢) حيث تجمع الجيشان بالقرب من سهل "تريب" ولما ذاع خبر تقدم الجيشين أمام بعضهما واستعدادهما للقتال طمحت أنظار دول أوروبا إلى ما يكون وراء هذه الحركة من النتائج المهمة التي ربما انقلب بسببها التوازن بين "محمد علي" والسلطة العثمانية . وانتقل مركز الخلافة من الأستانة إلى القاهرة^(٣) وشكوا من سوء العاقبة لوثبتهم من انتصار المصريين على

١ - محافظ مابدين : مطبعة رقم ٢٥٧ - ترجمة الوثيقة ١٢٠-٩ بتاريخ ١٧ من ربيع الأول ١٢٥٥ هـ .

٢ - محمد كرد علي : المرجع السابق ج٣ ص ٦٣ .

٣ - محمد فريد : الهيبة الترابية في تاريخ مؤسس العائلة العلوية القاهرة ، مطبعة بولاق ١٣٠٨ هـ ص ١٣٦ .

الأتراك، وتمكنهم من تهديد أمن الدولة العثمانية في عقر دارها . ونتيجة لذلك حاولوا إيقاف الحرب ، وحرصوا على ألا تكون القوات المصرية هي البائدة بالهجوم^(١) فطلبت روسيا من " محمد علي " أن ترتد قواته نحو دمشق ووجهته بأن تبتذل نفوذها لدى السلطان لتقتمه بسحب جيوشه من الحدود السورية. كما طلبت فرنسا من السلطان أن يتجنب نشوب حرب جديدة ووجهت مثل هذا النداء إلى " محمد علي " .

ورغبة من " محمد علي " في كسب ود الدول الكبرى وعدم إغشائها فقد كانت أوامره إلى " إبراهيم باشا " واضحة في عدم البدء بالعوان ، كما كان رده على هذه الدول يتضمن رغبته في السلام بشرط ضمان عدم اعتداء العثمانيين على قواته . ومساندة الدول الكبرى له في مطالبه بشأن مسألة وراثة الحكم وتوطيد دعائم أسرته وعلى الرغم من تعرض العثمانيين بقوات " محمد علي " فإنها تحملت كثيرا حرصا على تنفيذ أوامره ولكن ازدياد تحرش القوات العثمانية بالقوات المصرية ومهاجمتها لبعض فرق الجيش المصري في " عينتاب"^(٢) واجتيازها نهر الساجور^(٣) وتخطيها الحدود المرسومة في اتفاق " كوتاهية" واحتلالها لقرية " تل مباشر " وإثارتها للفتن بين القبائل في بلاد

١ - نفسه ج١ ١٢٨ - ١٢٩ .

٢ - منطقة قريبة من الحدود التركية . وتكتب عين تاب أيضا .

٣ - يمر بمدينة عينتاب ويصب في نهر الفرات .

الشام ، وقيامها بتوزيع الاسلحة عليهم^(١) لشن عصا الطاعة على القوات
الاصورية قد جعل " محمد علي " يغير من موقفه تجاه مهادنة الثورة العثمانية
فكتب رسالة إلى ابته إبراهيم في العاشر من يونيو ١٨٢٩ يأمره فيها
بمخاربة الأتراك وسحق جيوشهم ماداموا لم يرأعوا اليهود والمواثيق ، وحتى
لا يقلت منه زمام الموقف فقال " إذا استمرت في شطه الصبر والتريت التي
جريتنا عليها فلن نستطيع أن نوقفهم في المستقبل لأنهم سينشرون الفوضى
في كل مكان تكريجيا ، ولقد نترعنا بالصبر والحكمة حتى لا نقاوم رغبة
القول العظمى ، فانتبهز أعداؤنا هذه الفرصة ليتقدموا قبلت الحالة ميلغا لم
يعد لها علاج فإذا تريثنا أكثر مما فعلنا أضمننا الوقت ، وهذا لا يلائم
موقفنا فلم يبق أمامنا سوى أن نتجه إليهم ونهاجمهم وبما أن الاعتداء يجيء
من ناحيتهم لعمما لا ريب فيه أن القول العظمى ستعزتنا وتتصقتنا ، والخلاصة
أنه عندما نتلقى هذا التفراغ نشرع في مهاجمة قوات الأعداء التي دخلت
أراضينا ، وعندما تطردهم نرحف على جيوشهم الكبير وتتارله^(٢).

ومن هذه الرسالة يتضح أن " محمد علي " كان قد فاض به الكيل من
مراوغة العثمانيين له ، مما جعله يتخلى عن وعوده القول الكبرى ، ويتناسى

١ - محمد راجح : تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، القاهرة، مطبعة الشعب
الطبعة الأولى ، ١٩٢٠ ص ١٢٩ .

٢ - محافظ عابدين : مطبعة رقم ٢٥٧ وثيقة بعنوان الجناب العالي إلى السر مسكر
بتاريخ ٢٩ ربيع الأول ١٢٥٥هـ .

سياسته نحو مهادنتهم ، ويأمر ابنه برد الأتراك على أعقابهم . وتخطى الحدود إذا اقتضت الضرورة .

ويذكر لنا الوثائق أنه نتيجة تشجيع العثمانيين لأهالي القرى المجاورة لتزيب على الثورة ضد القوات المصرية بتقديم الأسلحة، وبذل الوعود المتعددة لهم قام هؤلاء بتقديم المساعدات مثل المؤن والعلب وغيرها إلى الجيش العثماني على حين كانوا يمنعونها عن القوات المصرية^(١) مما أدى إلى قيام الإدارة المصرية بتهديد مشايخ هذه القرى بالعقاب إذا أستمروا على هذا الموقف. يضاف إلى ذلك أن أهالي قرى "جيتاب" أعلنوا ولاعهم للعثمانيين ، وتحصنوا في الجبال لمواجهة القوات المصرية^(٢) وإلى جانب ذلك فقد أمد القائد العثماني "حافظ باشا" أهالي القرى المجاورة لتزيب ببعض الأسلحة والمعدات لمساعدته في طرد القوات المصرية ونتيجة لذلك نجح أهالي قرية "أورل" في السيطرة على ١٤ قرية مجاورة لهم، وإعلان ولائها للعثمانيين^(٣) . ونظراً لخطورة الموقف وتطوُّراته المتلاحقة فقد رأت القيادة المصرية

- ١ - محافظ عابدين : رقم ٢٥٧ . ترجمة الوثيقة - ٢/٢٧/١٠٠ بتاريخ ٢٦ صفر ١٢٥٥ هـ تحت عنوان "واقف بعض أهالي القرى القريبة من تزيب بجانب العثمانيين" .
- ٢ - محافظ عابدين : محظلة رقم ٢٥٧ . ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢٢/٢٧/١١٥ بتاريخ ١٠ ربيع الأول ١٢٥٥ هـ تحت عنوان "التسامح بعض أهالي القرى إلى العثمانيين نتيجة للشوف من تهديباتهم" .
- ٣ - محافظ عابدين : محظلة رقم ٢٥٧ وثيقة رقم ٢/١١٩ بتاريخ ٥ ربيع الأول ١٢٥٥ هـ تحت عنوان "استيلاء القوات العثمانية على بعض القرى المجاورة لتزيب" .

شروية سحب أهالي القرى القائمة على الحدود إلى الخلف ، ومهاجمة القرية التي تقوم بأى حركات معادية ضد القوات المصرية * ومحو أهلها كلياً (١٢).

ولما كان موقف القوات المصرية يقتضي التحقق من الأمر فقد أرسلت القيادة المصرية عينها للتحرف على تحركات الجيش العشائى (١٣) واستطلاع مواقعه ، والطرق التي يسلكها حتى يتحدد على أثرها مواطن الضعف والقوة فيه ، فذهب بعض هذه العيون إلى مكان مرتفع بالقرب من الحدود الفاصلة بين القويتين حتى يتمكنوا من استطلاع الأمور هناك (١٤) ، وبالفعل تمكنوا من وصول بعض النوريات العشائية إلى " نزيب " ، ونسبها للقيام (١٥) وقيامها ببناء الاستحكامات وإقامتها للعديد من العراس على الطرق والروابي الواقعة بجوار قرية " أول (١٦) ليلا وأنهم استطاعوا بمساعدة القائد الألماني الشهير

- ١ - محافظ عابدين: مخططة رقم ٢٥٧ وثيقة رقم ٧/١١١ بتاريخ ١٦ ربيع الأول ١٢٥٥هـ تحت عنوان الاستعداد لمواجهة بين القوات العشائية وقوات محمد علي في نزيب.
- ٢ - محافظ عابدين: مخططة رقم ٢٥٧. ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٠٠/٢٧/١١٥ بتاريخ اربيع الأول ١٢٥٥ هـ تحت عنوان تزايد الشائعات حول وصول الجيش العشائى إلى نزيب.
- ٣ - محافظ عابدين: مخططة رقم ٢٥٧. ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢٧-١١٥-٥ بتاريخ ١١ من ربيع الأول ١٢٥٥هـ تحت عنوان " تزايد الشائعات حول وصول القوات العشائية إلى نزيب " .
- ٤ - محافظ عابدين: مخططة رقم ٢٥٧. ترجمة الوثيقة ٢٧-١١٥-٨ بتاريخ ١٢ من ربيع الأول ١٢٥٥هـ تحت عنوان " ثبت العين والجواسيس لاستطلاع أخبار القوات العشائية " .
- ٥ - محافظ عابدين: ترجمة الوثيقة رقم ٢٧-١١٥-٦ بتاريخ ١٢ من ربيع الأول ١٢٥٥هـ تحت عنوان " معاينة قوات محمد علي لمواقع القوات العشائية في نزيب .

١٧٠ هـ فون ملنكه^(١٧) وبعض الشباط الأنان اختيار مواقع مريحة لهم عند
تزيب^(١٨).

والجدير بالذكر أن الأمر لم يتوقف على استعانة الجيش العثماني
بالشبراء الأنان بل تعداه إلى الاستعانة بالشبراء الروس ويؤكد ذلك ما ذكرته
أحدى الوثائق من أنه كان يوجد في غرفة عمليات القائد العثماني بعض
الشبراء الروس الذين كان يؤخذ رأيهم في كافة الأمور العسكرية . ولا
يستطيع القائد العثماني مخالفة أي رأي لهم^(١٩).

ومن أعمال القتال وتطوراته بين الطرفين قتلنا الوثائق أنه قبيل
اندلاع المعارك بين العثمانيين والمصريين حدثت عملية فرار لبعض الجنود من
كلا الطرفين إلى الجانب الآخر فقام بعض أفراد الأي الفرسان الخامس
العثماني بالفرار إلى المعسكرات المصرية بكامل أسلحتهم وظهروا بالاتحاق
بالجيش المصري^(٢٠) . كما هرب بعض الجنود والشباط من الجيش المصري
والتجؤوا إلى المعسكر العثماني وحاربوا في صفوفه^(٢١).

١ - طار صيته في الأناضول خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وكانت له اليد
الغرى في انتصار بلاد على فرنسا خلال الحرب السبعينية .

٢ - لتفصيل ذلك انظر - كرايبتيس : المرجع السابق ص ٢٢٧-٢٢٨ .
٣ - محافظ مايدين : مطبعة رقم ٢٥٧ - ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٢٠ - ٩ بتاريخ ١٧
من ربيع الأول ١٢٥٥ هـ تحت عنوان " محاولات تقصي أخبار القوات العثمانية
الرابطة في تزيب "

٤ - محافظ مايدين : مطبعة رقم ٢٥٧ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١١٥-١٢٧ بتاريخ ١٢
ربيع الأول ١٢٥٥ تحت عنوان هروب بعض أفراد الجيش العثماني إلى المعسكر
المصري .

٥ - محافظ مايدين : مطبعة رقم ٢٥٧ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١١٥-١٢٧ بتاريخ
١٠ من ربيع الأول ١٢٥٥ هـ تحت عنوان " هروب عبد طواشي وأخو زنجي من تزيب "

وتحدثنا الوثائق أن " إبراهيم باشا " خرج على رأس قوة لاستكشاف مواقع العدو ، وأنه بعد أن اكتشف بالمنظار قوة المعسكر العثماني ، وصعوبة مهاجمته من الأمام أو الجناحين رأى ضرورة قيام قواته بحركة الالتفاف للوصول إلى خلف مواقع العدو حتى يضطر إلى ترك مواقعه المحصنة إلى أي مواقع أخرى أقل تحصيناً .

وفي الحادي عشر من ربيع الثاني ١٢٥٥هـ الموافق الرابع والعشرين من يونيو ١٨٣٩م عبر الجيش المصري جسر نهر مزار وبعد أن نجح في إتمام حركة الالتفاف حول القوات العثمانية أشار الضابط الألماني " ملكة " على حافظ باشا القائد العام للقوات العثمانية بالتقهقر إلى بلدة " بيير " تفادياً من وقوعهم في الشرك الذي نصب لهم إلا أن القائد العثماني عارض فكرة التقهقر معارضة شديدة ، وقال قائله المشهورة " ماذا يقول على التاريخ إذا تقهقرت ؟ " وانشأ المشايخ الأتراك إلى رايه وقالوا " إن الترك لا يوافقون الألبان أبداً " وكانت النتيجة كارثة على الجيش التركي حيث اشتبك الجيشان عند سهل "زريب" من أعمال البيرة على الفرات في معركة حامية الوبطيس استمرت حوالي ثمان ساعات ونصف ، وكان بدايتها هجوم القوات المصرية وقع على أثره الانسحاب بين صفوف الجيش العثماني وتضاعفت أركانه ، وبحر فرسانه وقائمه ، وولى رجاله الألبان^(١) بعد أن قتل منهم ما بين ستة آلاف وأثنى عشر ألف مقاتل^(٢) ووقع في الأسر ثمانية آلاف أسير^(٣) هذا

١ - كرايبس : المرجع السابق ص ٢٤٠ .

٢ - محمد كرد علي : المرجع السابق ج٢ ص ٦٢ .

٣ - كرايبس : المرجع السابق ص ٢٤٢ .

إلى جانب العديد من الجرحى كما استولت القوات المصرية على عشرين ألف
بندقية ، ومائة وأربعون مدفعاً بذخائرها^(١) وكذلك استولوا على خزنة الجيش
الذى لم يتمكن الترك من أخذها بعد هزيمتهم ، وكان بها من التقد ما قيمته
سنة ملايين فرنك^(٢) هذا إلى جانب استيلائهم على خيمة " حافظ باشا "
المزخرفة بما فيها من أوراق رسمية ، وخطوط وخرائط ووثائق وأسلحة
ومراسلات^(٣) .

ويعد هذا التصور اللين الذى حققه الجيش المصرى جئش " إبراهيم
باشا" فى خيمة القائد التركى يكتب لوالده وأسفا تفصيل الحركة وكان مما
قاله له "رئيساً جيشنا فى صفوف القتال تجاه الجيش العثمانى فى ضواحي
قرية " نزيب " بالأراضى التابعة للشام ، وعلى مسافة بضعة فراسخ من
الفرات ، وكان جيشنا مؤلفاً من ثلاثين ألف جندي نظامى ، وكان جيش العدو
مؤلفاً من تسعين ألف جندي نظامى وغير نظامى ... وتفرق هذا الجيش كان
تاماً وسريماً . بعد معركة دامت ساعتين وكان هجومتنا عليه من كل ناحية فى
وقت واحد ، وكان على قيادة الخيمة "محمد باشا" وعلى الميسرة "سليمان باشا"

١ - ينكر كرد على أن العدد كان ١٦٦ مدفعاً على حين ينكر الرامسى أن مجموع المدافع
التي استولت عليها القوات المصرية بلغت ٧٤ مدفعاً فقط .
انظر خطط الشام ج٢ ص ٦٢ . وتاريخ الحركة القديمة بتطور نظام الحكم فى مصر
ج٢ ص ٢٠٦ .

٢ - الرامسى : المرجع السابق ج٢ ص ٢٠٦ .

٣ - عبد الرحمن زكى : التاريخ العربى لمصر محمد على الكبير ، القاهرة دار
المعارف ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠ م ص ٤٧٧ .

أما أنا فكنت أتولى قيادة القاب ... وإنى لود أن أقتنى أثر الأعداء ولكنى لا أجد منهم أحدا .

وهكذا أصبح إبراهيم باشا سيد الموقف بلا منازع ، وأصبحت الأبراب القلبية إلى عاصمة الخلافة مفتوحة على مصراعها لاستقبال القوات المصرية الطاهرة التي لم يستطع أن يمسد أمامها ما يوقف سيرها أو يبعد من تقدمها^(١) مما أكد مدى ما وصلت إليه العسكرية المصرية من تقدم في العلوم والتكتيكات العسكرية الحديثة . وأثبتت قدرتها على تحمل التكريرات الشاقة التي مكنتها من تحقيق ذلك النصر .

ويعد هذا النصر المؤزر طلب إبراهيم باشا رأي والده في اجتياز جبال طوروس والتقدم إلى الأستانة التي أصبحت مفتوحة أمامه ولكن والده طالبه بالترفق خشية العواقب ومغباتها .

والسؤال المطروح هنا هل كان جديرا بإبراهيم باشا أن يواصل انتصاراته ويتقدم إلى عاصمة الخلافة ولا يرتبط بعجلة والده السياسية أم كان يتردد في الأمر خشية العواقب والتقلبات الدولية كما كان يرى والده .

يرى البعض أنه كان جديرا بإبراهيم باشا ألا يعبأ بالمفاوضات والارتياكات السياسية ويواصل انتصاراته حتى يدخل الأستانة ويمضى إرادته من هناك^(٢) ويفاجئه أوروبا بتكلم السلطان مما يشطرها للتسليم بالأمر الواقع .

١ - كرد على : المرجع السابق ج٢ ص ٥٥ ولتفاصيل انظر أيضا الفريد بايز : محمد على وأوروبا - ترجمة ريتيه ويجورج قلاوي ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٢ ص ١٣٣ .

٢ - عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ص ٤٢٨ .

ويرى البعض الآخر أن خوف محمد على من تدخل الدول الأوروبية كان له ما يبرره وخاصة أنه كان يشعر بأن أوروبا لن تسمح له بتهديد مصالحها والقضاء على كيان السلطنة العثمانية الذي ترى فيه عاملا في حفظ توازن القوى مما جعله يؤثر المفاوضات . ويحاول الوصول إلى صلح عن طريق التفاوض والتفاهم مع الأوروبيين وساعده على ذلك شعوره بأن استيلاء ابنه إبراهيم على مناطق جديدة قد لا يستطيع الاحتفاظ بها طويلا بعد من الأمور التي تقلل من شدة انتصاراته وتضعف من موقفه^(١) .

وفي رأينا أن محمد على أخبطا في إرساله الأوامر لابنه إبراهيم بالتوقف بعد انتصاراته الهائلة في نزيب واوكان قد سمح له بالتقدم والزحف إلى الاستانة لوضع الدول الأوروبية أمام الأمر الواقع . ولأصبحت شروط التسوية في صالحه .

وبلى كل حال فبعد هذا النصر الكبير توشيح لنا إحدى الوثائق أن السلطان العثماني " محمود الثاني " قد وافقه القية في ١٩ من ربيع الآخر ١٢٥٥هـ الموافق أول يوليو ١٨٢٩ قبول أن تصل إليه أخبار هزيمة قواته . وأن هذه الهزيمة للقاجات قد أثرت على مجرى الأحداث الحربية فبعد أن تولى السلطان " عبد المجيد خان " أمور السلطنة^(٢) ورأى دعائم عرشه

١ - الفريد يلوز : المرجع السابق ص ١٢٥ .

٢ - تولى أمور الدولة العثمانية وام بيلاغ الثامنة عشرة من عمره . وكانت الحكومة العثمانية وقتذاك في غاية الاضطراب بسبب الانتصارات المتلاحقة لقوات محمد على . ونتيجة لذلك حوّل عن القيام بالحكم واختار للصدارة العظمى خسرو باشا خصم محمد على العنيد . محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٤٥٥ .

تتوازن أمام القوات المصرية ، وأن سلطته مهددة بجيوش محمد علي أسرع بإصدار عفو وصفحته التام عن " محمد علي " ، كما أمر بوقف تحركات قواته العسكرية^(١) ، وإلى جانب ذلك أمر بإهداء " محمد علي " وساما ساطعا كالوسام الذي يحمله الوزراء العظام ، وأن ينعم عليه بالقطر المصري على أن يتوارثه أبناؤه من بعده على شرط أن يقوم بجميع واجبات التبعية وفرائض العبودية^(٢) ، ولكن الأمور لم تثبت أن تبدلت خصوصا بعد أن قام " أحمد فوزي باشا " قائد الأسطول العثماني بالذهاب إلى الاسكندرية ، وتسليم أسطوله طائعا إلى " محمد علي " ^(٣) ، ونتيجة لكل ذلك بدأ انهيار الدولة العثمانية يبرز رويدا رويدا فأصبحت بلا خليفة متمرس على أمعاء الحكم وبلا جيش وبلا أسطول أيضا ، واتضح لأوروبا أن هذه الدولة أصبحت ثمرة تافهة بين يدي " محمد علي " مما أدخل المسألة المصرية في طور أكثر تعقيدا ، وجعل معظم الدول الأوروبية تتدخل بكل ثقلها في المسألة حتى لا يتعاطم نفوذ " محمد علي " إلى الحد الذي يضعف نفوذها في المنطقة^(٤) ويهدد أطعاعها ومصالحها فترسل سفراء فرنسا وبريطانيا والروسيا والنمسا وبروسيا بمذكرة

١ - محافظة عابدين : محظفة رقم ٢٥٧ - وثيقة رقم ٢/٢٧/١٧٦ بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني ١٢٥٥هـ تحت عنوان " وفاة السلطان محمود - وأولى السلطان عبد الحميد عرش السلطنة - وإصدار عفو عن محمد علي " .

٢ - محافظة عابدين : محظفة رقم ٢٥٧ وثيقة رقم ١٧٦-٢ بين تاريخ ، تحت عنوان " تولى السلطان عبد الحميد عرش السلطنة وإصدار عفو عن محمد علي " .

٣ - كان هذا الأسطول يشمل ثمانين سفن كبيرة ، وأشتا عشرة فرقاطة .

٤ - يضاف إلى ذلك خشية إنجلترا وقلقها من انتهاز روسيا للوقف وتوسيعها حتى حساب الدولة العثمانية المنهكة القوى .

إلى الباب العالي في السادس عشر من جمادى الأول ١٢٥٥هـ الموافق السابع والعشرين من يوليو ١٨٣٩م وهالك ترجمتها : " إن سفراء الدول موثقي هذا يتشرفون بأن يبلغوا الباب العالي أنهم تلقوا صباح اليوم من حكوماتهم بأن الاتفاق على المسألة الشرقية تام بينهم . فهم يطلبون منه أن يوقف كل قرار قاطع دون مساعدتها نظرا لما يكون له من المنافع التي تراها" وهذا يعني ضرورة ألا تقر الدولة العثمانية شيئا في أمر المسألة المصرية دون الرجوع إلى الدول الموقعة على هذه المذكرة مما شجع الباب العالي والسلطان علي العمود في وجه " محمد علي " .

وانتهى الأمر بعد معاهدة في ١٥ يوليو - ١٨٤١ أُلزمت " محمد علي " بالتخلي عن بلاد الشام فيما عدا الجزء الجنوبي منه . وأرجاع الجزيرة العربية للدولة العثمانية^(١) والاكتمال بمصر كي يحكمها هو وأولاده من بعده عن طريق الوراثة . وولاية عكا وحسيدا ليحكمها مدة حياته فقط . وأن يخلى سوريا وكريت وبلاد العرب وغيرها من الجهات التي بها جنوده في مدة عشرة أيام . وأن يقض ذلك بعد انتهاء هذه المدة يسقط حقه في عكا وحسيدا . وإن استمر رفضه في العشرة أيام التالية لرفضه الأول تقوم الدول الأوروبية ، بمساعدة الدولة العثمانية عسكريا ضده .

وعلى الرغم من اعتراض فرنسا على تسوية شروط هذه المعاهدة ، فقد استطاعت بريطانيا في نهاية الأمر أن تقنع فرنسا بتسليم "محمد علي" بالاعتدال كما نجحت في إنكفاء نار الفتق في لبنان ضد حكم "محمد علي"^(٢) .

١ - Kelly, J.B: Britain and the Persian Gulf, London, 1965, P.282 .

٢ - لفاسيل تلك انظر كتابنا ثورات البروز والقرابة ضد حكم محمد علي جبل لبنان .

وإرهاب محمد علي بدأ الأسطول الانجليزي في شرب بيروت وعش
سواحل الشام مما اضطره في النهاية إلى الرجوع لقرمان ١٨٤٧م الذي
يقضى بإخراجه من الجزيرة العربية، وولاه الشام وكريت ، وقصر نفوذه على
ولاية مصر^(١) بحيث تنتقل بعد وفاته بالإرث لأولاده وأولاد أولاده التتويج بشرط
أن يتولى الأكبر فالأكبر فيقلده الباب العالي منصب الولاية كلما خلا هذا
المنصب من وال^(٢) وذلك عادت مصر إلى حنوها القديمة ، كما تم تحديد
قواتها المسلحة بحيث لا تزيد عن ١٨ ألف جندي ، وأن تدفع للدولة العثمانية
٢٢٠ ألف جنيه سنويا .

وفيما يلي نعرض لوثائق هذه الدراسة .

١ - إسماعيل سرمدك - حقائق الأخبار عن دول اليمار جدا القاهرة ، المطبعة الأميرية ،
الطبعة الأولى ١٣١٢هـ من ٦٦٠-٦٦١ .

٢ - التفاسيل لك انظر فيليب جلاف : قاموس الجغرافيا والقضا ، المجلد الخامس القاهرة ،
ص ١٥٥ .

ثانياً : الوثائق

وثيقة رقم (١)

موضوع الوثيقة : وثوق بعض أمالي القرى القريبة من نزيب^(١) بجانب
العثمانيين .

تاريخها : ٢٦ صفر ١٢٥٥ هـ

مصدرها : محافظ مابدين . محفظة ٢٥٧ ترجمة الوثيقة ٣٧ - ٣

أخذت أقوال الأشخاص المكتوبه الأسامي في القائمة المرفقه لهذا
التقرير وتكررت خلاصتها فيما يلي :

إن أمالي قرى رشي التابعة لمينتاب القريبة من الحدود أصلي بها القرى
الكثيرة في جهة " نزيب " وحمالون الصطب الي معسكر العثمانيين ويترددون
اليه . وكما أوفدنا نحن رجالنا إلى تلك الجهة ليطلبوا منهم الصطب اللازم
للشوية قلوبهم بالرياض فيرجعون بلا شيء في حين أنهم أقبلوا على
العثمانيين إقبالا كليا . ويخبر بعض الناس بأن هناك بعض قرى عيتاب غير
القرى المارة النكر يحلون الصطب الي معسكر العثمانيين في نزيب .

هذا وثقب بعض مشايخ كرات^(٢) على أربعة انفار من العثمانيين كانوا
يغزون إلى هنا . وأعادوهم إلى معسكرهم مع أن الواجب كان يقتضي بأن

١ - سئل نزيب من أمال البيرة على القررات ويقع على الطريق القوسل بين بيرة حة
والاسكندرية .

٢ - إحدى قرى عيتاب .

يأتوا بهم اليها ، ولم يعد هؤلاء المشايخ الى قريتهم بعد ، وإذا ما عادوا
وقبض عليهم فتقرير العقوبة التي سنتزل بهم منوط بإرادة جناب السر
عسك.

العيد

ميرزا (٩) محمد متسلم عيتتاب

٦ - يعنى أمير القراء .

- يستخلص من هذه الوثيقة ما يلى :

- مساعدة بعض أمالي القرى القريبة من تريب للقوات العشائية عن طريق حمل
الخباب إلى معسكراتهم فى حين أنهم كانوا يرخصون إمداد القوات المصرية به .

وثيقة رقم (٢)

موضوع الوثيقة : الاستعدادات العسكرية للمعركة الفاصلة في نزيب .

تاريخها : ٢٩ صفر ١٢٥٥ هـ .

مصدرها : محافظ عابدين . مطبقة ٢٥٧ ترجمة الوثيقة ١١٠٠ - ٤

أبناء الجيش

وصل الجيش وجميع المعدات قادمًا من جهة ملاطية^(١)، وإنما تأخر منغغان كبيران فذهب حافظ باشا^(٢) منذ يومين لاحتضارهما، وما زالت العساكر تصل من بيعة جاك^(٣) ما برين والماء إلى هذه الجهة، وعندما يصل آخر فوج من الجيش يقومون إلى نزيب ويجمعون الآن فيه (أي في نزيب) المؤن والخطب

١ - يشرق الأناضول .

٢ - سر صكر باشا الجيش في آسيا . ولد في عام ١٧٩٦ من أسرة قوقازية . والتحق بخدمة السلطان حيث ارتقى سرياً . وكان جراً نصره الكبير في كورستان وشكته من انقضاء الكردي أن أتم عليه السلطان بتبشان الانتصار . وقرنته إلى رتبة سر صكر الجيش في آسيا .

الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا مقال لوكباشي عبد الرحمن زكي تحت عنوان "حملة الشام الأولى والثانية ١٨٣١-١٨٢٩" ص ٣٦٩ .

٣ - تعرف المنطقة المحصورة بين التمس الانتشاء الشرقي للثال في نهر الفرات وتطوع اسكندرية بتواصي بيده جاك . وهي منطقة ذات أهمية عسكرية كبيرة ويطلق عليها أحياناً (بلاجيق) .

انتظر: معجم البلدان، الجلد الأول، بيروت دار صادر ١٩٧٩ ص ٥٢٦ وانتظر أيضاً محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية تحقيق إحسان طفي - بيروت، دار الفكاك ١٩٨٢ ص ٤٥٢ .

تألقين إياهما من براق^(١) ومزار^(٢) كما انهم يستدعون من القرى المجاورة التجارين ليرموا المواضع المحتاجة الى الترميم في المداقع ، وانهم حفروا خنادق حول المعسكر إلا ثلاثة مواضع منها فتركوها بلا أبواب وبعينوا عندها الخفراء . فعندما يأتى رجل غريب يسألونه أولا .. إلى من يقصد ثم يصرحون له بالمرور . وقد نبهوا أيضا على أهالي القرى التابعة لهم الكائنة في هذه الجهات بأنهم إن وجدوا رجلا غريبا اقتبسوا عليه . وجاءوا به إلى حافظ باشا .. ويقول الذين يترددون الى المعسكر أنه يشاع بين الجيش أن إبراهيم باشا نزل من عنتاب . معذاته التي كانت فيها ^(٣) . وأنه سيتسحب إلى الوراء . ويقال أيضا أن قواتهم (أى العثمانيين) بلغت مائة الف حدى ومائة وخمسين مدفاعا وانهم لا يقاسون أى مشقة من جهة المؤن فيشترىون الغلال من القرى المجاورة ، ويضعون ثمنها أولا فأول على سعر الكيلة الواحدة خمسين قرشا وأن سليمان باشا يقيم في بيبة جاك^(٤) وأنه وصل خلال هذه الأيام الثلاثة باشا أرتالوي^(٥) على رأس العشرين الف جندي وهم يعبرون

١ - براق بالضم قرية من قرى حلب .

انظر مراسد الاطلاع على أسماء الأشعة والبقاع ج ١ ص ١٢٦ .

٢ - مزار: قرية داخل الأراضى السورية تقع على الطريق الموصل إلى نزيب .

٣ - مدينة كان العثمانيين قد استولوا عليها من القوات المصرية .

لتفاصيل ذلك انظر

محمد فريد: الهجعة الترابوية في تاريخ مجلس العائلة الخديوية ص ١٢٠ .

٤ - سوق إفساح مكانها

٥ - يعنى اليانى .

الآن الماء إلى هذه الجهة ، ويقاوم أيضا أنه في خلال ثمانية أيام سيصل الجيش كله من آخره ، وعندما يتم ذلك يقوم الي تزييب.

العبد

محمود بكباشي الأريطة الثانية للالاي
الثاني عشر المائة

- يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :
- قيام القوات العثمانية بعمل الاستعدادات اللازمة لتجميع عدد تزييب ، وانتقالهم المدينة وإجراء خطة الأمنية حول ممتلكاتهم .
- وصول عدد القوات العثمانية التي تستعد للاشتراك في المعركة إلى حوالي مائة الف جندي ، ومائة وخمسين معلما .

وثيقة رقم (٣)

موضوع الوثيقة: تردد الشائعات حول وصول الجيش العثماني إلى نزيب.
تأريخها : ٢٩ صفر ١٢٥٥ هـ .

مصدرها : محافظ عابدين - مخطوطة ٢٥٧ ترجمة الوثيقة ١١٤ - ١٠
من محمد كاشف وكيل محمد خفثاني زعيم عريان حما .

مولاي حضرة صاحب الدولة والى التعم

لما شاع بعينتاب أن جيش الخصم (العثمانيين) قد ورد (نزيب) أرسل
حضرة الميرزا^(١) فرهاد بك البكباشي^(٢) محمود أفندي من الأاي الثاني عشر
ليتحقق من أمرهم . ولقد ذهب مع البكباشي المشار اليه وعلما بعد التحقيق
أن الجيش ماكث كما كان من قبل وإنما أربعة من الياشوات^(٣) جاوا مع فرج
من الركب ثم عادوا بعد أن عابثوا المصل الذي يعسكر فيه الجيش . وفي نحو
الساعة الثانية من يوم الجمعة انطلقت من الجيش مع البكباشي قيلةنا قوية
(أغنية كند) راكبين . واحضرننا شيوخها لدينا . واذ كنا تلقى اليهم وصايانا
ظهر ستة فرسان من داخل القرية . فسألنا الشيوخ من هؤلاء الركب قالوا

١ - تعني أمير اللواء .

٢ - تطلق أيضا بنباشي وهي رتبة عسكرية بمعنى رئيس الكف . واستبدلت في الجيوش
العثمانية الآن بكلمة مقدم .

٣ - الياش من التركية بمعنى الرأس وتستعمل بمعنى الرئيس وتطلق هذه الكلمة على
رجال الجيش إذا صاروا الكوبه .

لا تعرفهم فبمنا تركيا وهنابيين وقلنا لهم قلوا على بعد منهم واسألوهم من اين أتوا وأين هم ذاهبون إن كانوا من جنود النصارى فإن كانوا أتوا هارين أو كانوا من الذين فروا من أرضنا فأتوا بهم . فسألهم جنودنا إذ دنا منهم من أتمم ؟ فعلموا أنهم من الجنود السبائية^(١) إذ تكلموا فيما بينهم باللغة الأرتاقونية^(٢) ثم هجموا عليهم وأطلقوا عياراً من غدارة وأخر من ينشقة فقابلهم رجالنا بعيارى ينشقة فسقط أحد السبائيين مصابيا . وقد كتب اليكباشي تقريراً مفصلاً عن هذه الواقعة فإن سرنا وتجوأنا في القرى عملاً بالارادة السنية وبما وصانا به حضرة فرهاديك فإن بين جبهتهم قرى تبعد بعضها عن بعض مسافة ربيع ساعة واملنا نلقى في طريقنا ثلاثة أو خمسة من فرسانهم . فإذا تسلطوا علينا وأطلقوا عيارات فهل نقابلهم بإطلاق النار أم نكف عنهم ؟ وقد اجترأنا على تقديم هذا الكتاب لتستأنوا أعتاب جناب السيرعسكر^(٣) .

١ - السبائية كلمة تركية مأخوذة من أصل فارسي ومعناها الفرسان وتكتب في صيغة المفرد سبائي .

انظر الشانري : الدولة العثمانية دولة إسلامية مقترى عليها ج١ ص ١٢٠ .

٢ - تسمى الأرتاقونية .

٣ - بمعنى قائد القوات المصرية (إبراهيم باشا) .

- يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- محاولة التمسق من وصول الجيش العثماني إلى تزيب بعد الشائعات التي تردت حول ذلك .

- حدوث اشتباكات بين جيوش العثماني التي حاولت استكشاف المنطقة وحين قوات محمد علي .

وثيقة رقم (٤)

موضوع الوثيقة: استيلاء القوات العثمانية على بعض القرى المجاورة
لنزيب، وتمكنها من القبض على بعض الأسرى.

تأريخها : ٥ ربيع الأول ١٢٥٥ هـ .

مصدرها : محافظ ماينين . محفظة ٢٥٧ ترجمة الوثيقة ١١٩ - ٣ .

يعرض عليك

إن الأخبار التي اتصلت به هي أن أهالي قرية أول^(١) قد استولوا على
١٤ قرية^(٢)، وأن حافظ باشا قد أمدهم بمائتي بتدقية، وكمية من الحية
خاتنة^(٣) والبس الكسايي لكبار (رجال)^(٤) القرى، وأن خيالة الهنادي الثلاثة
الذين قبض عليهم^(٥) أرسلوا في يوم ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٥٥ هـ إلى حافظ

١ - إحدى قرى عيتاب .

٢ - كانت هذه القرى تابعة لبلدية عيتاب، وقد توجها الاتراك واستولوا عليها، ثم زحروا
الأسلحة على أهلها لقاظة المصريين .

انتظر : ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا ص ٣٧٥ .

٣ - الحية تعني العرج، والحية خاتنة تعني مخازن الأسلحة والذروع .

٤ - مزيد على النص حتى يستقيم المعنى .

٥ - كان من بين هؤلاء الأسرى فرجاني شيخ عرب الهنادي الذي حاول حافظ باشا
استنساخه لمعرفة أخبار الجيش المصري، ولكنه كان عنيدا في ربهه عليه كما أنه
استطاع أن يؤكد له أن جيش إبراهيم باشا يفتق من القوات والأسلحة والمتار ما
يلحق قواته لتفاسيل ذلك انظر كرايبينس : المرجع السابق ص ٣٣٢-٣٣١ .

باشا ، فأكرم حافظ باشا الذين أتوا بهم . ولما سمع من أوفدناهم إلى هناك صوت إطلاق همدافع في نزيب استوضح^(١) الناس أسباب ذلك فقول لهم إن إطلاق المدافع تحية لحافظ باشا بمناسبة وصوله مع الجيش إلى نزيب والناس هناك يقوون إن جواننا^(٢) إن يغادر حلب . والشائع بينهم أن الجيش يزحف على عتبات هذا القرى هذه الجهة أخذت تتشعر بالخوف من جراء استيلاء الخصم على بعض القرى . ولكن القرى التي تنزل حولها غير خائفة بينما القرى الأخرى تتشعر بهذا الشوف . والقول أن بعض القرى هذا كتبت خطابات إلى الخصم ، ولكن ذلك إن يتحقق . ولا أنرى نصيب هذه الأخبار من الصحة .

٥ ربيع الأول ١٢٥٥

محمد

١ - في النص استوضحوا .

٢ - المصدر: به إبراهيم باشا .

- يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- نجاح أهالي قرية لوز القرية من عتبات في الاستيلاء على ١٤ قرية من القرى المجاورة لهم .

- تمكن القوات العثمانية من القبض على بعض عرب الهناري من قوات إبراهيم باشا .

- وصول القائد الشمالي حافظ باشا مع جنوده إلى نزيب وإطلاق المدافع تحية للخمسة .

وثيقة رقم (٥)

موضوع الوثيقة: القيام بيمض التمرينات لمعرفة تحركات الجيش العثماني نحو تريب .

تاريخها : ٨ ربيع الأول ١٢٥٥ هـ .

مصدرها: ممانظ عابدين، مطبعة ٢٥٧ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٤-١٣٣٣ .

من : محمد بك المجهوني

إلى : الياشا السر عسكر

هذا ما يرفعه عندكم

غادر الجيش اثنان من الياشوات أمس وقتما (تريب) ولم يبق أحد من الجنود الذين يتلك الجهة ومشوا كلهم الى هذه الجهة وأخذ الجيش ينقل إلى هذا الطرف على التتابع . وقد انتدب رجلا أوففته مرة أخرى ليأتيني بخبر صحيح بعد التحري . فإذا عاد فسوف يرفع الخبر الذي يأتي به إلى أعتاب حضرة السر عسكر هذا ما حملني على تحرير هذه العريضة . والأمر لمحضرة من له الأمر .

- يستلخص من هذه الوثيقة ما يلي :-

- مغادرة اثنان من الياشوات إلى تريب .

- تنقل الجيش حول هذه المنطقة بسرعة ليلية .

- محاولة التعرف على تحركات القوات العثمانية .

وثيقة رقم (٦)

موضوع الوثيقة: انضمام بعض أهالي القرى إلى العثمانيين نتيجة للخوف من تهديداتهم ومحاولات اقتناع القيادة المصرية لهم بالعدول عن ذلك . .

تاريخها : ١٠ ربيع الأول ١٢٥٥ هـ .

مصدرها: محافظ مايبين. مخطوطة ٢٥٧ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٢-٣٧ .
من النيران^(١) قرههاتيك والبيكباشي^(٢) محمد حاتق من مدفعية القارديا^(٣).

هذا ما شاهدناه رأي العين من الأمور وما علمناه سماعاً من الشجون عند سيرتنا وتجوئنا أخيراً في (أول)^(١) و (طلقار) وسائر قرى عنتاب كنا نسمع ما شاع متواتراً من أن أكثر قرى عنتاب تدبيل إلى تلك الفئة (أي العثمانيين) وقد جمعنا أخيراً زعيم قبيلة (أول) وعهد قريتي (خيام) و (كرات) وأخيراً من القرى ومحمد كاشف الذي أمر على خيالة الهنانيين في الموضع الذي يقال له (طلقار) فسألنا محمد كاشف عن سلوك القرى وما إذا كان في أهل القرى التي مر عليها من يسمى «الأب ووطنى سرا أو علائيه . فقال أنه

١ - سبق ترجمته.

٢ - سبق ترجمته.

٣ - تسمى العرس .

٤ - سبق ترجمته مكانها .

لم ير طفيلنا من أحد بل وجدهم خاضعين لجميع الأوامر قائلين بشبهة
المطلوبات وإنه لم ير أحداً أساء الألب غير الخمسة والعشرين رجلاً الذين
خاتروا من أهل (كرات) وأن العصاة المذكورين أخذوا أموالهم من القرية
فأقاموا بالبيبل والأجمة الواقعين على الحدود (روم قلعة^(١)) من ناحية
(كرات^(٢)) ثم سألنا عدد القرى الذين جمعناهم : قد وقع من بعض أهل القرى
الواقعة على الحدود مجنون وأعمال مخالفة لقرشنا العالی تارة بعد أخرى . فما
السبب في ذلك ؟ فقالوا : إن هذه القرى تقع على الحدود وعلى مقربة من
الجيش . فباتى بعض الناس من قرى تلك الجهة ككزيب وغيرها موافقين خفية
إلى القرى من قِبَل بطلان بك متسلح (بيله جاك^(٣)) فينتزرون أهلها قائلين
الخضوعوا لحكومة هذه الجهة من فوركم وانظروا لها صداقتكم وخالسكم وال
فتسديس أطفالكم وتساولكم وبعوالكم ونهب أموالكم وتكون مائقة أمركم وكذا
فإن سرتهم سيرتكم هذه ولم تتبعونا فانهم يغيرون على قرىكم وقتلوتكم
تفتيراً ولما كان طائفة العمال كالاتمام بطبيعة الحال لا تحيط عقولهم بالأمر
الدقيقة أشخا يتخافونهم فقلنا لهم في سبيل التصح والمصلحة . نسأل الله
تعالى الذى لا شريك له أن يمنح مولانا والى التعم الخديو الأكرم معدن الرحمة
الأعظم صبراً ليس له من تفاد . فانكم لن تراعوا في ظله الجليل وإن يصيبكم
شيء . وإن يستطير أحد منكم أن يمسخكم بسوء صغيراً أو كبيراً لا في أموالكم

١ - كلمة الروم حسب المعنى الشائع في ذلك العصر يقصد بها القولة العشائرية . وروم
ثمة كانت عبارة عن ثمة حصينة تحرس القرى مقابل البيرة .

٢ - سبق إنبشاح مكانها .

٣ - مسحتها ببراچوك وهي قرية في منطقة القران .

وحيا لكم ولا في قراكم . قامضوا على ما أنتم عليه وانهبوا وأعدوا بما أوتيتكم من قوة . فإن خدعتم يمثال هذا التحريش الواهي ويصدر منكم عمل يشالف الرضاء العالي فن تجلوا محيضا من لهيب غضب جناب السر مسكر ويذهب اولادكم وأموالكم أنراج الرياح فلا تلتفتوا إلى شويشناه أمثال هؤلاء السفهاء . وإن لجوتنا إلى القتال . ألقم تعلموا أن المشاهدة والتجربة أثبتت غير مرة أن مثل هؤلاء اللقاط من الجنود لا يستطيعون لقاء الجيش المصري ؟ فإن جاء قراكم أحد منهم للتحريش أو اتاكم كتاب فأعرضوه في حينه على محمد كاشف . والناس كلهم يعلمون مدى عطف حضرة مولانا الشديو^(١) الأكرم على الرعية . وقد انصتوا جميعا لكلامنا حتى ذهب عنهم الروع الذي ألقى في قلوبهم . أما ما قيل حتى الآن في القرى إلى تلك الجهة وحياتنتهم فليس كما راج . وإنما الذين خائفوا كما اشيع هم القمسة والمضرون أو الثلاثون نفسا الذين أسلفنا نكرهم من أهل (كرات)^(٢) . وقد سمعنا أنهم قبضوا حتى الآن على ستة عشر من هاريس الخصم وجاؤا بهم فأسخروا مكافأة قدرها اثنان وثلاثون كيسا . وقد هرب رجلان في هذه الأيام فالتحقوا بولائد المعصاه . ولقد صممنا على أن نتخذ حيلة فتغير على المعصاه الذين سبق نكرهم من أهل (كرات) إلا أننا عدلنا عن ذلك لأن الأرض التي يسكنونها وحرمة ذات صخور لا تستطيع الشيل السير فيها كما أنها مجاورة للحدود ومسكونة بعشيرة تابعة لروم قلعة فإن غزبتاهم ليل لأجلبوا بقواهم إن القوم قد اناروا على أرضنا وسامت العاقبة . فاكثفينا بتوصية عمد القرى بأن

١ - يقصد الباشا .

٢ - سبق ابشاح مكانها .

يقبضوا على من أتاهم منهم على الفور . وقد علمنا من كلام زعيم قبيلة اورل أن السبب في سلوكهم طريق العصيان هو بطال بك إذ سبق أن أرسل كتابا الى زعيم قبيلة (اورل) مرات كثيرة وأوهد إليه رجالا ليسألوه اتباع تلك الجهة إلا أن الزعيم المشار اليه رفض دعوته مثلنا وأبى أن يمسي كتبه بيديه بل أحرقها . فرأد بطال بك أن يفيظ زعيم القبيلة وأكرم مثوى رجل من أهل كرات يقال له محمد وأتاه أمرا كتابيا باستاد زعامة قبيلة (اورل) اليه وقد وصينا الزعيم المشار اليه بأن يرسل الينا كل الاوراق التي ترسل اليه أو التي عند منائر القرى من الخصم في حين ورودها . ونقدم الي أمتاب دولتكم كتار التحريض الذي جاء به شيوخ (برستي) من متسلم (روم قلعة)

أخبار أخرى

وأينا حين كنا جالسين بالقرية التي يقال لها (طلغار) رابية تقرب من مقامنا وواقعة على استقامة قرية (نزيب) فرسلنا اليها محمد كاشف من مقر من الفرسان فوجهوا اليها المكبرة⁽¹⁾ فلبسوا بها فرسانا يتراوح عددهم بين الثمانمائة والألف ورأوا سبع عشرة خيمة ثلاث عشرة منها صغيرة وأربعة قباب كما وجدوا الخيل مربوطة كلها في الزراعات الواقعة حول (نزيب) وقد خرجوا من خيامهم إذ كان فرساننا ينظرون اليهم فاشتبوا بمايون بالمكبرة وجاء نحو ستماية فارس منهم يوم مصرع السباهي الذي قتله فرسان الهنادية فقتلوا جثته . ولقد قام الحاج عمر أوغلي منذ نحو ثلاثة أيام من بيرو جك وسمار الي مرعش⁽²⁾ على أن يأتي (كورد داغلي) عن طريق (كليس) وقد

١ - يقصد الطغار .

٢ - مدينة ساحلية بين بلاد الشام وتركيا .

حضر منذ نحو عشرة أيام من تزيب واتوا (مزار) مع يسع مئات من
الفرسان واستحسنوا أن يتخذوا السهل الواقع على ساحل النهر بين مزار
وتزيب معسكرا ولقد وصينا محمد كاشف وأكفنا عليه شفيدا بأن لا يدخلوا من
الحدود وأن يتجولوا على بعد منها وأن لا يطلق أحد عيارا عملا بالارادة
السنية .

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- ميل العديد من فرس جيشنا إلى العشائين - وخروج بعض أهلها إلى الجبال
وتحصنهم بها .
- تهديد العشائين لبعض أهالي القرى بسننهم وأطفالهم ونهب أموالهم إذا لم
يتخلوا تحت أمرتهم .
- تسبب فراد محمد علي لوزلاء الأهالي بالوقوف بجانب القوات المصرية وعدم
الانحياز للعشائين الذين لا تستطعون لقاء الجيش المصري .



وثيقة رقم (٧)

موضوع الوثيقة: زحف الجيوش الشمانية على منطقة نزيب .

تاريخها : ١٠ ربيع الأول ١٢٥٥ هـ .

مصدرها : محافظ عابدين، محطة رقم ٢٥٧ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١١٥ - ٥٤ - ٧٧ .

الكتاب الذي كتبه السير عسكر اليك المعجوني .

ذكرتم في كتابكم المكتوب في ٨ من ربيع الأول أن اثنين من الباشوات قاما من معسكر القوم قنبا نزيب ، وأن جنودهم الذين سلكوا الجهة انتقلوا جميعا إلى هذه الجهة فلم يبق منهم أحد وأن جيشهم ماشى إلى هذه الجهة على التوالي . إلا انكم لم تذكروا أين ينزل ويصكر جيشهم الذي مضى في الانتقال إلى هذه الجهة على التعاقب فاشعرونا سريعا بالمواضع التي ينزلون بها وأعلموا أنه لا ينبغي لكم أن تكتبوا مثل هذه الخطابات المهمة بل عليكم أن تفصلوها تفصيلا .

- يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- تيوم القوات الشمانية إلى نزيب استمداها للمواجهة العسكرية مع قوات محمد علي .
- خطورة الموقف لتفسي القاصيل في الطوابع المرسله الى قيادة محمد علي حتى يتم الاستعداد للامر في حينه .

وثيقة رقم (٨)

موضوع الوثيقة: هروب عبد طواشي وآخر زنجي من تزيب .
تاريخها : ١١ ربيع الأول ١٢٥٥ هـ .

مصدرها: محافظ مابدين . محفظة رقم ٢٥٧ ترجمة الوثيقة التركية رقم
١١٥ - ٣٤ -
٢٧

من : الميرلو فرهاد بك

إلى : الياشا السر عسكر

هذا ما يرفعه سيديكم

في ٩ من ربيع ١٢٥٥ هـ جاعة عبد طواشي وآخر زنجي مابدين من
تزيب هما المدعو صالح بك أمير الای الفرسان الثالث الذي ارتكب زوية الفرار
من قبل وقد اتيا معها بجواد وشيخ دولتمك أنهما يقولان إن صالح بك مقیم
بتزيب وأنه كان يذبحهما فهوريا من أجل ذلك والأمر المضرة من له الأمر .

مولاي

قد فهم من مقالة العبيدين المذكورين أن صالح بك المذكور جائز
رتبة الميرلوا وأن تحت إمرته الآيين في ١٠ من ربيع الأول ١٢٥٥ .

صورة رد مولانا السر عسكر

أرسلوا اليانا ذلك الطواشي والعبد الزنجي التابعين لخائن صالح بك
الذين قرأ من تزيب .

- يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- هروب عبد طواشي وآخر زنجي من تزيب - ومحاولة التعرف منهما على بعض
اسرار العشائرين .

وثيقة رقم (١٨)

موضوع الوثيقة: الاستعدادات لمواجهة بين القوات العشائرية وقوات محمد علي في نزيب .

تاريخها : ١٦ ربيع الأول ١٢٥٥ هـ .

مصدرها: مخطوط مأثورين . مخطوطة رقم ٢٥٧ وثيقة ١١٩-٧ .

صورة الخطاب المؤرخ في ١٦ ربيع الأول ١٢٥٥ هـ الموجه الى معجون بك لقد وصلنا خطابكم المؤرخ في ١٥ ربيع الأول ١٢٥٥ هـ الذي أشرتم فيه إلى أنه قد أطلق ه مدافع في نزيب . ولما استوضح أسباب إطلاقها قيل أنها تحية لتقوم حافظ باشا مع الجيش إلى نزيب . وأن بعض القرى قد حملها الشوف على إرسال خطابات إلى الخصم . فيامعجون لقد قام اليكم نهار أمس خفتان بك وبناله وليس من شبهة في أنه اليوم قد وصل فلوران . هذه القرى قد عمدت الى حركات معادية لأنك اخعاد حركتها بواسطة الشبالة . إن جيشنا عظيم ولا يمكننا أن نقوم به دفعة واحدة ولذا فقد سبرنا الى جلان^(١) اليوم نتمد باشا النكلي في الآيات الشبالة والطويسية والذي نطلبه منكم الآن هو موافقتنا بخبر قيام جيش الخصم إلى نزيب حقيقيا حتى نرحط نحن أيضا إذ ذاك في الآيات الشاه فرافونا بالشبر اليقين عن قيام جيش الخصم الى نزيب على عجل . ولقد كتبنا اليكم نهار أمس بشأن سحب

١ - سبق إيضاح مكانها .

أهالي القرية القائمة حولكم حتى أفرل إلى الخلف ، وقد ذكرتم أن حافظ باشا قد سلح بعض قرانا . إن هذه القرى تابعة لنا فإذا ما عصت هذه القرى إلى إطلاق النار عليكم فإن من حقنا أن نهاجمها وعليه دعوا الهنادى بهاجمون القرية التي تجرأ على مثل هذا العمل واسجوا أهلها كلها .

- يستخلص من هذا الأمر :

- خوف بعض أهالي القرى من إطلاق المدافع ترجيحاً بتقديم التناكث العشائري حافظ بك .
- ضرورة التناكث من زحف الجيش العشائري إلى تزيب حتى يمكن مواجهته في الوقت المناسب .
- الاستعداد لهاجمة القرى التي تنضم للعشائريين وتطلق النار على قوات محمد علي .

وثيقة رقم (١٩)

موضوع الوثيقة: محاولات التمسى أخبار القوات المشانية الرابطة في نزيب.

تاريخها : ١٧ ربيع الأول ١٢٥٥ هـ .

مصدرها: مفاظ مابدين. مخططة رقم ٢٥٧ ترجمة الوثيقة رقم ١٢-٩ .
في نحو الساعة الثامنة من يوم الأربعاء الموافق ١٧ ربيع الأول ١٢٥٥ هـ، وصل الى عنتاب عبيكم محمد كاشف . وقد بسطنا في هذا التقرير الحالة التي شاهدها بعينه في تلك النواحي والأخبار التي استقناها من بعض الناس.

الأمور التي شاهدها بنفسه

في يوم ١٦ . ١٧ ربيع الأول ١٢٥٥ هـ قام عبيكم محمد كاشف في جماعة من الخيالة الى الهضبة القاتمة الى جانب نزيب فشاهد بواسطة المنظار أن شمة أربعة الآيات من المشاة ونحو ٨٠٠ خيال . ٤٠٠ مدفعا تمكن بواسطة المنظار من أن يحصى عددها واحدا واحدا ثم كشف جهة المزار وأنشعب له أن هناك نحو شانية وتسعمائة من خيالة المرتزقة ومنقمان وقد اقيم في قرية اول نحو ٢٠٠ خيال من الخيالة الرابطة في المزار . جعل مكان هؤلاء الخيالة في شواحي اول . وفي يوم الأربعاء شاهد قوة قوامها الآيان من الخيالة والمشاة من أساس الآيات الرابطة في نزيب تسير نحو المزار .

وقد حفروا خندقا حول القوات الموجودة في نزيب وأقاموا عليه طابقتان ركزوا فيها المدافع ورباط في الخندق طائفة من عساكر ال " نفر عام " الذين جمعوا من القرى .

الأخبار التي استقتها من الناس

لقد علم مما سمعنا ممن فر ثلجية الخصم ومن بعض كبار السن في القرى أن الجيش المرابط في نزيب قد قام إلى المزار ، وأوريل وأن الجيش المكون من قوة كبيرة المرابطة في بيله جك سيشي إلى نزيب وأن جميع العساكر ترغب في الفرار من الجيش وأن الضباط يحرصون على مراقبة العساكر لعدوا إلى الفرار إذ أن ذلك ألقى أمالهم وأن في الجيش نحو ٢٠ أو ٢٢ ألف من العساكر النظاميين وواقى أفرادهم من عساكر الريف والمرتزة وقد كتبوا إلى المتسلمين يطلبون منهم جمع عساكر المرتزة غير الموجود منهم في الجيش وهم يرمون من وراء جمع هؤلاء المرتزة إلى الاستقالة منهم في تعبثهم في الخندق الذي حفروه حول نزيب إذا ما زحف الجيش إلى الأمام وأنهم أرادوا أن يقيموا جسرا فوق نهر مراد إلا أن شدة جريان المياه قد حالت دون ذلك وأن لدى سر عسكرهم ٤ مهندسا من الروس يتزأسمهم أحدهم كباشمهندس والسر عسكر يعمل برأي هذا الياشمهندس ولا يخالفه في شئ والخطة التي يريدون اتباعها هي أن يزحف الجيش على المزار فعتاب حيث يسير سليمان باشا في نفس الوقت إلى عتاب في قوة من العساكر وقد طلبوا من البلاد عدا معينة من الرجال باسم " مقطوعية " على أن يصرف لكل رجل منهم على حساب البلدة ١٥ قرشا ليتأج جوادا ربيتا و ٥٠ أو ٦٠

قرشا لشراء طينجة والبلده التي طلبوا منها تقديم مائتين خيال أرسلت مائة أو مائة وخمسين خيالا وقد صرفوا على هذا الحساب لكل خيال ١٥٠ قرشا ثلثا للجواد و ١٥٠ قرشا لشراء طينجة تصروف الطريق والمجموع ٣٠٠ قرشا ولما أن أمضى هؤلاء الشيالة مدة ٢٠ يوما في الجيش نقد المبلغ الذي قبضوه من بلادهم وجاءت خيلهم كما جاءوا هم أيضا ففتقنوا بعريضة إلى السر عسكر يشكون فيها حالهم فرد عليهم السر عسكر بقوله لقد أرسل إلى متسلموا بلادكم يقولون أنهم صرفوا لكل واحد منكم ١٥٠٠ قرشا ذهباً انصرفوا أيها الوقحاء . وطردهم ولما كانت حالة عساكر " النفر العام المشاء " لا تختلف عن حالة الشيالة من هذا النوع من العساكر فإن الشائع أن هؤلاء العساكر إذا ما اقتربوا من مناطق المصريين سوف يقرون في الحال بمجرد منح الفرصة ..

البيكباشي الطوبجي	البرنواد
حاتق	فردعاد
محمد حاتق	عبد فرهاد

- يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :

- قيام بعض القنائل المصريين تحت قيادة محمد كاشف إلى الهيئة القائمة إلى جانب نزيب لتتقصى أمور القوات المشائية الرابطة هناك .
- نجاح هؤلاء في استكشاف المواقع المشائية وعدد أفراد القوات المرابطة فيها والتسهيلات والمصاب التي يواجهونها .
- تواجد عدد من الخبراء العسكريين الروس ضمن القوات المشائية .

وثيقة رقم (٢٠)

موضوع الوثيقة: وفاة السلطان محمود وتولى السلطان عبد الحميد عرش السلطنة وإصدار عفو عن محمد علي .

تاريخها : ٢٥ ربيع الأول ١٢٥٥ هـ .

مصدرها: محافظ عابدين وثيقة رقم $\frac{١١٥}{٢٧}$ - ٣ .

من محمد خسرو^(١) الصدر الاعظم إلى إبراهيم باشا .

سيدي حضرة صاحب العطفة والرأفة بهي الشميم

على أثر انتقال الخفقور له السلطان محمود الى رحمة الله . بتقديره سبحانه وتعالى جلس على كرسي السلطنة صاحب الشوكه والمهابة مولانا السلطان عبد الحميد خان ونظراً لما فطر عليه جلالاته من النكاه وبعد التنظر قد أصدر عقب جلوسه إرادته بالصفح والعفو التام عن حضرة صاحب الدولة والملك ، على نحو ما جاء في صورة خطاب المتى عليكم المرسلة الى عطفوتكم من طيه . وبناء على منطوق هذه الإرادة كتب قبل بضعة ايام إلى والديكم المشار اليه في ذلك وانتنب لمقابلة نوايته صاحب السعادة مالكب الهندي من رجال الدولة العية . وكاتب دار شورى الباب العالي . واقد كتب كذلك من قبل المتى عليكم إلى صاحببي العطفة حافظ باشا (قبودان باشا) وزير البحرية

١ - اختير خسرو باشا لصدارة العظمى بعد أن عين السلطان عبد الحميد عن القيام بالتمك لعدائته . وكان خصماً عنيداً ل محمد علي .

بشأن وقف الجيش والاسطول السلطاني من مكانهما وقد بادرتا الى بيان هذا العفر الساسي الي مقامكم الكريم أيضا لتحيطوا بهذه البشري هذا وان ما جيلتم عليه من الحماية والرؤية ليحمل مظلوميتكم ايضا على ان تتوقفوا حيث انتم وان تقوموا بما تتطلبه واجبات التهمة ومن أجل الفات نظركم الي ذلك قد بعثنا اليكم بهذا الخطاب الذي مع اثنين من السعاة والمثني عليكم بأمل . على ان وصوله ان شاء الله تعالى . وأن تتفضلوا باجراء اللازم نحوه.

٢٥ ربيع الثاني ١٧٤٥هـ

عبد

محمد نسوري

- يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي:

- وفاة السلطان محمود وتولي السلطان عبد المجيد زمام الحكم .
- إصدار السلطان عبد المجيد عفوا عن محمد علي والتكاتب اليه بذلك .
- إعلان إبراهيم باشا بهذه البشري ومطالبته بوقف العمليات العسكرية ضد الدولة العثمانية .

وثيقة رقم (٢١)

موضوع الوثيقة: الاستعدادات التي اتخذت بين قوات محمد علي عقب وفاة السلطان.

تاريخها : ٢٥ ربيع الأول ١٢٥٥ هـ .

مصدرها: مخطوط مابدين وثيقة رقم ٢٥٧ - ١٨٠ .

تلقيت يوم ٧ جمادى الأولى ١٢٥٥ هـ أمركم الكريم المؤرخ في ٢٦ ربيع الثاني ١٢٥٥ الذي تفعلتم وأشرتكم فيه إلى أن الاستثناء بعد وفاة السلطان محمود قد أخذت تستعد وتوجد كلمتها وإن الأمر - والحالة هذه يقتضى بأن تحتفظ بعساكرنا مجتمعين دون أن تتحرك من مواقعها أو تتقدم إلى الأمام وأن تنتظر أوامركم الكريمة التي تصدر إلينا بعد الآن . وأقد قدمت من طيه كشفاً يحوى أسماء المواقع التي ترابط فيها الآليات المذكورة ومدافعها وكيفية توزيعهم على الجهات ويسبقف إلى النعم على الموضوع بعد الانطلاق . على الكشف ولكننى أرى وجوب شرح الأسباب التي حملتنا على ذلك التوزيع . فقول هذه الأسباب قرب هذه الجهات إلى بعضها فبيرة جك^(١) تبعد مسافة مرحلتين من فشاب وأورفة^(٢) عن فيرى جك مسافة ٣ مراحل وكذا روم قلعة فإنها تبعد مسافة مرحلتين من فيرى جك^(٣) بسير العساكر المشاة والسبب

١ - سبق توزيع مكانها .

٢ - قرية كبيرة من نواحي عزاز يعطى انظر مراسد الانطلاق ج١ ص ٢٧ .

٣ - سبق توزيع مكانها .

الثاني مؤنثا او جمعنا قوائنا في مكان واحد لكان علينا أن نعد لهذه القوات مقادير كبيرة من المؤنثه ، وهذا لا يتسنى لها في بعض الأوقات مع وجود قوائنا يجب التوزيع المدرج في الكشف ولا تستطيع تموين جميع العساكر كما ينبغي حتى أننا عجزنا في بعض الأيام عن صرف تمييناتهم وقد كنا نود ابقاء الاى حملة البروج (الزخنى^(١)) في عنتاب ولكن قلة الشعير هناك جعلنا نرسله إلى قرى حصار^(٢) مضطرين ولة كان سليمان باشا يقيم الآن في عنتاب فقد كتبنا اليه بأن ينقل إلى عنتاب الآليات الموجودة في بيرو جك إذا كان من الممكن توفير المؤنثه اللازمة لها هناك وما مرابطة بعض الآليات عند نهر ابيجة بين مرعش وعنتاب إلا لقله المؤنثه ولئن كانت ثمة قوات كبيرة ترابط في اقله فسيه أن اقله من البلاد التي تتوفر فيها المحصولات فضلا عن أن لنا في الاتقية كميات عظيمة من الشعير والبسماط فإذا ما دعت الحاجة إليها جىء بها على السفن فلا تعاني القوات هناك أى ضيق من هذه الناحية . ان توزيع القوات على هذا الوجه قد تم باولى النعم ايان صندوق امركم القاقسى بمداومة الزحف حتى قوتيا^(٣) وفقا لما كانت تتطلبه الحالة إذ ذاك . وذلك قبل أن يصل العالون الفرنسي وقيل الجولس السلطاني . هذا وإق

١ - أصل هذه الكلمة في العربية زرد يفتح الزاى والراء وتلقى الموع العديد الذي يلبس في العرب .

انظر د. أحمد سليمان : تاصيل ما ورد في تاريخ الجيرتى من الفخيل القاهرة . دار المعارف ١٩٧٩ ص ١٢١ .

٢ - على الحدود بين بلاد الشام وتركيا ومناخا المايور الأسود .

٣ - سبق إيشاح مكانها .

كما قد نقلنا إلى مرعش^(١) الآليات الخيالة والبطاريات النفضية الموجودة بأنه لعائينا الصيق الشديد نظرا لأنها أرض حجرية قليلة الحصول بل ربما كان من المستحيل علينا تمويئها من تلك الجهة . ويقي لو أن الأمر يجب أن تتحرك جميع عساكرنا نحو قوتية متيمة طريقا واحدا لتعذر علينا أن نجد المئونة في غير ٤ مراحل من ١٨٨١ مرحلة التي سنتطعها في الطريق من مرعش إلى سيواس إذ أن المسافة من مرعش إلى ملاطية^(٢) ٨ مراحل ومن ملاطية إلى سيواس كذلك ٨ مراحل وكان علينا والحالة هذه أن نحمل معنا على الغراب مؤننه المراحل الأخرى في حين أنه من المستحيل أن نجد العدد المطلوب من الغراب لهذه الغاية ونحن انما نتقدم ببسط موقفنا ليقف إلى النعم على كنه الأمر مولاي . أن ما بدأ بالاستئانه من مظاهر الاستعدادات وتوحيد السفوف يرجع إلى أنهم لم يكونوا قد علموا بما أصيبوا به إبان الحامية في فشل وإنهزام . فان أمرم الكروم المتضمن خير هذه الاستعدادات مؤرخ في ٢٦ ربيع الثاني ١٢٥٥ فعلى فرض أن تابع "توسيجه" بلغ إصابتكم الكريمة في مدة ٦ أيام فيكون والحالة هذه قد غادر الاستئانه في ٢٠ من ربيع الثاني ١٢٥٥ بينما أن الحامية وقعت في ١٢ ربيع الثاني ١٢٥٥ فالفرق إذا ٨ أيام ومن المستحيل على الساعي أن يقطع المسافة من نزيب إلى الاستئانه في مدة ٨ أيام بينما خطاب الصدر الأعلم المقدم من طي عريضتى المرجوه إلى

١ - مدينة بالشور بين الشام وتركيا أحداثها الرشيد .

انظر مرآة الاطلاع ج ٢ ص ٨١ .

٢ - تكتب أيضا مطية وهي مدينة متاخمة لبلاد الشام وقد بنىها الاسكندر .

انظر مرآة الاطلاع ج ٢ ص ١٤٥ .

اعتابكم قبل تاريخ هذه العريضة بيوم واحد وصورة الخطاب التي بعثوا بها إلى مقامكم الشريف مع كاتب شورى الباب العالي مؤرخان في ٢٥ ربيع الثاني ١٢٥٥ هـ فالطريق بين هذا التاريخ وتاريخ المحاكمة هو ١٣ يوماً وعلى هذا المسبب يكونوا قد علموا بخير الهزيمة على الرغم من ظهورهم بمظهر التجاهل وهذا تبيته الأرقام وأساليب خطاباتهم سيما أخطارهم لسعاة الذين قدموا علينا بأن يقولوا للناس إبان الطريق ليس ثمة محاربة وإنما صلح واتفاق وعلى كل فإن عيبكم هذا سيقتف من الأوامر التي سيلقأها على مدى استعدادتهم ومواقفهم وأحوالهم وسأعمل إن ذلك على اتخاذ الإجراءات التي تتطلبها الحالة ، والإرادة الكريمة والأمر والإرادة لمن له الأمر .

٦ جمادى الأولى ١٢٥٥ هـ

من مرعش

سلام
على إبراهيم

-
- يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :
 - وفاة السلطان محمود فجاءت جعل الأستלה ترحم كسئها .
 - توزيع قوات محمد علي في مواقع متعددة حتى تسهل عملية توريثها .
 - رغبة الأستלה في الصلح والاتفاق مع محمد علي خصوصاً بعد الهزائم التي منيت بها قواتها .

وثيقة رقم (٢٢)

موضوع الوثيقة: محاولات السلطان عبد المجيد استرضاء محمد علي .

تاريخها : بدون .

مصدرها: محافظتا عابدين محافظة رقم ٢٥٧ وثيقة رقم ١٧٦ - ٢ .

(صورة غير مختومة) من المصدر الأعظم

على أثر وفاة المغفور له السلطان محمود ثبوأ كرسي السلطنة حضرة صاحب الشوكة والنهاية والقدرة مولانا السلطان عبد المجيد خان على نحو ما جاء في الخطاب المقدم من حضرتكم قبل بضعة ايام ونظرا لما اتصف به جلالتك من العظمة وبعد التتر فقد تفضل عند جلوسه السعيد وأصدر نطقا كريما قال فيه جلالتك إن محمد علي باشا والي مصر قد قام ببعض الحركات التي أوجبت تآثر ساكن البهتان والذي المجد حيث وقعت أمور كثيرة حتى الآن من جراء ذلك . ولقد شرح في هذه الألية أيضا في اتخاذ التدابير التي يتطلبها الموقف ولكننا من أجل وقاية عباد الله معا من شأنه أن يخل برأحتهم وأطمئنتانهم وهم وديعة الله في أياديها . وحيثما في الاعتقاد عن سبقت دعاء المسلمين قد أصدرنا أخيرا عفونا وفضلنا السلطان عن الوالي الشار اليه على أساس منسى ما مضى وقد عولنا على ان تهديه وسامنا ساطعا كالوسام الذي يحمله الوزراء العظام وأن أنعم عليه بالقطر المصري على أن يتوارثه ابتداء من بعده على شرط أن يقوم بجميع واجبات التبعية وفرائض العبودية هذا ولما كان قد عهد إلى الثنى عليكم بمنسب الصدارة العظمى وكانت ثمة علاقات قديمة طيبة بين العاجز وبولتكم فإن الثنى عليكم قد سر أيضا سرور

لصدور هذه الإرادة الكريمة . ولقد كتبت عقب صدورها مباشرة إلى عطوفة حافظ باشا سر عسكر جيش الشرق بشأن وقف حركات الجيش السلطاني . وقد كان الاسطول السلطاني أيضا على وشك أن يجتاز (البونغاز) فأوقف هو الآخر . وقد شرع في اعداد الرسام الرفيع الشأن مع الفرمان السلطاني وفقا لما جاء في الإرادة السنوية وعلى نية ارسالها بعد الآن . وقد قام صاحب السعادة عاكف افندي كاتب دار شوي الباب العالي وأحد رجال الدولة العلية ليشرح فواتكم بادىء الأمر على وجه التفصيل أمر الإرادة السنوية المشار اليها ويؤلف الركم بشرى صدورها ويوسط لمضرتكم مبلغ الحاجة إلى الاتحاد ممكّم في سبيل جمع كلمة المسلمين وعدم تفرقهم . ونظراً للظروف الدقيقة التي تحيط بالدولة العلية وإيدى فواتكم بالأسس التي يقوم عليها الاتحاد والاتفاق بين الطرفين . وأنه لئن المأمول من الله سبحانه وتعالى أن يزيد بروج من عهده جلالة مولانا السلطان وأن يتم في ظل جلالتة لجميع البلاد والعباد الرخاء والأمن والأطمئنان ولا جدال في أن هذه الامنية . إنما تتم تبعاً عند العناصر الاسلامية . ومن الهداية انكم عملاً بما قطرتم عليه من الفطنة والكياسة ورجاحة العقل . ونزولاً على ما جاء بالادارة السنوية تستبدلون سننار التسيبان على ما مضى على أساس قاعدة مضى ما مضى وتقوموا بأجبات التبعية كاملة وتسحبون جيوشكم الى الخلف حيث تتعوى بعد الآن بأمر الاتحاد والاتفاق .

- يستخلص من هذه الوثيقة ما يلي :
- تولى السلطان عبد الحميد أمور السلطة ورثته في ايقاف النزاع مع محمد علي حتى لا تفرق كلمة المسلمين .
- الانعام على محمد علي بأحد الأوسمة . ويحكم البلاد المصرية وتوارثها بين ابنائه بشرط أن يعان الولاء للدولة العثمانية . ويمنح جنوده من بلاد الشام

الخاتمة

وهكذا قضت معركة نزيب على قوة الدولة العثمانية الحربية وكان فيها أكبر انتصار حققه الجيش المصري في حروبه مع العثمانيين مما يؤكد مدى ما وصلت اليه العسكرية المصرية من تقدم في العلوم والتكتيكات العسكرية الحديثة ، وبقدرة الجندي المصري على تحمل التدريبات الشاقة التي مكنته من تحقيق هذا النصر ، وجعلت الطريق أمامه مفتوحا إلى الأستانة مما أدى إلى قلقه التوازن الدولي والمسألة الشرقية وجعل التول الأوربية تسرع لتلافي الكارثة فوقفت بالمرصاد أمام تطلعات محمد علي وأعلنت وجوب المحافظة على كيان الدولة العثمانية التتاليك ، وانتهى الأمر بإبرام معاهدة لندن - ١٨٤٠ التي تقضى بجعل حكم مصر وراثيا في أسرة محمد علي ، وإرجاع مصر إلى حدودها الأصلية ، وحرمان محمد علي من السيطرة على الجزيرة العربية وسورية وكريت وإقليم أدنة .

مذكرة الدول إلى شكيب أفندي

سفير الدولة العثمانية في لندن

٣٠ يناير ١٨٤١

ه إن الموقعين أدناه المفوضين من قبل دول النمسا وبريطانيا وروسيا وروسيا تلقوا بزيادة الاعتبار ما أتد حرره رشيد باشا عن الأستانة بتاريخ ٨ ديسمبر سنة ١٨٤٠ إلى شكيب أفندي سفير الدولة العثمانية في لندن لتبليغه إلى سعادة اللورد المرستون وإعلانه بسد ذلك إلى وكلاء الدول الموقعة على اتفاق ١٥ يوليه . ومضمون التمريرات المذكورة أن جلالة السلطان متردد في إعطاء محمد علي حكومة مصر بطريق التوارث . وبعد أن فحص الموقعون أدناه هذه المسألة بمزيد الاعتناء تقرر بالاتحاد بينهم أن يكلف شكيب أفندي بإبلاغ ملاحظاتهم الآتية إلى الباب العالي . إنهم يرون واجباً عليه التنبيه في بادئ الأمر إلى أنه في تاريخ تهريرات رشيد باشا الآتية الذكر ما كان وكلاء الدول الأخرى المذكورة باشرها بعد - باتفاقهم مع الباب العالي - السعي الذي تقرر في لندن في ٢٥ أكتوبر . ويظهر من التقارير الأخيرة الواردة من الأستانة بتاريخ ٢٧ ديسمبر أنه في ذلك العهد لم يكن وكلاء الدول المذكورون مصممين على إعطاء الوزير العثماني التصامح التي كانوا مكلفين بإعطائه إياها . أما مقاصد الدول المتحالفة فلم تتغير في هذه الأثناء ، والدليل

على ذلك هو بعدها عن بعضها بعضاً بعداً كبيراً وأن القواعد التي اتفقت عليها لم تكن محتاجة لتجديد الخبرة بخصوصها فانها جميعها أرسلت لسفرائها في الآستانة وأمر دالة على انقائها . ولفس هذه المناسبة أرسلت بريطانيا وأمرها إلى سفيرها في الآستانة بتاريخ ١٧ ديسمبر ومن شأنها تثبيت تعليقاتها المؤرخة ١٥ أكتوبر وفي ٢٩ ديسمبر أرسلت دولة النمسا وأمرها القطعية بالمعنى نفسه إلى سفيرها وعقب وضع التعليمات المتفق عليها في لندن بتاريخ ١٥ أكتوبر و١٤ نوفمبر أعلن بلاط برلين الملوكي قبوله التعليمات المذكورة . وفي ٢٣ ديسمبر أرسل قيصر روسيا إلى القائم بأعمال مملكته في الآستانة وأمرهمرة بذات المعنى ، هذه أمور يذكرها الموقعون على هذا ويرجون أن يكون لما أبدوه من التسامح تأثير فعال على الآراء التي أوضحها رشيد باشا يوم ٨ ديسمبر وأن تكون نتيجةها وضع حد لتردد الذي أظهره هذا الوزير فيما يجب على الباب العالي اتباعه في مستقبل الأيام . ولكن حياً في إزالة هذا التردد وعدم إضاعة الوقت استحسن الموقعون أدناه عدم انتظار ورود التقارير من الآستانة ودون أن يترققوا أكثر من هذا عن إعطاء ردهم على ما أعلنه شكيب أندي رأوا أن يظهر مرة أخرى لسفير الدولة العثمانية آراء دولم كتابة كما أوضحها له شفاهاً من قبل . فالدول تكلف الحضرة السلطانية أن تعامل محمد علي ليس فقط بكرم وسماحة بالناء الأمر الذي أصدرته بخلفه بل أن تعده أيضاً بأن أولاده من صلبه يتولون من بعده باشاوية مصر الواحد بعد الآخر بطريق التوارث متى خلا هذا المنصب بسبب وفاة الياشا الذي كان يتولاه . ولم تكن الدول الأربع في نصحتها هذا الباب العالي البادئة بهذه الفكرة بل إنها تذكر الحضرة السلطانية بأراضيها التي أبدتها هي نفسها في بداية احتدام المسائل الشرقية تلك الآراء التي اتخذت أساساً لاتفاق ١٥ يولية . هذا وأن الدول الأربع إنما كانت

حال إبدائها النصائح التي تكرر ذكرها في هذه الأئحة على يقين بأنها لم تشر بصلح مناف لحقوق السلطنة وساطة الحضرة السلطانية الشرعية ولا إلى طريقة مخالفة للواجبات المفروضة على والي مصر بوصف كونه أحد رعايا الدولة العثمانية انتدبه لأن يدبر باسمها ولاية عثمانية . تلك حقيقة ثابتة ليس فقط بنصوص البنود ٣ و ٥ و ٦ من ملحق معاهدة ١٥ يولييه بل ثابتة أيضاً بالتعليقات التي أصدرتها الدول الأربع إلى وكلائها في الأستانة عقب مداولة يوم ١٥ أكتوبر . وقد تقرر في الفقرة الخامسة من الملحق المذكور أن كافة المساعدات والقوانين العثمانية الحاضرة والمستقبلية يتبع الإجراء بموجبها أيضاً في ولاية مصر كما هو الحال في سائر الأقاليم العثمانية . ذلك شرط تعتبر الدول أن لا غنى عنه وأنه في نظرها ضربة لازب لاتصال مصر بالدولة العثمانية كأنها جزء من ممالكها . ومذكور في الفقرة السادسة أن القوات البرية والبحرية التي تنتخبها ولاية مصر وهي جزء من الجيش العثماني إنما تعتبر كأنها رهن خدمة الملكة العثمانية عموماً . وفي النهاية تقرر قطعياً بموجب التعليقات المحررة بلندن في ١٥ أكتوبر التي تبين في لائحة ١٤ نوفمبر أنه إذا خالف محمد علي أو أحد ورثته من بعده الشروط التي كانت أساساً لتوليته مصر بطريق التوارث تصبح حينئذ توليته معرضة للإلغاء . فيظن الموقعون على هذا أن تنفيذ الشروط المذكورة أعلاه فيه ما يوافق مقاصد الحضرة السلطانية ويطابق جل أماني الدول الأربع المتحالفة ويؤدي إلى الغاية المقصودة من معاهدة ١٥ يولييه أي استقرار السلام ، فتكون الدول قد حصلت بواسطة تنفيذ هذه الشروط تماماً على الأمان التي قصدتها من اهتمامها والاحتياطيات التي اتخذتها وتكون الحضرة السلطانية مطمئنة في مستقبل الأيام إلى طاعة والي مصر وخضوعه لسيادتها الملكية وبمسح المصريون أيضاً في مأمّن من المظالم التي أملت بهم في هذه السنوات الأخيرة

بسبب سوء معاملة حكومتهم المحلية وأخيراً يكون محمد علي قد حصل لنفسه ولأسرته من بعده على مركز كقيل بضم مستقبه دون أن يحس ما عليه من الواجبات للسلطنة السنية .

« ويرجو المومنون أدناه من شكيب أفندي أن يعرض ملاحظاتهم هذه على البلاط الملكي العثماني وأن يوصي الحكومة السلطانية بأن تغيرها مز يد الانفات»^(١)

الإمضاءات

استر هازي - بوزور - بالمرستور - برناو .

(١) «قلموس الإدارة والنشاء» لليب جلاذ بك — المجلد الخامس صيفتا ١٤٨ و ١٤٩

فرمان ١٣ فبراير سنة ١٨٤١

« إلى وزيرى

« رأينا بسرور ما عرضتموه من البراهين على خضوعكم وتأكيدات أمانتكم
وصدق عبوديتكم لنا الشاهانية والملحة بنا العالى . فطول اختياركم وما لكم
من الدراية بأحوال البلاد المسئلة إدارتها لكم من مدة مديدة لا يتركان لنا ريباً
بأنكم قادرون بما تدونه من الفيرة والحكمة في إدارة شؤون ولايتكم على الحصول
من لدنا الشاهاني على حقوق جديدة في تعطفاتنا الملوكية وتفتنا بكم . فنقدرون
في الوقت نفسه إحساناتنا إليكم قدرها ونجتهدون في هذه المزايا التي امتزمت بها
في أولادكم . فمناسبة ذلك سممنا على تثبيتكم في الحكومة المصرية الميمنة حدودها
في الخريطة المرسلة إليكم من لدن صدرنا الأعظم ومنحتكم فضلاً على
ذلك ولاية مصر بطريق التوارث بالشروط الآتي بيانها : متى خلا منصب الولاية
المصرية تمهد الولاية إلى من تنتخبه سدنتنا الملوكية من أولادكم الذكور ونجري
هذه الطريقة نفسها بحق أولادكم وعلماً جراً . فإذا انقرضت ذريبتكم الذكور
لا يكون لأولاد نساء عائلتكم الذكور حق أبياً كإن في الولاية وإيرتها ومن وقع عليه
من أولادكم الاختيار لولاية مصر بالارث بعدكم يجب عليه الحضور إلى الأستانة
لتقليده الولاية المذكورة . على أن حق التوارث الممنوح لوالي مصر لا يمنحه رتبة
ولا لقباً أعلى من رتبة سائر الوزراء . ولهمم ولا حقاً في التقدم عليهم بل يعامل
بذات معاملة زملائه . وجميع أحكام خطنا الشريف الهايوني الصادر عن كلخانة

وكافة القوانين الادارية الجاري العمل بها أو تلك التي سيجري العمل بموجبها في ممالكنا العثمانية وجميع العهود المتقودة أو التي ستعقد في مستقبل الأيام بين بابنا العالي والدول المتحابه يتبع الاجراء على مقتضاها جميعها في ولاية مصر أيضاً. وكل ما هو مفروض على المصريين من الأموال والضرائب يجري تحصيله باسمنا اللوحي. ولكي لا يكون أهالي مصر وهم من بعض رعايانا العالي معرضين للضار والأموال والضرائب غير القانونية يجب أن تنظم تلك الأموال والضرائب بما يوافق حالة ترتيبها في سائر الممالك العثمانية. ويرجع الإيرادات الناتجة من الرسوم المحركة ومن باقي الضرائب التي تحصل في الديار المصرية بتحصل بتمامه ولا يخص منه شيء. ويؤدي إلى خزينة بابنا العالي العامرة والثلاثة أرباع الباقية تبقى لولايتكم لتقوم بمصاريف التحصيل والادارة المدنية والجهادية وبتفقات الوالي وبأثمان الغلال للزراعة مصر بتفديتها سنوياً إلى البلاد المقدسة مكة والمدينة. ويبقى هذا الخراج مستمراً دفعه من الحكومة المصرية بطريقة تأديته المشروعة مدة خمس سنوات تبتدىء من عام ١٢٥٧ أي من يوم ١٣ فبراير سنة ١٨٤١.

ومن الممكن ترتيب حالة أخرى بشأنه في مستقبل الأيام لتكون أكثر موافقة لحالة مصر المستقبلية ونوع الظروف التي ربما تجود عليها. ولما كان من واجبات بابنا العالي الوقوف على مقدار الإيرادات السنوية والطرق المستعملة في تحصيل العشور وباقي الضرائب وكان الوقوف على هذه الأحوال يستلزم تعيين لجنة مراقبة وملاحظة في تلك الولاية فينظر في ذلك فيما بعد ويجري ما يوافق إرادتنا السلطانية. ولما كان من اللازم أن يبين بابنا العالي ترتيباً لسك النقود لما في ذلك من الأهمية بحيث لا يعود يحدث فيها خلاف لامن جهة العيار ولا من جهة القيمة اقتضت إرادتي السنية أن تكون النقود الذهبية والفضية الجائز لحكومة مصر شرعياً باسمنا

الشاهاني معادلة لتنفرد الضروية في ضربناها العامرة بالأستانة سواء كان من قبيل عيارها أو من قبيل هيئتها وطرزها . ويكفي أن يكون لمصر في أوقات السلم ثمانية عشر ألفاً من الجنود للمحافظة في داخلية مصر ولا يجوز أن تتعدى ولا يتك هذا العدد . ولكن حيث أن قوات مصر العسكرية تعدد لخدمة الباب العالي أسوة بقوات المملكة العثمانية الباقية فوسوع أن يزداد هذا العدد في زمن الحرب بما يرى موافقاً في ذلك الحين . على أنه بحسب القاعدة الجديدة التبعة في كافة ممالكنا بشأن الخدمة العسكرية وهي بعد أن تخدم الجنود مدة خمس سنوات يستبدلون بسواهم من العساكر الجديدة فهذه القاعدة يجب اتباعها أيضاً في مصر بحيث ينتخب من العساكر الموجودة في الخدمة حالاً عشرون ألف رجل ليبدأوا الخدمة فيحفظ منها ثمانية عشر ألف رجل في مصر وترسل الألفان إلى هنا لأداء مدة خدمتهم . وحيث إن خمس العشرين ألف رجل واجب استبدالهم سنوياً فيؤخذ سنوياً من مصر أربعة آلاف رجل حسب القاعدة للقررة في نظام العسكرية حين سحب القرعة بشرط أن تستعمل في ذلك مواجب الإنسانية والنزاهة والسرعة اللازمة فيبقى في مصر ثلاثة آلاف وستائة جندي من الجنود الجديدة والأربعمائة يرسلون إلى هنا . ومن أهم مدة خدمته من الجنود المرسله إلى هذا الطرف ومن الجنود الباقية في مصر يرجعون إلى مساكنهم ولا يسوغ طلبهم للخدمة مرة ثانية . ولكون مناخ مصر ربما يستلزم أقشة خلاف الأقشة المستعملة للوسات العساكر هنا فلا بأس من ذلك فقط يجب أن لا تختلف هيئة اللباس والعلامم التمييزية ورايات الجنود المصرية عن مثلها من ملابس ورايات باقي الجنود العثمانية . وكذا ملابس الضباط وعلامم امتيازهم وملابس الملاحين وعساكر البحرية المصرية ورايات سفنها يجب أن تكون مماثلة للباس ورايات وعلامم

رجالنا وسفنتنا . والحكومة المصرية أن تعين ضباطاً برية وبحرية حتى رتبة الملازم
أما ما كان أعلى من هذه الرتبة فالتعيين فيها راجع لإرادتنا الشاهانية .
ولا يسوغ لوالي مصر أن يمشي من الآن فصاعداً سفتاً حربية إلا بإذننا الخاص .
وحيث أن الامتياز المعطى بوراثة ولاية مصر خاضع للشروط الموضحة أعلاه فعدم
تنفيذ أحد هذه الشروط موجب لإبطال هذا الامتياز وإلغائه في الحال . وبناء
على ذلك فقد أصدرنا خطنا هذا الشريف الموكي كي تقدروا أتم وأولادكم قدر
إحساننا الشاهاني فتمتدح كل الاعتناء بتنفيذ الشروط المقررة فيه وتحملون أهالي
مصر من كل فعل إكراهي وتكفلون رفاهيتهم وسعادتهم مع الحذر من مخالفة
أوامرنا الموكية وإختيار بابنا العالي عن كل المسائل المهمة المتعلقة بالبلاد المعهودة
ولايتها لكم . « (١)

(١) « تنوير النيل ونصر محمد علي باشا » تأليف أمين سامي باشا الجزء الثاني ص ١٠٠ .

ثانياً: النصوص

١- قصة الحضارة The Story of Civilization للكاتب الأمريكي ويل هورلت. وهي عبارة عن موسوعة كبرى في تاريخ العالم. وقد خصص للكاتب الأمريكي من ألقابها الجزء الأكبر في حياته، وطلب من ألقابها المثلث كله أكثر من مرة.
وهذه الموسوعة مكونة من ٤٢ جزءاً وتم ترجمتها في عام ١٩٤٦ بتكليف من جامعة الدول العربية، ثم قامت مكتبة الأسرة بإعادة طبعها في الأونة الأخيرة.

العثمانيون

١٢٨٨ - ١٥١٧م

يبدأ التاريخ بعد اختفاء الأصول. فلا أحد يعرف أين نشأ الأتراك ؛ فذهب بعض الناس إلى أنهم كانوا قبيلة فنلندية أوجرية Finno-Ugric (شعب لسيوى شرق الأورال) من الهون ، وأن اسمهم يعنى «خوذة» ، وهي في إحدى اللهجات التركية Durko . وقد شكلوا لغاتهم من اللتين المغولية والصينية ، وأدخلوا بعد ذلك ألفاظاً فارسية أو عربية ، وهذه اللهجات التركية هي الوسيلة الوحيدة لتصنيف المتكلمين منهم بوصفهم أتراكاً ؛ وانتمت واحدة من هذه العائلات اسمها من اسم زعيمها سلجوق ؛ وتمت بالنصر نحو النصر ، وتكاثرت سلالتها ، وحكوا في القرن الثالث عشر فارس والعراق وسوريا وآسيا الصغرى ، وفرت عشيرة أخرى من أقرباء العشيرة الأولى ، بقيادة زعيمها طغرل ، أر ، من خراسان في نفس القرن ، حتى لا يكتسحها طوقان المغول . واستخدمها سلجوق أمير قوته بآسيا الصغرى ، في الأعمال الحربية ، وأتباعها جزءاً من الأرض لرعي ماشيتها .

وفي ١٢٨٨ (٩) مات أرطغرل ، فاعتبر ابنه عثمان ، وهو إذ ذاك في الثلاثين من عمره ، ليخلف أباه ، ومنه اشتق اسم « العثمانيين » . ولم

يطلقوا على أنفسهم اسم الأتراك. قبل القرن التاسع عشر ، بل أطلقوه على الشعوب شبه الممجية في تركستان وخراسان . وفي ١٢٩٠ رأى عثمان أن السلجوقيين أضعف من أن يقفوا في طريقه ، فأعلن نفسه أميراً مستقلاً على ولاية صغيرة في الشمال الغربي من آسيا الصغرى ، وفي ١٢٩٩ تقدم بقواته غرباً إلى بني شير . ولم يكن عثمان قائداً عظيماً ، ولكنه كان مثابراً صبوراً ، وكان جيشه صغيراً ، ولكنه مكون من رجال ألفوا في ديارهم وكوب الخيل أكثر مما ألفوا السير على الأقدام ، رجال أرادوا أن يقاتلوا بحياتهم الشاقة من أجل الأرض أو الذهب أو النساء أو السلطان ، وكانت تقع بينهم وبين بحر مرمرية مدن بيزنطية ناصعة سببه الحكم هزيمة الدفاع : فحاصر عثمان واحدة منها وهي بروسه ، وأخفق أول الأمر في الاستيلاء عليها ، ولكنه عاد الكرة بعد الكرة ، حتى استسلمت المدينة أخيراً لابنه أورهان ، في الوقت الذي كان يرقد فيه عثمان على فراش الموت في بني شير (١٣٢٦) :

واتخذ أورهان من بروسه ، التي تفاصت برقات أبيه ، عاصمة جديدة للمعانيين . وساقته الرغبة في المزيد من السلطان إلى البحر المتوسط ، المركز العتيق للتجارة والثروة والمدنية . وفي نفس العام الذي سقطت فيه بروسه ، انزع يقوميديا التي صارت لها بعد أزيد ، وفي ١٣٣٠ استولى عز نيقية التي أصبحت أزميق ، وفي ١٣٣٦ استولى على برجاموم التي أصبحت برجامه ، وكانت تلك المدن العريقة في القدم والتي تفوح منها رائحة التاريخ ، مراكز للحرف والتجارة ، وقد اعتمدت في المواد الغذائية والأسواق اللازمة لها على إبلهاحات الزراعة المحيطة بها والتي كان المعانيون قد استولوا عليها في ذلك الحين ، وكان على هذه المدن أن تمشي على هذه البقاع الداخلية أو أن تحموت جوعاً . فلم تقاوم طويلاً ، لأنها كانت قد عانت من ظلم حكامها البيزنطيين ، كما سمعت بأن أورهان لم ينقل الكواهل بالضرائب ، وأنه رخص في حرية العقيدة . وكان كثير من هؤلاء المسيحيين في الشرق الأدنى هراطقة مرهقين :

تساطرة أو من القائلين بأن المسيح طبيعة واحدة . وسرعان ما ارتضى العقيدة الإسلامية جزء كبير من الأراضي المفتوحة ، وهكذا تحول الحروب المشاكل اللاهوتية ، على حين كانت هذه المشاكل قبل الحرب تقف حاجزاً بحيرة . ومدد وسع أورخان ملكه على هذا الشكل ، فقد اتخذ لنفسه سلطان العثمانيين . وعقد أباطرة بيزنطة أواصر السلام معه ، واستأجر جنوده ، وسحقوا لابته سليمان في بناء معازل على أرض أوربا . وقضى أورخان بحبه وهو في الوحدة والسبعين من عمره ، بعد أن حقد ذكراه بين جوانغ شعبه .

وكون خلفائه من بعده أسرة قل أن يوجد لها في التاريخ مثيل ، في هذا المزيغ من القوة الحربية والمهارة والمقدرة الإدارية والتسوية الوحشية ، والإخلاص الرفيع للآداب والعلوم والفنون . وكان مراد الأول أقل أفراد هذه الأسرة جاذبية ، ولا كان أميراً فإنه كان يصم بأصابعه المندومة في المداد على الوثائق ، على غرار القنطة المقهورين . ولما قاد ابنه صاونديج ثورة لاجرامية فاشلة ضده ، فقأ مراد عينيه وقطع رأسه ، وأرغم آباء الثوار على قطع رموس أبنائهم (٣٣٣) . ودرب مراد جيشاً لا يكاد يقهر ، وفتح معظم أراضي البلقان ، ويسر خضوعهم له بأن أقام لهم حكومة أفضل من تلك التي عرفوها على عهد السيطرة المسيحية .

وورث بايزيد الأول عرش أبيه في ميدان القتال في قوصوه (١٣٨٩) . ذلك أنه بعد أن قاد الجيش إلى النصر أمر بإعدام أخيه يعقوب الذي كان قد قاتل ببسالة في ذلك اليوم العصيب . وأصبح قتل الإخوة على هذا النحو قاعدة منتظمة عند سلاطين آل عثمان بعد الجلوس على العرش ، طبقاً للمبدأ القتال بأن الترد على الحكومة يؤدي إلى التفرق ، إلى حد أنه يجدر التخلص في أول فرصة ممكنة من يحمل أن يطالبوا بالعرش . وأحرز بايزيد لقب

« بلدرم أى الصاعقة » ، لسرعته في خطفه الحربية ، ولكن أعوزه فن الحكم الذى تميز به أبوه ، وأضاع بعض طاقته الجبارة في المغامرات التالفة ، وقدم سيقين لازارفتش ، حاكم الصرب من قبل السلطان ، لكنه لتنضم إلى حريم السلطان ، وأمضت هذه السيدة دسوانا زوجته الأثيرة لديه ، وغرست فيه الولع بشرب الخمر وإقامة المآذب السخية ، وربما أضعفت عن غير عمد حيويته كرجل . وتأتى غروره وكبريائه حتى سقطه . وبعد أن هزم بايزيد فرسان أوربا في نيقوبوليس ، أطلق سراخ كوت نفرز Nevers مع دعوة ممتازة للمبارزة ، وواعا أو عدل فيها فروسلر Froissor ، قال :

و أى جون ، إني أعلم جيداً أنك سيد عظيم في بلدك ، وأنتك ابن سيد عظيم . أنت شاب يافع ، وربما تلاقى بعض اللوم أو العار لأنك وقعت في هذه المغامرة في بداية عهدك بالفروسية ، وأنتك تخلصاً من اللوم وإنقاذاً لشرفك ، ربما تحشد قوة من الرجال لخاريتي ؟ ولو ساورنى الشك أو الخوف قبل رحيلك ، لأجرتك على أن تقسم بشرحيتك وعقبسنتك ، أنك لا أنت ولا أحد من زمرك ، سوف تشهر السلاح ضدى ولكنى إن أزمك أو أزم أحداً من أزياعك يمثل هذا القسم أو الوعد . ولكنى سأعدل ذلك عندما تعود إلى وطنك وإلى مسراتك ، لتجمع من القوة ما تشاء ، ولا تتدثر وسعاً ، وانخرج إلى قتلى ، وسوف تجددى دوماً على أهبة الاستعداد لاستقبالك واستقبال عصبك . . . وأطلع من تشاء على هذا الذى أقول لك ، فإني قادر على القتال ، ومستعد على الدوام لتتوغل في العالم المسيحى . (٣٣)

ولا أمر تيمورلنك السلطان بايزيد عامله بكل إجلال واحترام ،

على الرغم من الرضا من الرضا التي كاتنا قد تبادلها على مدى عام ، وأمره
تبدو بذلك أغلال السلطان وأجلسه إلى جانبه ، وأكد له أنه سيبقى على
حياته ، وأصدر تعليماته بأن تنصب ثلاث شيام فخمة لحاشيته . ولكن
عندما حاول بايزيد الحرب ، احتجز في غرفة ذات نوافذ مسدودة بالحواجز ،
وقد بالعت الأساطير فقالت إنها نقص من الحديد . ومرض بايزيد ، فدعا
تعمير لك أحسن الأطباء لمعالجته ، وأرسل السيدة دسبورنا لتسهر على رعايته
ومواساته . ولم تجد هذه المساعدات شيئاً ليث القوى الحيوية في السلطان
المحطم ومات بايزيد بعد عام من هزيمته .

وأعاد ابنه محمد الأول تنظيم حكومة العثمانيين وقوتهم ، وعلى الرغم
من أنه فقاً حتى أحد المطالبين بالعرش وقتل أخيه ، فإنه اكتسب لقب
السيد المهذب ، بفضل سلوكه الكيس اللطيف وحكمه العادل ، وسنوات
السلام العشر التي منحتها للعالم المسيحي . وكان مراد الثاني مثل هذه المشارب ،
فأثر الشعر على الحرب ، ولكن عندما نصبت القسطنطينية مرة أخرى له ليحلها ،
ونقضت المعاهدة السلم ، أثبت مراد الثاني في واريته (١٤٤٤) أنه قائد
كأحسن ما يكون القواد : ثم عاد إلى ميثيسيا في آسيا الصغرى : حيث
عقد مرتين في كل أسبوع اجتماعاً لشعراء وبلغلاء ، وقرأ الشعر وتحدث
في العلوم والفلسفة . وانتفضت ثورة في أجزائه عودته إلى أوروبا . فأخذها ،
وقهر هولندياد في قوصوه . وعندها مات في ١٤٥١ ، بعد أن قضى في
الحكم ثلاثين عاماً . ورضية المؤرخون المسيحيون في مصاف أعظم حكام
عصره : وقد أمر في وصيته بأن يدفن في بروسة في مصف متواضع غير
مستوف ، « حتى تنزل عليه رحمة الله وبركاته مع شروق الشمس والقمر ،
ومستوف المطر والندى على جده » (٣١) .

وتساوى محمد الثاني مع أبيه في الثقافة والفنوحات والنقطة السياسية
وطول الحكم ، وليس في العدل ولا في النيل : فنقض المعاهدات الوثيقة ،

ولطخ انتصاراته بالمذابح غير الضرورية . وكان يتم في مفاوضاته واستراتيجيته بدهاء الشرق . ومثل يوماً عن خطته فأجاب: « لو أن شعرة من لحيتي عرفت لانتزعتهما » (٣٥) ، وتحدث السلطان بتمس لغات ، وكان واسع الاطلاع في العديد من الآداب ، بارعا في الرياضيات والمنسنة ورعى الفنون ، وأجرى معاشات على ثلاثين شاعراً عثمانيّاً ، وبعت بالهدايا الملكية لى شعراء في فارس والهند . وجاء بعده في المرتبة الثانية ككتنصر للأدب والقن وزيره الأكبر محمود باشا ، فأعان هو وسيده كثيراً من الكليات والمؤسسات الدينية ، حتى أطلق على السلطان «أبو الأعمال الخيرية» . وكان محمداً أيضاً «أبا الانتصارات» ، فقد خرت التسطظينية له ولمدافعه ، وبفضل مدافعه أصبح البحر الأسود بحيرة عثمانية ، وأمام جيوشه وديبلوماسية وقعت دول البلقان في أسر العبودية . ولكن هذا القاتح الذي لا يقاوم ، لم يتغلب على نفسه أو يكبح جماحها ، فأنا بلغ الخمسين حتى كان قد آتاك قواه بكل ألوان الإفراط الجنسى ، ولم يجد المقاتير نقماً في تجديد حيويته ، حتى أدرجه حريمه آخر الأمر في عداد الأغوات . وقضى نحبه في سن الواحدة والخمسين في اللحظة التي بدأ فيها أن يبشع على وشك غزو إيطاليا وضمها إلى العالم الإسلامي .

وأدى النزاع بين أبنائه إلى تولي بايزيد الثاني العرش . ولم يكن بالسلطان الجديد نزوح إلى الحرب . ولكن عندما استولت البندقية على قبرص وتحدثت سيطرة الأتراك على شرق البحر المتوسط ، أفاق السلطان وضلل عناده بجهاد للسلام ، حتى بنى أسطولاً من ٢٧٠ سفينة ودمر أسطول البندقية بعيداً عن شواطئ اليونان . وأغار جيش تركي على شمال إيطاليا حتى وصل غرباً إلى فيشيترا (١٥٠٢) . فتوسلت البندقية لعقسه الصلح ومنعها بايزيد شروطاً سخية ، ثم ركن إلى الشعر والفلسفة من

جديد . وخلعه ابنه سليم وجلس على العرش (١٥١٢) ولم يابث إيازيد .
أن مات ، وقيل إنه مات مسموماً .

إن التاريخ ، من بعض الوجوه ، ليس إلا تعاقباً لموضوعات متعارضة ،
فإن الطباع والأشكال السائدة في عصر ينكرها ويرأ منها العصر الذي يليه ،
والذي يضيئ فرعاً بالتقاليد ، ويحرق لحناً إلى التجديد : فالكلاسيكية
تنجب الرومانتيكية ، وهذه تلك الواقعة ، وهذه تأتي بالتأثيرية ، كما
تدعو فترة الحرب إلى عهد (عشر سنوات) من السلم كما أن السلم الذي يطول
أمدّه يدعو إلى الحرب العنوانية . فقد ازدهر سلم الأول بسياسة السلم
التي انتهجها والده : وكان سليم قوي الجسم قوي الإرادة ، عزوفاً عن المسرات
وأسياب المتعة ، ولوعاً بالصيد والقتص وحياة المعسكر : واستحق لقب
« العيوس » لأنه شقن تسعة من ذوى قرياه متعاً لأية فتنة أو تمرد ، وشن الحرب
تلو الحرب من أجل الفتح والغزو . ولم تزعه إغارة إسماعيل الصفوي شاه
فارس على الحدود التركية . فقطع سليم على نفسه عهداً بأن يشيد ثلاثة مساجد
ضخمة في القدس ، وبودا ورومه ، إذا من الله عليه بالنصر على القرس (٣٣) ،
وإذا أثار العرة الدينية في شعبه إلى حد القتال ، فإنه تقدم نحو إسماعيل ،
واستولى على تبريز ، وجعل من شمال أرض الجزيرة ولاية عثمانية . وفي
١٥١٥ حول مذاهبه ورجاله الانكشارية إلى المالبك ، وضم سوريا
وبلاد العرب ومصر إلى مملكته (١٥١٧) وحل من القسامة إلى
القسطنطينية أسيراً مكرماً هو خليفة المسلمين ، وهو أكبر مقام ديني عند
المسلمين . وأصبح سلاطين العثمانيين بسند ذلك - مثل هنري الثامن -
أصحاب السلطة الدينية كما كانوا أصحاب السلطة الزمنية (سادة الدين والدولة) .
وفي أوج مجد قواته وعظمتها ، جهز سليم لغزو رودس والعالم المسيحي :
فلما تمت كل الاستعدادات ، أصيب بالطاعون ففضى عليه (١٥٢٠) .
وأمر ليو العاشر الذي كان قد ارتعد فرحاً لتقدم سليم أكثر مما ارتعد لظهور
مارتن لوثر - أمر الكنائس المسيحية بإقامة الصلوات شكراً لله .

قصة الحضارة

تأليف

ول ديورانت

٢٦

الجزء الخامس من المجلد السادس

— الحضارة العنانية

أولا — الحكومة :

هل كان العنانيون متحضرين ؟ الحق أن الانطباع بأن العنانيين كانوا متبربرين همجيين إذا تورطوا بالمسيحية ليس إلا وحمياً قصد به تفرقة الناس ؛ فإن أساليبهم في الزراعة وعلومهم كانت على الأمل تضارع ما كان منها لدى القرب ، فالأرض كان يفتحها مستأجرون من الرؤساء الإقطاعيين ، الذين كان عليهم في كل جيل أن يستعوضوا على أراضيهم بخدمة السلطان بطريقة مرضية ، في الإدارة وفي الحرب ، وبإستثناء النسيج والخزف ، وربما الأسلحة والندوع ، لم تكن الصناعة قد أتت بعد نظام المصانع ، كما كان الحال في فلورنسه وفي فلاندرز ، ولكن الحرفيين الأثرياء كانوا مشغولين بمنتجاتهم الممتازة ، ولم يشعر الأغنياء أو الفقراء بالأسى والحزن

لايعدام النظام الرأسمالي . ولم يبلغ التجار المسلمون في القرن السادس عشر من النفوذ السياسي أو المركز الاجتماعي ، ما بلغه نظرائهم في أوروبا الغربية . وتميزت التجارة بين الأتراك بعضهم البعض بالأمانة السنية ، ولكن بين الأتراك والمسيحيين كان المال مستباحاً : وتزكت التجارة الأجنبية في معظمها للأجانب : وسارت قوافل المسلمين ، في صبر وجدد ، على الطرق البرية التي كانت معروفة في العصور القديمة والوسطى ، إلى آسيا وأفريقية ، حتى عبر الصحراء ، وكانت الأتزال الصحراوية ، ومعظمها أسه سلبان ، تقدم للتاجر أو السائح أماكن للاستراحة على الطريق ، وسيطرت سفن المسلمين حتى سنة ١٥٠٠ على الطرق البحرية من القسطنطينية والإسكندرية ، عبر البحر الأحمر إلى الهند وجزر الهند الشرقية ، حيث كان التبادل يتم مع البضائع التي حملتها السفن الشراعية الصينية . وبعد أن فتحت رحلة فاسكودا جاما وانتصارات ليوكوك البحرية - فتحت الهند أمام التجار البرتغاليين ، فقد المسلمون سيادتهم على المحيط الهندي ، ودخلت مصر وسوريا وپارس والبنديفة طور انضمامها لبحار عام .

وكان التركي رجل بر وبحر معاً . وكان اهتمامه بالدين أقل من اهتمام معظم سائر المسلمين ، ولكنه كذلك نظر بعين الإعجاب والإكبار إلى الصوفية والدرأويش والأولياء ، واستمد شريعته من القرآن ، وتلقى تعليمه في المسجد ، ونباذ في عبادته ، مثل اليهود ، الصور التحوتة ونظر إلى المسيحيين على أنهم مشركون وثنيون . وكان للدين والدولة شيئاً واحداً ، وكان القرآن والسنة هما القانون الأساسيان ، وكان العلماء الذين فسروا القرآن هم أنفسهم أيضاً المعلمين والمعلمين والقضاة ورجال القانون في المملكة . وأمثال هؤلاء العلماء هم الذين جمعوا في عهد محمد الثاني وسليمان الأول مجموعات التواترين العثمانية النهائية .

وكان المفتي ، أو شيخ الإسلام ، على رأس جماعة العلماء ، وكان أعلى

جس في البلاد بعد السلطان والوزير الأكبر ، ولما كان الموت حتماً مقضياً على السلاطين ، وكانت بجاجة العلماء قائمة دوماً ، فإن هؤلاء المشرعين الدينيين هم الذين - كانوا الحياة اليومية في الإسلام ، ولما كانوا يفسرون الحاضر على أساس من شرائع الماضي ، فقد [تشبهوا بروح المحافظة وأسهموا في ركود الحضارة الإسلامية بعد وفاة سليمان . وعزز الإيمان بالقضاء والقدر - أو كما يقول الأتراك قسمة الإنسان أو نصيبه - روح المحافظة هذه : أي أن حيث أن الله قدو لكل نفس حظها ، فإن ضجر الإنسان بما قسم له ضرب من اليد عن الدين والتعمق فيه ، فكل شيء - في هذه الدنيا ، والموت خاصة ، هو من أمر الله ويجب الرضا به دون تلمز أو شكوى ، وقام بين الحين والحين من قوى التفكير الحر من يتحدث بصراحة بالغة ، ولكن نادراً ما كان يحكم عليه بالإعدام ، ومهما يكن من أمر ، فإن العلماء عادة أجازوا قدرأ كبيراً من حرية الفكر ، ولم يكن في تركياً الإسلامية حاكم تفتيش ،

وتمتع المسيحيون واليهود في ظل العثمانيين بقدر كبير من الحرية الدينية ، وسمح لهم بتطبيق شرائعهم في الأمور التي لا يكون المسلمون طرفاً فيها^(٢٢) . واحتضن محمد الثاني الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية عمداً ، لأن انعدام الثقة المتبادل بين اليونان والروم الكاثوليك أفاد الأتراك في مقاومة الصليبيين . وعلى الرغم من أن المسيحيين انتمشوا تحت حكم السلاطين ، فإنهم عانوا ضعفاً شديداً . فقد كانوا في حقيقة الأمر عبيداً أرقاء ، ولكن كان في مقدورهم إنهاء هذا الوضع بالدخول في الإسلام ، وفعل الملايين منهم ذلك . أما الذين رفضوا فكانوا مبعدين عن الجيش ، لأن الحروب الإسلامية كانت في ظاهرها مقدمة من أجل تحويل الكفار إلى الإسلام . ويخضع مثل هؤلاء المسيحيين لضريبة خاصة بدلا من الخدمة العسكرية ، وكانوا عادة فلاحين مستأجرين يدفعون عشر إنتاجهم إلى ملاك الأرض ، وكان

زماماً عليهم أن يقدموا واحداً من كل عشرة أبناء لهم ، حتى ينشأ نخبة
إسلامية في خدمة السلطان .

وكان السلطان والجيش والعلماء هم الدولة . وإذا وجه السلطان النداء ،
جاء كل رئيس إقطاعي ومعه قواته المجندة ليشكلوا فوق الخيالة الذين يبلغ
عددهم في عهد سليمان ١٣٠.٠٠٠ رجل . وكان مفير فرديناند ينظر بعين
الحسد إلى أية تجهيزاتهم : ملايسهم المصنوعة من البرونز (الحرير
المقصب) أو الحرير ذي اللون القرمزي أو الأصفر الفاتح أو الأزرق
القاتم ، وأظلم الجبل التي تتألق بالذهب والفضة والبلواهر ، فوق أسنن
جياذ رأسها عينا بوسيك Busbeg وتكونت صفوة المشاة من أبناء الأسرى
ودافعي الجزية المسيحيين الذين كانوا يمشون على خدمة السلطان في
قبضه ، أو إدارة السلاط ، وفوق كل شيء في الجيش ،
حيث كانوا يسمون الانكشارية أو العسكر البلديدي ، وكان مراد
الأول قد أنشأ هذه الفرقة القلعة (١٣٦٠) ، كوسيلة لتجريد وعيابه
المسيحيين مع الشباب الذي يمتثل أن يكون مصدر خطر . ولم يكن عددهم
كبيراً - نحو عشرين ألفاً في عهد سليمان ، وكانوا يتلقون تدريباً عالياً
على كل المهارات الحربية ، وكان محرماً عليهم الزواج أو الاشتغال بالأعمال
الاقتصادية ، ويلتزمون الروح العسكرية والجهد الحربي والعقيدة الإسلامية ،
وكانوا شجعاناً في الحرب ، قدراً ما كانوا ساحطين قلقين وقت السلم ،
وجاء بعد هؤلاء الجنود المتفوقين ، الميليشيا (جنود الطوارئ) ، وكانوا
نحو مائة ألف ، أشرف السباهي والانكشارية على تدريبهم وتغذيتهم
بالروح العسكرية . وكانت الأسلحة المفضلة لا تزال هي القوس والقتاب
والرمح ، وكانت الأسلحة النارية في بداية استعمالها ، وفي الاشتياكات عن
قرب كانت القضايب الشائكة والسيوف القصيرة هي المفضلة . وكان الجيش
والعلوم العسكرية على عهد سليمان أفضل ما في العالم من نوعهما في ذلك

العصر ، ولم يضارع أى جيش آخر جيش سليمان فى سلاح المدفعية أوفى
تحضر الخنادق والمهندسة العسكرية أوفى النظام والروح المعنوية ، أوفى
العناية بصحة الجنود ، أوفى بحمون الأعداد الهائلة من الجنود على مسافات
بعيدة ، ومهما يكن من أمر فإن الوسيلة كانت ممتازة تجرد خدمة غاية
معينة ، وأصبح الجيش غاية فى حد ذاته ، حيث كان لزاماً ، للحفاظ
على نظامه وتكبيح جاحه ، أن يخوض الحروب ، وبعد سليمان أصبح
الجيش ، والانكشارية فوق كل شىء سادة على السلاطين .

وكان المحدثون الذين تحولوا إلى الإسلام من أبناء المسيحيين يشكلون
غالبية القبة الإدارية فى الحكومة التركية المركزية . وكان حقاً علينا أن
نوقع أن يخشى السلطان المسلم أحاطه رجال يخبون « الزعيم الوطنى الألبانى »
اسكندر بيج ، ويعنون إلى دين آبائهم ، والأمر على النقيض من ذلك ،
لأن سليمان أثر هؤلاء المتحولين عن دينهم ، لأن فى الإمكان تدريبهم منذ
نومة لطفارم على مهام محددة فى الإدارة ، والأرجح أن بيروقراطية الدولة
العثمانية كانت أقدم ما وجد من نوعها فى النصف الأول من القرن السادس
عشر (١٥٠٠) ، ولو كانت عرضة للرشوة بشكل يسيء إلى سمعتها ، وضم الديوان
وهو بمثابة الوزارة فى الحكومات الغربية - كبار رجال الإدارة تحت رئاسة
الوزير الأكبر عادة ، وكان لهذا الديوان سلطات استشارية أكثر منها تشريعية ،
وكانت توصياته تصبح عادة قانوناً بمقتضى قانون أو مرسوم من السلطان ،
وكانت السلطة القضائية يتولاها القضاة والأئمة (كبار القضاة) من العلماء ،
ولم يحد المراقبين الغربيين نشاط المحاكم وسرعة البت فى المحاكمات
وصدور الأحكام (١٥٠٠) ، كما اعتقد مؤرخ إنجليزى كبير أن « سير القضاء
فى عهد الحكام العثمانيين الأولين كان فى تركيا أفضل منه فى أية بقعة
فى أوروبا ، وأن دعايا السلطان المسلمين كانوا أدق نظاماً من معظم

الجلاليات المسيحية ، وأن الجرائم كانت أندر^(٣٠) . وكان الانكشارية يقومون بوظيفة الشرطة في شوارع القسطنطينية التي يشمل طولها من حوادث القتل أكثر من أية عاصمة أوروبية أخرى^(٣١) . وفضلت الأقاليم التي وقعت تحت الحكم الإسلامي - رودس ، اليونان ، البلقان - فضلت هذا الحكم على أحوالها السابقة في ظل حكم الفرسان أو البيزنطيين أو البنادقة ، حتى بلاد البحر نفسها إذ أتت أن الأحوال فيها صارت تحت حكم سلطاني إلى أحسن مما كانت عليه أيام آل هابسبرج^(٣٢) .

وكانت معظم مكاتب الإدارة في الحكومة المركزية مستقرة في «السراني» أي المساكن الإمبراطورية - وهي ليست قصرًا ، ولكن مجموعة بيوت وحدائق وساحات ، تضم السلطان وحريمه وخدمته ومعاونيه وتماثيل الفؤاد من البروقراطية . وكان هذا النطاق الذي يبلغ محيطه ثلاثة أميال ، باب واحد ذو زخرفة رائعة ، أطلق عليه الفرنسيون «الباب العالي» ، وهو اصطلاح حدث في شيء من لغو الحديث ، أن قصد به الحكومة التركية نفسها . وجاء في المقام الثاني بعد السلطان في هذا التنظيم المركزي الوزير الأكبر . وأصل الكلمة عربية ومعناها حامل الأقاليم ، والحق أن الوزير نهض بأعباء ثقيلة ، فكان على رأس الديوان ، والبروقراطية ، والقضاء ، والسلك الدبلوماسي ، كما أشرف على العلاقات الخارجية ، وأجرى التعيينات الكبرى ، كما قام بأدق المهام الرسمية في أكثر الحكومات الأوروبية ولعاً بالرساميات ، وأما أشق الزمامات الوزير فهي لإرضاء الساطان في كل هذه الأمور ، حيث كان الوزير عادة مسيحيًا ثم أسلم . وبعبارة أدق ، هو عبد ، ويمكن أن يلقى حظه دون محاكمة بكلمة من سيده ، وأثبت سلطاني نفاذ بصيرته وسداد رأيه باعتبار وزراءه الذين أسهموا إسهامًا كبيرًا في نجاحه . وكان إبراهيم باشا (إبراهيم الحاكم) يونانيًا أمر فراسة المسلمين وأحضروه إلى سلطانه باعتباره عبدًا يبرهن بحسن الاستئصال .

ووجد سليمان أنه متعدد القدرات إلى حد أنه وكل إليه الأكثر فالأكثر من الصلاحيات والمهام ، وأجرى عليه راتباً سنوياً قدره ٦٠ ألف دولار (١٥٠٠٠٠ دولار ؟) وزوجه من أخت له ، وأكله بانتظام ، واستمتع بحديثه ومعزوفاته الموسيقية وبمعرفة اللغات ، والآداب ، وحسن اطلاعه على أمور الدنيا . وعلى الطريقة الشرقية الأنيقة أعلن السلطان سليمان أن كل ما يقوله إبراهيم يبنى أن يعتبر كأنه صادر من ذات فيه الذي ينثر اللؤلؤ (٤٤) . تلك كانت واحدة من أعظم صدقات التاريخ ، حتى في أساطير اليونان القديمة .

وثمة حكمة واحدة كانت تعوز إبراهيم - تلك هي أن يفتني زهوه للدخول بمواضع خارجي أو ظاهري . لقد كان لديه كثير من الأسباب التي تجعله يزهو بنفسه ، فهو الذي سما بالحكومة إلى أعلى درجات التقدير والكتابة ، وبفضل دبلوماسيته هو استطاع أن يشبع الفرقة والانقسام بين دول الغرب بتدبير التحالف مع فرنسا ، وهو الذي أعاد المدعو إلى آسيا الصغرى وسوريا ومصر ، حين سار سليمان بجيشه إلى الحجر ، بإصلاح المساواة ومعاملة الجميع بالعدل والكرامة . وكذلك كان له العذر في أن يكون حذراً متوجساً ، فإنه لم يزل عبداً ، وكالما ارتفع رأسه ، ازداد رقة ودقة ذلك الخيط الدقيق منه سيف السلطان المصلت على رقبة ، وقد أغضب الجيش حين حرم عليه سلب تبريز وبغداد ، وحاول منه من سلب بودا . واستطاع في هذا السلب أن ينفذ جزءاً من مكتبة ماثياس كورفينوس ، وثلاثة تماثيل من البرونز لرمز وأبوللو وأرتميز . ووضعها أمام قصره في النسططنية ، وحتى سيده المتحرر اضطرب هذه الإساءة الموجهة إلى الرعية السامية بتحريم التخت ، واتهمته ثروة الناس بامتياز القرآن ، وأفلام في بعض الأحيان حفلات تفوق في نفقتها وجهاها حفلات السلطان ، واتهمه أعضاء الديوان بأنه يتحدث وكأنه كان يتود السلطان كألسد أليف

موتى بالقيود ، واحتاطت روكسيلانا بحظيرة الحريم: من نفوذ إبراهيم ،
تويوماً بعد يوم ، وبفضل إصرار النساء ، ملأت أذن الإمبراطور بالشبهات
والشكاوى ، حتى اقتنع السلطان أخيراً ، وفي ٣١ مارس ١٥٣٦ ،
وجد إبراهيم محتوفاً على فراشه ، ويحتمل أن يكون ذلك بأمر ملكي ،
وهذا عمل يناهس في وحشيته إخراج سرفيسس أو بركوين .

وأكثر وحشية من هذا بكثير ، قانون قتل الأخوة الإمبراطوريين .
وقد عبر عنه محمد الثاني صراحة في سجل القوانين : « إن غالبية المشرعين
أعلنوا أن اللامعين من أبناء الذين يتولون العرش ، يكون لهم الحق
إعدام إخوتهم تأمياً للسلام في الدنيا ، وعليهم أن يعملوا طبقاً لهذا » (٢٢٥) .
وبهذا حكم عماد الفاتح ، في حدود ، بالإعدام على السلالة الملكية - عدا
الكبار منهم . وثمة سببة أخرى من سببات النظام العثماني ، وهي أن تزول
ممتلكات الحكوم عليه بالإعدام ، إلى السلطان الذي كان لذلك دائماً ،
تحت تأثير الإغراء بتحسين موارده المالية ، يصم أذنيه دون أي تدهار أو رجاء
ولا يد من أن تضيق أن سليمان قاوم هذا الإغراء : وعلى التفتيش من مثل
هذه المساوئ في الحكم الفردي المطلق ، يمكن أن تتمتع بديمقراطية غير
مباشرة في الحكومة العثمانية ، تلك هي أن الطريق إلى الرفعة والمكانة العالية ،
فما عدا السلطنة ، كان مفتوحاً أمام جميع المسيحيين الذين تحولوا إلى الإسلام
ومهما يكن من شيء ، ربما يرهق نجاح السلاطين الأوائل على أن قدرة
الأرستقراطية وراثية حيث لم يكن هناك أية حكومة معاصرة احتفظت بمثل
هذا المستوى العالي من القدرة والكنفاية لأمد طويل ، كما كان الحال في العرش
العثماني .

٢- قيام الدولة العثمانية لمحمد فؤاد كوبريلي:

يمثل هذا الكتاب خلاصة جهد علمي ضخم قام به المؤرخ التركي محمد فؤاد كوبريلي صاحب العديد من المؤلفات عن التاريخ العثماني. وقد ناقش هذا الكتاب الآراء والأقوال التي قيلت في قيام الدولة العثمانية وربط بين نشأة هذه الدولة وظروف الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في منطقة الاتصول إبان القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين كما أوضح الدور الذي لعبته الدولة العثمانية في حياة أوروبا والشرق العربي.

وقد ترجم هذا الكتاب من التركية إلى العربية الدكتور أحمد السعيد أستلا للغة التركية وعضو مجمع اللغة العربية.

في القرن الثالث عشر انتقلت دولة سلاجقة الروم
أمام زحف الغزاة من ملوك إيران *
كيف قام في القرن التالي تنظيم سياسي جديد في أقصى
الشمال الغربي من الأناضول على حدود البيزنطية
السلجوقية ؟ *

وكيف تحول هذا التنظيم في أقل من مائة عام إلى دولة
قوية تحكم الملقان وجزءا كبيرا من الأناضول السلاجقة ؟ اننا
نستطيع بالنظر إلى النتائج الخطيرة والمستمرة التي تمخضت
عنها هذا الحادث التاريخي أن نعتبر ظهور الدولة العثمانية
مشكلة من مشكلات تاريخ العصور الوسطى *

ولكن هذه المشكلة لم توضح التوضيح الذي تستحق ،
وهي لا تزال حتى الآن محمى يحول دون الكشف عنه وكما
من الأساطير طلقه لنا أصحاب الحوليات في العصور الوسطى ،
حتى إذا كانت سنة ١٤١٦ وأصدر Gibbons كتابه عن
تأسيس الإمبراطورية العثمانية :

The Foundation of the Ottoman Empire.
صار موضوع تأسيس الدولة العثمانية مشار جدول
ومناقشات بين المستشرقين :

فأما Clement Haart فخص كتاب Gibbons
بمقالين (١) اصداهما في Journal des Savants والأخرى في
Journal asiatique ومع أنه يتحيز في هاتين المقتاتين
من قبول بعض التفصيلات ، فإنه يقبل النتائج التي توصل
إليها Gibbons في جملتها ، ويقرر أننا قد تخلصنا
بفضل هذا الكتاب من الأساطير الساذجة التي تنص بهذا
أسرور التاريخ العثماني . *

وأما عالم التركيات الألماني F. Giese . فمع أنه
يحاول في مقال له عن كتاب Gibbons أن ينقصد نظريته

J. A. série II, Vol. IX (1917) p. 348-386, Journal des Savants (1917), p. 457-486.

في قيام الدولة العثمانية من أساسها وأن يعرض من عنده
بعض وجهات النظر الجديدة فإنه يقبل بعض النتائج التي
توصل إليها Gibbons (٢) .
وقد عني أيضاً بهذه المشكلة بعض المتأخرين كل من :
R. P. Blake, (٣) و W. L. Langer, و R. Tishoff (٤)
و J. H. Kramers (٥) محرر مادة « عثمانى » في
دائرة المعارف الإسلامية .

وظهرت عدا ذلك - أعمال أخرى تعالج تقاطعاً مختلفة
تتصل بهذه المشكلة من بعيد أو من قريب ولكنها - خلاصتها
كتاب جيبونز - طاعت محصورة داخل دوائر المستشرقين
الضيقة ومجهولة بالنسبة للبيانات التاريخية بالمتى الواسع .
ومهما يكن من أمر فلا بد أن نعتز بأن النتائج التي
حصلنا عليها ليست كافية لا كيفاً ولا كماً - وبأننا لا نزال
بمعيدين عن أن نكون قد حللنا لغز تأسيس الامبراطورية
العثمانية أو حتى أن نكون قد وضغناه بعض الشيء .
ومن هنا كان حرصنا على أن نتأخر هذه المشكلة الهامة
بقدر ما هي مجهولة لتكون موضوعاً للمحاضرة .

ولتبدأ أولاً بتفخيص الآراء السائدة في هذه المشكلة
ولنتقدمها ، ولتحدث بعد ذلك في أي المناهج يجب أن تتبع
لكي نستطيع القاء الضوء على هذه المشكلة ، في حدود
الإمكانات التي تمدنا بها المصادر الموجودة فعلاً بين أيدينا .
فإذا فرغنا من هذا فلنعرض النتائج التي توصلنا إليها
بهذا المنهج في خطوطها الرئيسية ودون أيغال في التفاصيل
الفرعية ، ولنعرض أيضاً المشكلات التي لم تتناول بالبحث
حتى الآن مع أن المنهج يتقاضينا أن ندرسها .

- (١) . Problem der Entstehung des osmanischen Reiches (Zeitschrift
für orientalische, Band II, Heft 2 (1920), S. 248-271.
Von allen Osmanischen Reich, Tubingen, 1922. (٢)
The Rise of the Ottoman Turks and its Historical Back- (٣)
ground (The American Historical Review, Vol. xxvii, No 5, April
1922, P. 460-468.
Encyclopédie de l'Islam Art Turque IV Histoire 1922. (٤)
(٥)

1 - نظرية جييونز عرض ونقد

الأراء السائدة الآن في موضوع نشوء الدولة العثمانية هي آراء جييونز ، فهي سائدة بين علماء التركيات وفي دوائر المؤرخين بالمعنى الواسع ، ومازال ينظر الي هذا المؤلف حتى في أكثر كتب التاريخ جديده كنتك التي تنشر منذ الحرب العالمية الأولى (في فرنسا مثلا) على أنه مصدر أساسي في بابه .

والحق أن جييونز حرر كتابه بمشاية ، ودرس بعض النقاط التفصيلية المتعلقة بالتاريخ السياسي والعسكري بدقة لا نجدها عند من سبقه من المؤرخين وعلى لبعض المسائل الأساسية تعليقات مضبوطة . ومن أشلة ذلك قوله ان الامبراطورية العثمانية لم تستطع توسيع ممتلكاتها في الأناضول الا بعد غزو شبه جزيرة البلقان ، وقوله أيضا ان فتح العثمانيين للبلقان لم يكن غزوا يقصد فقط الي التدمير والسلب ولكن كان عملية توطئ تنفذ طبقا لخطة . . ومع هذا فان نظرية جييونز الأساسية تبدو لنا واهية الأساس .

ولنفحصها أولا لبيان ذلك :

(أ) كان ارطغرل أبو عثمان الذي نسبت اليه الامبراطورية رئيس قبيلة صغيرة وفدت على الأناضول في عهد السلطان السلجوقي علاء الدين الأول قارة من خوارزم أمام زحف جنكيز خان واستقرت في سكود في شمال غرب الأناضول .

(ب) وكان عثمان وقبيلته أتراكا كشارا يزاولون الرعي . فلما عاشوا في بيئة اسلامية دخلوا في الاسلام كابتاء جلدتهم من الترك السلاجقة ، وأثار فيهم هذا الدين

الهديد وغبة في انفال الناس فيه فأرغموا جيرانهم الاغريق الذين كانوا يعيشون معهم في صداقة على السفول أيضا في حرزة الاسلام ، ولم يكن تحت امره عشان قبل دخوله في الاسلام الا اربعمائة محارب يقيمون في دوزم ويزاولون حياة تارفة وادعة *

واسكن عدد الثمانيين ما لبت أن تضاعف بين سنتي ١٢٩٠ و ١٣٠٠ وامضت حدودهم حتى لاصفت حدود البيزنطيين وأدى ذلك الى ظهور جنس **Race** جديد انتسب الى رئيسه وذلك هو الجنس الثماني ، ولم يكن هذا الجنس تركيا خاصا منذ بداية أمره ولكنه كان جنسا جديدا مختلطا ناشئا عن دويان العناصر الأصلية وقوامه الأتراك الوثنيون والاغريق المسيحيون *

(ج) وزاد جمهور الثمانيين بنسبة عظيمة في وقت قصير ، ومن الغم أن يعلل ذلك بالامتدادات البيوية الجديدة الصاعدة من الشرق لأن أراضي الثمانيين كانت تقع في أقصى غرب الأناضول ، وكان لايد للكامل البشرية لكي تبلغ ذلك المكان أن تلحق أولا بخدمة حكام الآخرين في شرق الأناضول وأن تأخذ منهم أراضي ، ومن هنا لا يمكن شرح هذه الزيادة الا بتدويان العناصر الملحق المسكون كله من الاغريق *

(د) ولا يمكن أيضا أن تملل سرعة تآصل الامبراطورية الثمانية في البلقان بهذه الأسباب المذكورة وحدها فقد ساعد أيضا على ذلك التآصل المرتف في بيزنطة وفي البلقان وفي العالم الغربي *

والجانب هذه العوامل الخارجية يجب أن نذكر أيضا قوة شخصية السلاطين الثمانيين الأوائل *

ولما كان نصارى البلقان الذين دخلوا في حوزة الحكم الثماني لم يعيشوا مثل نصارى الأناضول قرونا طويلة في جوار المسلمين فقد ابتدعت في عهد مراد الأول طرق جديدة

لادخالهم في الاسلام ، ومن هذه الطرق أن أمرى الحروب كانوا يعتقدون من الرق اذا هم دخلوا في الاسلام *

ولكن لا كانت هذه الطريقة لا تطبق الا في دائرة محدودة فقد كانت نتائجها أيضا محدودة وظهرت الضرورة لتأسيس الجيش الانكشاري (الذي يتكون من أبناء انتصاري)، ولوضع نظام الدرغرية الذي يدخلهم كرها في الاسلام، وبعد كانت العناصر الاغريقية والصقلية في البلقان تفضل أن تدخل في الاسلام كقواجا على أن تسلم أبناءها للعثمانيين *

فان أدخلنا في الاعتبارنا أن الجيش الانكشاري لم يكن له حتى في القرن الخامس عشر - أهمية عديدة ، ولم يكن يكون العنصر الأساسي في الجيش رجحنا انه لم يكن تشكيلا يراد به تقوية الجيش وأنه انما كان - ببساطة - وسيلة لنشر الاسلام *

هذه هي الأفكار الرئيسية التي يدافع عنها كتاب جيوتز، والملاحظ أنه يحاول جامدا أن يرجع قيام الدولة العثمانية الى سبب ديني خالص ، وأنه يعتقد أن الدخول في الدين الجديد أظهر جنسا جديدا هو الجنس العثماني *

ويجب أن نلاحظ قبل الشروع في نقد هذه الأدلة أن ارجاع واقعة تاريخية لها هذه التطورة الى العامل الديني وحده انما هو تحليل من جهة واحدة وأنه - حتى اذا احتوى على حقيقة جزئية - قاصر دائما وغير مقنع أمام تعقد الحقيقة التاريخية * * * وعدا ذلك فان استعمال المصطلح دائما لكلمة جنس في مكان كلمة شعب وبالعكس سبب كثيرا من اللبس * ومع هذا فإنه اذا كانت الامبراطورية العثمانية وهي حقيقة تاريخية قد وجدت ، فلم يوجد أبدا جنس عثماني ولا حتى شعب عثماني *

وأما ما يدعي جيوتز من أن المصادر العثمانية من الحجج ما يدل على أن عبارتي (عثماني) و (تركي) كانتا علمون على شعبين أو على جنسين متميزين فان مرد هذا

الدولة العثمانية - ٣٣

الادغام اندي يحاول جيبونز أن يؤيد به جزءا أساسيا من نظريته هو سوء الفهم للمصادر العثمانية ، وذلك أن كلمة (عثمانى) وهي اصطلاح سياسي لا اتنوغرافي كانت تطلق دائما عند كتاب التاريخ القدماء على طبقة رجال الحكومة والادارة التي تعيش في خدمة الدولة وتتقاضى منها الأجر .

ولما كنا سنرجع الى هذه المسألة فيما بعد فلندرس الآن على أى العييج تمتد دعوى جيبونز أن عثمان وقبيلته لم يكونوا في أول الأمر مسلمين .

لم يدلل جيبونز على هذه الدعوى التي كان يشاركه فيها : Noddeke (١) و Rambaud (٧) قديما ثم Bahinger (٨) و Grousset (٩) حديثا بأي دليل معقول .

وليس من الأدهان في شيء أن يقرر - اعتمادا على شواهد اتنوغرافية متأخرة ومشكوك في صحتها - أن قبائل تركمانية ليس لها من الإسلام إلا الاسم كذات تعيش في شمال سوريا وأن هذه القبائل - في قول مدوخي التاريخ - كانت لها قرابة بقبيلة عثمان .

لقد كان أقوى ما استند اليه جيبونز في تقريره هذه الدعوى أسطورتين وردتان في الحوليات العثمانية القديمة لأن جيبونز يرى من الجائز اذا أعوزتنا المصادر التاريخية في دراسة فترة ما أن نرجع بعيمطة - الى مثل هذه الأساطير لما تنعكس من الواقع التاريخي الذي حرفة الخيال الشعبي .

وترد هاتان الأسطورتان بروايات مختلفة : ففي بعضها يذكر أرطغرل أبو عثمان بدلا من أبته . ويمكن رد هاتين الأسطورتين الى أبسط سورهما على هذا النحو :

- Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, (١)
Band XIII.
Lavoisier et Rambaud, Histoire générale, Vol. III, p. 823 — 824. (٧)
Der Islam in Kleinasien, Zeits. Deutsch. Morg. Gesellschaft (٨)
Band 16 1902, S. 122.
Histoire de l'Islam Vol. I, 1922, p. 214. (٩)

(أ) قضى عثمان ليلة في دار أحد الزهاد المسلمين وقيل أن ينام جام صاحب البيت يكتب فوضعه على رف ، فسأله عثمان : ما هذا الكتاب ؟ فأجاب أنه القرآن الكريم ثم أجابه حين سأله عن محتواه بأنه كلمة الله أنزلت للناس بطريق النبي صلى الله عليه وسلم ، وحمل عثمان الكتاب وأخذ يقرأ واقفا حتى الصباح ثم نام فرأى فيما يرى النائم كأن ملاكاً يبشره بأنه وذريته سيعلمو قدرهم لقاء احترامه القرآن .

(ب) طلب عثمان إلى الشيخ أدهبالى أن يزوجه ابنته فرفض الشيخ طوال عامين وفي إحدى الليالي رأى عثمان وهو نائم في بيت الشيخ كأن قمرًا يخرج من صدر أدهبالى ويقع في صدره هو ثم تخرج من صدره شجرة يغطي ظلها الأرض كلها وأرسل أدهبالى الرؤيا بأن امرأة عثمان ستحكم العالم وزوجه ابنته .

وإنه إن مجانبة الجميلة كسبا بقسور *Chese* في نقده لجيوتز أن نستنتج من هذه الأساطير أن عثمان دخل في الإسلام في ذلك الوقت ، وقصارى ما يمكن استنباطه من أنها محاولة لدمج مشروعية حكم المشرقيين على سائر القبائل التركية بأسيا الصغرى بتدخل الهى .

ومع أن ملاحظة جيدة هذه من الحق بحيث لا تناقض فإني أرجو أن أزيد المسألة تعميقاً وأن أبين - بالمناسبة - إلى أي مدى يمكن أن تغطي الاستنباط إذا نحن أغفلنا النقد الداخلي للحوليات القديمة ولا أظننا نستغنى - ونحن بصدده الكشوف عن طبيعة هذا الموضوع الذي هو نقطة البداية لأرام جيوتز - من هذا الاستطراد بل إنى مبرهن فيه أيضاً أنواع الجميلة التي يجب التزامها عند استعمال المعلومات التي توردتها الحوليات المشرقية بخصوص هذه العهود المتقدمة .

تقرأ في « طبقات ناصري » للجرجاني وهو من مؤرخي القرن الثاني عشر رواية شبيهة تماماً بهذه الأسطورة :

قبل أن يولد فاتح الهند محمود الغزنوي بساعة واحدة
ورأى أيوب سووك تكين فيما يرى النائم كأن في بيته شجرة
تخرج من موقد نار وتطلل الأرض كلها . وأراه مصر
البرزي بن ابته سيكون غازيا (١٠) .

ويعتق أيضاً رشيد الدين الذي حرر وهو في بلاط
الإنجائين في القرن الرابع عشر أول تاريخ عالمي وهو
كتابه جامع التواريخ (وذلك في الجزء الخاص بتقالييد
الغز) وجهاً آخر لأسطورة الشجرة ترى في العلم ،
والأسطورة في هذا المقام خاصة بحاكم من حكام المنز
الأسطوريين يقال له طغرل وأخوين له . فقد رأى أبرهم
قبل أن يؤسس هؤلاء الثلاثة دولتهم كان ثلاثة جدوع تخرج
من سرته ثم تأخذ في التماطم بغير حد حتى تظلل كل الأرض
وتصبح فروعها في السماء وسأل ساحر القبيلة عن تأويل
رؤياه فأنبأه - وكان قد أعلن من قبل أن سيخرج من القبيلة
حاكم - بأن أولاده سيكونون ملوكاً وأمره ألا يقص رؤياه
على أحد (١١) .

وأما موضوع عقلة الأبر جزام احترام القرآن واختيار
الملك أو النبي بذلك في العلم فقد ورد نظيره في كتاب من
الكتب المنونة بـ (سلجوقنامه) صنف في القرن الرابع عشر
أي قبل أن تصنف حوليات المشائين .

دخل لقمان جد السلاجقة خرقته ليلة زواجه وكانت
المادة في ذلك الوقت أن يكون في الجهاز سبعة مصباح ،
ويصر لقمان بالصاحفة السبعة موضوعة فوق الكراسي
الخاصة بها ، فهاله - من تقديسه القرآن - أن يقضى تلك
الليلة في نفس الحجرة ، وقيل له إن المساحف يمكن أن
تنقل ولكنه رفض أيضاً وصحب امرأته إلى مكان آخر .
وفي نفس الليلة رأى الذي صلى الله عليه وسلم في

The Tabakat-i Nuhzi Khalkorta, 1996, p. 8.

(١١) في عدد من مخطوطات رشيد في الجزء الخاص بتقالييد الغز .

النام ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم ولأولاده بالسعادة الأبدية لقاء احترامه القرآن (١٢) *

وكثيرا ما تصادفتنا رؤى من هذا القبيل في حوليات التاريخيين القديم والوسيط ابتداء من هيرودوت ولكننا نرى أن الأحلام التي ذكرنا هي المثل الأول لحلم عثمان *

وأما الرواية الفرية التي أوردتها رشيد الدين فأحسد احتمالين أما أن تكون رواية شفوية كانت جارية على السنة أترابك الأناضول فتلغفها أصحاب الحوليات العثمانيين وأما أنها اقتبست - وهذا هو الأرجح - من كتاب رشيد الدين الذي كانت له منزلة خاصة في البلاط العثماني في القرن الرابع عشر ثم أسندت بعد ذلك إلى الأسرة العثمانية *

وعندما نعرض للموضوع الديني في الأناضول وفي القيسائل التركمانية في القرن الرابع عشر فسنرى في وضوح أكثر أن Gibbons قد بدأ من نقطة ضعيفة وتستطيع بيده المتناسبة أن تنبه إلى أن الحوليات العثمانية القديمة تضم أساطير من نفس النوع وأن كانت لها موضوعات أخرى ، ومن ذلك ما يرد في طيات قصة فتح (بيله جك) من أن رجالا أدخلوا القلعة متخفين في بعض الأتمة *

وتجد وجوها أخرى لهذا الموضوع في القصص الإسلامية الخاصة ينتج سمرقند (١٣) وفي كتاب طبقات (١٤) ناصري وفي الملحة الأناضولية الخاصة (١٥) بدانتسند قازي وهو من أشهر غزاة آسيا الصغرى، وفي ظفر نامه (١٦)

(١٢) تكتبة أمالية بباريس ملحق بالخطوط العربية
Kern, 1899.
(١٣) باقي : تضاق الجهاد مطروحة ترجمة من القرن الخامس عشر وتوجد نسخ منه في كثير من المكتبات .
(١٤) انظر النص الفرنسي من ٩٥ و ٩٦ .
(١٥) انظر كتابها و تراك الديالي تاريخي استانبول ١٩٦٨ من ٢٠٤ - ٢٠٦ .
(١٦) انظر النص الفرنسي كتابها ١٨٨٦ - الجزء الثامن من ١٧٦ .
(Bibliothèque, Indica).

لشرف الدين الذي يتناول مناقبه تيمورلنك ثم نجدها أخيراً
في رحلة أوليا جلبي (١٧) *

ولقد قرر جيرونز تأييداً لرأيه أنه لا يوجد مصدر
تاريخي واحد يذكر أن قبيلة عثمان أو أي قبيلة من القبائل
التي وجدت على الأناضول فراراً من زحف جنكيز كانت عنق
دين الإسلام ، أي أنه مع تسليمه بأن الأتراك السلاجقة
الذين توطنوا الأناضول بعد معركة ملاذكرد كانوا مسلمين
تماماً ، ويرى أن القبائل التي قرت أمام غزو جنكيز وطهرت
أمام حدود الأناضول في القرن الثالث عشر لم تدخل في
نطاق التأثير الإسلامي القوي رغم أنها عاشت أجيالاً كثيرة
على الحدود الإيرانية ، ويرى أن قبيلة عثمان الصغيرة
— مثلها كمثل هذه القبائل — لم تترك الوثنية إلى الإسلام
إلا بعد أن استقرت بين الأتراك المسلمين في غسرب
الأناضول *

الحق أن جيرونز لم يكن واقفاً على الأحوال الدينية في
الأناضول في القرنين الثالث عشر والرابع عشر فترتب عن
ذلك أن كانت آراؤه في هذا الموضوع متهافة في كثير من
وجهات النظر تباينت آرائه المعتمدة على أسطورة حتم عثمان
المذكورة آنفاً ، وبالإضافة إلى ذلك فإن جيرونز — لعل دونه
من أي فكرة عن التنظيم الجغرافي للترك وعن ظروف
توطنهم في الأناضول — لم يخطر بباله أن عبارة (سلاجقة)
مثلها كمثل عبارة (عثمانيون) علم سياسي لا جغرافي ،
وأنها مشتقة من اسم مؤسس الأسرة *

ولكن لجيرونز في هذا المقام خطأ أكبر يجب أن نشير
إليه فقد زعم أن القبيلة التي ينتمي إليها عثمان هي إحدى
القبائل الفارسة أمام غزو جنكيز خان ، جاءت لتستقر في
الأناضول ، ونحن لا نستطيع أن نقبل هذا الزعم لأنه متينة
المعند عليها الإجماع ، وتقرر أن المعلومات الفارسة بهذا

(١٧) سياتما من الجبل الثاني من ٢١٩ و٢٢٠ على وجه التقريبي نظر
S. G. (France) de Rouen For Paris 1924, p. 257.

الموضوع والواردة في كتب العوليات العثمانية التي ترجع إلى أواخر القرن الرابع عشر غير جدية بالثقة . وأن جيونز عجز - لأنه ليس من أصحاب الدراسات التركية - عن أن يقوم هذه المصادر كما ينبغي .

وإذا كانت المصادر الخاصة بالعمى السلجوقي خالية تماماً مما يثبت وجود هجرة في ذلك الوقت نحو الحدود الغربية للإمبراطورية السلجوقية فإنا مضطرون - استناداً إلى المعلومات التي بين أيدينا اليوم - أن نرجح - كما سبق - فيما بعد - أن قبيلة عثمان كانت من القبائل التي ولدت على الأناضول بعد فتحه على يد السلاجقة أول مرة .

وقد استقر الخطأ منذ قرون في العوليات العثمانية القديمة وفي الكتب الأوربية المعتمدة على هذه العوليات فتلقاه المؤلفون جميعاً الشرقيون منهم والغربيون ممن تناولوا تاريخ العثمانيين بعد Hammer كانه حقيقة . وربما كان من الأجحاف أن نحمل جيونز مسئولية هذا الخطأ فلم يكن خطأه إلا أنه قيس الأسطورة التي صنعها عقلية كتاب التاريخ في العصور الوسطى دون احساس بالحاجة إلى تدعيمها .

ومع هذا فإن هذا الخطأ الأول لجيونز لا يقاس بخطأ له ثان متفق فيه النظر الآن :

لقد فرض جيونز أن الإمبراطورية العثمانية خرجت من قبيلة يدوية أو شبه يدوية تضم في جملتها أربعمائة خيمة وشرح تطور الحوادث بعد ذلك على أساس أن هذه النقطة قد فرغ منها . والواقع أن هذه الطريقة من طريق النظر ماراكت تتناقض ابتداءً من أصحاب العوليات العثمانية القديمة إلى جيونز بل إلى ما بعده دون أن تكون موضع نقد ولم يتخل عنها المؤرخون الغربيون ولا الشرقيون لأنهم اغتروا ببساطتها .

ولقد كان كتاب الجوليات في المصدر الوسطي يملون هذا الحادث الفارق وهو قيام الدولة العثمانية بملل غير طبيعية ثلاث أضعافهم اللاهوتية كالمى رأيتاً من أسطورة العلم ولكن منطق القرن العشرين لا يتبع بهذا النوع من التعليلات حتى ولو أمكن - بشيء من التأويل - أن نضيفه بصيغة واقعية - نعم ، لقد كان جيوش شديد الأيمان بالرواية القائلة أن الدولة العثمانية نشأت في جماعة من الرعاة خيمة ولكن الم يكن من الترك الوافدين عسى الأناضول قبل قبيلة عثمان أو معها في وقت واحد من التحق بالعثمانيين ؟ وهل كان يملل صفر كذلك الذى ينتمى إليه عثمان يقوى بإمكاناته وحده عسى إيجاد تنظيم يستطيع عثمان أن يطاول به بيزنطة وأن يحكم به - في زمن قصير - بلاد البلقان .

إن جيوش يجب عن هذين السؤالين البسيطين دون أن يبدل جهده أى جهد ودون أن يرجع إلى أى وثيقة أو أن يأخذ في اعتباره ظروف الأناضول التاريخية في تلك الحقبة .

لقد وضع مقدمات باطلة فاستنتج منها نتائج خاطئة وهذا هو يقول :

إنه قبل انتهاء عهد أورخان كانت كتلة المغاربة الآسيويين التي تجمت من قبل جول عثمان قد زادت حتى بلغت نصف مليون ولم يكن من المقبول أن تكون هذه الزيادة طبيعية . كما لم يكن من المقبول أن تكون نتيجة أعدادات من البدو الوافدين من الشرق لأن الاتصالات كانت متينة بين أورخان وبين الأراضي الآسيوية الداخلية ، ولقد كان منافسوه أى بكوات الأناضول الآخرون لا يتوانون عن المراد هؤلاء المغاربة قبل وصولهم إلى أورخان ، ومن هنا فقد كون أورخان شعبه من العناصر المحلية وأغلبها من الأتراك .

وبعد أن قرر مؤلفنا أن هذه العناصر كونت - بدورها

في الإسلام - الجنس الثماني ، أضاف أن العناصر اللازمة لتنظيم الدولة كانت موجودة بين الإغريق الذين هم أقدم من الأتراك البدو على مثل هذه المهمة .

هذا هو رد جيونز على السؤالين اللذين طرحتهما وهو رد يلائم الرأي الذي كان سائدا بين المؤرخين الغربيين من قبله ، والذي مازال ينظر اليه حتى الآن كأنه من المسلمات (18) .

ولكن سيتضح فيما بعد أن هذه السلسلة من التعليلات ليست إلا أوهاما وأحكاما أرجالية لا تمت للحقيقة التاريخية بصلة ، فقد كان المسيحيون الداخلون في الإسلام من أمثال أسرة كوسه ميخائل نادرين جدا بين رجالات الامبراطورية الثمانية في القرن الرابع عشر بل وفي النصف الأول من القرن الخامس عشر .

وكما كانت البيروقراطية التي تستمد أصولها من التقاليد السلجوقية والأيلخانية مكونة كلها من عناصر تركية كذلك ، وكما يستدل من الوثائق التي بين أيدينا عن نحو قاطع - كان كبار رجال الإدارة وقادة الجيش يكادون أن يكونوا جميعا من الترك - ولم يكن ما اعتسور هذه الأرستقراطية التركية القابضة على مقاسد الإدارة في الدولة من قلة العبد وضئف النفوس ، ثم ما تلى ذلك من إسكان أولاد الدوشومة محلهم في المناصب لم يكن ذلك سابقا على النصف الثاني من القرن الخامس عشر ، ولقد كانت هذه الاستمارة ضرورية فرضت نفسها على كل الامبراطوريات ذات الحكم المطلق المكونة من عناصر غير متجانسة ، وكانت لها أسبابها الخاصة ، ومن العيب أن نعزوها اليه عجز الأتراك البدو عن أن ينظموا دولة .

وإذا سلمنا بما يقال من أن قبيلة عشان كانت لا تزال

(18) تانكي من بحال واثم الطي
Ch. Diez Byzanz, grandeur et décadence, Paris, 1928,
p. 22-23.

بدوية أو شبه بدوية في بداية القرن الرابع عشر ، وفي أوائل أيام الدولة العثمانية ، فلا شك مطلقاً في أن الحياة في المدن كانت متطورة في ذلك الوقت بدرجة كافية عندئذ لتبرك الأناضول ، ولا شك أيضاً في أن العثمانيين كانوا يجدون كل العناصر اللازمة لإدارة الدولة بين من كونهم الأنظمة الإدارية في الدولتين السلجوقية والإيلخانية وقبضت تدريجاً بالادارة في امارات الأناضول التي أسست قبل القرن الخامس عشر بل في من خرجتهم الأجهزة الإدارية في الامبراطورية المملوكية في مصر وسوريا ، وان في وسعنا أن نقرر - على العكس تماماً مما يقول جيونز - أن مناطق الحدود - وفيها ظهرت دولة العثمانيين - كانت كثيفة بجنس جماعات المهاجرين لا من البدو فقط ولكن من أهل الحضار أيضاً ومن كل أنحاء الأناضول .

ولسنا نريد ونحن نقرر هذا أن نشكر أن التبشير الاسلامي قد نشط بين العناصر المسيحية المحلية في بلاد العثمانيين ولكننا لا نقبل القول بأن دخول هذه العناصر في الاسلام وخاصة في القرن الرابع عشر - كان من السمة بالدرجة التي يرمعها جيونز . السمة الكثيفة بأن تعلق جنساً أو شعباً جديداً كل الجدة مفايراً للترك ويعتبر - في نفس الوقت - النواة الأولى لامبراطورية كبيرة .

وأما قول جيونز ان الامبراطورية العثمانية وضعت نظام الدوشيرمة خصيصاً لنشر الاسلام في البلقان فنقول فردى متعمد لا يتفق مع الوقائع التاريخية .

ومع أن جيزه Giese لم يأتي في حديثه عن تهاافت نظرية جيونز ببرهان قاطع ولا يدلي بمقنع فانه يسقط المسألة ووضعها واضحة بين أيدي الباحثين ، وعنده ان حائفة الاخيان التي تحدثناين بطولمة عن أهميتها الاجتماعية في الأناضول في القرن الرابع عشر لعبت الدور الأهم في تأسيس الدولة العثمانية وأن الشيخ آده بالي ، حما عثمان،

وكثيراً من رفاق عثمان في ميدان الحرب ، وأغاء علماء الدين
باشاً نفسه كانوا جميعاً من هذه الطائفة .

ويرى جيزه أيضاً أن العثمانيين الأتراك قد استعاضوا
بهذه الطائفة الدينية على تأسيس الإمبراطورية . ولما
أسسوا أول تنظيماتهم العسكرية وهو جيش المشاة المعروف
بـ (يا يا Ya Ya) - اليسوه زى الأخيان ، ولما أسس الفتيق
الانكشارى في عهد مراد الأول احتفظوا له بنظام الرأس
الذى يستعمله الأخيان .

ولقد كان Clement Hour على حق حين دعا - من
Glase - إلى ألا تغفل أدوار الطوائف الدينية المختلفة
وطائفة الأخيان بخاصة في تأسيس الإمبراطورية العثمانية ،
ولقد أبرزت أنا - وتقبل جيزه أيضاً - أدوار الطوائف
الدينية بوردور البكتاشية في تأسيس الجيش الانكشارى ،
وذلك عندما تناولت الأوضاع الدينية في الأناضول إبان
تأسيس الإمبراطورية العثمانية . في سلسلة من المقالات
تشرين سنة ١٩٢٢ بعنوان «الاسلام في الأناضول» (١٩) .

ومع أنني لا أستطيع أن أشارك جيزه آرائه ، وسأرى
أن بينت رأيي فيها (٢٠) فلا بد من الاتفاق بأن هذا العالم
الألماني قد أسهم في توجيه المشكلة توجيهاً جديداً بتصحيحه
أخطاء جيبونز وبإبرازه دور الأخيان في تأسيس الدولة
العثمانية ، يقول جيبونز : يجب أن نطرح من الآن الفكرة
الغاطلة القائلة بأن عثمان بمفرده ، وبقبيلة تركمانية من
أربعمائة خيمة قد ألقى أساس الدولة العثمانية .

إن الأسئلة والحق يقال مازالت واردة في أمر هذه
المشكلة ولكن العمل على سحر المفاهيم الغاطلة في أي مشكلة
من المشاكل إنما هو خطوة نحو الحل .

(١٩) انظر في «اسلاميات» ، «دييات» ، «الترك» في مجموعة من ١٩٢٢ للمجلة «التاريخ»
العدد ٥٥٥ .
(٢٠) «عشاق دولك تورديش» ، «جيد» مجموعة من ١١ ، ١٢ ، ١٣٤٤ .

٢ - كيفية دراسة المشكلة دراسة علمية

إن كل هذه الايضاحات كافية لبيان مدى التخلّف الذي ما زالت عليه دراسة نشوء الامبراطورية العثمانية ، واذا كنا قد شجينا نظرية جيونز القاصرة والتي اقامها صاحبها على أسطورة وجدنا مثاليها الأول في مصادر سابقة ، على حكايات العثمانيين فان معلوماتنا عن هذه الواقعة التاريخية الهامة من وقائع العصور الوسطى المتأخرة ليست اكثر تقدماً منها في أيام هامر أو - بصراحة أكثر - انشأ لم نتخلص حتى الان من افاصيص قداماء أصحاب الحكايات العثمانية الساذجة ولكننا ، من غير شك ، وبفضل التقديم الذي احرزوه البحث في تاريخ العصور الوسطى الغربية والبيزنطية منذ قرن من الزمان ، قد اوتينا من العلم بالأوضاع في بيزنطة وفي البلقان في القرن الرابع عشر ما لا يمكن ان يقاس بما كان معروفاً أيام هامر ، كما وفنا أيضاً على العوامل الخارجية التي سببت سرعة تطور القوة العثمانية في شبه جزيرة البلقان ، ولا شك في أن هذا كفه كفيلاً بأن يبيننا على فهم نشأة الدولة العثمانية .

ولكن العقيلة الواضحة أيضاً هي أنه لا بد لحل هذه المشكلة من الوقوف قبل كل شيء على عواملها الداخلية ، فمن وجهة النظر الانثوغرافية :

الى أي بطن ينتمي مؤسس الامبراطورية العثمانية ؟
وفي أي زمان جاءوا ليستقروا في شمال غرب الأناضول ؟ وماذا كان وضعهم الاجتماعي ، هل كانوا بدوا ؟ هل كانوا تصف بدو أم هل كانوا أهل حضر ؟ وهل تزايدت كثرتهم البشرية بما يتناسب مع تزايد دورهم السياسي ؟ والى أي مدى كانت العناصر التي زادت كثرتهم

بالالتحاق بهم تركية ؟ وإلى أي مدى كانت أجنبية ؟ وماذا كانت نسبة العناصر الوافدة من الخارج إلى العناصر المحلية وماذا كان بين العنصرين من صلات ؟ وماذا كانت نسبة العناصر البدوية إلى العناصر الحضرية والزراعية ؟ وكيف كانت العلاقات بين المسلمين والنصارى ، وما مدى قوة الطبقات الاجتماعية ودور كل منها في تأسيس الإمبراطورية ؟ وهل كانت الإمبراطورية المشرقية تشكيلا ديمقراطيا أو كانت تشكيلا استقراطيا ؟ وما التحول الذي طرأ على معنى الديانة في القرن الرابع عشر ؟ وإلى أي مستوى وصلت الحضارة المادية والروحية ؟

إن هنا مجموعة من الأسئلة الأساسية تتعلق بالانثوغرافيا وتاريخ الديانات وتاريخ القانون والتاريخ الاقتصادي أو تتعلق - إذا أردنا الإيجاز الشديد - بتاريخ الحضارة المادية والروحية ، ولا بد بادئ ذي بدء من أن تكون لدينا في موضوعها معلومات كافية .

ولكننا لا نجعل هذه العوامل الداخلية فقط بل نجعل أيضا ظروف الشرق الأدنى التاريخية في القرن الرابع عشر وهي عوامل خارجية لا غنى عنها لفهم تطور الإمبراطورية المشرقية ولا تعرف حتى الآن يقينا الدور الذي لعبته إمبراطورية القبيصة النهرية في الأناضول في الفترة التي نتحدث عنها ولا الدور الذي لعبته الإمبراطورية التركية في مصر والشام ، وما زالت معلوماتنا غير كافية عن الامارات الأناضولية ماذا كان موقفها الواحدة تجاه الأخرى وماذا كان موقفها إزاء هذه القوى الخارجية ثم إزاء المشرقيين .

ليس التصدي لحل مشكلة قيام الدولة المشرقية مع وجود هذه الظروف وهذه المجهولات تمرضا مهمة لا يمكن أن تتحقق ؟ إن جميع الذين تناولوا هذه المسئلة - ولا أستثنى منهم أحدا حتى جيوتز نفسه - لم يدققوا النظر

الجاء في هذه الأسئلة التي عدناها ، بل لم يفكر أحد منهم في أن يبسطها للدرس .

وان لم يكن لنا أن نأسف لأن كل الأعمال الخاصة بتاريخ العصر العربي الشرقي لم تنفك مرحلة التاريخ الروائي الخانع يبرد الحوادث السياسية والعسكرية ولأن النتائج التي قدمتها لنا الدراسات الخاصة ببداية عهد الامبراطورية العثمانية حتى من وجهة النظر البسيطة السياسية والعسكرية نتائج هزيلة مختزلة ومتناقضة في أغلب الأحيان ، ولكن ، أتدرون ذلك كما فعل جيبوتز الى قلة ما بين أيدينا من المصادر التاريخية ؟ وهل عدم كفاية المواد يضمن الدراسات الجديدة للأسئلة التي ذكرناها أمرا مستحيلا ، وهل قضى على مشكلة نشوء الدولة العثمانية بأن تبقى بغير حل كأنها المساواة المتطفلة الطرفين ؟

لا نظن ذلك ، وتأهيدا لرأيي فسأجده قبل كل شيء طبيعة المصادر التي بين أيدينا وقيمتها ، وماذا بعد ذلك أي منهج يجب أن نتبع -

(أ) المصادر

المصادر الاسلامية الخاصة بالأتاخيون في القرن الرابع عشر وهو قرن تأسيس الامبراطورية العثمانية نادرة ولا تكفي وإذا استثنينا بعض الكتب ذات الأهمية المحدودة والحررة في داخل امبراطورية الايلخانيين وبعض الفقرات التي حررها أصحاب الحوليات وكتاب التراجم من المرينيين ومشاهدات ابن بطوطة ، أمكن القول بأن الإنتاج التاريخي المخصص للأتاخيون مباشرة لم يك شيئا في ذلك القرن .

ولكن جيبوتز - الى كل ذلك - لم يستعمل من هذه المصادر القليلة التي مازال معظمها مخطوطا الا ما ترجع الى اللغات الغربية ، وهذه الترجمات - رغم قلتها - ترجع الى جهود قديمة لم تكن الدراسات الشرقية فيها متقدمة كما هي اليوم ، ثم هي ترجمات لنصوص غير معقولة قرئت قراءة سيئة وفشرت خطأ فهي غير جديرة بالثقة .

ومع هذا فيمكن أن ترجع بالإضافة إلى هذه النصوص إلى مصادر أخرى هامة خاصة بتاريخ هذه الحقبة مثل كتاب جامع التواريخ وتاريخ أولجايتو ثم صبح الاعشى والتعريف . وتستطيع كذلك الرجوع إلى كتب صدرت في القرن الخامس عشر ولكنها تضمنت معلومات قيمة عن القرن الرابع عشر مثل تاريخ العمري والدرر الكاشفة .

وأما بخصوص الكتب التي حررت في الأناضول في القرن الرابع عشر فإنها مع كونها محدودة جدا فإنها لم تستعمل حتى الآن إلا قليلا . وتستطيع أن تضع على رأس هذه الكتب العوليات الفارسية المتنوعة بمساررات الاخيار لمحمود بن محمد الاقصرابي وذلك لتقدمه وأهميته ويتكون هذا الكتاب الذي توجد منه نسخة في استانبول أحدهما في مكتبة أيا صوفيا تحت رقم ٣١٤٢ والأخرى بمكتبة بكى جامع تحت رقم ٨٢٧ . يتكون من أربعة أقسام أحدها وأهمها هو الأخير الذي يكون للشي الكتاب والذي يعالج - معتمدا على مشاهدات المؤلف - تاريخ الايلخانيين ومتأخرى السلاجقة الذين كانوا تحت حمايتهم .

وقد حرر هذه الكتاب سنة ٧٢٢ (١٣٢٣) وقدم إلى حاكم الايلخانيين على الأناضول دبيردش ابن الأمير جويان .

ولكنه لم يستغل حتى الآن كما ينبغي ولم يقرأه من المؤرخين المشائين الا منجم باشي ثم على به يارتولد بعض الوقت (٢١) .

ويأتي بعد ذلك كتاب القاضي أحمد النيسكدي المحرر سنة ٧٢٢ هـ (١٣٢٢) والمختوم بـ (الولد الشفيق) وهو لم يستعمل حتى الآن وتوجد نسخته الوحيدة في مكتبة القاج تحت رقم ٥٥١٩ ويضم هذا الكتاب الذي يمكن وصفه بأنه دائرة مسارف للعلوم الاسلامية معلومات عن

تاريخ السلطنة وبنود عظيمة الأهمية للتاريخ الديني والاجتماعي للأناضول في القرن الرابع عشر .

ويتناول المؤلف فيما تتناول من تاريخ الدول الأولى تاريخ السلطنة ولكن باختصار شديد وإذا استثنينا ما قال عن السلاطين المتأخرين فكلما في تاريخ السلطنة غير هام ولكن قيمة الكتاب مع هذا كبيرة فيما يتعلق بالتاريخ الاجتماعي . وقد ذكر المؤلف أنه ألف تاريخ السلطنة بكتاب ولكن هذا الكتاب لم يشر عليه من أسف حتى الآن .

ويلي ذلك الكتاب كتاب الحوليات الكبير الذي ألفه عزيز بن أرشير الاسترأبادي والمختوم بـ (بزم ووزم) والمقدم إلى القاضي برهان الدين سلطان سيواس ، وهذا الكتاب الذي نشره معهد الدراسات التركية بإستانبول سنة ١٩٢٨ هو أهم ما نملك من مصادر في تاريخ الأناضول في النصف الثاني من القرن الرابع عشر .

وإذا أضفنا هنا السكتيب المختوم بـ (سلجوقنامه) والمحمول في المكتبة الأملية ببساريس والذي درسه Houtema (٢٢) قديماً فانتنا نكون قد سردنا القائمة الكاملة للمصادر الرئيسية التي كتبت في الأناضول في القرن الرابع عشر (وقد جهل جيبوتز هذا الكتاب الأخير لسبب ما) .

وربما أمكننا أيضاً أن نذكر كتاباً مشكوكاً في قيمته وإن كان قد حرر في القرن الخامس عشر وذلك هو كتاب « تشكاري » الخاص بتاريخ دولة قرمان (٢٣) ، وكذلك كتاب (دستور نامه أنوري) الذي يبدو أنه صنف بالاستعانة بنص قديم عن تاريخ أيدين ولا يخلو هذا الكتاب من أهمية

Mededeelingen AK. W. amsterdam; eed. letterkunde, 3 Deel. 177

9 Teil, 1888.

P. Wjodek, Das Fürstentum Mez'ache (Istanbuler. mit- 177)
teilungen 2. tet, 1934 S. 80 Not 2).

فيما يتعلق بتاريخ العثمانيين في القرن الرابع عشر
والخامس عشر *

ولا يقلق أمر المصادر الخاصة بالأناضول في القرن
الرابع عشر عند هذا الحد فلهذا أيضا مجموعات الكتابات
الرسمية المعروفة بالمشآت ، وكتب مختلفة في الأدب
والتصوف ، وكتابات الرقعات وكتب مناقب الأولياء وغيرها
وقد ترجم أحمد كتب المناقب وهو كتاب الافلاكي الى
الفرنسية بقلم : Clement Huart وبنوان Leo Salata
des derviches tourneurs.

ويعسد أن نشره هيوار تنبئه الى أنه ليس مصدرا
للأوضاع الدينية فقط ولكنه مصدر تاريخي في نفس الوقت
وذكر في مقال له في Journal asiatique قدرا من
المعلومات التاريخية التي استخلصها (٢٤) منه ولا ضاهينا
نحن ما ورد بهذا الكتاب عن أمارات الأناضول يعسد من
الوثائق التاريخية المختلفة قررنا انه مصدر تاريخي جدير
بالثقة (٢٥) *

ولا ندعي بذلك أن كل مجموعات المناقب لها ما لكتاب
الافلاكي من قيمة تاريخية ولكننا نستطيع القول بأن هذا
النوع من الكتب اذا أخضع لمليات النقد التاريخي المحكم
يصبح مصدرا أساسيا للتاريخ الاجتماعي *

ويكفي هذا العرض السريع لبيان أننا نملك قدرا من
المصادر الهامة عن تاريخ الأناضول في القرن الرابع عشر.
وعدا هذا فان الأبحاث الجغرافية والتنمية التي تمت
في البلاد الشرقية وبخاصة في تركيا طوال هذه القرون
والعشرين سنة الأخيرة هيأت لنا أن نجتمع عن فترة قيام
الدولة العثمانية قدرا كبيرا من الوثائق *

(٢٤) De la Valeur Historique des manuscrits des Derviches
Tourneurs (J. A., XI, série 1/XIX (1922), p. 293-327.
(٢٥) الطر و انبول بكاترى ، ملند لولتر ، تركيا مجموعة من تجميد الثاني
١٩٣٨ ص ١ - ٢٢ .

ولكن المتيين بدراسة نفوس الدولة العثمانية من علماء الغرب سواء من يجهل منهم اللغات الشرقية مثل جيونز أو من يعرفها كالمستشرقين لم يستغلوا جميعاً المصادر التي ذكرنا كما ينبغي وكتبوا بمعلومات مستخرجة من بعض الحواريات القليلة الأهمية .

ويمكن في هذه الظروف أن نفهم بسهولة لماذا لم تظهر دراسة جادة عن تاريخ الأناضول الاجتماعي في القرن الرابع عشر ، ومن الواضح أننا نخطئ إذا رددنا هذا إلى قلة المواد وعدم كثافة المصادر فقط .

ولكيلا يقع ثوب من سوء الفهم ثاني أذكر هنا نقطة هامة وهي ان المتيين بدراسة مشكلة قيام الدولة العثمانية لم يستشعروا جميعاً الحاجة الى دراستها في إطار التاريخ العام للأناضول في القرن الرابع عشر ولذلك لم يجسروا أنفسهم الاستيعاب السكامل للمصادر التي ذكرناها وإنما ركزوا كل عنايتهم وانتهابهم على نقطة واحدة من البحث عن مصادر خاصة بالامبراطورية العثمانية وبالأمرة العثمانية ثم حاولوا حل مشكلة قيام الدولة بالاعتماد على هذه المصادر وحدها وكان من الطبيعي أن يؤدي بهم هذا التصور للمشكلة الى طريق مسدود .

وقد قرر جيونز - وهو ضحية هذه النظرية الفاسدة - انه لا توجد مصادر عثمانية قديمة خاصة بتاريخ العثمانيين وأن الحواريات القديمة التي تتحدث عن تاريخهم ترجع الى أواخر القرن الخامس عشر ، وأن المؤرخين البيزنطيين والغربيين يدورهم لا يحدوننا بالمعلومات الجديدة بالثقة عن نشأة العثمانيين المتواضعة .

وهذه الدعوى من دعاوى جيونز الذي لا تتجاوز معلوماته عن أقدم المصادر العثمانية المحررة داخل أراضي العثمانيين معلومات هامر دعوى صداقة في جوهرها . ويكاد الوضع الآن لا يفتقر عما كان عليه رقم كثره

ما حقق من العوليات العثمانية القديمة وما طبع من
التصويص الجديدة منذ سنة 1916 *

ومع هذا فإن بين أيدينا اليوم مصادر لم يكن مجهولاً
جيبونز فقل بل لم يطلع حاصر نفسه على كثير منها ، ومن
هذه المصادر كتاب تاريخ عاشق باشا الذي نشر نشرتين
تميزتين أحدهما عن الأخرى الأولى من عمل (عالي)
والثانية من عمل (جيزه) وكتاب : (تواريخ آل عثمان)
وهو كتاب مجهول المؤلف نشره جيزه أيضاً ، وتاريخ أروج
يك الذي نشره Babinger ، وتاريخ لطفى باشا
المطروح في استانبول وبهجة التواريخ للمؤرخ شكر الله وقد
نشره Theiss ، وتاريخ قرمانلي محمد باشا وقد نشره
مكرميين خليل كما نشر دستور تاه أنوري *

ومع هذه المصادر القليلة التي أضافها الشاعر الجدي
في آخر منظومته الكبيرة استكدرت منه المكتوبة أواخر القرن
الرابع عشر وكذلك كتب بهشي وروحي وابن كمال وهي
تواريخ مختلفة عن آل عثمان مازالت مخطوطة ثم تاريخ
العثمانيين الفخري وكتب كثيرة من هذا القبيل مجهولة كلها
عند هاجر ، ولكنها غير مجهزة في عالم العلم ، وإن كانت
لا تزال مخطوطة (26) فإذا أضفنا إلى ذلك بعض قوائم الكتب
المجهولة المؤلفين (27) وبعض المجموعات المسروقة
بقانوننامه (28) من المطبوعة في استانبول وفيها وبعض
الوثائق الرسمية النادرة (29) ، وإذا أدخلنا في اعتبارنا
الأبحاث الأبيجرافية والتنمية التي تمت في الخمسة والعشرين
عاماً الأخيرة عن العقبة العثمانية أدركنا إلى أي حد تندر
المصادر عن تاريخ العثمانيين في القرن الرابع عشر *

F. Babinger, Die Geschichtschreiber der Osmanen und ihre
Werke, Leipzig 1927.

(26) مكرميين خليل ، دستور تاه أروج (خمساً) (تركي) ص 71 .

(27) بل ليمان ميسرة ص 20 ، عدد 1 ، تاريخ عثمانى المجلد 1 ص 10 .

(28) ص 10 ، 11 .

(29) نشر مطبعه الرئاسي القديمة في مجلة تاريخ عثمانى ، المجلد 1 .

وإلا استثنياً بعض الحواريات الخاصة بأوائل القرن الرابع عشر أو نصفه الأول فإن بقية الانتاج متأخر من الناحية الزمنية ويرجع بعامة إلى أواخر القرن الخامس عشر أو حتى إلى ما بعده *

وأما الكتب التي حررها كتاب التاريخ والتي تعطي عن الفترات الأولى للإمبراطورية العثمانية معلومات معتمدة على الروايات الشعبية الشفهية أو على الأساطير المخترعة لفايات خاصة فإنها ليست إلا امتداداً للملاحم الشعبية القديمة ويجب ألا ننسى أنها جميعاً يتسخ بعضها عن بعض بفروق لا تناد تذكر ، ولا بد - لكي تستغل هذه الكتب - من أن تخصص وتعالج بنواهد النقد التاريخي *

وإذا كنا قد أشرنا إلى ندرة الوثائق الرسمية الخاصة بالقرن الرابع عشر فذلك لأن مكرميين خليل قد أثبت أن ما ورد في منشآت فريدون بك من الوثائق الخاصة بهذه الفترات الأولى منتحل (٣٠) من آخره وهذه هي الوثائق التي كانت تستعمل حتى الآن يحتفظ بقس أو يكثر حصول موثوقيتها كمصدر رئيسي *

ومع هذا فلو عرف مؤرخ هذه المصادر الجديدة التي كان يجدها جيبونز واستعملها كلها فإن يكون موقفه خيراً من موقف جيبونز بكثير ما لم يتجاوز المجال الضيق الذي التزمه جيبونز وذلك لأن هذه المصادر لا تعطي من تاريخ الفترة الأولى للإمبراطورية مواد مغايرة للمواد التي كانت معروفة من قبل *

هذا ، وليس لنا أن نتطلع - في تاريخ هذه الحقب المتقدمة - إلى الحصول على مصادر إسلامية أو بيزنطية أو الخريجية أكثر مما كان مسروفاً سنة ١٩١٦ * نعم ، إن النشرات المحققة للحواريات البيزنطية التي ترجع إلى القرن

الرابع عشر قد تصحح بعض التفاصيل الخاصة بتاريخ
المشائين في ذلك القرن كما أن بعض الوثائق التي يمدن
المشور عليها في الأرشيفات الإيطالية قد تلقي الضوء على
بعض مسائل تاريخ الشرق الأوسط في تلك الفترة -

ولكن ليس من الممكن عملاً أن نعرض في المصادر المصرية
أو البيزنطية أو الغربية على وثائق جديدة بالثقة ننتقل
مباشرة بنشوء الدولة العثمانية -

فماذا نستع ازام عدم كفاية المصادر العثمانية عن
القرن الرابع عشر ، ربما أمكن إذا أمعنا النظر في الآثار
الأدبية والفلمية والوثائق المختلفة التي كتبت في تلك
الفترة في المناطق العثمانية أن تلقي الضوء على بعض
المسائل التي لم توضحها كتب الوقائع وبخاصة المسائل
المتعلقة بالتاريخ الاجتماعي ، ولكني أظن أن هذه المصادر
لن تكفي في أيضا لتوضيح هذه المشكلة الكبيرة ، ولنتقدم
الآن إلى جوهر دعوانا : أن استصمام مشكلة قيام الدولة
العثمانية على الحل حتى الآن لا يرجع إلى قلة المواد التاريخية
أو إلى عدم كفاية المصادر فحسب وإنما يرجع قبل كل شيء
إلى خطأ في طريقة تناولنا تاريخهم من عقيدة ساذجة خاطئة
ولا تمت للمقابلة التاريخية بصفة وإذا لم نتخلص من هذه
العقيدة الخاطئة الواردة في الحوليات العثمانية القديمة
والتي يتناقلها التسوغلون في تاريخ العثمانيين في الشرق
والغرب فسقطت هذه المشكلة المستقلة بذاتها حل -

(ب) منهج البحث

وسأحاول الآن أن أشرح هذه الفكرة الخاطئة في بساطة
وايجاز بعد أن حاولت منذ سنين طويلة أن أفرس أركانها
في أبحاثي عن التاريخ الأدبي والديني والقانوني للدولة
العثمانية وسأحدث أيضا عن كيفية طرح مشكلة قيام

الامبراطورية المشانية للبحث وعن نوع العقليّة التي يجب ان تتناول بها وعن المنهج الذي يجب ان يتبع في معالجتها .

انه لمن الخطأ ان نعوذ تأسيس الامبراطورية المشانية الى قبيلة من اربعمائة خيمة كانت تقطن في القرن الثامن عشر الحدود البيزنطية السلجوقية في اقصى الشمال الغربي من الأناضول . دون ان ننكر - لشرح هذه الواقعة - في الظروف التاريخية والاجتماعية للأناضول في القرن الثالث عشر والرابع عشر وذلك ان المنطقة الجغرافية التي نشأت فيها الامبراطورية المشانية لم تكن جزيرة معزولة وسنط المحيط ولا كان أهلها يشكلون عنصرا متميزا عن بقية أتراك الأناضول السلجوقي وانما كانوا سواء في انشاء استقلال الدولة السلجوقية او في عهد سيادة الايلخانيين - يكتنون مع بقية أتراك الأناضول - وحدة سياسية واقتصادية وثقافية . ثم لقد كانوا يعيشون على الحدود وكانت ظروفهم - لذلك - معاهرة لظروف الأتراك في الداخل ولكن هذه المعاهرة لم تكن خاصة بهم فقد كانت قبائل تركية اخرى تعيش كذلك على الحدود . وفوق ذلك فلم يكن نظامهم الاجتماعي يفتقر عن النظم الاجتماعية عند شريم من أتراك الأناضول .

قل ان شئت انهم كانوا بدوا أو نصف بدوا أو قل انهم كانوا أهل حضرة انقطعت بينهم وبين البداوة كل الأسباب فلم يكن الأناضول - على أي حال - يغلو من قبائل تعيش في ظروف مشابهة تماما لظروفهم وحتى اذا تجنبنا ملاحظتنا هذه جانبيا وسلمنا جنودا بصحة تقريبا فان ذلك لا يثنى ضرورة دراسة المشكلة داخل الاطار العام لتاريخ الأناضول في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ولقد اخترع المؤرخون المشانيون القدماء من اصحاب الدائح سلالا نسب خيالية لسلاطينهم الذين لم يكونوا يتحدرون - بغير شك - من عائلة ملكية وحرصت هؤلاء المؤرخون - لكي يجعلوا من تأسيس الامبراطورية اجسدي المعجزات - على ان يشرحوه

بأسباب خارقة قوامها الأساطير ، ولقد كان من الطبيعي جدا لكتاب الرقائق ، وهم يحاونون كتابة ملحمة لاحدى اوسر ان يعرضوا تاريخ العثمانيين كأنه سلسلة من الأحداث قائمة براسها . ولكن الشيء الذى يدعو الى الدهشة هو ان يحتفظ علم التاريخ الحديث الذى ينكر الملل المعجزة والخارقة بتقس الروايات القديمة مع صحتها صينة اخرى .

وبهما يكن فلن نفهم المشكلات التى مازالت غامضة فى التاريخ العثماني الا اذا درس هذا التاريخ كما كتبت فى مناسبات كثيرة داخل إطار التاريخ الترقى العام أو بعبارة اخرى : ان هذه المشكلات لن تحل أو تبحث فى التاريخ العثماني باعتباره هو وتاريخ الامارات الأناضولية الأخرى امتدادا لتاريخ سلاجقة الروم . نعم ان الفسوف الذى يحيط بتاريخ هؤلاء السلاجقة هو الذى يحول دون فهم هذه الحقيقة البسيطة ولكن الخراج مشكلة قيام الدولة العثمانية من الطريق المسدود الذى وضعت فيه متوقف مع هذا صلل أن توضع فى وضعها الصحيح كامتداد للتاريخ السلجوقي ، أو لا ، فانها باقية فى مكانها وسترتب على هذا أن تبقى مسائل اخرى هامة من مسائل التاريخ العثماني غير قابلة للحل .

ولقد بيئت من قبيل فى أحد أبحاثى (٣١) كيف أن رامبو ويوزجا وشارك ديل وكثيرا من علماء البيزنطيات قد أخذوا يمدح الألكار المعاملة التشرية بأراء جيونز فحادوا وحل رأيهم فى مسألة العلاقات الحضارية بين بيزنطة والعثمانيين .

والآن وقد اسطلحنا على أن يكون هذا المبدأ هو نقطة انطلاقنا ، ويعد أن فرغنا من وضع المسألة فى موضعها فقد تعددت معالم الطريق الى الحل من تلقاء نفسها ، وهى :

(٣١) بيزانس مؤسسة رينك عملاق مؤسسة لوى أو زرينه تالوى ، تورق بطرق والجامعة التركية مجموعة بي - جلد من ١٦٥ - ٢١٢ .

اخضاع الوثائق التي بين أيدينا للنقدين الداخلي والخارجي طبقاً للتكنيك المأثور للمنهج التاريخي *

تزرع كل صفة واقعية عن الأساطير وأشجار النسب التي اخترعها مدونو التاريخ لغايات معينة وعدم استعمالها كمصادر *

تصر العناية على المسائل الرئيسية وتنبذ ما تحيط به الشبهات من أخبار التاريخ السياسي والعسكري وذلك الوقائع العسكرية الصغيرة التي لم تحدث تغيرات دائمة *

عدم الاقتصار على كتب الوقائع وترجيح العناية لا تغفل عن عنايتنا بهذه الكتب إلى كل صنوف الوثائق التي يمكن أن تدل على حل مشكلات التاريخ الاجتماعي *

دراسة التركيب الطبقي للعناصر التي تشكل ذلك المجتمع وموقفه كل عنصر بالتحديد وعوامل هزيمته وضعفه وأسباب ما كان يقع بينهم من تنافس أو تضارب أو - على الجملة - دراسة التغيرات في حياتهم الداخلية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر واعتبار ذلك أول من درسه ما كان يطرأ على حياتهم من تطلعات سياسية وعسكرية ، ويمكن أن نقول بمباراة أخرى أن علينا أن نستوعق تاريخاً تركيبياً لأتراك الأناضول يقوم على دراسة مورفولوجية مجتمعاتهم ودراسة تطور نظمهم الدينية والتشريعية والاقتصادية والثنية أكثر من قيامه على دراسة حيواته السياسية والعسكرية فربما هذا التركيب وحده وباستخدام كل ما بين أيدينا من المواد يمكن أن تصل في مشكلة قيام الدولة العثمانية إلى أقرب الحلول من الحقيقة ، فإن قيل : هل يفنى ما بين أيدينا من المصادر كما وكيفا بمثل هذا العمل التركيبي فإن جوابنا بطبيعة الحال هو : لا ، ولكن يجب أن نلاحظ أنه - على عدم كفايته - أكثر مما بين أيدي الذين يعتمدون على الآراء الأسطورية الواردة في حواريات التاريخ العثماني المتأخرة ، ومع هذا فلما حاولنا ، بما بين أيدينا من المراجع ، أن نكتب على سبيل المثال ، تقويماً

سأفرد لهمد عثمان كما كان يفعل أي مدون من مدوني التاريخ اهتمام لتعذر علينا الأمر لأننا لا نملك أي وسيلة لتجميع المعلومات غير الجديرة بالثقة التي تمدنا بها الحوليات العثمانية ، ولأننا لن نجد هونا على ذلك في المصادر البيزنطية أو العربية أو الوثائق الرسمية أو النقوش ، وسنجد أننا مضطرون إلى أن نستبعد بلا تردد مثل هذه المعلومات والتفاصيل التي تحيط بها الشبهات ، ونحن يبقى يعد عملية الاستبعاد هذه التي يقضي بها النقد التاريخي إلا القليل جدا من الوقائع الجديرة بالثقة .

ولكن المؤرخ ليس بحاجة لكاتب الحوليات إلى أن يعوّل بكل الأخبار والحوادث التي ترضى فضوله ، وإن في كتب الحوليات وسائر الوثائق من الحوادث الفرعية والمكررة وغير ذات الأهمية ما يبلغ الآلاف ولكن الجهد بها لا يحول دون ادراك التطور التاريخي لأى شعب .

وهنا يتجلى الفرق بين التاريخ القصصى والتاريخ التركيبى ، وليس معنى هذا انك تشكر اوجية الكبرى للجهود التي تبذل في كتب التاريخ المتبحرة ولكننا نريد ان ننبه الى أن التركيب التاريخي مغاير تماما لركام المسواد التاريخية التي لم تخضع للنقد ولم ترتب بحسب قيمتها ولم يفصل مهمها عن غير مهمها .

إن غاية المؤرخ هي أن يمثل للموقف ثقافة الجماعة في زمان ومكان معينين وأن يصورها بتشاطها تصويرا جيدا أقرب ما يكون إلى الحقيقة ولا فرق بين المؤرخ يفعل هذا وبين عالم الحيوانات الحفرية Paleontologist تقع في يده بقض قطع هامة من العظم فيعيد بفضلها بناء هوكل حيوان منقرش .

إن قصدي من تكرار هذه الملاحظات التي هي في حكم اليدهويات بالنسبة للمؤرخين المعاصرين هو أن أبين أن المواد المحدودة التي بين أيدينا يمكن أن تفيد فائدة كبيرة في حل

مشكلة قيام الدولة العثمانية ، ولقد بينت من قبل أن كل الذين اشتغلوا في هذه المسألة عجزوا حتى الآن عن الافادة من أهم هذه المواد .

وبعد أن فرغنا من الحديث في هذه المقدمة عن النقد والميتودولوجي فهناحاول في المباحثتين القادمتين أن تعالج مشكلة قيام الدولة العثمانية ولو في خطوطها الرئيسية مستفيدين من كل المراجع التي ذكرناها باختصار من قبل .

ولسنا نزعم بهذه التجربة التركيبية الجريئة التي نحاول تطبيقها في ميدان يكاد يكون غير مطروق حتى الآن أننا حللنا مشكلة قيام الدولة العثمانية حلا نهائيا وإذا كانت الأعمال التركيبية التي تعتمد على أوثق التفاصيل التحليلية لا تزعم هي نفسها أنها نهائية فلا شك في أن تجربتي هذه لن تؤدي بنا إلى ما يحسن السمكوت عليه . فهي الأولى في بابها وهي لا تزال - في كثير من نواحيها - بحاجة إلى أبحاث تحليلية كثيرة ولكن الغاية الرئيسية التي قصدت إليها من هذه المباحثات هي أن أبين بتركيز وبساطة أننا بحاجة إلى أن نطرق في تاريخ الترك والاسلام في العصور الوسطى نفس الأسول الجديدة المتبعة منذ القرن التاسع عشر في مباحث تاريخ العصور الوسطى الأوروبية . وذلك أننا نستطيع - باستثناءات قليلة - أن نقرر أن هذا الجزء الهام والمكتمل لتاريخ البشرية لم يتخلص حتى الآن رغم جهود الاستشراق الأوربي طوال القرن التاسع عشر من تقاليد كتاب العرايات في العصور الوسطى .

٣- محمد الفاتح للدكتور سالم الرشيدى:

هذا الكتاب عبارة عن رسالة دكتوراه قدمها صاحبها لكلية أصول الدين بالجامعة الأزهرية في عام ١٩٤٩ وقد تناول شخصية محمد الفاتح وأعماله السياسية والحربية لاسيما فتح القسطنطينة ١٤٥٣، كما تطرق إلى نشأة الدولة العثمانية وتعرض لسلطانها إلى أن وصل إلى السلطان محمد الفاتح ليكون البحث كما يذكر المؤلف متصل الأجزاء مطرد الخطوات.

تمهيد

من نشأة الدولة العنانية الى ارتقاء محمد القاسم عرش السلطنة

قبيلة عُمان في شبه الجزيرة - الإمارات وعموم - أرواحات في أوروبا -
مراد الأول - فتح الأردن - بوسنة ما رتراً وفوسوه - بإزيدة الأولى - بوسنة
ليكويني - بوسنة الأردن - بوسنة وأكرم - الحرب الأهلية - عهد الترك -
مراد الثاني - لندن و البسلايات - الفترحات في آسيا وأوروبا - حصار
بغداد - ملك بوسنة - عهد الخاني - بوسنة وارثة - انشور مراد القوي
القوية - ثورة ١٩١٧ - فرار السكندر بك - حركة فوسوه الثانية - وفاة
مراد وسلطنة عهد .

شهد العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)
غزوات مريعة مدمرة ، للهيبا كانت اشد ما تكب به المسلمون في
تاريخهم ، تلك هي غزوات المغول التي انطلقت من شرقي آسيا في بداية
هذا القرن على يد جنكيزخان ، فالتفت كالسيل الأبي الجارف لا يقف
في سبيله شيء ، فاستبح مالك ودمر عوامم وازعن لرواحاً لا تحصى .
وكانت دولة خوارزم شاه في ما وراء النهر، أول دولة إسلامية استهدفت
لذا السيل اللعولي فلم تقو على صده . وبانيار هذه الفتوة سنة (٦١٧ هـ -
١٢٢٠ م) انطلق هذا السيل الغربي آسيا ولم تكن هناك في ذلك الوقت

غير جاك، خليفة مفرقة قطارها الطومان في احتشائه ، وجعل الناس امام
حذا الخيل لاسم وفروا بطلون لنتجاء .

وكان فيمن فر سليمان بن قباله (جد عثمان) فترج بأهله وعشيرته
من مستقرهم خراسان التي حاجروا اليها منذ آمد جيد من موطنهم الأول
في أواسط آسيا ، وانجه بهم الى الغرب وكافوا زعاه خمس مئة الف نسمة .

ومضى سببان بعد في سيره ، حتى استقرت به الهوى سنة (٦٢١ هـ -
١٢٢٤ م) في أرمينية على ضفاف القرات . فها بين أوزبجان والخلاب .

ولبت سليمان وتومه في مقرهم الجديد بضع سنين إذ بلغه موت جنكيزخان ،
وطن أن المفطر القوي قد زال والبلاء قد انتقع ، وساوره الخنين ان
العودة ان موطنه السابق ، فألجج امره والتفت سبيله بمساعدة القرات .

غير انه عندما هم بعبوره في مكان وعر زلقت قدم فرسه فهوى براكبه
الى النهر وأبنته الماء (٦٢٨ هـ - ١٢٣١ م) .

والقسم اليازم من بعده الى طالقانين . أما الأول - وهي الأوكس - وهي الأوكس

عدداً - فقد واصلت سيرها الى خراسان بقيادة سليمان مستقرتكين وكورد
وغدي وحولاء قد طوى الدهر اجازهم ولم يذكر التاريخ من امرهم

شيئاً . أما القباضة الأخرى ، وكانت نحو أربع مئة امرأة - فقد تولت
امرهما لوطفرل بن سليمان فأخذ يرود بعض سهول ارضروم بالقرب من

مناج القرات ثم اتجه بقومه نحو الغرب ينشد لهم النكر الأسمين والعيش
السهول المنفض ، وانه لقي سيره عند حدود سلطنة سلاجقة الروم إذ

وقع بصره في سهل من السهول على بيوشين يقتتلان دون ان يعرف من
امرهما شيئاً فدفعته الخطوة الى لجة الضغفها حتى تحت له الغلبة والنصر ،

وتبين لأوطفرل بعد ذلك انه انما انتصر لجيش علاء الدين سلطان سلاجقة
الروم على المغول وابتهج لذلك نفسه ، إذ انه انتصر للروم لربطه بهم
لواصر الدم والثقة والمدين ، ولا لغزو قبيلة لوطفرل والسلاجقة فرعان
من فروع القبضة الكبيرة أوغوز . وقدر علاء الدين لأوطفرل صنيعة

وحسن بلاه كما رأى فيه قوة يستطيع ان يستعين بها فيما بعد على اعدائه من الروم والمغول فأقطعته جبال قره نجه وطوماتنج وارمى وسهل سكود، وتبع هذه الأراضي في ناحية الغربية من الدولة السلجوقية ، ونجسادي حدود الروم الذين كانوا لا يزال لهم بعض المدن في آسيا الصغرى . وقد اطلق أولئك أحسن البلاه في جهاد اعداء سيده من الروم والمغول فريد في القامعه ومنح ألقاب الشرف والتكريم .

عُمان : وبعد وفاة أولئك سنة (٥٦٨٠-١٢٨١ م) خلفه ابنه عُمان فسار سيرة ابيه في الجهاد والفتح واستولى سنة (٥٦٨٧-١٢٨٨ م) على « قرية حصار » وهي قلعة عظيمة للروم تقع على نهر سفاريسا . فأسيه السلطان علاء الدين الثالث وبالغ في إكرامه وأذن له بضرب السكة وذكر اسمه في خطبة الجمعة مع اسم السلطان ، ونسب اليه جميع الأراضي التي فتحها .

على ان دولة سلاجقة الروم كانت قد تدهضت وانحلت من طول ما اصابتها من الغزوات الخارجية والفتن الداخلية وكان سلطانها علاء الدين الثالث اذ ذلك رجلاً شجاعاً جباناً اتقى مكروهاً عند الناس . وحدث في سنة (٥٦٩٩-١٣٠٠م) أن اغار عليه المغول ، واشتدت في الوقت نفسه نيران الفتنة داخل دوله ، وأطلق عليه الخطر من هنا وهناك وتلكه الفرع والرعيب ، ففر الى السططيلية حيث لقي مصرعه . ولم يكن لعلاء الدين عقب خلفه على السلطنة فاستقل الولاة بالمقاطعات التي كانوا يحكمونها ، وجعلوا منها إمارات بلغت عدتها تسعاً وهي : القرمان وكرمان وقرمسي وصاروخان وايدين ولسطوني والشيد وسنشا ونكة . واستقل عُمان بما كان تحت يده واتخذ بني شهر « المدينة الجديدة » عاصمة له ودعا نفسه « بادشاه آل عُمان » أي (سلطان السمانين) وكان ذلك بداية الدولة السمانية التي شملت جزءاً كبيراً في تاريخ العلم . وكانت الروح الصليبية لا تزال مشوبة متقدة الى ذلك الحين وكانت

هي التي تبين على العلاقات بين الشرق والغرب ولم يحض بعد على فتح المسلمين لمكا أكثر حصون الصليبيين في فلسطين عبر بلخ سنين. وكانت العاطفة الدينية على عقولها وشدتها لدى المائتين فكان طبيعياً أن يبسطا حيان في غزواته وفتوحاته عبراته الروم في غربي آسيا الصغرى. وما أفراه بذلك ما كان عليه هؤلاء الروم من الضعف والخور ، وما كانت عليه أرواحهم من العصبية والثورة. واستولى منهم حيان على اماكن عديدة منها بروسه التي كانت تعد أهم حصن في آسيا الصغرى كلها .

أورخان : وعقله على السلطة سنة (1276-1281 م) ابنه أورخان وقد شب وترعرع تحت كنف أبيه في ساحات الحرب وميادين القتال وقاد الجند وفتح المدن . استولى في السنة الأولى من حكمه على أزميسد ونيقوميديا ، ثم استولى سنة (1281-1282 م) على أرتيق ونيقيا ، لاية المدن الرومية بعد القسطنطينية وبذلك سيطر على ساحل بحر مرمره ولم يعد يفصله عن أوروبا غير هذه القناة البحرية الضيقة . وأثر ذلك شيئاً غير قليل من القزع والقلق في أوروبا وبدأت البابوية تشعر بالخوف من تقدم المائتين وعشيت أن يعبروا البحر إلى أوروبا فيعظم خطرهم بعد ذلك على إيطاليا وعلى البابوية فيها كما أدركت الدول التجارية وفي مقدمتها البندقية التي لم تكن في هذه الدولة الإسلامية الجديدة إذا ما ترعرعت وتحت قاتها لن تلبث حتى تنازعها سلطانها ومكانتها في الشرق وتغالبها على أملاكها ومستعمراتها فيه ، وسعت البندقية إلى تأليب الدول الصراية على المائتين قبل أن يستعمل أمرهم وبطونهم . وعقد حلف صليبي اشترك فيه ايطاليا وملك فرنسا والبندقية وفرسان رودس وأمبراطور القسطنطينية. وفي 11 نوفمبر سنة 1291 أعلن البابا بوجس الثاني والشؤون Jean XXII أن ملك فرنسا فيليب السادس هو الذي سيقره الحملة الصليبية ولكن موت

أباً في ديسمبر من ذلك العام عاق لتقليد هذه المملة. وضمت الاستعدادات في فرنسا مع ذلك مستمرة لشقة واحتشدت في الثنائي سنن كثيرة تكفي لتقل عشرات الألاف من القاطنين ، وتواجد الصيبيون من كل جانب حتى بلغت عدتهم ثلاث مئة ألف رجل ولكن جد أمر تقصى عن جميع هذه الاستعدادات وهو تشوب الحروب بين فرنسا وإنجلترا .

كانت غزوات الصليبيين إلى ذلك المين موجبة إلى الروم . ولكن حدث في سنة (٧٣٦ هـ - ١٣٣٦ م) أن تولى أمير قريسي - وهي إحدى الإمارات التي قامت على أنقاض دولة سلاجقة الروم - وانحلت وكلاه من بعده وتنازعا الإمارة . واستبدل أورخان هذه الفرصة فدخل في النزاع وانتهى بالاستيلاء على الإمارة . وقد كان مما تهدف إليه الدولة الصليبية الناشئة أن تخلف دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى وترث ما كانت تحكمه . واستمر الصراع لذلك بينها وبين الإمارات الأخرى حتى أيام القابع حيث تم إخضاع آسيا الصغرى برمتها لسلطانه .

وانصرف أورخان بعد ذلك إلى توطيد أركان دولته وإلى الأعمال الإسلامية والعرفانية فنظم شؤون الإدارة وقوى الجيش وبنى المساجد وانشأ المعاهد العلمية وأسقى في كل ذلك نحو عشرين عاماً . ثم دعت الأحداث والظروف إلى القيام بعمل يمتد بداية مرحلة جديدة وتطور هام في مجرى تاريخ الدولة الصليبية وتاريخ أوروبا كلها ، ذلك هو نزول الصليبيين في أوروبا وما تلاه بعد ذلك من فتوحات الواسعة فيها .

كان على عرش بيزنطة في ذلك الوقت إمبراطور مسيحي عهد بالوصاية عليه إلى والدته ألكساندرا والرجل يدعى يوحنا كاتاكوزين John Cantacuzene ولكن هذا الرجل الطموح لم يفتح هذه الشركة في الوصاية وطمع في أن يكون له شيء من الملك والسلطان ، وعارضته الإمبراطورة وقوتها فاحترها واستنصر كل منها السلطان أورخان . ولعل كاتاكوزين كان أسبق في البذل والكفاة فآثره أورخان بالعمولة والنصر وانتهى الأمر بأن جعل عرش القسطنطينية قسمة بين كاتاكوزين وزوجه وأنا وابنها يوحنا الذي تزوج

ابنة كاتاكوزين توثيقاً لهذه الرابطة . وتزوج أورخسان ابنة أخرى له
تسمى تيودورا سنة (٨٧٧-١٣٤٦ م) وعاد الخوادم المنيون الى آسيا
الصغرى .

حدث بعد ذلك امر آخر استعصى عليه المنيون مرة اخرى الى
اوربا ، وذلك عندما زحف إمبراطور العرب دوشان على سالكوسك
سنة (١٣٤٩) وكاد يستولي عليها فاستجد كاتاكوزين بالسلطان
اورخان فبعث اليه بعشرين الف مقاتل ونجحت المدينة من الغزو الصربي .
ثم عاد المنيون ادراجهم الى آسيا الصغرى . على ان كاتاكوزين لم
يقنع طويلاً بهذه الشركة في الحكم وطبعت به نفسه الى الفرد بالسلطان
وأن تخلى الإمبراطورية له وحده بتواضع اعطاه من بعده فثار عليه حتى
يوحنا باليولاج والإمبراطورة أمنا وادته ونسبت بملك حرب العظيمة .
وقدرة هذه استجد كاتاكوزين بالسلطان أورخان فأعانه بعشرين الف
جندي بقيادة ابنه سليمان على أن يسلم كاتاكوزين للمنيون بعد انتصاره
قائمة سفيرة على الفاطمي الأوربي من الدردنيل وهي قائمة ترمب
Tympe على ساقفة غير جيدة من كليوني وكانت أول بقعة احتلتها
المنيون في اوربا . ولم يمض وقت طويل على استقرارهم في هذه القاعة
حتى حدثت زلزلة عنيفة - وهو امر غير نادر الوقوع في تلك الأقاليم -
فدمرت كثيراً من المدن ودكت بعض أسوار كليوني التي تعدد أهم
حصن على الدردنيل واعتقد الروم والأتراك على السواء أنها حدثت لكي
يشعر الى شيء ولكنهم اختلفوا في فهمه وادراكه متراء . أما الروم فقد
اعتقدوا انها عقبة إلهية حالت بهم فخرجوا من كليوني ووثقوا عنها
هادين وتركوا المدينة خراباً . أما الأتراك فقد استبشروا واعتقدوا أن
الله قد أراد بهم غيراً فقد لم السبل للاستيلاء على هذه الحصن وساء
هذا الحدث الذي زلزل قلوب الروم إلا آية من آيات العسر بركة الله
على عباده المؤمنين فتبث قلوبهم وتريدهم اجألاً ، وزحف سليمان بجنوده

على كليبي ودخلها بغير حرب ولا قتال . وشرح في إصلاح أسوارها
وعدت كليبي قلعة صليبية وقاعدة لقوات الصليبيين وقوتهم في
أوروبا ، وأصبحت صلاتهم على بعد أميال فقط من القسطنطينية .

ويجسم الكاتاكوزين الخطر المماني ودرك عظم خطئه في استدعائه
الصليبيين إلى أوروبا وتشكي إلى أورخان وسبب منه إعادة كليبي ، كما
عرض أن يدفع له مالا عظيماً على أن يخل تريب ، ولكن أورخان لم
يكره له ويعد كاتاكوزين إلى الصرب والبلغار يستجيب على عقد
حلف من نصارى البلقان لإخراج الأتراك من أوروبا ولكنه لم يلق من
خوفا غير السخرية والشبهة . وجاء الروم في القسطنطينية على كاتاكوزين
ويكف عنهم عليه أشده في أواخر عام ١٢٥٤ بعد أن جعلهم الصرايب
والكوس وأنهم به أنه يريد تسليم القسطنطينية للصليبيين وأعلموه عن
العرش . وقضى كاتاكوزين بقية حياته في الرهينة ثم شجع ابنه وعاد
يوحنا بالولوح إلى عرشه بيزنطة وفرد به . غير أنه كان أضعف من
أن يتناول الصليبيين بعد أن ثبوا قلوبهم في المناطق التي احتلها وانضموا
بعد ذلك يوغولون في تراليا حيث استولوا على مسند أخرى . وانضم
يوحنا بالولوح آخر الأمر أن يعترف هذه الفتوحات الصليبية وأصبح بمنزلة
الناج . وسنات سلبان سنة (١٢٥٩-١٢٥٨ م) إذ سقط عن ظهر
جواده في أثناء رحلة الصيد . وجرت أورخان لذلك أشد الحزن ولكن
به في السنة التالية بعد أن قضى على شوكة الروم في آسيا الصغرى وفتح
أبواب أوروبا لمن بعده .

مراد الأول : ترك أورخان لابنه مراد الأول جيشاً قوياً تمكن منه
من مد فتوحاته في أوروبا وآسيا معاً .
وكانت رفعة الدولة الصليبية في ذلك الوقت ضيقة النطاق تتمصر في
شاطئ الشرق بين الأسيوي والأوروبي والناطلي- الأسيوي من البوسفور .
وقد زاد مراد سعة هذه الدولة بحسبة احتلالها . استولى سنة (٧٦٣ هـ -

(١٣٦١ م) على أثره دون أن يلقى مقاومة تذكر من جانبها وهي أهم مدينة بعد القسطنطينية ، وقد أورك مراد بحية موقعها وخطورة مركزها فأخذها عاصمة ملكه . واستولى بعد ذلك على فيليبوبولس Philippopolis وأصبح العثمانيون بذلك يتوسطون البيزنطيين والصرب والبغاار . ولم يجد امبراطور القسطنطينية بدأ من الإذعان للأمر الواقع فأعترف بتخسرات العثمانيين واعهد فوق ذلك بأن لا يعاون الصرب والبغاار بل يساعد السلطان مراد في حروبه ضد امراء آسيا .

كانت انتصارات العثمانيين الى ذلك الحين تقع على الروم وهم قوم ضعاف وعاديين ولكنهم بعد توغلبهم في البلقان وجدوا انفسهم تجاه شعوب أحر أشد بأساً وشكينة وأكثر مرأساً ودرابة بالحرب والقتال كالصرب والبغاار والمجر الذين هالهم تقدم العثمانيين .

وكانت هياوية الى ذلك الحين لا تكثرت كثيراً لا كان ينزل عسلي الروم من المزارع والكتبات فقد كانوا في نظرها زنادقة انجاساً ولم تبال باستغلاتهم بها . أما الآن وقد استهدفت عمالك نصرانية كاثوليكية كالمجر القنصل الاسلامي فقد دعا البابا أوربان الخامس Urban V الى حملة صليبية على العثمانيين ، واهاب بالمجر والصرب والأفلاق أن يتحدوا ويكونوا إلباً واحداً عليهم ويخرجوهم من أوروبا . واحتشد من جميع هؤلاء جيش عرمرم التقى بهم العثمانيون على سفان نهر مارترزا وهزموهم هزيمة ساحقة سنة (٧٦٥ هـ - ١٣٦٤ م) وضم مراد الى ملكه القاطنق الواقعة في جنوبي جبال البلقان . أما البابا فقد اتابه عم شديس من جراء هذه الهزيمة وغلبه الكآه والحسب ولبقن ان الأتراك لن يقسفت في سبيل تقدمهم شي .^١

والحق أن معركة مارترزا تعد من المعارك القاصلة في تاريخ السلولة

العناية بل في تاريخ الإسلام ، فلو أن النصارى التطرفوا في هذه الرغبة وأخرجوا الأكراد من أوروبا لوامدا زحفهم الى آسيا الصغرى حتى بيت المقدس وربما تكررت مأساة الحملة الصليبية الأولى فإن فكسرة تكليس بيت المقدس من أيدي المسلمين كانت لا تزال حيسة حاضرة في أذهان النصارى في ذلك الحين وإلى ما بعد ذلك الحين . وعقدت جمهورية راجوزا من النساء نفسها الى السلطان مراد لا رأيت شدة بأسه وعذالة حكمه وعقدت معه في سنة (٧٦٧هـ - ١٣٦٥م) معاهدة تجارية منح بها مراد أهل راجوزا الامتياز بالتجارة في مملكته على أن تدفع له الجمهورية جزية سنوية قدرها خمس مئة ذوقه ذهباً وهي أول معاهدة عقدتها العثمانيون مع دولة نصرانية . وذهب امبراطور القسطنطينية الى مدى أبعد في الخضوع للعثمانيين فقبل ان يدفع جزية سنوية للسلطان وأن يقدم اليه جنوداً في حروبه المقبلة . وما لبث الامبراطور أن خاض ذراعاً يساً وصل اليه حاله من الضعف والملة والفران فرسل عام ١٣٢٩ الى رومة على أمل ان ينتج في حمل البابا عن دعوة الدول النصرانية الى شن حملة صليبية جديدة على العثمانيين وقام الامبراطور في سبيل ذلك بطقوس للعب الكاثوليكي وركع أمام البابا وقبل يديه ورجليه ولكنه رغم ذلك لم يصل الى شيء مما كان يريد وعاد أدراجاً الى القسطنطينية وقد جلب على نفسه سخط الروم وغضب السلطان . ولم يجد بداً من الأذعان للأمر الواقع على مرارته ، وعقد مع السلطان مراد معاهدة اعترف فيها بالتيبة الصراحة له وتعهد بأن يقدم بنفسه في الجيش العثماني وقدم ابنه ماثولي ليكون رعية في يد السلطان .

واصل مراد وقواده زحفهم في أوروبا واستولوا على كثير من المدن أهمها ماماكوف وصوفيا وموناستير ونيس وسريس وسالونيك واصبح ملكا بلغاريا وصربية يادغان الجزية للدولة العثمانية . كذلك وسع السلطان مراد حدود دولته في آسيا الصغرى ايضاً بين سنتي (٧٧٨-٧٨٢=١٣٧٥م - ١٣٨٠م)

قد زوج بإيريد بنه بإية أمير كرميان على أن يسلم لسلطان قلعة كوناغية
وعدة مدن أخرى من إمارته . أرغم السلطان مراد أمير الحميد على أن
يبع له جزءاً من إمارته . كذلك استولى على جزء من إمارة نكة . وكان
أشد هذه الإمارات بأساً وأخطرها شوكة إمارة القرمسان . وقد ظلت
تصارع العثمانيين ويزولونهم حتى أيام قاتح . وقد انتزع علاء الدين أمير
هذه الإمارة منهم السلطان مراد في الحروب هنا وهناك فحسب على
حدود دولته غير أن السلطان مراد عاجله وهزمه في سهل أنقرة سنة
(١٣٧٧ - ١٣٧٩) ووقف عند ذلك ولم يأخذ شيئاً من إمارته .

ولم تكن تنهي الحرب في آسيا حتى اندلعت حرب أخرى في أوروبا كانت
كلمة الفصل بين العثمانيين والنصارى البلقان ، فقد تحالفت مسان ملك
صربية على قتال العثمانيين واستطاع مراد أن يهزم مسان على جبهة وانخفض
معلم بلغاريا .

لما لازار قد نظم إليه أمراء البوسنة والافلاق وألبانيا والفرسك
وجامته جنود من المجر وبولسدة واجتمع من جميع هؤلاء جيش
ثام يكثر جيش المسلمين أضعافاً مضاعفة وكانوا على ثقة وبلين من النصر
وقد وطئوا حزمهم على استئصال شاة العثمانيين من أوروبا قبل أن ترسخ
أقدامهم فيها والجهرا أن قوسوه وصكروا بها . ونهد إليهم السلطان
مراد برغم كبر سنه وكان وزيره يحمل معه مصحفاً ففتح على غيبير
فصد فرقة نظره من هذه الآية وبأبها النبي حرض المؤمنين على القتال
إن يكن منكم عشرون صابرون يعلوا صائحين وإن يكن منكم مائة يظفروا
ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . (سورة الأنفال الآية ٦٥) .
فاستبشر بالنصر مع المسلمين ولم يلبث أن نشب القتال بين الجمعين
وحى وطنيه واستعرت اللهبنة واستأثرت في القتال . ولا غرو فكلاماً كان
يملأ آهبا المعركة التي تحسم النزاع وتقرر المصير . وانجلى الحرب أكثر
الأمر عن التعار المسلمين انتصاراً باعراً حاسماً . وقد اغتيل السلطان مراد

قبل نهاية الحركة على يد رجل صربي ، وكان ذلك في سنة (٨٧٩١م) -
(١٣٨٩م) .

بايزيد : وخلفه على السلطة ابنه بايزيد فبدأ يقتل أشبه يعقوب خشية أن يلازمه الملك فتقوم الفتنة إذ لم يكن هناك تقسيم ثابت واضح لولاية العرش وهو مشغل على أعمال خطيرة تستدعي الأمن والضمان في الداخل .
واصل بايزيد فتوحات والده في أوروبا وآسيا وكان لشدة انتفاضا
واقترابا وقد صرح لوفد قدم إليه من إيطاليا لبعض الكثوثن التجارية
أنه بعد أن يفتح المجر سيبحث أن يوسع ويضم حوضه العشب في
مقبع القديس بطرس . واعترف استغان ملك صربية بالسيادة العثمانية
وأخذ على نفسه أن يدفع جزية سنوية للسلطان ويقدم إليه فرقة من الجنود ،
وقد وقى استغان بجهد قتال جنوده الصرب مع بايزيد في معركة
تيكوبولي وأقتره بشجاعة وإخلاص ووزارت بيزنطية ذكوة أخرى في
التضوع للدولة العثمانية ، فإنه لا أبي قائد الأشهر « للاقبسا » وهي
أمر قلعة ليزنطية في آسيا الصغرى - تسليها للسلطان بايزيد زحف عليها
الإمبراطور يوحنا وابنه مانويل بأمر السلطان وسلبها له ! واستولى بايزيد
أيضا في آسيا الصغرى على إمارات ابدلي وماروخان ومشا وفر أمراؤها
ولجؤوا إلى إمارة قسطنطيني في الثنا . وضم اليقية الثانية من إمارتي نكة
وكرميان ثم فتح إمارة القرمات سنة ١٣٩٩ . وفتح فيها بين سنتي (٧٩٥-٨٧٩٦م -
١٣٩٣ - ١٣٩٤م) مدن سامسون وقيلبريه وسيواس وثوقات واستولى
أميرا على قسطنطيني وبذلك قضى على آخر إمبراطورية من الأباطرة السبع
التي قامت على المقام دولة سلجوقية الروم وفر أميرها مع من لجأ إليه
من الأمراء الآخرين إلى تيورنك . وخلاصت آسيا الصغرى برمتها

لسلطان بايزيد لم يده عنه منها غير ابراطورية طرابزون في الشمال وجزير
في الجنوب لغرس ، فقد كانت هذه في يد فرسان رودس .
وفي اوردبا ضد بايزيد الى الدولة العثمانية الجزء الشمالي من بلغاريا
كما استولى على نيكوبول وريدين وسليتريا ثم عسير نهر الطولون ورغم
تبر الأتلاق عن الخضوع ودفع الجزية واقرب بايزيد بذلك من حدود
البحر ودفع ملكه جيسون فبعث ان اوروبا يستعيد ويستصرخ (١٣٩٥)
وسارع البابا بونيفاس التاسع Boniface IX الى تلبية استنائه ودعا جميع
القساوسة الى حلة سببية قوية على العثمانيين ووعده بالقران انهم كل من
يشترك في هذه حسة . وتوافد الجنود والفرسان الى البحر وشاهدوا من
جميع انحاء اوروبا : من فرنسا والمانترا وسكوتلاندا والمانيا والفلاندر
دولمبارديا وساقوي ريجنا وترانسلفانيا ومولداويا والبوسنة وروموس والأتلاق
في بعض اميرها دفع الجزية لسلطان وجيزت البيلقية وبعض جزر
الارخبيل استقولا كثيرا هذه الحملة . وكانت القطة الرسومة ان يقوم
هنا الأسطول بالبحر على العثمانيين من ناحية البحر في الوقت الذي يحجم
فيه الجيش البري محتلف عليهم من ناحية البر ويقع السفن بذلك بين
شلي الرخي فيضطرر منحا لا ينجو منهم احد ، واحتشد ههنا الجيش
الحرمم الكبير في اودا بالبحر سنة ١٣٩٦ ثم انحدوا مع نهر الطولون
وعسكروا امام نيكوبول وكانوا على اعظم قوة بالبحر ينظرون ان هذه
الحملة على انها زينة عسكرية ووطئوا حزمهم بعد حزيمة بايزيد ان
يواصلوا الزحف الى تسطنطينية فأتيا نالام فلسطين ويقعدوا بيت المقدس
من أيدي (الكفار) وخرج السلطان بايزيد في جيشه والقسم هؤلاء

Flourin. Histoire des Chevaliers de Rhodes.
Sir Edward Cressy. History of the Ottoman Turks.
Orhon. The History of the Decline and Fall of the Roman
Empire. Sir Edward Cressy, op. cit. Sir James F. Pater. Turkey,
its history and progress.

الصلبيين في نيكوبولي في قتال مرير عتيف انتهى بانتصار المسلمين المتصلاً
بأهراً كاملاً ووقع في أسرهم كثير من عظماء جيش الصليبي (ذو
الحمزة ٧٩٨ هـ - سبتمبر ١٢٩٦ م). وفي نشوة النصر وانظر قال السلطان
بايزيد في زهو وكبرياء انه سيفتح إيطاليا ويضع حصانه الشجر في مدبح
القديس بطرس برومة^١ . أما سيمونيد ملك البحر الذي كان قد بلغ
به الفرور والاحتساذ بجيشه وكوئسه أن قال : لو التفت السماء حسن
عليها لأسكنها عرباً - فقد ولى عزياً ومعه رئيس فرسان رومس .
ولا يلبث في قرارها شاطيء البحر الأسود وبعد هناك الأسطول الصليبي
فوقاً على إحدى السفن وفرت بها سرعة لا تلوي على شيء . وتصادمت
مكانة البحر في حيون الناس بعد موقعة نيكوبولي ولعب ما كان يحيط
بها من هبة ورمية .

عاد بايزيد الى ادرنة وكان قد ترك كتية من جنده محاصر
القسطنطينية فقد كان يرى أن لا مفرحة له عن الاستيلاء عليها لتأمين
كيان دولته وعظم من الأباطور أن يسلمها له ووعده بالأمان لفضه
ولجميع أهل المدينة قبل ان يفتحها عنوة وترهق الأرواح وتراق النماء .
ولكن الأباطور على ضفته كان يدرك أهمية القسطنطينية وعظورة مكانتها
وموقعها وكان على يقين بأن الدول الصليبية أن تدعها تقع في يده
العائين على مسترح الى لجده ومناسرته فبعث الى السلطان بايزيد يأبى
عليه ما طلب وليقبل ما شاء . وأجاب بايزيد وهم بالفجوم على
القسطنطينية ولكن حدثاً هاماً صرفه عن المقضي في امره وحله على رقع
المحصار عن المدينة واسرع بجيشه الى آسيا الصغرى . ذلك أن القائد القزلي
تيمورلوك كان قد وصل في زحفه من الشرق الى حدود الدولة العثمانية
وشرع يتوغل فيها .

^١ Gibbon, op. cit. Allen, The Turks in Europe.

وكانت الدولة العباسية كما قد رأينا تزداد كل يوم قوة وأيداً وتزداد كل يوم امتداداً واتساعاً. واستحوذت الرعب والفرح والفرح على قلوب أهل أوروبا فلما ناسموا بالفتح الثرى بعثوا إليه بمرسولته على قتال العباسيين ويطروته بهم وكتب إليه ملك فرنسا شارل السادس الرسالة تلو الرسالة يستجيبه ويستحثه على هذا الأمر .

وكان تيودريك من جهة قد اتبع ملكه وتوث شوكنه وعظمت مهامه وتشتتت نفسه في اللذات ونظر لم يجد نداء يكافئه ويتأمله غير سلطان العباسيين . فكان حنيناً أن يسارع إلى تلبية دعوة أهل أوروبا له إذ كان يميل على منازلة رجل شديد اليأس قوي الشكينة مسر حرب لم يكن أحب إلى نفسه من أن يجد حلفاء يعبثونه على قتاله وطلب من دول أوروبا البحرية وفي مقدمتها جنوا والندفة أن تأتي بسفنها لمقاتلة العباسيين من البحر بينما يقوم هو بقتالهم في البر واستطيع هذه السفن قوت ذلك أن تسد الطريق على الجنود العباسية ، القادمة من أوروبا إلى آسيا . وهكذا أصبح السلطان بايزيد بن فاتح طموح في الشرق يسعى إلى إزائه والقضاء عليه ليترد بالخلابة والأمر بين شلقين وبين عدو مكلوم مورتور في الغرب يريد حلاكه وموته .

وكان بعض الأمراء الذين قهرهم تيودريك قد لجأوا إلى بايزيد وأخذوا بمرسولته على قتال ملك أستراليا في استعادة أملاكهم . كما أن بعض الأمراء الذين عليهم بايزيد في آسيا الصغرى قد بلغوا إلى تيودريك وأخذوا بمرسولته على قتال السلطان العباسي طمعاً في استعادة أملاكهم أيضاً . وكان ذلك كافياً لاشمال نار الحرب بين رجلين كان كل منهما عظيم الكبرياء شديد الاعتماد بنفسه فكتب كل منهما إلى الآخر - في لحظة عينة شديدة - يتهمه بمؤامرة اغتياله والتآمر عليه . وخرج بايزيد وهو يتوقد غيظاً وسخطاً لقتال تيودريك وقد دفعه هذا الغضب الجامح إلى الثبور والانتفاخ وأحمله عن التيسر والحذر فلم يحسن اختيار المكان

الذي نزل فيه بجيشه الذي لم يكن يزيد عن مئة وعشرين ألف مقاتل بينما كان جيش خصمه لا يقل عن ثمان مئة ألف .

ومات كثير من جنود بايزيد عطشاً لثمة الماء وكان الوقت صيفاً شديد الحرارة . ولم يكد يفتي الجيشان في الفترة حتى فر الجنود التتار الذين كانوا في جيش بايزيد وجنود الإمارات الأسيوية التي انضموا منذ عهد قريب وانضموا جميعاً إلى جيش تيمورلنك ولم يجد السلطان العثماني بعد ذلك ما الظهري هو وثيقة جيشه من الشجاعة والأسياسة في القتال ، فقد احتل بهم التتار من كل جانب . وكثرتوا عليهم بتسويهم الزائرة وهزموهم حزبة ساحقة ووقع بايزيد وابنه موسى وبعض كبار رجسائه جيشه في أسر التتار (١٤٠٤ - ١٤٠٦ م) . ولم يمانف تيمورلنك بعد ذلك أية مقاومة تعرض سبيله فاستولى على أذربيجان وبروسه وغيرها من المدن والحصون ثم ملك أسوار الزمير واستولى عليها من يد فرسان رومس وأعاد تيمورلنك كثيراً من الإمارات الأسيوية إلى أمراءها السابقين ودانوا له بطاعة والولاء . وفي أوروبا استعادت الامبراطورية البيزنطية كثيراً من ممتلكاتها السابقة كما استعادت الدول القلوية كإيطاليا وصربية والأعلاق والمورة سيادتها واستقلالها .

وزاد الطين بلة الحرب الأهلية الطاحنة التي أضحت هذه التكية القاجية ودامت عشر سنين ، فقد كان بايزيد خمسة أبناء اشتركوا بحصه في القتال ، أما مصطفى فقد ظن انه قتل في المعركة ، أما موسى فقد أسر مع والده ونجح الثلاثة الآخرون في الفرار . أما أكبرهم سليمان فقد ذهب إلى أدنة وأعلن نفسه سلطاناً هناك . وذهب أخوه عيسى إلى بروسه وأعلن لنفسه خليفة أبيه . أما محمد وهو أصغرهم فقد انسحب مع بعض الجنود إلى إماسيا في الشمال الشرقي من آسيا الصغرى . وتشتت الحرب بين هؤلاء الأربعة الثلاثة يتنازعون بينهم قتلاء الدولة المملوكية والأعداء يتربصون بهم من كل جانب . ثم اطلق تيمورلنك الأمير

الأسيوطي يؤيدج به ناز الفتنة ويزيدها شرماً وشدة وانظر بحرفهم على القتال - ويغري بعضهم ببعض . وبعد عام ارتحل تيمور لك بيت المرموم عن آسيا الصغرى كما يرخل الجراد المنتشر بعد ان يقضي على الأخضر واليابس وترك وراءه البلاد على أسوأ حال من القمار والخراب والقوضى .

أما الدول العثمانية في الغرب فقد حزها الفتح والطرب لمصرع بايزيد وما آتت إليه دولة من الفلك والاحتلال . وبث سلوك إنجلترا وفرنسا وبلندة وإمبراطور النمساوية إلى تيمورلك بهتولسه على ما احرزوه من نصر العظم والظفر المجيد - واعتقدت أوروبا أنها قد تخلصت ان الأيد من أنظر المياني الذي طابا روعها وهددها . ولكن الدولة العثمانية ظهرت في هذه اللحظة القاسية مانعة عنية وحيوية فسلفة الازت دفعة كثر من مؤرخي الغرب . نعم كان اتصال تيمور لتتصلاً

Voltaire, Les Mœurs des Nations, Finlay, A History of Greece, Lane Poole, Turkey, Lord Eversley, The Turkish Empire, Jarman, Turkey.

أرجع منه حيوية في جوهرها إلى التراب المكنة الراسخة التي نمت عليها الدولة العثمانية والتي تشكلت في حين الإدارة المدنية والسياسية والعسكرية والقانونية والدينية والتمثيلية على مائل التمسك الأخرى الثلاثة أثناء والتي تفر لها الهند والاحتلال . ثم انخرس القديم عن اجراء حياة الحضارة بين الناس لا فرق في ذلك بين مسلم وعثماني وقد ذكر لنا التاريخ ثلاث أمة رائدة في ذلك . وقد وجد الروم وغيرهم من الشعوب التي استقلت بالحكم العثماني من سياسة والحياة المدنية وحسن التسلط بما أصبحوا عليها تحت أي حكم آخر . ويوجد المذبح الصغرى الكثير جورج قبل أنظم القدر وإيجاب بالستان الأربعة أول من وضع « بحرية أحم ووزيرة ماله الدين - دولة العثمانية نظم الإدارة والعسكرية وبعد العلم مشرق في تيمور بعمور المدنية .

لقد قامت إذ جانب إدارة مائة بعد البلاد الدولة السلجوقية تسع إدارات أخرى فكانت تيسر لإدارة مائة من التبر والتعليم والاعمال بما لم يفسر غيرها من الإدارات الأخرى وقد كان بعض كبار وزراءها الروح والقوى منها إليها السيرة من الروم في السيرات التي تشتمها

عظيماً ولكنه على عقله كان ثمة الأثر في مصر العربيين . لقد قضى
تيمور على القوة العسكرية للدولة العثمانية ولكنه لم يتسلط العلب على
القوة الحيوية الكامنة فيها ، فما لبثت هذه الدولة أن التفتت من بين الانقراض
والأطلال وانتشرت وسرى في عربيتها ماء الحياة والقوة واستأنفت سيرها
إلى الأمام في ثبات وقوة كعهدنا من قبل ! .

محمد الأول : دامت الحرب الأهلية بين أبناء بايزيد عشر سنين وقد
استطاع محمد وهو أصغر الأربعة ثأ اوتي من الخرم والكياسة وبعد النظر
أن يتقلب على إخوته واحداً واحداً حتى خلاص له الأمر وتفرده بالسلطان
وقضى سبي حكمه النهائي في إعادة بناء الدولة وتوطيد أركانها مسلم
امبراطور التتططينية وحالفه وأعاد إليه بعض المسند على شاطئ البحر
الأشرف وفي تنالها وصالح الهندية بعد هزيمة اسطوره أمام كليبولي وقسح
الفتن والثورات في آسيا واوروبا وانضبع بعض الإمارات الأسيوية التي
أحيانا تيمورلك ودانت له بالولاة والقطاع .

وظهر بعد ذلك رجل زعم أنه مصطفى بن بايزيد ، وطلب بذلك
لقبه زاعماً أنه أول به من أخيه الأصغر محمد فذاته السلطان بالقرب من
سالونيك ففر إلى امبراطور القسطنطينية ولأذ به وأبى هسقا أن يسلمه
واحبسه عنده . وتوفي السلطان محمد سنة (٨٨٢٤ - ١٤٢١ م) بعد أن
ثبت قواعد الدولة العثمانية واسترجع بعض املاكها المفقودة وأعاد إليها
كثيراً مما كان لا من اليد والسفيرة .

مراد الثاني : وعالقه حل السلطنة ابنه مراد وسفصل القول بعض
الشيء في الحوادث التي وقعت في عهده فقد شهد ابنه محمد (القانج)

— صها البقرة البشرية إذ استطاع مدحان من قباد قوامة أن يؤسروا في وقت قصير امبراطورية
من أعظم الإمبراطوريات التي شهدها العالم . ولم يكن للقوة الصلح في ذلك من آثار ما كان قنقشواين
والعظم المنكة القوية .

Finlay, *Ibid* Lane Poole, *Ibid* .

طرفاً من هذه الحوادث واشتركاً في بعضها ، وكان لذلك أثره الكبير في تشه وفي البراعة التي التهجها فيما بعد .

كان مراد في الثامنة عشرة من عمره حيناً وبني السلطنة سنة (٨٢٤ هـ - ١٤٢١ م) وواصل سياسة والده السالفة فقد التزم مع أمير الزمان وعقد هدنة لخمس سنوات مع ملك المجر .

غير ان هذه سياسة السامية لم أفرت اميراطور القسطنطينية وكان كثيره من الروم شديد الغرور كبير الاعتداد بنفسه وبفوقه على المائتين في الشجاعة والمهارة السياسية ومعرفه عظمها وأساليبها . وزاده غروراً واستكباراً صغر من السلطان مراد فاستطاع به واستضعفه واستعز شأته وبعث اليه بطلبه من أن يسلم اليه أخويه الصغرين لتنتهبها وتربيتها في قصره ، واسب السلطان ذلك عليه بطبيعة الحسان لأن دية أبيه . قا كان من الاميراطور إلا أن أطلق سراح مصطفي الأمير عمه بعد ان كتب على نفسه ان يرد الي الاميراطورية البيزنطية جميع ما كان لها من المدن التي استولى عليها المائتين إذا ما نجحت ثورته . واعانه الاميراطور ماتوسيل بعض الجند والسفن . واشتدت شوكة هذا الخارج الذي واستفحل أمره وكثر أسياته وهزم جنود السلطان مراد في أوروبا . وبعد أن تمت تصفطي الكلية والسيطرة على المناطق الأوروبية عبر الحدود ليقاتل السلطان مراد نفسه في آسيا غير أن هذا السلطان استطاع بدعائه ان يحشد عه جنوده ثم التقص عليه فهزمه وفر مصطفي الي أوروبا وطرد من مكان الى مكان حتى قبض عليه وقتل . والدرك اميراطور القسطنطينية سوء عمله والخطر الذي يهدده واراد ان يخلد من قلب السلطان مراد فبعث اليه بطلبه بانتصاره ويعتقد له مما فرطت ، ولكن السلطان مراد لم يكثر له وزحف تراً في عشرين ألف مقاتل الي القسطنطينية وحاصرها . غير أن ثورة جديدة في آسيا الصغرى اضطرت ان رفع الحصار فقد نجح اميراطور القسطنطينية في إفراء أخ أصغر مراد يدعى مصطفي أيضاً وحمله على

الخروج على أبيه ليخلف بذلك عن نفسه وطناً الحصار القوي على مدينته . ولقي مصطفى حرقاً وعسفاً من بعض أهل القرمان وكرمان وقويت بذلك شوكة وهزم جيشاً للسلطان مراد في آسيا الصغرى . ثم عهد السلطان بدأ من رفع الحصار عن القسطنطينية والإسراع بعيشه أن آسيا الصغرى حيث تم الثورة ونفى على الأثر . وأصبح السلطان مراد ذلك بتفوحات أخرى في آسيا الصغرى فتبع الإمارات إيدى وميتا وتك وجزءاً عظيماً من إمارة قسطنطيني . وجاءه أمير كرمان فأوصى له بإمارته . وقد ورثها عنه السلطان مراد في السنة التالية : وبذلك تقوى على الإمارات التي يهتسها تيمورلنك بعد موافقة أقره ولم يبق في آسيا الصغرى إلى جانب امبراطورية طرايزون غير إمارة القرمان و قسطنطيني بعد أن تقلصت رقعتها كثيراً وصغر حجمها .

وتفرغ السلطان مراد بعد ذلك لشؤون أوروبا ، وكان امبراطور القسطنطينية مانويل ، الذي أثار عليه الفتن والثورات ، وقد مات خلفه على العرش يوحنا باليولوج فمقدّمه السلطان مراد بمساعدة فرض عليه فهتسها جزيرة ثنية واستولى على أكثر أملاكه الواقعة خارج القسطنطينية وتركه محصوراً بين أسوار هذه المدينة . واستولى السلطان مراد بعد ذلك على سالونيك وكانت قد فتحها السلطان مراد الأول سنة 1386 واستردعها الروم فتحها السلطان بايزيد سنة 1394 واستردعها الروم كذلك ثم فتحها السلطان محمد الأول سنة 1413 فما كان من امبراطور الروم إلا أن ياتها للقيادة ولكن السلطان مراد لم يعترف بها للبيع وفي سنة (833-1430م) هجم عليها بجيشه واستولى عليها برغم مقاومة البادقة الشيفة وأصبحت جزءاً من الدولة العثمانية .

وتوجه السلطان مراد بجيشه بعد ذلك إلى ألبانيا وكانت منقسمة إلى قسمين : جنوبي وشمال . أما الأول فكان يحكمه رجل فيروسي وقد تسارع أولاده الإمارة بعد وفاته فلما دخل الجيش العثماني سهل عليه إخضاع ألبانيا

وغيرها من الأماكن والقلاع فهبسا . أما القسم الثاني فكان يحكمه جان كاستريوتا Jean Castriota الألباني وقد استسلم أيضاً لجيش العثماني ورضي بدفع جزية سنوية للسلطان مراد وسلم إليه أبناء الأربعة ليكونوا رعايا لديه . وسار السلطان مراد إلى الألبان وكان عرش هذه البلدة قد اختصه رجل يدعى ولاد دراكول Vlad Drakul ، وطبقاً في الاستطفاق بهذا العرش المنتصب رضي أن يدفع للسلطان مراد جزية سنوية ويقدم له جنوداً مجارياً معه تحت لوائه .

لقد علا شأن الدولة العثمانية مرة أخرى وعظم أمرها وأصبحت مصادر قوع وروعب أوروبا فأنقضت الدساتير واللامرات والمحاكمات تحاك من جديد ضد هذه الدولة . وأوعز سجنسونك ملك المجر إلى أمير القرمات بمحااربة الدولة العثمانية . ولم يكن للسلطان مراد يلوي عنان فوسه إلى آسيا حتى تار عليه من خلفه أمير الألبان وأشير صربية فإ أن انتهى السلطان مراد من القضاء أمير القرمات حتى جعل في العودة إلى أوروبا فأنقض دراكول أمير الألبان . أما أمير صربية جورج برنكوفيتش فقد استسلم من تلقاء نفسه ، وانطأراً لتفوضه قدم ابنته إلى السلطان لتكون زوجة له ، وانظماً من ملك المجر أمر السلطان مراد جنوده بمزق بلادها وعادوا منها بسبعين ألف أسير (١٤١٢ - ١٤٢٨ م) . ولم يكن للسلطان مراد يتعد بجيشه حتى عاد جورج برنكوفيتش إلى القورة فعاد السلطان مراد واستولى على ممتلكاته بعد حصار ثلاثة أشهر ، وفر برنكوفيتش وبقاً إلى ملك المجر أمير الذي خلفت سجنسونك وقد أراد إبعاد الصرب والصربهم ، غير أن جنوده لم تكن تلحق أبتسارهم على العثمانيين حتى وأوا هاردين . وسامس السلطان مراد بعد ذلك بفراد وانطى ستة أشهر في حصارها ولكنه عجز عن فتحها فرحل عنها سنة (١٤١٣ - ١٤٢٩ م) . لقد حالف توفيق والصر السلطان مراد في جميع أعماله وحروب في آسيا وأوروبا منذ بداية حكمه ولكنه بعد ارتداده عن بفراد توالت عليهم المزامم والقن

وتلقاها بصبر وثبات عجيب . فقد ظهر في ذلك الوقت القائد المجري المشهور جان هوناد Jean Hunyade فيزيم جيشاً شجاعاً كبيراً في هيرمانستاد Hermanstade وجيشاً كبيراً آخر في وسانج Vassog سنة ٨١٦ هـ وكان البابا أوجين الرابع Eugene IV دعا طلب جميع قلوبنة التي عقد سنة ١٤٣٩ إلى حلة صليبية لتذوق الأتراك من أوروبا . وقد أثرت انتصارات هوناد حاسماً كبيراً بين الأوروبيين وفوت العزم وصل قيام هذه الحملة . ونشط البابا في ذلك نشاطاً عظيماً فأرسل جيشاً بقيادة الكاردينال جوليان سيزاريني Julian Cesarini كما بعث رجاله ومدونه إلى جميع أنحاء أوروبا ليحسبوا صكوك الفهران Indulgencia^١ ويجمع من ذلك مالا عظيماً وكانت حملة صليبية شنتها الصراينة على الإسلام^٢ .

وافتركت في هذه الحملة الصليبية الكبيرة المجر وبولندا وفرنسا وإيطاليا والبنجة وجنوا والأناضول والبوسنة وصربيه . وكان على رأسها قواد ثلاثة : القارس المجري هوناد ومك الجبر لاسلاس وستوب السابا الكاردينال سيزاريني .

وكان السلطان مراد إذ ذاك في آسيا الصغرى يقاتل أمير القرمسان الذي توصل مع الفرنج وشن على الدولة العثمانية حرباً شديدة مستمرة . و أراد الصليبيون أن يقطعوا على السلطان مراد خط الرجعة إلى أوروبا ، وذلك بالسيطرة على البودنيل بسقنتهم والمحلولة بينه وبين عبوره ، ولم تكن للدولة العثمانية في ذلك الحين قوة بحرية تستطيع منازلة السفن الصراينة الكثيرة القوية . غير أن السلطان مراد عميل في العودة إلى أوروبا وتلقى من هذا الحصار البحري والتقى بالصليبيين في نيش فهزمه هوناد (رجب ٤٧٨ هـ - نوفمبر ١٤١٣) واستولى على صوفية وواصل زحفه فحصر

١ Olsson, op. cit. ٢ Lord Eversly, op. cit.

جبال القلعة برغم الشتاء القارس وحرم المائتين مرة اخرى في يالوفاز Yalovaz . وكان المتظر أن يزحف هونراد بعد ذلك الى أوترة عاصمة دولة النمالية ويقتل بالبقية الباقية من المسلمين الى البحر ولكنه لم يفعل وتوقف عن الزحف كان قوة خفية قد أسكتت به عن السير أو العمله كان يخشى أن المسلمين قد كمنوا له في موضع وتربصوا به . ومها يمكن الأمر في ذلك فان هونراد قد توقف عن الزحف على عاد ادراجة بجيشه بعد في السير كأنما كان يفر من شيء .

وفرغ المسلمون للعب الخطر والتكشاف القصة عنهم . ولم ير السلطان مراد أن يطارد هونراد في وجوهه، وهو نفسه أصبح ما يكون ان الاستعجاب واستعجاب القوى، فعرض الصلح على هونراد فقبله وافق على أن يعيبد السلطان مراد صرية بجميع منبها وقلاعها ان جورج برنكوفيتش ويبيد الاطلاق الى حراكول على ان تكون هذه تحت سيادة المجر وينتسبان القروطان عشر سنين، وتوكيدا لهذا الاتفاق عقد في سزاجدين Szegedien في (ربيع الثاني ١٤٤٨ هـ - يوليو ١٤٤٤ م) معاهدة اقس عليه لادسلاس ملك المجر بالانجيل والسلطان مراد بالقرآن .

ولم يكف السلطان مراد بعرض هذه المعاهدة حتى فجع في ابنه علاء الدين واشتد حزنه عليه وزهد في الدنيا والملك وترك عن السلطنة لابنه عماد وكان إذ ذلك في الرابعة عشرة من عمره ، وأصغر منه أحباطه والده يبيض أهل الرأي والنظر من رجال دولته ثم ذهب الى مغنيسيا في آسيا الصغرى ليقتضي بقية حياته في حرة وطمانينة ويترغ في هذه الخلة الى عبادة الله والقائل في ملكوته بعد أن اطمأن ان استجاب الأمن والسلام في أرجاء دولته . وقد كان السلطان مراد ان يجلب كونه من رجال الحرب والسياسة بعد أيضا من أحسن الحكمة والفلسفة ولكن لم يستمع

طويلاً بهذه الخلوة والعبادة فقد اختارت - الكاردينال سيزاريني وبعض
أصحابه فكرة جهنمية ولوح لهم التبدل. إن الفرصة قد سمحت لطرده
الأتراك من أوروبا فإن السلطان مراد قد صان إلى خلوته وعزله في
مغربيها وترك الدنيا وراء ظهوره وليس من عرش السلطنة غير من غير
لاخيرة له ولا خطر والناس قد اعتادوا عودهم إلى السلام والمواصلة
فلماذا لا نذكر عليهم على غرة كرامة قوية بلذت بهم إلى البحر ؟

ولقد كانت هذه الفكرة استحصاناً وشجيرة لدى البابا أوجين الرابع فأشار
الكاردينال سيزاريني على الملك لانسلاس أن يبادر إلى تنفيذها قبل قوات
الأوكان ، لاسياً وقد بلغهم ثلوث حرب جديدة في الهرمان . ولكن لانسلاس
قل على نفسه أن يقض عهداً أقدم عهد بالإنجيل ولم يفت بعد اللناد
الذي كتب به هذا العهد . فهون عليه الكاردينال سيزاريني الأمر واقسم
له بالثالوث المقدس أن لا يخرج في نفس عهد الكفار (المسلمين) بل هو
مقرين إلى الله وكتب البابا نفسه إلى لانسلاس بأمره يقض هذا العهد
ولا يتم عليه في ذلك ولا تريب لأن عهد عند بقتر عليه . وما زال
البابا والكاردينال يلحان على الملك لانسلاس حتى أصبح غسماً وأطاع .
كذلك عرض هونسياد في أول الأمر هذا القرض الآم وقضوا القاضح
ولكنه لا وعد ملك بلغاريا كان عليه القدر والإثم وأفسار عليهم أن
يتربوا قليلاً حتى يحل الأتراك القلاج في أي سرية ويجاز حتمها كما
اتفق على ذلك المعاهدة .

واقدم أمير صربية أيضاً إلى المؤتمر بعد أن وعد بأن يزداد في ملكه
وكان الكاردينال سيزاريني عظيم النشاط دائم الحركة لا يترك عن العمل ،
يعد ويسعى لإتمام خطته وكان لا يشغل باله باليهيل وانهار غير شيء .

L'esté Migne cité par Lamartine, Histoire de la Turquie.
Voltaire, op. cit.

واحد هو القضاء على الأتراك. وذهب سيزاري إلى دار سدرة الجسر
(الدييت) وخطب في المجتمع فحرضهم على القتال وأجابهم أن يفتنوا
هذه القرعة القتالية قبل أن تفوت وأن المعاهدة التي عقدت مع المسلمين
باطلة لأنها عقدت بدون إذن البابا وكيل اللوح في الأرض وأنه باسم
البابا يرى منهم من نكثها وبيارك جنودهم وأسلحتهم، وعليهم أن
يتجروا طريقه فانه طريق الجهد والخلص ومن لا زعمه ضميره بعد ذلك
وعنى الأثم فإنه يحمل عنه وزره وإثمه.

وكتب أميراطور القسطنطينية يوحنا بالبولوج والكاردينال فرنسكو
جولدميري Francesco Gonoldmieri لملك الأسطول البايوسي إلى
الملك لافلاس يستحثه ويعرضه أيضاً على انتهاء هذه القرعة كقضاء
على العثمانيين في أوروبا.

ولم يلبث أن اتسع نطاق هذه الزامة الصليبية فدخلت فيها إنجلترا
وفرنسا وبروغنديا وويلان وفلورنسة والبنديقة وجنوا ووعدت هذه الدول
أن تشارك في الحملة الصليبية التي ستشن على العثمانيين. وكانت الخطة
المرسومة هي أن تملك سفن البابا والبنديقة وجنوا وتدخل سراً إلى
الترددليل لتحول بين السلطان مراد وبين العبور إلى أوروبا يملأها في
ذلك أميراطور القسطنطينية ويقوم أمير القرمات عند يده الرشد الصليبي
في أوروبا فيشن حراً بإضافة عتيقة على السلطان مراد ليضطر وينقل حركته.
وبعد أن حشد الصليبيين كل ما استطاعوا من جنود وأسلحة كل ما
استطاعوا من حدة بدأوا زحفهم إلى الشرق ولم يحلجهم أي شك في أنهم
سيأخذون الأتراك على غرة ويقضون عليهم. وانضم إليهم بعد ذلك أمير
الأناتولي وأقواج كثيرة من أمم شتى بين منحس للذين يتبعي الثواب

Seton-Watson. A. History of the Humanism.

Gibbon op. cit. Eversly op. cit.

Lamouche. Histoire de la Turquie.

والأجر ومرزوق مقامه يطعم في السلب والغنيمة. ولم يجد أحد منهم حرجاً في النفس أو وجزاً في الضمير على ما هم مقبلون عليه من عمل، وكان الطبيعة نفسها قد استكرت هذا القدر الثاني والنقص الآثم لمجد حقد على اسم الله فاعتزت أرض الجحيم ووزلت كأنها تحاول أن توقف القضاة القائمة التي ران عليها القوي والضعف.

اجتاز الصليبيون سهول البلغار فأتموا في القتل والسلب والنهب واعتصروا على الكنائس الرومية والبلغارية وأمرقوا مسند المسلمين ونراهم وأحلوا يفتنون بالأسرى من أعالي الجبال إلى الهادي السحيقة. وقد كان فلتهم هونيات سفاكاً غليظ القلب، وكان يظنه أن يقتل الأسرى بين يديه، وهو يتناول طعامه فيطرب لسباع حشرتهم وأثنتهم. وفي 9 نوفمبر وصلوا وازنه وأقلوا مسكرهم هناك وكان هونيات يؤمل أن يواصل سيره بعد ذلك إلى أدرنه عاصمة البياتيين فيسجروها من أوروبا ويكسح الأتراك من كليوي وسالونيك وأبيروس ثم يعود إلى بلغاريا فينزع ملكاً عليها. وكان الصليبيون يعتقدون أن السلطان مراد لا يزال في آسيا الصغرى بين القن والاضطرابات والحروب. وصحح المسلمون في أدرنه بحركة الصليبيين وزحفهم نحوهم فالتهم الفرع والزعيم وبعث رجال الدولة إلى السلطان مراد يستنجلون قلوبهم لمواجهة هذا الخطر. واستطاع السلطان مراد أن يرشو الجنويين - وهم أهل تيسارة ونكسب قبل كل شيء - فقلوا أربعين ألفاً من الجيش الألماني من آسيا إلى أوروبا تحت سمع الأسطول الصليبي وبصره في مقابل دينار لكل جندي.

وأسرع السلطان مراد في السير فوصل وازنه في نفس اليوم السدي وصلها فيه الصليبيون. وفي اليوم التالي نشبت بين الفريقين معركة حثيفة حامية وقد وضع السلطان مراد المائدة التي تقضيها استسلامه على رأس ربح ليشدهم ويشهد السماء والأرض على القدر والظنون وأيزيد حاس جتله. وهجم هونيات على المسلمين منجمة عنيفة كادت تزلزل أقدامهم.

وكاد السلطان مراد نفسه يركد على عقبه لولا أن أمسك به بعض رجاله واستاد رياطة جلسته. والتبع الملك لاصلاص يريد السلطان ليقته ببسده ويجوز بذلك فخرأ اهدبأ خالدا لا يحى . ولكن السلطان عاجله بفترسة قوية من رعه اسقطه من ظهر جواده فأسرع اليه أحد الاكشاريه وجز رأسه ورفعه على رمح وصاح في العدو : أيها الكفار هذا رأس ملككم ! . وشده الصليبيون لرؤية رأس ملكهم والدم يتقاطر منه واستحوذ عليهم الفزع والقلق فحمل المسلمون عليهم حملة قوية وهزمهم شر هزيمة وولى الصغرى مديريه يافع بعضهم بعضاً وقد نما حوزياد قيمن نجما من الفارين. أما الكاردينال سيزاريي مثل هذه الحرب الفادرة فقد ركب سفينة ليحبر بها نهر الطونة ولكن ربابها الاطلاق خالقه وقله واستول على ما كان معه من الذهب . على أن السلطان مراد لم يفلد عدوه ووقفت من النصر عند هذا الحد والله لنصر عظيم . وكتب الى ملوك المسلمين يشترهم بما آله الله من فضله والنصر اليين على المشركين . وأما إمبراطور القسطنطينية يوحنا فانه عندما سمع بنهاية معركة وأرته بنت الى السلطان مراد وقد بنت بانتصاره ويطلب اليه تجديد التحالف. وقد اجابه السلطان الى طلبه وقضى الإمبراطور بقية عمره في سلام حتى توفي سنة ١٤٤٨ . ولم تغارق السلطان مراد زعامته في الدنيا والملك تزل عن العرش مرة اخرى لابنه محمد وعاد الى حركته في منقيا كما يعود اليث الظاهر الى حربته .

ولقد ذكر لنا التاريخ كثيراً من الملوك الذين نزلوا عن عروشهم وانقطوا عن الناس وأبته الدولة الى العزلة ، وأن بعض هؤلاء الملوك قد عادوا الى العرش ولكن لم يذكر لنا أحداً منهم نزل عن العرش مرتين غير السلطان مراد فانه لم يكد يذهب الى منزله بأسيا الصغرى حتى ثار الاكشاريه في أدوته وشقروا وعاجروا فان هؤلاء الجنود العاق لا يعضون ولا يسلس لهم قياد إلا لرجال قوي صادم والسلطان محمد كان لا يزال في يافض حديث السن وعشي بعض رجال الدولة أن يستعمل الشر ويعظم الخطر وتنبوه

الدابة فبحرا الى السلطان مراد يستقدمونه ليثول الأمر بقضه . هل أنه لم يكن من السهل إزلال السلطان الشاب محمد عن عرش السلطة فقد كان حل صغره حوساً صعب الراس فاحتالوا عليه بأن خرج به الوزير خيبر باشا الى رحلة الصيد - وهو أحب رياضة اليه - استترقت عدة ابيه جاء في خلافا السلطان مراد ان اذنته وتبين على زمام الأمر ونضج له الاكشورية . ولما عاد محمد من رحلته أنزك ما دبر له ولم يجد يداً من الاذعان للأمر الواقع وارسله ولده ليكون حاكماً على مغنيسا وبقي مراد على عرش السلطة الى آخر حياته وقد قضاهما في الغزو والفتح .

بدأ مراد ببلاد اليونان وقد كانت أياً يحكمها دوق فلورنسي يدعى لسيريو اكسيبولي Nerio Acciaiuoli . وكان يدفع الجزية للسفولة الثمانية . فلما شغل السلطان مراد بحروبه مع الصليبيين انهزم قسطنطين حاكم الجزيرة وأخبر أمبراطور القسطنطينية هذه الفرصة فلما حل على مسلكا الدوق وطرده من إمارته وشيد سوراً على برزخ كورنثه بمونة ابيه تومساس ثم استقر في اللويه .

جده السلطان مراد علاقه مع دوق أينا الخلعوع ثم زحف الى الجنوب وحاصر السور الذي أمناه قسطنطين فاستول عليه وخضعت له الجزيرة . وقبل قسطنطين أن يدفع جزية سنوية للسلطان (سنة 800 - 1446 م) . وجه السلطان مراد جهوده بعد ذلك الى ألبانيا حيث لقي عدواً للوداً قوي الشكيمة صلب الفتاة وهو اسكندر بك . وقد ذكراً من قيسل أن السلطان مراد عند دخوله ألبانيا الثالية خضع له اميرها كاستريوتا وسلم فيه ابناءه الأربعة ليكونوا رعايا عنده وقد مات ثلاثة من هؤلاء الأطفال وبقي اصغرهم وهو جورج كاستريوتا George Castriota وقد أسببه السلطان مراد حياً غليلاً للقوة بدنه وحده ذكاته ووسامة متعنه وكان عتو عليه جنو الأب الشفيق على قلعة كيبسه ونشأ جورج كاستريوتا في القصر الملكي نشأة اسلامية وعني مراد بتربيته غليلاً وجسماً حتى بلغ

درجة كبيرة من الثقة ومهر في ركوب الخيل وإجاد الصرب بالسيف
وأصاليب القتال وأظهر في الحروب بسالة نادرة ومقدرة عظيمة فزاد تقدير
السلطان مراد له وعهد إليه بولاية من ولايات الدولة العثمانية ولبسه
« أسكندر بك » أي الأمير أسكندر وغلب عليه هذا القالب واشتهر به
وتنوع اسمه العثماني القديم^١.

وكان أسكندر بك يؤمل أن يخلف أباه على إمارته بعد وفاته ففسد
كان ابنه الوحيد الذي يرثه غير أن السلطان مراد أقر أن يبقى قريباً منه
بعينه في حروبه فبعد هزيمته الأتورية إلى رجل آخر، فغضب أسكندر بك
لذلك وأمرها في نفسه ولبت بتريص ويتربص الفرصة المناسبة للفرار .
فلا أنجز العثمانيون في ليش سنة (٨٨٤٧-١٤٤٣ م) واضطرب امرهم
اعتلى أسكندر بك الفرصة فالتفت من معسكر السلطان وذهب إلى القيس
الذي حامل الختم السلطاني معه مرسوم مزور بتعيينه حاكماً على كرويا
بألبانيا فطلب إليه أن يختمه . ولم يكن القيس يختم المرسوم حتى عاجله
أسكندر بك بطلعة نائلة في صدره وأسرع في الفرار واتبعه ثلاثمائة من
مواظبيه الألبانيين الذين شايخوه على امره وفي مقدمتهم ابن اخته حزة .

• ينكر السير تورانس ارتداد إنكاراً جديداً أن أسكندر بك قد فعل طغفرت في قصر السلطان
مراد وأنه بدأ به تفتاً بلبسية ، فذكر : « وقد أثبتت الأبحاث الحديثة عدم صحة الإنكار
القبالي التي نسبت حول قصة أبيه الأولى - حيث علم في صباه رغبة إلى الأثر في قلب والده
على الإطعام وحسب بملك السلطان والمشيقة أنه فعل أيام شبابه في بلبسة المشقة وبدأ تفاته مع
الارتداد من اليوم الذي أمره فيه القصر عليهم في سنة ١٤٤٤ وعلى أكثر من مئتين عاماً يتقدم
قوائم العاقبة بتاريخه سنة « - العودة إلى الإسلام » ص ١٤٦ .
والموقع أن مسألة تسليم أسكندر بك - راجع الأصل العثماني جورج كاسترويتا - في
طغفرت في السلطان مراد الثاني وبعده في قصره بدأت إحصائية تكاد تكون أمراً جدياً عليه من
الفرجين المحدثين والفرجين على السواء . والتعجب أن الأعداء ارتدوا عنه أنه
اعترف بأنه جورج كاسترويتا قد انتشر باسمه الإسباني إسكندر بك أو أسكندر بك .
(الكتاب السابق ، ص ١٤٦) فمن أين جاء له هذا الاسم الإسباني إلا من نشأه الإسباني في
قصر السلطان الثاني ؟

بروصل اسكندر بك كرويا فرحب به الناس على انه قواني الجديد من قبل السلطان وسلم اليه الرائي السابق مقاليد الحكم ومفاتيح المدينة دون أن يتأمله شك في أمره . ولا جن الليل اقتض اسكندر على حلفا قواني السباني ورجال حاميته واقتلم جميعاً وهم نيام . وبعث السبانيين الذين في المدن والقري المجاورة وبادهم ثم دعا الشعب الألباني وزعماءه الى حل السلاح للطاع عن حرية وطنهم فلبوا نداه واجتمعوا على اختياره زعيماً وقالوا لهم ، وانضم الى اسكندر بك أمير الجبل الأسود والحكام للبلاد في السير وشقورة ودرازو فقد كانت مبنية في ذلك الوقت املاك كثيرة في ألبانيا لا سيما على الشاطئ . واصبح اسكندر بك السيد الطاع في ألبانيا . واراد هو وحزبه عن الاسلام الى النصرانية ، وأعلن حرباً صليبية جديدة على الأتراك .¹

ولم يجعل السلطان مراد في القضاء على اسكندر بك قبل أن يستحل أمره وتعلم قوته ، امله ونواي في قتاله فأوح له بذلك جلالاً واسماً لانقاذ أسباب القوة والمهابة وتجنيد الجنود وتغيير الأسمكة والمواقع السبي ثلاثه وعينته في القتال والكر والفر ، وبلغ جيش اسكندر بك اثنين وعشرين ألف رجل . واتخذ كرويا قاعدة لأعماله الحربية وهي مدينة قد جنتها الطبيعة موقعاً جغرافياً ممتعاً إذ تقع على أرض مرتفعة تحيط بها الجبال والوديان من كل جانب فلا سير إليه السلطان مراد جيشه بسد ذلك بقيادة علي باشا حرمه اسكندر بك شر هزيمة . وحاول السلطان بسد انصراره في وادته أن يستميل اسكندر بك بالهسي فكذب اليه يدعوه الى الطاعة ويصده بالعفو فلم يزد ذلك إلا تمعاً واستكباراً واصراراً على النصرانية والصليبية وكذب ان مراد يريد دعوته ولقب نفسه « جنسلي المسيح وأمير الألبانيين والأبروسيين »²

Cambridge Medieval History.
Ohta. L'Albanie.

وأرسل السلطان مراد بعد ذلك ثلاثة جيوش إلى ألبانيا قتال اسكندر بك ولكنه هزمها جميعاً . ووقع نزاع بين اسكندر بك والبيادقسة وثبتت بينهما الحرب ، ولكنها لم تدم طويلاً فان العداوة المشتركة ضد العثمانيين ما لبثت أن اصطحت بينهما ووجدت جهودهما قتال العدو المشترك . وارتفعت شهرة اسكندر بك في العالم المصري بانتصاراته الباهرة على العثمانيين وطار صيته كل منظار . على أن هذه الانتصارات الضخمة التي أحرزها لم تكن بغير ثمن ، بل إنها استنزفت ثغراً كبيراً من قوته . وقد لمس ذلك اسكندر بك نفسه . وكان يعلم انه يقاتل دولة كبيرة واسعة الموارد في المان والبرجال وانها لن تكف عن قتاله حتى تقهره ، فبعث إلى البابا والدول الصراية يطلب اللحد والثغرة لمواصلة قتال العثمانيين . وقد لقيت دعواته استجابة حسنة لا سيما بين أهل الحرب عشاق المغامرة والبطولة فتوافدوا إليه من ألمانيا وفرنسا وإسبانيا وغيرها وكاثراً تحت لوائه . وفي سنة (٨٥١ هـ - ١٤٤٧ م) خرج السلطان مراد بنفسه إلى ألبانيا وألقى فيها نحو ثمانية عشر شهراً واستطاع برغم ما أظهره اسكندر بك ورجاله من البسالة والأسيادة في القتال أن يستولي على سقيجراد Steigrad وديرا Dibra .

وكان هورتيساد المجري منذ حزمته في وازنه لا يبي من الأعبس والاستعداد لينظم نفسه من تلك النزعة ، وليتأثر لأن الملك القنول لاصلاص ، وكان الملك الجديد - ويدهي لاصلاص ايضاً - لا يزال غلاماً صغير السن ، فاختار أهل النجر القائد هورتيد ليكون وصيه ووليّه والأخذ بتأريه ! وانتبه هورتيد المذعب والصابب التي يلاتها السلطان مراد في حربه مع اسكندر بك . ووجدوا فرصة مواتية لانقاذ حرمه فحشد جيشاً عظيماً لقتاله . فلما بلغ ذلك السلطان مراد غادر ألبانيا من فورده وأسرع لقتاله ولاتياً في سهل فوصله وقيل أن نشب قتال بين الجيشين بعث إليه السلطان مراد وفداً ليفاوضه ويتنصه بالفضول عن الحرب وسلك السماء

ولكن هونيات أخذته العزة والصفى وطن أن ما بعث السلطان على المسألة والهادنة إلا الضعف والعمى ، ولج في العز والاستكبار ، فأبى مقابلة رسله وأمر بصرفهم عنه . وطمع أمه وثقته في النصر فلم يتأ أن ينظر حتى تأتته الموقعة التي كان أسكندر بك قد وعده بها . ولعله استنكف من ظفي المعرسة من رجل كان يناقش ويقال له على الشيرة في قتال الممانيين . والنسب جنود الأتراك من جيش هونيات وتحلوا عنه ففسد تحولوا من عاقبة هذا التهور الذي يتدفع فيه القائد المجرى وما ليث أن تثبت المعركة بين الجيشين العجري والمماني فكانت حامية دامية تطلق وطيسها طيلة ثلاثة أيام كاملة . (شمسان ٨٥٢ هـ - أكتوبر ١٤٤٨) والندرة الثانية شهد سهل قوصوه انتصاراً عظيماً للممانيين وكانت المرة الأولى في عهد السلطان مراد الأول (سنة ٧٩١ هـ - سنة ١٣٨٩ م) أما هونيات فاته عندما لجح بوادى القزوين على جيشه الفلت من بين عساكره ولان بالقرار وهام على وجهه أياماً حدة وهو كسير ذليل ، وقد عبأ ذلك الضياء اللامع الذي كان يجال حامته ويثرون باسمه عقب انتصاراته الكبيرة السابقة على الممانيين . وقدم أسكندر بك في جيشه بعد انتهاء المعركة بقليل فلما أشرف على سهل قوصوه وقد امتسلاً بجث النهر وجرى النهر قائماً بدمائهم عاد أفرجه إلى جباله بألبانيا ورفض هناك يترقب ويربص . وقد اشترك محمد الفاتح مع والده مراد في وقعة قوصوه وكانت أول معركة شهدتها نفسه وعاد إلى أدرنة وهو مقتبط جيلان بأول نصر في أول معركة .

وفي أواخر السنة التالية (٨٥٣ - ١٤٤٩ م) قصد سلطان مراد البانيا وحاصر كبرويا وقد صممه في هذه الحملة ابنه محمد فأشهر من القسمة والنشاط والجهد ما أكسبه إعجاب الجند . وكان نائب الشركة يتنقل من موضع إلى موضع ، فغارة إلى جانب والده يرقب معه سير القسالة ، ونارة يدخل صفوف الجنود يلهب سلسلهم بظفه وينقلد مواقع الهجوم

ويضرب لهم المثل بنفسه في الشجاعة والإقدام . على أنه برغم ذلك كله ورغم الشهرة الطويلة المبرزة التي بلغها مراد فقد انتعت عليه مدينة كرويا . وأخذ اسكندر بك كلاً من القليل يرهق الجيش العثماني بجحات عنيفة متواصلة . فعرض عليه السلطان مراد أن ينصبه حاكماً على البلاد على أن يعترف بالسيادة العثمانية ، ولكن اسكندر بك أبى واضطر السلطان مراد آخر الأمر أن ينسحب بجنوده بعد أن فقد منهم عدداً غير قليل . وبعث اسكندر إلى البابا فيقولوا الخامس وإلى ملك البحر وملك تابسولي وهدوق برغديا يشترهم بالتصاريح على العثمانيين . وانظرت النصرانية في دهشة وانجاب إلى هذا الفرح الألباني الذي صيرت الجيوش العثمانية عن قهره والتيل منه ، وحدد عن كرويا السلطان مراد بطل وارثه ونحوه . وكتب إليه البابا وحزلاء الملوك يثرتهم ويشون على شجاعته وبطوته ويستحثونه على المضي في القتال والدفاع عن النصرانية وأمدوه بالمال والعتاد . أما السلطان مراد فانه بعد وصوله إلى أدرنه احتفل بزواج ابنة محمد القابع بآية سليمان بك أمير ذي القدر وكان احتفالاً كله الفرح والأيام والبهاء وكان ذلك في أواخر سنة (٨٨٤هـ - ١٤٥٠م) ثم ذهب محمد القابع مع عروسه إلى منجيا آسيا الصغرى ولم يطل به المقام هناك فقد وصله بعد قليل نعي والده (٣ محرم ٨٨٥هـ - ١٤٥١ فبراير ١٤٥١) فصاح في أصحابه : « من كان يحبني فليجيئني » ووثب على ظهر جيسواد عربي واخذ يسعدو به عدواً لا يألوي على شيء فوصل كليبولي بعد يومين وليث هناك يومين آخرين ينتظر من تأخر من رجاله وليؤذن أهل أدرنه بمقدمه . واستقبله كبار رجال الدولة والعلماء فزودوه في وفاة والده كما فعلوا إليه نباتهم بالسلطة ، ثم توجه الركب إلى السراي بأدرنه . وفي اليوم (السادس عشر من محرم ٨٨٥هـ - ١٨ فبراير ١٤٥١م) تولى محمد القابع عرش آياه وهو في الثانية والعشرين من عمره .

٤- تاريخ سلاطين آل عثمان ليوسف بك أصف:

بعد هذا الكتاب من المؤلفات الأساسية التي توضح تراجم السلاطين العثمانيين وأهم أعمالهم، والأحداث التاريخية التي حدثت في استانبول. ومؤلف الكتاب لثباتي الأصل، استقر بمصر وعمل مترجماً ثم انتقل مطبعة المحروسة وجريدها في عام ١٨٧٦ وأنشأ الطبعة العمومية بالقاهرة عام ١٨٨٨. وفي عام ١٨٩٠ عمل محامياً في المحاكم الأهلية، وأنشأ جريدة المحاكم. وللمؤلف مؤلفات مشهورة منها تاريخ العائلة المحمدية، وروضة الإنشاء واستقلال لبنان في التاريخ ومركز لبنان السياسي، وشرح القانون المدني المصري، وشرح قانون العقوبات الأهلي، ومجلة المرأة.

فلذكة في تاريخ القسطنطينية عاصمة الخلافة الكبرى

من هي القسطنطينية

القسطنطينية - هي المدينة الكبرى عاصمة المملكة الشمالية وتحت الخلافة العظمى أسسها بيزنيس رئيس الماغرين قبل التاريخ المسيحي بألف ومائتي سنة ، ودعيت بزنطية نسبة إليه وكانت في ماغير القرية الأولى بين تعداد قرى طراشيا التي هي الآن قسم من بلاد الروم ابلي وقد ملكها دارديوس الأول أحد ملوك الفرس عام 521 قبل المسيح وجعلها زرعة للعين في حسن الرواق والإنتظام وعقيب وقائه التي وقعت سنة 480 ق . م . إستولى عليها أهل بونياس من شعب هالان ، وهو جنس يوناني قديم العهد بسبق ظهور المسيح بخمسة عشر جيلاً ، وبعد ذلك إفتتنها الملك أكسرغوس الأول وهو الخامس من ملوك الفرس قبل المسيح من 472 إلى 485 ، ثم تخلقه في إمتلاكها أهالي مدينة سبارط من بلاد المور . وهي قاعدة بلاد لاكونيا ولم يطل زمن إمتلاكهم لها حتى إنتزعها من أيديهم أهالي مدينة أثينا التي أسسها شيكروب المصري عام 1643 قبل المسيح . وبعد ذلك بمدة طويلة إستقلت القسطنطينية وعظمت قواها البحرية حتى صارت من أعظم المدن منعة وإقتداراً فتناولت إليها أطماع الملوك وحصرها فيليب ملك مكدونيا ، وهو والد إسكندر الكبير المدعو الملك فيليب الثاني الكبير ابن اميناس ثامن ملوك مكدونيا فلم يستطع إمتلاكها ، ولما أشتب الحرب بين الرومان وملك

البتس ساعدتهم أمالي القسطنطينية في ميادين المعركة إلى أن فازوا بالنصر ، وفي سنة ١٩٣ ب . م . دخلت القسطنطينية تحت أمرة القائد الروماني المدعو بستيوس قيصار ، وفي عهده حاصرها نحو ٣ سنين الملك سبتيم سافار أحد ملوك الرومانيين ، فدخلها بعد حرب عنيفة وعاملها بالدمار ، ولم يتجدد بناؤها إلا على عهد الملك كيركللا ابن الملك سبتيم الذي إقيم ملكا عليها سنة ٢١١ ب . م . غير أن وولتها اليهيج لم يعاودها إلا في زمن قسطنطين ملك الرومانيين الذي أكمل ترميمها في الجيل الرابع سنة ٣٣٠ ب . م . وسُميت القسطنطينية باسمه وهو قسطنطين الأول الملقب بالكبير ابن الملك قسطنطين من زوجته الملكة هيلانة ولد عام ٢٧٤ ب . م . وتوفي عام ٣٣٧ عن ثلاثة أولاد وهم قسطنطين وقسطنس وقسطان ولها فروع لأن فيها تفرقت القياصرة غرباً وشرقاً ، وأقام بها وتملك على الرومانيين في الشرق ثم جعلها تحت قبضته ، فصارت كرسيا للملك الشرق وما لبثت أن فاقت على رومية التي كانت وقتئذ في مقدمة المدن بمظيم بنائها ووفرة شعبها وكثرة ثروتها وإتساع تجارتها .

وفي عام ٤١٣ ب . م . سادت بها الأرض في الطول والعرض وحدثت فيها زلزلة هائلة فذكتها وصيرتها قاعاً صقفاً فجدد بناءها الملك ثاودوسوس الثاني ، وفي عام ٨٥٧ حدثت فيها أيضاً زلزلة فدمرتها ثانية فجدد بناؤها عام ٨٥٨ قبيلة يونانية من مدينة الكوس ثم تواترت عليها دعوات الملوك وعارذتها الحروب وأغارت عليها الدول من التتار والأعجام وأهل البلغار والصليبية وغيرهم حتى حل بها الخراب المرة بعد الأخرى . ففي سنة ٥٩٣ حاصرتها القبائل الغير المتحددة من التتار ، فلم يتمكنوا من الإستيلاء عليها ، وفي عام ٦٢٥ حاصرها الفرس ومن سنة ٦٧١ إلى سنة ٦٧٨ حاصرها العرب الذين أغاروا على إسبانيا ، وفي عام ٧٥٥ حاصرها البلغار ، وفي عام ٨١٦ حاصرها شعب يدعى فاريك وهو نورماندي جاء من بلاد ناروج ثم عقبه الصليبيون وإستولوا عليها سنة ١٢٠٣ ، وأقاموا عليها ملكا هو الكسيس الرابع ابن إسحق الملقب بالكسيس الصغير وكان عمه الكسيس الملك قد طرد أباه إسحق وأردعه السجن سنة ١١٩٥ فانتجاء منه ولده

الكيس الرابع وجعل له خطاً في الملك ، ولما علم بذلك الكيس الملك تخاصى على أخيه اسحق وإنتزع من يده الملك عام ١١٩٥ وما فات من مدة ملكه زمن طويل حتى جاهر بعدوانته ابن أخيه الكيس الصغير وخلعه من الملك عام ١٢٠٣ وترجع مكانه مدة ستة أشهر ثم خلعه ديكي مرتزقل المدعو الكيس الخامس بعد أن أماته خفاً ، وفي أيامه عاد الصليبيون ثانية إلى السططانية وأسسوا فيها المملكة اللاتينية ثم قلبوا ديكي من منعة الحكم وولوا مكانه يدوان أمير مقاطعة قدس في فرنسا تدعى نلاندو . وهذا الأمير كان قائداً لجيش الصليبيين . وفي عام ١٢٦١ حضر الملك ميخائيل بالولوغوس الثامن ملك مدينة نيس واستولى على السططانية بقتة ، وهذا الملك هو من أوجه العائلات في الشرق تولى الملك في مدينة نيسا من أعمال الأناضول ، وتوفي عام ١٢٨٢ بينما كان يجهز جيشاً ليسوقها إلى فتح طرائقاً ثم هجم على إسلامبول مراراً عديدة السلطان أورخان سنة ١٣٢٧ والسلطان بايزيد والسلطان مراد الأول . أما السلطان أورخان فقد أخذ عدة مدن عنوة ، من جعلتها مدينة نيسا وذلك عام ١٣٢٢ ، وسلب ما في ضواحي الأستانة عام ١٣٢٧ وشن ضرايع المملكة يرتب القوانين . أما السلطان مراد الأول فقد أتم تحصين المملكة عام ١٣٦٠ وأحدث طريقة الإنكشارية وقد استولت على الأستانة دولتنا العلية وإنتزعتها من الدولة الرومانية في التاسع والعشرين من شهر مايو عام ١٤٥٢ الموافق لليوم العشرين من جمادي الأول سنة ٨٥٧ هـ . تحت راية السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح ،

ويعدها الأتراك بـ «إسلامبول» ، وهي من أحسن مدن العالم موقعاً وأجملها مركزاً كاتبة على خليج البحر الأسود ومنشأة على سبع تلال من أطراف أوروبا يفصلها عن آسيا مضيق من البحر عرف نحو ميل وهو معروف بالبوغاز وتبعد عن باريس عاصمة الفرنسيين ٦٦٠ ميلاً وعن وئانه عاصمة النمسا ٢٧٥ ميلاً وعن سان بطرسبورج عاصمة بلاد الروس ٤٧٥ ميلاً . يحيطها من جهة الشمال ثلاثة أسوار قديمة ومن بقية الجهات البحر . عدد سكانها قد جاوز المليون ونصف ، الثلاثي منب اسلام والياقي نصاري ويهود . وتنقسم باعتبار وضعها إلى أربعة أقسام : الأول : هو المدينة

الكبيرة القديمة والثاني غلظة والثالث البوغاز والرابع اسكودار . أما المدينة الكبيرة فهي ذات الأبنية العظيمة والقصور الشاهقة والقشال الواسعة ، وفيها الجوامع العظيمة التي تتلحح السماك ذات المنارات البديعة المصنعة من النحاس المذهب ، وأشهر هذه الجوامع جامع اجيا صوفيا الذي كان كنيسة عظيمة أيام النصارى بناها المعلم أنتيوس إلى الملك قسطنطين في بحر ثمان سنوات ، وهي من أحسن الأبنية القديمة وقد كان لها قبة عظيمة آخرتها الزلزلة ، ثم حارب تجليلها فلم تأت كما كانت من حيث إرتفاعها وحسن إستاندارتها وإستوائها . ولأجل زيادة تمكينها وضع تحتها بين المقابض الكبيرة عدد من أعمدة الصب القديمة المصرية ، وعقدت عليها قناطر تعتمد عليها القبة ، وفي هذه القبة ٢٤ شباكاً يتخذ منها الضوء إلى الداخل ، ويلبها قبان لطيفتان وست قباب صغار .

واسلامبول بعيدة عن الوصف كماها مركزها الطبيعي الهية والرقار ، وأكسبها البهجة وحسن الروتي ، فأنها واقعة على خليج البحر الأسود وبين بحر مرمر وكاتنة بين أوروبا وآسيا على البوغاز الذي يصل بحر مرمر بالبحر الأسود ، إما بحر مرمر فيضله بوغاز الدردانيل ببحر جزير الروم والبحر المتوسط ويفصل المدينة عن آسيا مضيق من البحر عرضه نحو ميل له منظر يشرح الصدر ويهيج الناظر ، وهي ممتدة على ثمان في البحر مثلث الزوايا موقعة على الشاطئ الغربي من مدخل البوغاز الجنوبي المعروف باليوسفور وفي الجانب الشمالي من المدينة فرع من البوغاز يدعى القرن الذهبي وهو المعروف بالميناء التي عند آخرها سحل يفصله الناس للترويض يدعى كافد عانة كان بالقرب من الترسلات في بقعة عسراء طولها نصف ميل تجري إليها المياه العذبة في قناة تكتنفها أشجار الحور والسرو واليزلون وغير ذلك ، وفي هذه الروضة قصر للإنتراخ تحيط به حديقة غناء مطروزة بأشكال الزهور والرياحين ، بناها الطبيب الذكر السلطان أحمد الثالث عام ١٧٢٤ ، وفي تلك القناة يتدفق الماء زلالا وفي وسطها حاجز تنحدر المياه بالقرب منه وتصب في ثلاثة مجار مرصوفة بالصدف حتى تنتهي إلى بركة عليها حوض من النحاس الأصفر وعليه ثلاث حنفيات تجري المياه من أولها وعلى ذاك

الحاجز ثلاثة كشوك من الرغام الأبيض ممتدة بالنحاس المصهور بالذهب ، ومن هناك تأخذ القناة في الضيق بالتتابع إلى أن تختلط مع ماء آخر وهذا ما يدعى القرن الذهبي حيث تسير الزوارق حاملة رجالاً وتساء بقصد النزول والانشراح في ذلك الوادي ولا سيما يوم الجمعة . ثم أن مرسى المينا للي غاية الطمأنينة والسعة ويفصلها مضيق من البحر طوله نحو ميلين وعرضه نحو نصف ميل ، وفيها ترسي السفن وهي من أحسن مراسي الدنيا موقفاً وأماً وعلى جانبيها المحلات الخارجة عن المدينة وهي المعروفة بالصوامع الخارجة الكبيرة وهي يبريه وغلظه ومحلة الطويخانة وقاسم باشا والقنار محلة الأروام ، أما يبريه المشهورة باسم بك أوغلي هي محلة الإفرنج واقعة في الجهة الشمالية وبها مركز التجارة ولا يقطعها إلا النجوه من الغرياء كفتاصل الدول ونحوهم وبها كتاتيب الإفرنج والأرمن والمطابع ومستشفيات الإفرنج والمدارس والمراسم والقنادق ، وفي وسط هذه المحلة عطفه سراي وهي مدرسة القلب التي إحتفت عام ١٨٤٨ ب . م . وأمامها محل تياترو واسع الأرجاء متفن البناء يقصده مشغصو الإفرنج من غواصم أوروبا .

وفي الإستانة عدة مدارس لنشر العلوم والفنون منها طيبة وأخرى حربية ومكاتب للملاحين وما ينوب عن خمسمائة ثلاثين مدرسة تحوي تيقاً وأربعين مكتبة فيها مؤلفات شتى أكثرها بخط اليد وفيها عدة مطابع وجملة معامل لصنع الطرابيش والنجوخ وإخلاف ذلك . أما غلظه فقد شادها أهالي جينوا وما برحت إلى اليوم محاطة بالسور المنسوب إليهم ومحيطه مقدار ٨٠٠٠ قدم وموقعها في القسم المجاور للبحر على الجهة الجنوبية من يبريه وسكانها أقلهم من الأروام واليهود وفيها محل للجبرك ومخازن للشمع واللبورات وبها الجوامع الكثيرة وترسختة الطريخانة ومعامل لسبك المذاق ومعمدات الحرب والدمار وفيها برج يدعى برج المسيح أو برج الحرس علوه ١٤٠ قدماً بناه أهالي جينوا عام ١٤٤٦ بعد المسيح والقرص من بنائه كان التيه على أهالي القسطنطينية عند حدوث الحرب بما يتفقون عليه من العلامات إشارة إلى أن الحريق في موضع كذا . وفي محلة قاسم باشا توجد الترسخانة الكبيرة والترسخانة البحرية وحوش البحرية والمسافر عند ذنوه من المدينة

بحراً ينظرها ذات منظر بهيج ورائق إذ يشاهد رؤوس المآذن المظلمة وقبب الجوامع المستنمة وشوامخ الأبنية الجميلة والأبراج المزخرفة والمنازل العالية وفي معالمها أكامل من ورق السرو الاثيث وما شاكل ذلك من الأشجار التي تظلل المدائن العظيمة المحضرة في جوانب الأسواق غير أن المسافر عندما يدخلها ويتوغل فيها يتعذر عليه أن يعرف من أين دخل وكيف يخرج .

أما أبنيتها فأكثرها من الأخشاب والقرميد والذهب ثم أن البوغاز المعروف بالبوستور يتصل بين آسيا وأوروبا ويصل البحر الأسود بالبحر الأبيض وهو ممتد على مسافة ٢٠ ميلا بالطول والعرض من ميل إلى ميل ونصف يتحد في الماء بشدة متصباً في بحر مرمرات المتصل بالبحر الأبيض وعلى ساحله من كلتا الجهتين قرى شهيرة كل قرية منها تساهي مدينة صغيرة وفيها من السرايات الأنيقة والمنازل الفاخرة والأسواق الرخية والحدائق البديعة والمتزهات الجميلة ما يفر الناظر ويشرح الخواطر ولها سفارات الدول الأجنبية خلا سفارة دولة إيران فأنها بالقرب من الباب العالي . ومجمل القول أن هلا البوغاز على جانب عظيم من حسن الموقع ووفرة الانتظام يقصر المقام عن سرده فأن بناياته ووفرة الانفاق تملؤها الروابي الخضراء القائمة فوقها الأشجار الوارقة الظلال والحدائق الأنيقة التي تجلي عن القلوب صدى الكرب .

وقد يقصده السواح من أقطار الأرض ليشاهدوا غريب موقعه ويتحتوا بجوده موائه وفي الجهة اليمنى منه يوجد حوض ماء ضمن قبة يدعى حوض القديسة صوفيا يزوره قوم كثيرون من النصارى والمسلمين قصد التبرك . وفي الجهة الشمالية يوجد قصر مبني على الشاطئ وحوله حديقة لاحقة يملكها الحكومة المصرية هناك كان القصد من بنائه إيواء المسافرين من المصريين وفيه ترسي البارجة العظيمة (المحمودية) ذات المائة والعشرين مدفعاً .

أما القسطنطينية فهي محاطة بالأسوار الكبيرة المربعة وسور عال جداً وبأبراج كبيرة مربعة يبلغ عددها نحو ٢٠ برجاً كان قد شادها ملوك اليونان منذ الجبل الخامس عشر ولم يزال بعضها إلى اليوم متياً . أما قلعة السجدة أبراج

المتصلة بالأسوار فهي معدة اليوم حسباً عمومياً للحكومة على حين كانت قديماً من جملة أبواب المدينة . ويقول المؤرخون أن القسطنطينية كان لها ثلاثة وأربعون بوابة ثم صارت إلى اثنين وعشرين بقي منها إلى الآن سبع بوابات ، وقال مؤرخو الإنكليز أن فيها أربعماية وخمسة وثمانين جامعاً وفيها مآذن كثيرة شائعة في الجو وبها ما ينوف عن الألف حمام وأشهر هذه الجوامع جامع اجيا صوفيا المتقدم الذكر ولأجل زيادة الإيضاح نلزم أن الذي بناه هو الملك جوستينيان الأول أحد ملوك الشرق سنة ٥٢١ م وتم في سنة ٥٢٨ وقد إشتغل فيه مدة سبع سنوات ونصف مائة مهندس مع مائة قلناً وعشرة آلاف فاضل وطوله ٢٧٠ قدماً وعرضه ٢٤٢ وهذا الجامع كما تقدم القول كان كنيسة عظمى في أيام النصارى من أحسن كنائس الدنيا ويوجد خلاله سبعة جوامع ملكية كلها مزينة من الداخل بالرخام ومن الخارج بالمناهل ولاكثرها مستشفيات ومكاتب لاغاة الفقهاء ثم أنه يوجد في الاستانة ما ينيف عن مائتي مستشفى للمرضى وتسع مدارس للعلماء . وخارج جامع اجيا صوفيا توجد ساحة مربعة فيها أربع مآذن وفي وسطه قبة عظيمة وسطها يعلو الأرض ١٨٠ قدماً وتطورها ١١٥ وأسفلها محاط بمرابطين محمولين بين اثنين وستين عاموداً وقد عبرتها الزلازل التي دمرت المدينة في اوقات مختلفة فجددت ثانية وأبواب هذا الجامع من النحاس الأصفر منقوش عليها تماثيل قديمة من عهد بانيه ولم يزل على سقفه الثامن الصور منها صورة سيدنا عيسى عليه السلام وصورة الملك قسطنطين ، ويوجد في داخله ١٧٠ عاموداً جميلاً من الحجر السماقي والرخام وعلى كل منها تاج قد زانغ عن أصله الهندسي بالنظر لما حصل فيه من التغيير والتبديل ويظن أن هيكلها عظيماً كان هناك فهدم وعلى دائره ممشى يصعد عليه يسلم حلزونية عجيبة و فوق المنبر يهتف سنخ السلطان محمد الفاتح . أما الآن فقد تبدلت الهيئة القديمة ولم يبق منها الا الأثر بعد العين وقد كانت جدران هذا الجامع مزودة بالنقوش الملطية التي لما نظرها الطبيب الذكر السلطان محمد الفاتح أمر بأن تنقى بالأثر كي لا ترى ، وفي عهد السلطان عبد المجيد خان تزع عنها الكلبس وترسم ماقتد من الجامع المذكور حتى عاد الي رونقه الأول ثم أن كثيراً من الماية والسبعين عاموداً المذكورة قد جلب من هيكل الشمس في

يعليك ومن هيكلي الشمس والقمر في هاليبولي من مصر ومن جامع ديكه المشهور في أنس ومن آتيا ومن جزائر بحر الروم .

أما جامع السلطان سليمان العظيم الملقب بالسليمانية فهو أجمل ما يكون في القسطنطينية بني في أواسط الجيل السادس عشر وكمل عام 1557 ب ح أما الجوامع المشيدة ونحسب من العزز الثاني بالنظر الي كبرها فهي جامع السلطان أحمد ومحمد الثاني .

وفي القسطنطينية ساحة عظيمة تدعي ساحة آت ميدان كانت معدة لسباق الخيل طولها 900 وعرضها 450 قدماً وفيها مسلة من حجر الصوان بقطعة واحدة جري بها قديماً من مدينة سيبس قاعدة مملكة القراةة ملوك مصر وهذه المسلة قد بناها ثارادسيوس الكبير أحد ملوك الرومانيين وفي الساحة الكبيرة يوجد العمود المتماثل لقسطنطين الملك معري ومنزوعاً عنه تماثله النحاسي المصنوب صب رمل من عمل الاثراك في أول ما اختلفوا المدينة وبين المسلة وعمود قسطنطين عامود آخر من نحاس أصغر على شكل حبل ملفوف ويسمى عامود الحية لان عليه ثلاث حيات عظيمة متشابكة مع بعضها البعض أقامه اليونانيون وصداً لتضيق الأفاعي كما جرت العادة عندهم في بعض الخرافات وكانت الحيات حاملة الكرسي المصنوع من ذهب في هيكل مدينة دلفي على ثلاثة قوائم كان يجلس عليها في الأزمنة القديمة الكاهن وأحد العراقيين لآخذ الوصي من الوثن جواباً على ما يسأل من أمرهم يختص بمعرفة المستقبل وكان يجلس على هذه الكراسي عدد معلوم من النساء وقال بعض المؤرخين أنهن عشرة كن يخرن بروج النبوة ويسكن في عدة أقسام مختلفة من بلاد المعجم واليونان وإيطاليا .

وفي قسم آت ميدان من الجهة الشرقية يوجد الباب العالي حيث يجلس الصدر الأعظم ورجال الدولة الفخام والقرب منه السرايا المعروفة بطوب قبر سراي وهي السراي التي جدها السلطان محمد الفاتح المنفصلة عن المدينة بسور حثين ولها ثمانية أبواب بعضها من جهة المدينة وبعضها من جهة البحر وطول هذه السراي نحو ستة آلاف ذراع ومبينة على مركز وقاعدة البرنتيوم وتعد من السرايات الشهيرة العظيمة تحيطها جنية فنيحة تشب فيها الأشجار

الشامخة في الجو وعلى أطرافها الباب الهمايوني وهو مدخل للسراي الخارجية المباح للجميع أن يدخلوا إليها وهو عظيم الارتفاع على شكل دائرة تشاهما الكتلبات العربية وقائم عليه خمسون بواباً غفراء ، وعلى أحد طرفي الباب كان هرم يدعى هرم الجماجم كانت تعلق عليه رؤوس المجرمين مكتوباً عليها ما يدل على مغبة الذنب الذي يسيه حكم على صاحبها بالقتل وعند أطراف تلك السراي فسحة رحبة يقوم عليها بناء يشتمل على قبة قديمة شادها الملك قسطنطين الكبير ، وهناك دار الأسلحة يوجد فيها جميع أنواع الأسلحة القديمة العهد معقدة على الترتيب وهي مؤلفة من ذروع ووزديات وسيوف ورمح وألات إطلاق البارود وما شاكل ذلك من أدوات الحرب وهناك أيضاً أربعة أشخاص من الخشب عليها ملابس حديدية التي كانوا يلبسونها قديماً أحدها مرندي يزي الشراكسة ، والثاني يزي أهل الفلاح - والثالث يزي الأكتشارية ، والرابع يزي العسكر العثماني ثم وبالقرب من تلك القسحة توجد بقعة أخرى فيها الديوان الكبير وامامه سباط من شجر السرو على صفتين ينتهي الي قاعة الديوان المشيدة من الرخام المزجان بالظوش اللحية وفي ما يليها توجد دار عظيمة فيها كرسي الحضرة الفخيمة الشاهانية تحت قبة عالية مصنوعة من حجر الرخام وعلى جانبها سراي الحرم المصون وهناك حمام السلطان سليم الثاني وفيه ٢٢ حجرة ، ومن هناك تنظر الخزينة الملكية والضميمة ودار الكتب وباب المالية والأوقاف أما الحدائق المحاطة بالسراي فحدث عنها ولا حرج فالخصان أشجارها تدل على ماشيتها بنوع يهيج الناظر وينابيع المياه المنجسة من أعمدة الرخام القائمة فيها ، تدفق كأنهار تجري في جنة غناء أما زخرفة السراي المشعشة فلا شيء يفضلهما في الجمال لاسيما ما يختص بالذات الشاهانية فإن حجرة عظمتها فيها منتهى التألق والتحسين وهي مشدات بالفخاش الصيني الفاخر وأرضها مفروشة بالطناس الثينة والنخت من قضة الكتان والوسادات والأفرشة السملى وملأت اللحاف كلها وثائر منسوجة من قماش ذهبي .

وبالقرب من أت ميدان يوجد نفق تحت الأرض يدعى بيتك يردواه أي ألف عامود وعامود كان قيسارية قديمة معروفة بقيسارية ألف عامود وعامود وهي طيفتان مركبة على أعمدة غليظة من الحجر وأكثر أعمدها

مطمورة بالتراب وبالتقريب منها يوجد العمود المحروق وهو غليظ وطويل ومن الحجر الرملي عليه تماثيل أشخاص وكتابات قديمة ، ويقال أن قوماً من اليهود اشتروه من أحد الملوك العثمانيين لظنهم أنه مصنوع من معادن ذهبية توهماً منهم بكثرة المعادن ثم أحرقوه ليستخرجوا ما فيه من الذهب ولذلك دعي بالعمود المحروق وقد شاهده الملك قسطنطين الكبير وكان علوه أولاً ١٣٠ قدماً ورفقه تماثيل أيولون من نحاس وهو بشابة رجل عظيم البنية مثل الجبار ويقال بأن صانعه كان فيدياس الفناش الشهير . ولما حدثت الزلزلة في أسلامبول عام ١١٥٠ تمطل ذلك العمود وسقط ولم يبق من علوه إلا ٩٠ قدماً ، وأبولون هو آله اليونانيين والرومانيين القدماء كانوا يعبدونه ويعتقدون أنه الشمس مصدر الحرارة والضياء وأنه المتولي صنعة الرمح بالقوس وأمر النبوة وصناعة الطب وفن الموسيقى .

ومما يستحق الذكر أيضاً في القسطنطينية العائلات المشاعة التي شادتها الحكومة ليتول فيها المسافرون من التجار ويقومون بها مجاناً ترغيباً لهم في جلب السلع والبضائع توسيعاً لنطاق التجارة . أما أسواق المدينة فهي فسحة جرداً وأشهرها سوق اليانستان وهي مبنية بالحجارة ولها أبواب لا تفتح إلا في أوقات معلومة من النهار وفيها أقدم تجار المسلمين وأغناهم وبها تبيع الأسلحة الثمينة والملابس الفاخرة والتحف النفيسة، ويلاصق هذه السوق عدة أسواق شهيرة مثل قليجي جارشمس وأفروجارشو .

أما أهالي هذه المدينة فهم على جانب عظيم من الرقة واللذة ويأتسون الغريب ويكرمون متوى الضيف مشهورون في الفنون والصناعات ولهم حسن محاضرة ومذاكرة أمثالوا بصون اللسان عن عن سفاسف الكلام والمدينة اليوم هي مطمح الأقطار ومسقط رحال السياسة أمام الله مولانا أمير المؤمنين نوراً لهجتها وقرناً يسطع عليها ما كرت الأيام وتوالت الأعمام .

في أصل بني عثمان

لقد اختلف أكثر المؤرخين في أصل سلالة آل عثمان فالبعض ينسبون هذه العائلة الشريفة إلى سلالة عيسى بن أسحق وبعضهم يذهب أنها من طائفة بني قنطرة جاءت من الحجاز بسبب القحط ونزلت في بلاد القرمانيين ، وكل فريق من المؤرخين يسرد الدلائل التي تزيد مله به وتقوي حجة لكتهم قد أجمعوا أنها أشرف سلالة من العشاير الإسلامية وأن جد آل عثمان هو سليمان شاه أبي بجماعته عام ١٢٠٠ ميلادية الموافق لسنة ٦٢١ هجرية ونزل في صحاري بلاد أرمينية الكبرى حيث مكث نحو سبع سنوات أشتعلت أثناءها نار الحرب بين الخوارزمي وعلاء الدين سلطان قونية وكبير السلاجقة فتحزب سليمان شاه أبي السلطان علاء الدين ونزل مع جيوشه الي ميادين ألوغزي وليث يكافح معه حتى انتصر على أعدائه بواسطته .

وفي عام ٦٢٨ هـ . لما أراد سليمان شاه المحكي عنه مغادرة تلك الأسياع فأصداً عربستان مر بجماعته على نهر الفرات وبينما كان يعبره مات فيه قريباً ودفن عنده في مكان يعرف إلى الآن بزار الأتراك وترك أربعة أولاد هم سنغورتكين وكون طوغندي وأرطغرل ودوندر . فرجع سنغورتكين وكون طوغندي إلى ناحية الشرق وبني أرطغرل ودوندر عند السلطان علاء الدين وحضر معه جملة حروب فالتهم فيها أرطغرل البسالة والأقدام ثم وقعت حرب شديدة بين السلطان علاء الدين على أعداءه فقتل شملهم وأباد أكرمهم فكانوا علاء الدين بان أعطاه بلاد سكود واسكي شهر .

عاش أرمطغرل ٩٠ عاماً وتوفي عام ٦٨٠ ودفن بمدينة سكود تاركاً ثلاثة أولاد وهم عثمان بك وسارحي بك وكندوز بك وقد تقلد منهم قيادة الجيش عثمان بك بالنظر لشجاعته ويسانته فأسس بناء الدولة والملك ، ومن المحقق أن نسل آل عثمان الأصيل يتصل بياض بن نوح وهناك سلسلتهم الطاهرة .

السلطان عثمان ابن أرمنغر . ابن سليمان شاه . بن قبال قرن بوغا بن ليحور . بن قولغوخ . بن نناد . بن قيتون . بن سافور . بن بولغاي بن بايسفور . بن توكتمور . بن ياسوق . بن جندور . بن باقي . بن كوك الب . بن ارغو . بن قره خان . بن قوللق . بن تورتق . بن قره خان . بن ياسوق . بن بولواج . بن تغار . بن سونج . بن جاريوفا . بن قورتلمش . بن قره خان . بن عمود . بن سليمان شاه . بن قره خول . بن قولغاي . بن باتيمور . بن طوسي . بن بلش . بن طورغا . بن طوغش . بن كوجك بك . بن أوتوق . بن قوتاي . بن بك جكتيمور . بن طورج . بن قرل . بن يعاق . بن باشوفا . بن قورتلمش . بن فورجه . بن بالجي . بن قوماي . بن قره أوزلال . بن سليمان شاه . بن قولو . بن بولغار . بن باتيمور . بن طورمش . بن كوكب الب . بن أونغوز . بن قره خان . بن قاي خان . بن بولجاي . بن ماجيه . بن أبي تحارث . بن ياقث . بن نوح .

وقد تولى من آل عثمان حتى الآن تحت السلطنة السنية خمسة وثلاثون سلطناً عظمت بهم شوكتها وامتدت سلطونها وعظم شأنها وبذخ مقامها وبما أن الوقوف على ترجمة حياتهم السعيدة من الأمور التي تكسبنا العز والتفخار وتمنحنا الهجة والوقار لما أتت من الفعال التي لا نذكر معها أعمال الأناصرة وانتصارات الفياصرة كيف أنهم فتحوا المدن العظيمة ودمروا الحصون المنيعة وقهروا الجبابرة وأمتلكوا معظم الدنيا برأ وبحراً وكيف كانت الدول الإنترجية ترتد من سلطتهم وتقدم لهم الطاعة والخضوع وتتربص بهم في سائر الأمور حتى إلى يومنا هذا . اردت أن أقيظ نفسي وأسعدعا بتدوين قبيل ودون القليل من ترجمة كل طيب الذكر من السلاطين النخام آل عثمان الكرام خلد الله ذكركم وأجز شأنهم على الأنام طراً .

السلطان الأول
السلطان عثمان الغازي ابن أرطغرل



ولد العيب الأكر السلطان الأول السلطان عثمان الغازي بن أرطغرل
عام ٦٥٦ هجرية وشب على البسالة والأقدام وشجاعة الكرم . ولما بلغ
الحلم إنتقل والده إلى جنة ربه فخلقه في قيادة جيش عشرته وليث مصائباً
للسلطان علاء الدين ويساعده في أفتتاح جملة مدن متبعة وعدة قلاع حصينة
فالتحقه مكافأة له بالطول والعلم وبسكة ضرب النعاملة وأمر بأن تنحطب صلوة
الجمعة باسمه العزيز . وفي عام ٦٩٩ زحلت جيش جرار من جماعة انتثر على

سلطنة علاء الدين وقزعوا عليه بالحرب العوان وبعد أن ناعضهم طويلاً ولم ينله الله الفوز عليهم شنّ رعاياه عليه عصا الطاعة وجأهروا بعدوانه فاضطروا إلى المهاجرة لبلاد الروم وهناك توفي .. وسيتحدث القرضت الدولة السلجوقية ققام الأملون على قدم وساق ونادوا باجتماع الكلمة باسم عثمان النازي بن أرطغرل سلطاناً عليهم فجلس على عهد السلطنة عام ٦٩٩ للهجرة وتمركز في مدينة قره حصار ودعاها بادشاه ثم حصن مدينة يكي شهر وجعلها مركزاً له وأخذ يحكم بالقسط والعدل وينصف المظلوم من الظالم ويعطي لكل ذي حق حقه حتى ربح سكان سلطنته في بسوطة الرغد والسعادة وبعد أن نظم أحوال داخلية البلاد شرع في توسيع نطاق ملكه فحاصر مدينة أذك وشاد أمامها قلعة حصينة دعاهما قزغانه باسم قائد الجيش .

وفي عام ٧٠٧ هـ . داخل والي بروسه الخوف من طموح السلطان عثمان إلى بلاده فآثار عليه سراً ولاية البلاد المجاورة ليقاوموه ولكن لما اتصل به الخبر شن عليهم الغارة عاملاً بهم السيف حتى مزق شملهم وقتل صاحب قلعة كستل ويث بابنه أورخان خان يقود جيشاً كبيراً إلى مدينة بروسه وبعد أن حاصرها مدة دخلها عنوة وأذن لأهلها أن ينصرفوا منها بدون أن يهرق منهم قطرة دم وكان ذلك عام ٧٢٦ هـ ثم شرع في تنظيم أحكامها وتحسين قلاعها . وفي أثناء ذلك جاءه رسول من قبل والده يستدعيه إليه فأطاع وراح مسرعاً ولما أن دخل على أبيه الكفاء بتقلب على فراش الموت فافترقت عيناه بالدموع وخاطبه بقوله : يا أعظم سلاطين البر والبحر كم فهرت أبطالك والمتحت بلداناً مالي أراك في هذه الحالة . فاجابه والده . لا تجزع يا بني هذا مصير الأولين والآخرين واني الآن أموت فرحاً مسروراً لكونك تخلقتي وتقوم مقامى بإدارة هذا الملك السامى . ولم يتم كلامه حتى أنقذت روحه إلى جنة السعادة ونقلت جثته إلى زاوية قلعة بروسه حيث دفن بكل إكرام وإجلال وكان ذلك عام ٧٢٦ هـ بعد أن عاش سبعين سنة قضى منها ٢٧ عاماً على تخت السلطنة . وكان رحمه الله شجاعاً بأسلاً شديد اليأس شديد الرأي عالي الهمة كريم الخلق أبي النفس كريماً يحب الإحسان لبني الإنسان ومن وفرة كرمه لم يترك شيئاً لخالفته سوى حلة مطرزة وعمامة مشرجة وبعض مناطق من القطن سبغت على هيئة بسطة رحمه الله وجعل الجنة مأواه .

٥-الامبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية في ثلاثينات وأربعينيات القرن التاسع عشر للمؤرخ الروسي أنيل أكستدو فادولينا- ترجمة أنور إبراهيم وقد تركز هذا الكتاب لاستغلال الدبلوماسية الغربية للمشاكل التي تعرضت لها الدولة العثمانية وتأزم الأوضاع الداخلية فيها، وعدم مسيرتها لتطور النظام الرأسمالي فكانت بتشجيع الحركات الانفصالية عن الدولة العثمانية خاصة في أوربا، وتطرق المؤلف إلى زيادة حدة الصراع بين الدول الأوربية من أجل إخضاع الدولة العثمانية مما أبرز المسألة الشرقية على الساحة خاصة خلال أحداث اليونان والنزاع بين الدولة العثمانية ومحمد علي كما قام بدراسة الدبلوماسية العثمانية خلال هذه الفترة ومهام الدولة العثمانية للتفاعل مع هذه المؤلف.

الفصل الأول

الإمبراطورية العثمانية

في العشرينيات ومطلع الثلاثينيات من القرن التاسع عشر وعلاقتها بالدول الأوروبية

ارتبط ظهور البواكير الأولى للعلاقات الترابية في الإمبراطورية العثمانية ، وخاصة في الأقاليم الغربية منها ، بالسوق الأوروبية ، وقد أسهمت هذه العلاقات في تشكل وتنمو الوعى القومى في هذه الأقاليم ، ونتيجة لتطور الاجتماعى والاقتصادى غير المتوازن في مختلف أقاليم الإمبراطورية ، فقد تعسقت هذه العمليات في أوقات متباينة وأصبح من البلى أن الأتراك أنفسهم قد تطلقوا عن عدد من الشعوب الناشئة لمسلطتهم ، وقد أدت هذه الظروف إلى خلق تناقضات داخلية راحت تهدد وجود الإمبراطورية العثمانية ذاتها باعتبارها دولة واحدة .

لقد استغلت الدبلوماسية الأوروبية على نحر فعال الشكوك الداخلية للإمبراطورية العثمانية في تحقيق أهدافها . وما لبثت مدة التناقضات بين الدول الأوروبية وتركيا أن اشتدت في عشرينيات القرن التاسع عشر أي في فترة الكفاح القومى التحررى للشعب اليونانى من أجل حصوله على الاستقلال .

لقد تمخض ضعف الإمبراطورية العثمانية والذى تمثل في تعلقها الإقتصادى عن الدول الأوروبية وتكريم الأضلاع الداخلية فيها عن عدد من الأحداث . ففي عام ١٨٣٠ توج الشعب اليونانى نجاحه ضد التور العثمانى (١٨٢٦ - ١٨٣٧) بزمان الاستقلال ، وفى العام نفسه أجلت فرنسا الجزائر ، وفى عام ١٨٣١ خرج والى مصر محمد على عن طوع السلطان ، واستولى على سوريا وأخذ يطالب بالاعتراف بالسلطة الموروثة في مصر وسوريا ، ثم بعد ذلك بالاستقلال . وفى عام ١٨٢٩ حصلت صربيا بمساعدة روسيا على استقلالها الثانى ، وبناء على صلح أدنبرة ساهمت روسيا في إنشال تغيرات جذرية في بنية ممالك البلقان تبعاً لما كان يعرف بالترتيبات المفضوية أواخر ٦٩ من ٢٦٧ - ٢٧٧) وهو ما زاد من حقوق هذه الممالك في الاستقلال الذاتى . وفى الثلاثينيات أيضاً بدأت فرنسا صراعها ضد الباب العالى من أجل السيطرة على تونس .

لقد أدت كل هذه الأحداث إلى أن الحكومة السلطانية أصبحت تترك ضرورة إجراء تغييرات في نظام إدارة الدولة . وفي ثلاثينيات القرن التاسع عشر كانت السياسات الداخلية والخارجية التي تواجهها موجهتان لتحقيق هدف واحد : تقوية الدولة والحفاظ على وحدتها ، فمن أجل تقوية الوضع الداخلي والقضاء على تمرر الشعوب المناهضة اتخذت الإجراءات الإصلاحية ، بينما تركزت هدف السياسة الخارجية والدبلوماسية في الحفاظ على وحدة الدولة . وقد تنامي دور الأخيرة بشكل خاص بعد عام ١٨٤٢ عندما أثبتت علاقات دبلوماسية دائمة مع الدول الأوروبية .

ومن المعروف أن اليونانيين ، شأنهم في ذلك شأن الشعوب السلافية في شبه جزيرة البلقان ، كانوا يطمحون أمالهم منذ أمه بعيد على تلقي المساعدة من روسيا في تحريرهم من الهيمنة التركية . وقد أشار كل من ماركس وإنجلز صراحة إلى أن اليونانيين والسلاف كانوا يرون في روسيا نصيرهم الطبيعي (انظر على سبيل المثال ص ١٢ ، ص ٢٢) .

غير أن سياسة روسيا تجاه حركات التحرر القومي في ذلك الوقت اتسمت وبشكل واضح بالازدواجية . فمن ناحية ، سعت روسيا لاستغلال هذه الحركات للحصول على مكاسب شخصية تحت ستار أهداف نبيلة مثل مساعدة أخوة البير المضطهدين . ومن ناحية أخرى أدت السياسة العامة للحلف المقدس والذي كان من أهدافه مقاومة الحركات الثورية وحركات التحرر القومي وسعت دول الحلف للتعاون الناجح مع الحكومة المركزية للإمبراطورية العثمانية إلى تذبذب السياسة الروسية وعدم الثبات على مواقفها .

وبعد إعلان استقلال اليونان عملت إنجلترا وفرنسا على تصعيد الصراع ضد التأثير الروسي في اليونان . لقد كانت دول أوروبا الغربية تخشى أن تصبح الدولة اليونانية القوية نصيراً للسياسة الروسية . كما لم ترغب هذه الدول أيضاً في إضعاف الإمبراطورية العثمانية ، إذ كانت ترى فيها حاجزاً ضد روسيا (١٤٨ - ص ٤٢ - ١٤٩ ، ص ٦٦) . ولهذا فإن إنجلترا وروسيا وفرنسا هي التي قامت برسم حدود اليونان ، فانتقلت فيها المناطق الغالية من احتياطات المواد الخام والأراضي الأقل خصوبة . كما ظلت كريت وجزر أيونيا يسكانها اليونانيين والتي احتلتها إنجلترا منذ ١٨٠٩ إلى جانب عدد من جزر بحر إيجه^(١) خارج الحدود اليونانية .

بعد عام ١٨٢٠ انفجرت الخلافات التركية اليونانية وعلى الأخص الخلافات الإقليمية ، وهذه أشدت حدثها في العقود التي تلت ذلك .

سعت الدول الكبرى للحفاظ على الوضع الراهن فيما يتعلق بالعلاقات اليونانية التركية والحوالة دون وقوع أي صدام عسكري بينهما ، إذ أن مثل هذا الصدام كان من الممكن أن يكون سبباً لشرب حرب بين الدول الكبرى ذاتها .

ظلت اليونان لسنوات طويلة بعد حصولها على الاستقلال عاجزة عن بلوغ الاستقرار سواء داخل الدولة ، وذلك بسبب الصراعات داخل الأحزاب أو الصراعات الطبقية ، أو خارجها ، أي في علاقاتها مع الإمبراطورية العثمانية ، وبشيبة الحال فإن كل محاولات اليونان التي بذلت في هذه الظروف من أجل استعادة وحدتها مات بالفشل . على أن الدول الأوروبية استغلت الطموحات القومية اليونانية باعتبارها وسيلة لتقوية تأثيرها في اليونان . كانت الأحزاب اليونانية تناصر إما التوجه الإنجليزي أو الفرنسي أو الروسي . وقد دفع ذلك الباب العالي لأن يتخوف من أن تؤدي حماية الدول الأوروبية إلى مساعدة اليونان في توسيع حدودها (٢٠٦ - ص ١٤) . وقد أعطت كل من فرنسا والنمسا وروسيا اللبروات مرة ثو الأشرى لك هذه الخاروف (١٧٢ - ص ٣٩٠ ، ٣٩٤ - ٣٩٥ ، ٤٧٢ ، ٦١٤ ، ٦٢٤ ، ٦٢٤ - ص ٢ ، ص ١١٥ ، ١١٨ - ١٢٠) .

أما المشكلة الثانية والهامة التي واجهت الباب العالي في ثلاثينات القرن التاسع عشر فكانت انتفاضة محمد علي باشا والى مصر الذي عينه الباب العالي في هذا المنصب عام ١٨٠٥ .

أصبح محمد علي الحاكم المطلق السلطة لمصر بعد أن تخلص في عام ١٨١١ من المماليك (مع استئذان صامت من جانب الباب العالي) . وارتبطت به كلية الصفوة التي دعها للامام بعد أن أتم عليها بالأراضي . كان محمد علي ينظر إلى مصر كسيمة يمتلكها ويشال له مصدراً للثراء ، إن التبعة الهشة بالسلطة المركزية (وعر ما كان يميز إلى حد كبير علاقة الحكام بالأقاليم الأخرى بفضل النظام الإداري الذي كان قائماً في الإمبراطورية العثمانية) والسلطة غير المحدودة في البلاد سمحت لمحمد علي بإقامة احتكارات حكومية تقدر بـ ٢٩٥ من البضائع المصدرة للخارج (٤٨ - ص ٣٦١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٦ ، انظر أيضاً ٢٧ ، ص ٢٤٤ ، ٥٦ ، ص ١٤ - ١٩ ، ٢٥ ، ٨٢ ، ص ٤٢ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ١٢٠ ، ص ١٧٨ ، ٢٤٠ ، ص ٢٤) . إن هذا النمط الجديد لم يكن يتفق على حاكم آخر أن يسمح به لنفسه . لقد ساعد قرب محمد علي من الأسواق

الأوروبية ودعم فرنسا له إلى جانب العائلات الشقيقة التي حصل عليها أن يقيم جيشاً جديداً منتقياً واستقرلاً جيلاً . قام محمد علي ، بموافقة الباب العالي ، بإقامة علاقات تجارية ودبلوماسية وثقافية باسمه مع الدول الأوروبية كان أغلبها مع فرنسا . وكان جيشه مدرباً على الطريقة الأوروبية ، مزوداً بضباط فرنسيين . وقد تأسست في مصر معاهد تعليمية عمل بها مدرسون أوروبيون . كما تجاوز نجاح الإصلاحات وتنشيط الجيش والتعليم قديماً قدرأً كبير بكثير من إصلاحات السلطان التركي سليم الثالث (1789 - 1798) حيث لم يعد في مصر بعد القضاء على المماليك أي معارضة داخلية قوية .

بدأ تمرد محمد علي بالنسبة للإمبراطورية العثمانية تلوّدياً وبدأ وكأنه لا يمثل تهديداً لوحدية الدولة . لم يكن تمرد حكام الإقاليم ضد السلطة المركزية في الإمبراطورية العثمانية يحمل في أغلب الأحوال طابع الوكوف في وجه السلطان ، ولم يكن يستهدف الانفصال عن الإمبراطورية . وعلى العكس من ذلك كان الإقطاعيون المتمردون يرون أنفسهم أكثر خدم السلطان إخصاصاً . من مثل هذه المواقف كتب يازيقي قائلاً : " كان هذا الشكل الخاص من التمرد معروفاً منذ القدم ويمكننا في الشرق فقط ، لم يكن الهياضات يطلقون تمردهم على السلطان ، لأن تلك حقوقه الروحية والسياسية مصونة بصفته خليفة رسول الله ، وإنما كان التمرد موجهاً ضد الحكومة التي عينها هذا السلطان ، بحيث إن التناقضات كثيراً ما تتجاوز وتتشابه ، فإن الاستبداد الشرقي يقف هنا جنباً إلى جنب مع راديكالية الغرب " (٢٧ ، ص ١٠٤) .

كانت الحكومة المركزية لتجاً أحياناً لاستغلال التمردات لإقصاء الوافقين الذين لم تعد لهم حاجة إليهم وذلك على أيدي أعدائها من المتمردون (٢٧ ، ص ١٠٠) وقد طرقت هذه الوسيلة نفسها بالباشوات (الولاة) على من يتجهونهم من إقطاعيين . كتب الدبلوماسي البروسي والراقب المصيف للأحداث ج . وولف يقول إن ولاة الأقاليم كانوا " ثارة ما يستغلون التزامات القديمة بين القبايل ، وثارة ما يفرون بالوعود إقطاعياً ضد إقطاعي بالرفساء الدائم للديوان عليه . وثارة ما يخرسون الأضعف بالأقوى ، وعندما يتقلب التمسير الذي أتق على الصراخ الفضل جزء من أملاكه وضياعه أملاً في مكانة تعوضه عما قدمه من خدمات لرباشا كان الولاة يتصاطلون معه بلا رحمة واعتباره متترياً أو - في نهاية الأمر - يعزونه على نحو غائر " (١٢٤ ، ج ١ ، ص ١٢٨) .

١٤ - تم رسم الحدود بين الإمبراطورية العثمانية والبولان في عام ١٨٢٩ ، وقد مرت الحدود عبر خط كويس آردا وفولفس . ونحو مباحثات الدول الكبرى والدولة العثمانية بشأن تقسيم الحدود في الفترة من عام ١٨٢٩ وحتى عام ١٨٣٩ (انظر ٢٥٧ ، ص ٦٤ - ٦٧ ، ٨٢ - ٨٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠

أخذت الخلافات بين محمد علي والسلطان في التراكم بالتدريج . كان السلطان قد ورد محمد علي بتوليته كريت وسوريا جزءاً ، ما قدمه من عون في قمع الانتفاضة في اليونان . ولكن بعد تطهير الأسطول المصري على يد الأسطول الأجنبي الوحيد في تلكايرين في ٢٠ أكتوبر ١٨٢٧ ، غادر الجيش المصري الثورة دون إذن السلطان . كما لم تقدم مصر للسلطان أي مساعدة أثناء الحرب الروسية التركية عامي ١٨٢٨ و١٨٢٩ حيث لم يستجب محمود الثاني لرشيات محمد علي في تعيين قائداً للجيش في الأناضول وتعيين ابنه إبراهيم قائداً أرمينيا . وبعد توقيع صلح أدنة عام ١٨٢٩ بين روسيا والإمبراطورية العثمانية حدد محمد علي طلبه بالمصروف على الأقاليم التي وعد بها من قبل (كريت وسوريا) . لكن محموداً اكتفى بإملاكه كريت فقط جزءاً ما أظهره محمد علي من عصيان .

لم يمش وقت طويل إلا وقد قررت الحكومة السلطانية معاقبة محمد علي ، وهو ما علم به من جوانبهمه التنسج في بلاد السلطان . وقد اتخذ محمد علي من هذا الأمر ذريعة للقيام بمحاولة مستقلة للاستقلال على سوريا . ففي ديسمبر عام ١٨٣١ استقل محمد علي الخلافات التي تفجرت بينه وبين عبدالله باشا والتي مكاة فوجبه إليه جيشاً قوامه ٢٤ ألف رجل . وطبقاً لرسم السلطان اعتبر محمد علي بقتل أسرتها شيع الإسلام في ٢٢ أبريل ١٨٣٢ ماصحياً (٢٠٨٠ ، من ١٦٨٠ - ١٢٩٠ ، انتشر أيضاً ٧٤ ، من ٤٨٨ - ٤٨٩ ، ٩٧ ، من ٩٢) .

بعد أن استولى محمد علي على سوريا أمر جيشه بالتمرد تجاه الأناضول ورغم السلطان على الاعتراف بحقوقه في الأراضي التي احتلها ، وقد هددت هزيمة قوات السلطان عند قونية عام ١٨٣٢ وتقدم جيش الباشا المصري نحو استنبول وجود الأسرة الحاكمة .

في نهاية عام ١٨٣٢ أرسل السلطان محمود الثاني السفير نافع باشا^(١) إلى العواصم الأوروبية بهدف استيضاح مواقف هذه الدول من تمرد محمد علي ومن السلطان نفسه وأوصاه ، في حالة توصلته إلى نتيجة إيجابية ، أن يطلب من إنجلترا المساعدة ، من نوفمبر عام ١٨٣٢ وحتى مارس ١٨٣٢ رأى نافع باشا كل من قوت

١- نافع باشا (١٨٠٤ - ١٨٦٥) تلقى تعليمه في الإدارة السلطانية (Dünya Hükümeti) (Köln) على يد مدرسة اللغة الفرنسية وبعد تخرجه في الجاه العالي ، شارك في الحرب التركية الروسية عامي ١٨٢٩ و ١٨٣٢ ، رأى بطرسبرج بجمعية خلق باشا بعد توقيع صلح أدنة . عمل في الفترة من عام ١٨٣٢ وحتى ١٨٣٢ سفيراً خاصاً في العواصم الأوروبية ، ومن ديسمبر عام ١٨٣١ حتى مارس ١٨٣٥ سفيراً دائماً في لندن ، وفي عام ١٨٣٥ دخل منصب نائب القنصل مار . شارك في عام ١٨٣٦ في حرب طرابلس . دخل بعدها منصب الوالي والتمسك بوزير المالية وزير البحرية وغيرها من المناصب .

وباريس ولكن ويرلين وبوتسداموج - وعلى الرغم من استيوائه في لندن بحفاوة كبيرة وإهدائه عدداً من التماثيل - إلا أنه لم يلق يوماً بالمساعدة العسكرية (لمعرفة الأسباب انظر: ١٩٨٠ - ص ٨٢ ، ٩٥ ، ١١٩ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، ١٨٢ ، ص ١٤ ، ١٢٤ ، ص ١٠٤) .

وبما لم تكن إنجلترا - في الفترة الأخيرة التي عمل فيها تاملو باشا سفيراً لبراندس - ترضى في ثورة محمد علي اعتلاء على وحدة الإمبراطورية العثمانية - ومن ثم فإنها تعاضدت مع هذه الثورة باعتبارها تمرداً عابثاً (٢٠٨ ، ص ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٥ ، ص ١٩٨) . بالإضافة إلى ذلك فقد كانت إنجلترا في منتصف الأول من ثلاثينيات القرن التاسع عشر عائدة العزم على إقامة علاقات ودية مع باشا مصر وفتح طريق أكثر قرباً إلى الهند عبر أراضي ما بين البحرين ومصر .

على أية حال فإن إنجلترا لم تخش أن محمود الثاني الذي اضطره الظروف لقبول مساعدة عسكرية من روسيا سوف يعقد معها وبعد عدة أشهر (في يونيو ١٨٢٢) معاهدة لوتيكار إسكاييس للدفاع المشترك ، وهي المعاهدة التي استقبلتها إنجلترا باعتبارها انتصاراً دبلوماسياً كبيراً لروسيا .

في فبراير ١٨٢٢ وصلت قوات محمد علي إلى مدينة كوتاهية في آسيا الصغرى - وقد أثار ذلك اضطراباً شديداً في إسطنبول - فقررت الحكومة القيصريّة خطورة الموقف وهي تشاهد إمكانية الإنهيار السريع للإمبراطورية العثمانية ، وهي الخشية بالاحتفاظ بجوار شعيف - هو سلطان تركيا - لا جاز قوي مثلاً في شخص محمد علي (٢٢٤ ، ص ٤ ، ص ٤٢٨ ، أنظر ١١٢ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٩) ، وعلى الفور تقدمت بالقتراح لمساعدة السلطان فأرسلت الجنرال - ن. مورافيوف إلى إسطنبول وبعده هذا الاقتراح وذلك في مطلع شهر ديسمبر عام ١٨٢٢ (٦٢ ، ص ٦٠٧) وفي الثاني من ديسمبر عرض ممثل روسيا في إسطنبول بصورة رسمية تقديم مساعدة عسكرية إلى الباب العالي ، وبما كان محمود الثاني في مأزق فقد وافق على الاقتراح على الفور .

وصل الأسطول الروسي الأول إلى البوسفور يوم ٢٠ فبراير ١٨٢٢ ، أما أول إنزال (ما يزيد على خمسة آلاف جندي روسي) فقد قام به الأسطول الروسي الثاني على الشاطئ الآسيوي للبوسفور في وادي أوكايار إسكاييس في ٤ أبريل - وفي الثالث والعشرين من أبريل وصل الأسطول الثالث وكان مكوناً من ٤٠٠ جندي آخر تقريباً (١٢٢ ، ص ٢٦٧) .

استقبلت دول أوروبا الغربية وجود الأسطول الروسي في البوسفور بانزعاج بالغ ، عتلاً راحت تقع في الصبح على محمود الثاني بأن يسارع بالتصالح مع هذا التابع العنيد وأثارت فيه الشكوك من جراء التغيرات العثمانية لروسيا ، نتيجة

لذلك أصدر محمود الثاني فرماتاً يؤكد فيه حق محمد علي في إدارة سوريا وكريت وجزيرة (في الجزيرة العربية) . وعلاوة على ذلك فقد أتم عليه محمود الثاني بالإعلان وعضايق في سوريا وفلسطين، صيدا ، طرابلس ، القنس ، نابلس .

في يناير عام ١٨٣٢ يتوجه إلى مصر المشير^(١) خليل زعتت باشا قائد الأسطول^(٢) ومعه رئيس إدارة الشؤون الخارجية مصطفى رشيد بك وذلك بناء على خشي متابوني (٤٨ ، ص ٤١ - ٤٢) .

وبعدما أوصى محمد علي بما آلت إليه السلطة المركزية من ضعف لم يكتف بما تشهه له السلطان من تنازلات فراح يطالب بترخيص إضافية - آليات الشام (دمشق) وخدي في سوريا ، وصنجايق إيتشيل وآلبي في آسيا الصغرى الواقعة على سواحل البحر الأسود . وقد عدد محمد علي بإرسال حملة إلى إسطنبول إذا لم يوافق إلى ضده . وهنا صرح له السفيران أنهما لا يملكان الشجاعة على إبلاغ السلطان بهذه الشروط ، على أن محمداً علياً أمر على أن يكتب إلى السلطان برغبته أو يقوم هو بنفسه بإبلاغه .

وفي إحدى المباحثات التي دارت مع خليل زعتت باشا وشارك فيها مصطفى رشيد بك طالب محمد علي السلطان بكلمات مقتنعة . كان هذا الأمر مفاجئاً لوكلف السلطان كما جعله يدرك أن الياشا المصري ليس خاضعاً للسلطان وأن تمرده يهدد وحدة الإمبراطورية العثمانية بأسرها .

لم تحقق المباحثات التي دارت بين ممثلي تركيا ومحمد علي في يناير ١٨٣٢ نجاحاً يذكر . واضطر السفيران أن يبعثا بذاكرة تفسيرية للباب العالي - التي ود بشروطه بقاء خليل زعتت باشا في الاسكندرية وعودة مصطفى رشيد بك إلى إسطنبول

^١ المشير هي الرتبة الأولى بين الوفاة في الجيش ... حتى أن نائب القائد لم يصر لم يكن أعلى مرتبة من المشير ... وهناك رتبة المشير أيضاً بين الرتب العسكرية ، ولكن من يشارفها هم نفس مرتبة من الرتب العلية ، فقد أن لسماتها من العسكريين أكثر عدداً من العتيد . واولاً أيضاً يتقاضون رواتب أقل كثيراً منهم (١٠٠ - ١٠٠٠ من الفتر أيضاً ٨٠٠٠ - ٢٤٠٠) .

^٢ خليل زعتت باشا ، من أصل قوزلي ، كان في طفولته حياً لدى خسرو باشا وأباً له بالتبني . من حيثاً بالجنود النظامي وشارك في إخماد الانتفاضة اليونانية . بعد حرب ١٨٢٤ - ١٨٢٦ منح لقب باشا نظير ما أباه من شجاعة وفضل وأخيه خسرو باشا (الذي كان يشغل ذلك منصب السرمسكتر) . وفي سنة ١٨٢٧ عمل سفيراً لدى روسيا وقرر عودته منها أصبح سفيراً للسلطان محمد الثاني ، ثم عين في منصب القودان باشا (قائد الأسطول) . وفي عام ١٨٣٦ عين في منصب السرمسكتر . وهو آخر منصب شغره وحتى إبان حكم السلطان عبد الحميد الثاني . وفي عام ١٨٤٠ عين عضواً في مجلس وزارة العدل . ومن عام ١٨٤١ وحتى عام ١٨٤٩ قام على تنظيم أمور الحكم في لبنان .

، وصل خليل رفعت باشا إلى العاصمة في ٢٦ مارس ١٨٣٢ على متن سفينة فرنسية كانت في طريقها إليها . (١٩٨ ، ص ١١١) وسرعان ما يعد به الباب العالي إلى كوتاهية لإجراء مباحثات مع إبراهيم باشا قائد الجيش المصري وابن محمد علي .

أدار المباحثات مع إبراهيم باشا الدبلوماسي الفرنسي قارين ممثلاً للباب العالي ، وقد بذل قارين كل جهوده لمنع الدبلوماسية الروسية من استغلال الموقف القوي لسلطان وزيادة تأثير روسيا على الإمبراطورية العثمانية . ولما كان السلطان يرغب كذلك في تجنب مشاركة القوات الروسية مباشرة في المعارك ضد محمد علي وعدم السماح لها بتخويل الأناضول فقد وافق على الوساطة الفرنسية . أتاح الباب العالي لقارين بعضاً من حرية الحركة وخاصة فيما يتعلق بالتنازل ل محمد علي عن بعض الأقاليم (١٢٤ ، ج ١ ، ص ١٨٠ ، ١٩١) . كان علي مصطفى رشيد ، الذي صلب قارين ممثل الباب العالي ، أن يبلغ إبراهيم أن السلطان سوف يفتح آباء ، إضافة إلى ما أتم به عليه من قبل ، آيات الشام (دمشق) . أما محمد علي فقد طالب ، كما ذكرنا من قبل ، بإيالات الشام (دمشق) و حلب وصنابق إيتشل وآليس . وعلمة على هذا الطلب أضيفت - كما علمنا من تقرير مصطفى رشيد - كل من أوفيا والرقبة وأدنة (٤٨ ، ص ٥٦ ، ١٢٤ ، ج ١ ، ص ١٩٢) .

في الثلاثين من مارس عام ١٨٣٢ غادر إسطنبول ممثلو تركيا: مصطفى رشيد وشكيب أفندي والقائم بالأعمال الفرنسي قارين (١٩٨ ، ص ١١١) .

ويتضح لنا من تقارير مصطفى رشيد أن الباب العالي كان يدرك الدور النشط الذي اضطلع به القائم بالأعمال الفرنسي في المباحثات وكيف أنه سعى للمصالحة بين المتنازعين بعد أن أرغمهما على السير في طريق التنازلات المتبادلة . ومن المحتمل أن يكون قد اقترح على إبراهيم أن يتخطى عن صنابق إيتشل وآليس وأن يتكفي بالتنازل عن أدنة وأن يحصل من الصنايق المذكورة على أخشاب البناء بعد موافقة السلطان . تصح قارين إبراهيم أن يقرر هذا الأمر بنفسه دون أن ينتظر موافقة محمد علي . وقد أبلغ مصطفى رشيد الباب العالي بأن قارين كان يتصرف إبان إجراء المباحثات باعتباره " موظفاً مخلصاً لدى السلطان التركي " (١٨ ، ص ٥٥) .

أظهرت الجولة الأولى من المباحثات مع إبراهيم في كوتاهية لمصطفى رشيد أن الأمر عليه مثل أبيه . لقد رفض إبراهيم الإكتفاء بدمشق وكرر مطالب محمد علي وعدد بالزحف نحو إسطنبول في حالة رفض هذا المطالب . باتت محاولات مصطفى رشيد

خداعية الشاهنشاير الوطنية لإبراهيم ، ولم تترك مسافة تذكره بأن أوروبا باتت تعرف بأمر
إنزال القوات الروسية وأن هذا أمر "غير لائق وغير مقبول" أي انشباع لديه . لم
يخش إبراهيم أي شيء ، حتى الشهد بدعته القبض عليه في حالة إنزال قوات روسية
جورجا مصطفى رشيد بحوالي سن 20 ، إلى 4 ألك جندي (58 ، ص 45) .

يلاحظ من تقارير رشيد يد أنه كان يقف إلى جانب تسوية الصراع عن طريق
التفاوض المباشر مع إبراهيم وأنه لم يكن معارضاً للتنازلات الإقليمية . على أن الباب
العالي لم يوافق على إعطاء أداة للحد من وأصدر أمراً إلى رشيد يك بأن ينتظر
توجيهاته التالية .

في الرابع عشر من أبريل عام 1832 قدم قانون شروط الصلح إلى الباب العالي
الذي أصرح بالإعلان عن النهاية السلمية للصراع ، على أن أداة لم تكن ضمن الأقاليم
التي أعتبرت للحد من ، وبدأ على ذلك لم تغادر القوات المصرية كوتاهية وتمتعت
السفارة الفرنسية الباب العالي بالخيانة .

وقع محمود الثاني في حيرة من أمره ولم يعد يعرف أي المسيئين أكبر: أن
يستجيب لطلب محمد علي كثيراً وأن يطالب رأسه إذ لا تباشا المتورد ، أم يسمح
القوات الروسية بالدخول إلى أراضي آسيا الصغرى . لقد أشادت الدبلوماسية
الأوروبية الباب العالي من عزة الروس الاستيلاء على إسطنبول (124 ، ج 1 ، ص
189) . كانت غالبية أعضاء الحكومة التركية تلق ضد قبول المساعدة الروسية ، إذ
كانوا يدركون أنه ما إن يقبل الباب العالي هذه المساعدة حتى يقوم الروس بعزله عن
بقية الدول الأوروبية (124 ، ج 1 ، ص 180) .

وبنتيجة لعناد محمد علي والمعاج السفارتين الفرنسية والإنجليزية ، إلى جانب
المخاوف المرتبطة بوجود قوات روسية فوق أراضي الإمبراطورية العثمانية قرر محمود
الثاني التخليعية بأداة وإعطائها للباشا المصري . في الخامس من مايو 1832 أصدر
السلطان فرماً بتعيين محمد علي حاكماً على سوريا وكيليكيا ، وفي الرابع عشر من
مايو تم الاتفاق في كوتاهية⁶ على وقف العمليات العسكرية بين قوات السلطان ومحمد
علي ، وفي نفس اليوم بدأت انسحاب القوات المصرية من طرويس ، وفي الرابع والعشرين
غادرت كوتاهية آخر فصيلة مصرية (124 ، ج 1 ، ص 180 ، 182 ، 180 - 186) .

6- لم يكن الفرمان معاهدة بصرية وإنما كان وثيقة من جانب واحد من السلطان ، وفي هذا قد
" معاهدة كوتاهية " معاهدة بمعنى الكلمة ، وقد استخدمنا بعد ذلك اصطلاح " اتفاق كوتاهية " .

وبعدما زال التهديد المباشر للعراق ، قام السلطان بعقد إتفاقية دفاع مشترك مع روسيا لمدة ثمانية أعوام جرى توقيعها في الثامن من يوليو ١٨٧٧ في إسطنبول^{١٦} . وقد عرفت هذه الإتفاقية بأسم إتفاقية أوتنكيار إيسكيلييس نسبة إلى الوادي الذي تزكت به القوات الروسية (غادرت القوات الروسية الشواطئ التركية بعد يومين من توقيع الإتفاقية) . نصت الإتفاقية على التزام روسيا بتقديم المساعدة العسكرية بناء على طلب السلطان وذلك في حالة قيام محمد علي بأي هجوم جديد . ويلعب للتره تركيا بإتفاق مقيق الوردنيل أمام السفن العربية لجميع الدول^{١٧} إلا أنظر ٣٤ - ج ١٢ - ص ٥٠ .

اعتبر السلطان أن إتفاقية أوتنكيار إيسكيلييس تصب من أي نوع جديد من قبل وإلى مصر . كما عقد أماله أيضاً على مساعدة روسيا له في المستقبل على فتح محمد على وإعادة زوا حتى سوريا على الأكل .

عقدت المساعدة التي قدمتها روسيا إلى السلطان آنذاك إلى جانب إتفاقية أوتنكيار إيسكيلييس- التي رأى فيها محمود الثاني عاملاً هاماً في قمع الهاشا المصري وربما أيضاً إلى دعمه إلى الأبد - على تقوية النفوذ الروسي . لم يكن من الممكن أن تلق دول أوروبا الغربية مكتوفة الأيدي أمام هذا التوجه السياسي الذي أحوزته روسيا والذي جاء مفاجئاً لهذه الدول جميعاً .

لقد أوجست الدول الأوروبية خيفة من شروط هذه الإتفاقية تحسباً لإندلاع حدة الصراع و التزكي المصري وقيام روسيا عندئذ يدفع قواتها بحيث لا تغادر بعدها أبداً لا إسطنبول ولا المضائق .

منذ ذلك الوقت اتخذت النمسا و البرلومانسى للدول الأوروبية في الإسبيراشورية العثمانية طابعاً خاصاً جاداً . وعلى مدى سنوات طويلة بذلت الدول الغربية جهوداً كبيرة لتجمل من إتفاقية أوتنكيار إيسكيلييس حجباً على شرق . ومن أجل هذا راحت

١٦- حول عقد معاهدة أوتنكيار إيسكيلييس بمبادرة من الباب العالي انظر: ١٨ / ٩٠ - ص ٩٧ - ١٧٩ - ص ١٠٢ - ١٠٣ / ١٠٤ - ص ١١٦ / ١١٧ - ص ١٢٥ / ١٢٦ - ص ١٣٦ - انظر نص المعاهدة في المروج ٣٤ - ص ٤٩ - ٥١ .

١٧- كان هناك شك في صدق سروري في معاهدة أوتنكيار إيسكيلييس بزم القرب العالي بإتفاق مقيق الوردنيل في حالة تعرض الممتلكات الروسية في البحر الأسود لتهديد بالتسليم من جانب الأساطيل العثمانية في القسطنطينية . أو في حالة دخول روسيا الحرب مع الدول الغربية . كان معلق الوردنيل يشترط فتح التبرير أمام السفن الروسية العربية ومطابقها تركيا عبر البحر الأسود ... وعلى الرغم من القناعة الكبيرة التي ردا أن روسيا قد حصلت عليها من هذه الإتفاقية السري - فإن هذا الجهد قد فقد فاعله بسبب ما أعانه من شروط (١٢ - ص ٤٨) .

تسعى للحصول على موافقة الباب العالي على عقد إتفاقية مماثلة مع جميع الدول الكبرى . فلو أن مثل هذه الإتفاقية قد عقدت لتفقت روسيا بحرية الحركة في حالة تجدد الصدامات العسكرية بين السلطان ومحمد علي (٨٥ - ١٠٤٩ - ٩٦ - ٢٠ ص ٤٩ - ٧٤ - ٨٤٧ - ١٢٢ ص ٤٢٨) .

لقد وقع الصدام العسكري الثاني بين جيشي اليانسا المصري والسلطان في يونيو ١٨٢٩ فلم تكن الفترة ما بين ١٨٢٢ و ١٨٢٩ في الواقع سوى فترة سلام شكلي ، إذ واصل الجانبان خلالها سعيهما لتحقيق أهدافهما . فمحمد علي يسعى للحصول على استقلال رسمي (كان محمد علي يمتلك استقلالاً واقعياً لكنه استقلال غير واسع) ، أما السلطان فكان يهدف . استناداً إلى سلطته العليا . إلى قمع الزواي المتشرد وإعادة مصر إلى حكمه . فإن لم يتيسر له ذلك فسوريا على الأقل .

تدبر تمرد محمد علي من بقية الصراعات المتتالية باستمراريته ، إلى جانب تدخل الدول الأوروبية فيه بفضل الضغط التسمي لسلطان تركيا الذي أرقام في النهاية على التوجه إلى الدول الأوروبية مكتباً للحوار .

شاركت كل من روسيا وإنجلترا وفرنسا والنمسا وبروسيا . فضلاً عن تركيا ومصر . في النزاع الدبلوماسي الطويل (١٨٢٢ - ١٨٤١) بسبب الصراع التركي المصري .

لقد بدا أن الصراع الدبلوماسي في تلك الفترة كما لو كان قد اتخذ له مسارين . فالدول الأوروبية جميعها كانت تعارض ، أولاً وقبل كل شيء ، ضد الزيادة المحتملة لقوة منافسيها على حساب الإمبراطورية العثمانية وخاصة في منطقة المضائق ، على الرغم من أنها كانت تؤكد الباب العالي أن كلاً منها لا تسعى إلا للدفاع عن مصالحها . وفي خضم صراع الدول الأوروبية على المضائق (وخاصة صراع الدول الأوروبية ضد روسيا) اكتفت الدبلوماسية التركية بتدوير ثأري . فالطوقفة أن الإمبراطورية العثمانية في هذه الفترة أصبحت هدفاً للمصالح الأخرى . على الرغم من أن ميادرتها في هذا السعد اقتضت بشكل ملحوظ . وهذه المبادرة من جانب الباب العالي والدبلوماسية التركية جاءت في سياق الصراع من أجل الحفاظ على مصر ضمن كيان الإمبراطورية العثمانية . كان سعي السلطان لنزع محمد علي صداراً عن إحصائه بما تعلقه عليه سلطته العليا . بينما ظل اعتماد جميع الدول الأوروبية في النصف الأول من ثلاثينيات القرن التاسع عشر بخصوص إعادة الأقاليم المختصية اهتماماً محدوداً فن واقع الأمر . فقد أظهرت هذه الدوى وليستورات طويلة لا ميلاتها نحو مسألة التسوية الإقليمية بين السلطان ومحمد علي . ساعة في الوقت نفسه إلقاء

الأوضاع الإقليمية والقانونية بينهما على ما هي عليه (٦٢ - ص ٥٤) . وقد لوحظت هذه التغييرات من جانب روسيا طوال فترة الصراع بعد عام ١٨٧٢ (٧٢ / ٢٦ - ص ٢٠٦ - ٢٠٧ / ٢٥ - ص ٦٢ / ٦٥ - ص ٤٤ - ٥٥ - ٥٦ / ١٢٤ - ص ٢٦١ / ٢٤١ - ص ٥١ / ١١٨ - ص ٩٩) ومن جانب إنجلترا في النصف الأول من الثلاثينيات . وظلت فرنسا حتى عام ١٨٧٩ تزيد بقاء الوضع على ما هو عليه (٧٢ - ص ٧٤) . وأودنا فإن مهمة الدبلوماسية السلطانية تلتصت في الحصول على موافقة الدول الأوروبية وإدخال تعديلات على شروط معاهدة كوتاهية عام ١٨٢٢ .

وحيث إن دول أوروبا الغربية كانت تشقى أن يؤدي التجديد المحتمل للعمليات العسكرية بين محمد علي والسلطان . وفقاً لشروط إتفاقية أوتكيار إسكيليبي . إلى تدخل عسكري جديد من جانب روسيا . فقد رأحت هذه الدول تشجع العراقيل أمام عزم السلطان تجديد الصراع العسكري بهدف إستعادة سوريا . ومن ناحية أخرى حاولت منع محمد علي من إعلان استقلاله بمصر . إذ أن محاولة هذا أو ذاك تحقيق رغبتهم كان سيؤدي حتماً إلى اشتعال الحرب بين الجهات المتنازعة .

وعلى الرغم من أن التعاون بين إنجلترا وفرنسا فيما يتعلق بالسياسة الشرقية في فترة الصراع التركي المصري كان يعاين من تناقضات داخلية ومن التضارب بين مصالحهما المشتركة في منطقة البحر المتوسط (بما فيها الجزائر ومصر) فإنهما تراجعتا إلى خلفية الصورة في اللحظة التي ظهر فيها شوح الطموحات الروسية في الإمبراطورية العثمانية بغير على الموقف .

وحول عدوانية السياسة الشرقية لروسيا تكررت تصريحات رجال الدولة في إنجلترا وفي فرنسا . وفي الوقت نفسه راج بالمرستون مستقل درجة البرالفة في هذه التكريرات لأثرافسه السياسية . وفي السادس والعشرين من فبراير عام ١٨٢٥ كتب بالمرستون خطاباً إلى السير وليام تمبل جاء فيه : " ليست روسيا سوى وهم كبير . وأدأت إنجلترا أن تتخلص منها حقيقة . لتخلصت منها في حملة واحدة منذ نصف قرن مضى " (الإقتباس من الرجوع ١٢٢ - ص ٢٩٩) .

لاحظ المؤرخ الأمريكي قـ. سـ. روكس أنه حتى في عام ١٨٢٦ . أي بعد حادثة السفينة " ويكسن " ١٧٠ المرتبطة بازدياد حدة المسألة الشرقية . عندما بدا أن الحرب بين روسيا وإنجلترا انذاك أمر حتمي . أن بالمرستون كان على قناعة تامة بأن روسيا لم تكن لديها أي نوايا عدوانية . هذا ما ذكره بالمرستون في اجتماع نوبة البرلمان الإنجليزي (١٨٢ - ص ٥٦) .

٦- استناد القراء الروسية على السفينة الإنجليزية " ويكسن " التي أرسلت محطة بالسفوح إلى الجبلين عند سواحل القزاق عام ١٨٢٦ .

يؤكد المؤرخ السوفييتي، في، تاراي، في معرض حديثه عن أسباب التوجه العام للسياسة الشرقية لنيكولاي الأول أن القيصر بالغ في تقديره للضعف الإمبراطورية العثمانية وكان على ثقة تامة من انهيارها المتسارع السريع، وإذاً فإنه لم يشأ أن يقرض في نصيبه في "التركة العثمانية" ومن ثم راح يبحث عن حلفاء وهو يدرك أن روسيا بغيرها ليست في حالة تسمح لها بمواجهة أطماع بقية أوروبا إذا ما حالت لحظة وفاة "الرجل المرهق" - الإمبراطورية العثمانية (انظر ص: 85، ص 86 - 87) .

على أن إنجلترا استطلعت بشكاه مغاوب فرنسا من جراء السياسة الشرقية لروسيا، التي دعمت موقفها في الإمبراطورية العثمانية بمقاييس إنفاقية أوتكوار إيسكيليس، وكانت إنجلترا على حق عندما اعتمدت على أن فرنسا لن تشرع على قطع "الاتفاق الودي" الإنجليزي الفرنسي بمشأ عن حل الخلاف التركي المصري . فهذا الاتفاق ما يزال يظل يدها وأن يسمح لها أن تتحسس لجمع نتائج محمد علي . وقد حلت إنجلترا طوال فترة الصراع التركي المصري تؤكد للباب العالي أن التعاون الفرنسي الإنجليزي بخصوص المسألة المصرية هو تعاون لا يتش . وأن فرنسا سوف تتكف نفس النهج الذي تسلكه إنجلترا . إذ أن سياستيهما موجبة بالدرجة الأولى ضد روسيا . يصف المؤرخ الفرنسي أ. ديبودور الموقف الصعب لفرنسا تجاه الصراع التركي المصري بقوله " كان مجلس الوزراء متفقاً في قصر التولوزي وقد تملكته الحيرة ... كان عليه أن يختار حلاً من ثلاثة إما أن تعقد فرنسا اتفاقاً وديماً مع القيصر على غرار اتفاق كارل العاشر . أو أن تشارك بالقتال عن قضية محمود الثاني، أو أن تقف صراحة في صف محمد علي . كان الخيار الأول يعنى قطع العلاقات مع إنجلترا وهو ما كان يرفضه مجلس الوزراء ، كما كان الخيار الأخير يعنى أن تكتسب لها عدواً هو إنجلترا . التي كانت تماثل بكل حيرة على تأثيرها في الشرق ومن ثم تعاملت بتخول الحرب ضد روسيا . لم يتبق إلا سوى قبول الخيار الثاني: دعم السلطان لصالح البلاط الإنجليزي في لندن وهذا توفرت عليه فرصة بقاء السلطان تحت حماية القيصر . على أنه . من ناحية أخرى . لم يكن البلاط في قصر التولوزي يرغب إطلاقاً في أن يفقد محمد علي كل شارة انتصاراته . كان لدى البلاط المصري الكثير من الفرنسيين الذين يعملون منذ زمن بعيد في الإدارة وفي الجيش . وكانت فرنسا تعتبره موجوداً تحت حمايتها . فضلاً عن أنه كان يطلع بشعبية كبيرة في باريس . ولو أن فرنسا لم تقدم العون للبلاط إلا غير البرلمان ولا الصحافة ولا المجتمع لحكومتها هذا الموقف . من ذلك يتضح لنا أي وضع عسير كانت تواجهه حكومة ١١ أكتوبر ١٨٣٢ . ليس من المستغرب إذن أنها لم توفق في الخروج من هذا المازق دون أن يمس شرقها " (٧١ ، المجلد ١ ، ص ٢٤٠)

ظهر اهتمام إنجلترا باستغلال أراضي الإمبراطورية العثمانية باعتبارها طريقاً للعبور إلى الهند عبر البحر المتوسط أو الخليج الفارسي منذ نهاية القرن الثامن عشر . كانت إنجلترا تولى الإمبراطورية العثمانية أهمية كبرى من الناحية التجارية ، فضلاً عن أهميتها الإستراتيجية ، وقد سعت إنجلترا لاستغلالها ضد السياسات الروسية والفرنسية في الشرق (٧٤ - ٤٨٢ - ٤٨٥ - ١٧٣ - ١٧٤) ، وكانت فرنسا قد وضعت نصب أعينها ومنذ نهاية القرن الثامن عشر تمويل البحر المتوسط إلى بحيرة داخية خاصة بها (١٦٦ - ١٤٧) .

عندما اشتد أوار الصراع التركي المصري ، أخذ نيكولاي الأول عن طيب خاطر جانب السلطان حتى يجعل منه تابعاً لروسيا ولا يعطي لجمد على الأكثر قوة من السلطان لمرسة الإستيلاء على عرش آل عثمان ، وقد أدى تدخل نيكولاي الأول إلى جانب تركيا إلى إعالة انتشار تأثير فرنسا المؤيدة لجمد على والتي كان القيصر بعد عام ١٨٢ يعتبرها مصدراً للثروة .

يقول المؤرخ السوفييتي م . ن . بوكروفسكي : " كان التحالف مع النمسا من الأمور التقليدية بالنسبة للدبلوماسية الروسية حتى منذ النصف الأول من القرن الثامن عشر . وكان للإمبراطوريتين عنوان مشترك ، يلف لهما بالمرصاد على نهر الدون ، وفي الوقت نفسه كانت يتناقضان فيما بينهما على شبه جزيرة البلقان ، لذلك لم تكن إحداهما لتخطو خطوة واحدة دون أن تبلغ بها أخرى . كانتا الإمبراطوريتين سمناً للسير جنباً إلى جنب . لا ليأزرا بعضهما البعض وإنما لتتلقى كل منهما أثر الأخرى . كان تعامل قوة روسيا وهي ضعف النمسا والعكس كانت العليقتان تخشيان أو أن إحداهما تجمت في استغلال الأخرى لتحقيق مغانمها من جانب واحد " (١٧٢ - ٦ - انظر أيضاً ٨٥ - ٥٥٧) .

ويعد توقيع معاهدة أونيكار إسكيبسكي فور نيكولاي الأول أن يدعم علاقته بالنمسا حتى يتمكن من مواجهة الائتلاف الإنجليزي الفرنسي - معتمداً في سياسته الشرقية على تحالفه معها ، وفي اللقاء ، الذي جمع عوامل الموالاة الثلاث (روسيا والنمسا وبروسيا) في سبتمبر عام ١٨٢٢ في ميونخينجرويتش (حالياً ملبشونجرو جراديشيت) أكد قيصر روسيا للنمسا أنه لو حدث وسارت الأمور في الإمبراطورية العثمانية على نحو يتطلب تدخل روسيا فإنه لن يلتذ أي خطوة دون أن يشارك فيها النمسا ويصرح بأنه ليس فيه أي نية للتوسع في أراضيها على حساب تركيا (٢٤ - المجلد ٤ - ص ٤٤٦ - ٤٤٨ ، ٩ - ص ٢٠٦ - ٢١٠ - ١٧٢ ، ص ٢٩٦ ، ١٧٢ - ص ٢٢) وقد طمأنت تأكيدات القيصر الحكومة النمساوية .

في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر جرى دعم "ثر إن القوي" في أفريقيا من طريق مجموعتيه إنجلترا وفرنسا في جانب ، وروسيا والنمسا وبروسيا في الجانب الآخر . على أن هاتين المجموعتين لم تصمدا طويلاً نتيجة تناقضات التي كانت قائمة داخلهما .

وبفق هذا وذلك جاء احتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠ ليمسك إلى مشكلات السياسة الخارجية التي أرهقت الباب العالي وتنتهز على السطوح التناقضات بين الدول الأوروبية على أن الحكومة السلطانية في الثلاثينيات والأربعينيات لم تلقد الأمل في أن يتسنى لها إعادة الجزائر إلى كيان الإمبراطورية العثمانية عن طريق استغلال هذه التناقضات .

جاء فقد الأتراك للجزائر نتيجة خطأ في التقديرات البولوسنية للحكومة السلطانية التي أعطت لفرنسا ميرواً مناسباً لاحتلالها . وفقاً للثقافة التي ترسخت في زمن خير الدين بارباروسا - عندما راح دايات الجزائر يشجعون نشاط الروصنة - فقد وجدت حكومات دول البحر المتوسط نفسها مضطرة لتعقد إتفاقات مع الذي تكفل لهم أمن تجارتهم البحرية . الأمر الذي عاد على الجزائر وأرباح طائلة (٩٨ - من ٦٧ - ٩٣) . بيد أن الدول الأوروبية المتطوقة على يدان الشرق عسكرياً واقتصادياً قررت أن تضع حداً لأعمال النهب البحري . ففي عام ١٧١٦ قام الأسطول الإنجليزي بحرق الجزائر وأغرق أسطول الذي . استولت فرنسا - تحت إله الجزائر من ضعف وانشغال الباب العالي في الحرب الروسية (١٧٩٨ - ١٨٠١) لتتحقق ضوئها - الذي بدأ منذ نابليون - في فرض سيطرتها على البحر المتوسط . وكانت الحجة التي استندت إليها فرنسا في غزو الجزائر هي الإهانة التي وجهها إلى الجزائر إزميرلي حسن باشا إلى قتلها فرنسا بأن قلده على وجهه بهيوجة كانت في يده وهو يتألمه بأن تعيد الحكومة الفرنسية بيتاً كانت أخذته من شخص ما . وكان الوالي قبل هذه الواقعة قد استولى على بعض سفن فرنسية مثلاً بعدم سداد فرنسا لدين الحكور .

أرسل الفرنسيون إلى الجزائر مائة سفينة حربية وخمسمائة سفينة نقل . وفي الرابع عشر من يونيو عام ١٨٣٠ نزل إلى السواحل الجزائرية ٢٧ ألف جندي فرنسي . وبعد معركة قصيرة تم أسر الذي . وكانت الإمبراطورية العثمانية قد خرجت آنذاك لها من حربها ضد روسيا ولم ترد على احتلال الجزائر سوى بذكره احتجاج (٢١٦ - من ٥٢ - ٩٢) .

يتكرر الباحث الفرنسي ر. مالتران أنه على الرغم من أن السيطرة العثمانية على الجزائر وتونس وطرابلس (منذ نهاية القرن السابع عشر وحتى مطلع القرن الثامن

عشر) كانت سيطرة اسمية ، إلا أنها خلقت وضعاً سياسياً ظلت الدول الأوروبية تتناقل من أجل تغييره على مدى قرنين ثلاثة ، وقد تمثل الوجود العثماني في هذه الولايات عملياً في النمط التركي الإداري، ولاه ، جيش ، موظفون كبار من أصل تركي ، مراسم رسمية كتبت باللغة التركية إضافة إلى الألقاب التركية السائدة . وحتى عندما كانت هذه الولايات تتعرض للتهديد من جانب الأوروبيين فإلينا لم تكن تتواني عن طلب العون من السلطان . كما أنها كانت في الغالب تقدم لتركيا المساعدة العسكرية بناء على طلب السلطان . فخذ مثلاً ما أرسله دايات تونس إلى السلطان من عون عسكري إبان الحملة إلى طرابلس عام ١٧٩٥ ، وإلى كريت عام ١٨١٠ وإلى اليونان من عام ١٨٢٢ وحتى سنة ١٨٢٧ . وقد غرق الأسطول التونسي الذي كان جزءاً من الأسطول العثماني في معركة نافارين (عام ١٨٢٧) .

ارتبط ضعف الروابط بين إسطنبول والولايات الغربية بسقوط قوة آل عثمان وانعدام النضال الاقتصادية للدولة المستعمرة (الترتويل) في هذه الولايات الجديدة ذات العوائد الضخمة . كانت الجزائر وتونس تتمتعان باستقلال اقتصادي ذو توجه غربي أكثر من جميع الولايات العثمانية الأخرى (١٧٦٦ ، ص ٢٠٥ ، ٢١٤ - ٢١٥) . وتؤكد التعليمات (الموجهة لروح الدين أفندي ، القائم بالأعمال التركي في فرنسا عام ١٨٢٤) الإهتمام الاقتصادي المتنامي للإمبراطورية العثمانية في الجزائر : إذ وصفت هذه التعليمات الجزائر بأنها " مكان لا قيمة له " (١٨ ، ص ٧٨) .

ومن المفارقات الدبلوماسية التركية الفرنسية بشلن الجزائر والتي سبقت الاحتلال يكتب في ريزين قائلاً أن فرنسا حاولت مراراً وتكراراً أن تلحق خلافاتها مع داي الجزائر جانباً من خلال وساطة الديوان .

لقد اعتبر الباب العالي هذه الولاية ولاية مستقلة إلى حد أنه كان يوفض التدخل في شؤونها وكثيراً لا تعيينه . وفي السادس عشر من مارس عام ١٨٢٠ أبلغت فرنسا الباب العالي أنها ستترسل جيشها إلى الجزائر مادام الديوان لم يتعاون في إزالة الخلافات القائمة بينها وبين داي الجزائر وقامت في الوقت نفسه بإحباطة الدور الأوروبية علماً بذلك عن طريق مذكرات أرسلتها إليها . ورغم كل ذلك لم يقم الباب العالي بتوجيه أسطوله أو جيشه إلى الجزائر (٢١٥ ، ص ٢٥ - ٢٦) . بعدما وصل الأمر إلى استيلاء فرنسا على " حصيلة العرش " (٧٧) هنا فقط أدرك رجال الدولة في تركيا أنهم ارتكبوا خطأ فادحاً بتخليهم عن مفهوم السياسي دون مقابل ، راجحاً بعدما

٩- يستشهد المؤلف الأوروبي من اسطلاح " وصاية العرش " بهدف التأكيد على الطابع المستقل لحكم الولاية في شخص العايد.

يرسلون المفكرات والسفراء إلى مجلس الوزراء في التتويج لتصبح الخطأ . لقد أكد وزير الباب العالي أن السلطان له الحق في الجزائر ، وأن الباب العالي يرغب في وقف القويمة البحرية وأن تقوم قواته النظامية باحتلال مدينة الجزائر . ولكن للأسف أن هذا لم يحدث من قبل .^(١٧٤ - ص ١٤٠)

إن عدم إيراد الباب العالي للأعراف العدوانية لسياسة الخارجية لفرنسا في البحر المتوسط في السنوات من ١٨٢٧ إلى ١٨٣٠ يشير - من وجهة نظري - هو السبب الرئيسي لإصرار الباب العالي على عدم التدخل في النزاع الفرنسي الجزائري^(١٧٥) . إن سوء التقدير هذا هو الذي استغلته فرنسا تحديداً .

كانت إنجلترا غاضبة تماماً من غزو الجزائر ، وهو ما أخطته رسمياً ، إذ رأت في هذا العمل محاولة من جانب فرنسا لإزاحتها عن البحر المتوسط .

وقد سمعت فرنسا بعد غزوها الجزائر لإضعاف علاقة تونس بالإمبراطورية العثمانية وإخضاعها لتأثيرها . كما جارت الحكومة الفرنسية القضاء على محاولات الباب العالي لتقديم مساعدات عسكرية إلى الجزائر في نضالها وذلك من الأراضي التونسية . وقد أدى هذا إلى زيادة حدة التنافس بين تركيا وفرنسا في تونس . وقد ظهر هذا التنافس في أشكال متعددة .

وفي أربعينيات القرن التاسع عشر أضيفت إلى المشكلات السابقة مشكلة أخرى وهي تدخل الدول الأوروبية في تسوية نظام الإدارة في سوريا نظراً لانتقاصات السكان المحليين التي لم تنقطع وكذلك للمساسات العسكرية التي كانت تقع بين الدول والمليويين .

وهكذا وجدت الحكومة السلطانية نفسها في مطلع الثلاثينيات من القرن التاسع عشر أمام عدد من المشكلات وثيقة الصلة بمصالح السياسة الخارجية للدول الأوروبية في الإمبراطورية العثمانية ، وفي التنافس بينها ، وفي تعامل حدة المسألة الشرقية .

١٧٤ - فريد من الطويل حول الاحتلال فرنسا لجزائر الجزائر كذا: ١٦٥ - ص ١٤ - ٢٥ / ١٠٠٠ ص ١٨٠ .

١٧٥ - كخطها - العنق - أنه في عام ١٨٣٠ ، أي بعد مرور خمس سنوات ، عندما نقل الثقل من الدولة في طرابلس من جبال حول ههنا أهل بالقرن على العرش ، لم يكن الباب العالي قد انقطع بعد في علاقاته مع الدول الأوروبية . كان الباب العالي قد نجح في أن يمنع فرنسا والتتويج من التدخل في طرابلس . لم تنقل حكومة السلطان الاقتراح بالمساعدة في الجبل القائم بين الوفاقين فقط ، وإنما سارحت ويرسل قواتها (قوات مطوية) إلى طرابلس - الأمر الذي كان من نتيجته تحويل الوفاقية على الفرنسيين إلى بالمشكلة (ص ١٤٢ - ١٤٣) .

أدى نظام مشكلات السياسة الخارجية بحكومة السلطان إلى التفكير في ضرورة إجراء إصلاحات في مجال الدبلوماسية .

لقد أدرك رجال الدولة الأتراك أن باستقلالهم استقلال الناطق الثالث بين الدول العظمى لتحقيق أهداف سياسية بالطرق الدبلوماسية ، وهي الأعراف التي أصبح تحقيقها بالجيوش العسكرية أمراً صعباً بسبب ما آلت إليه الإمبراطورية العثمانية من ضعف زوخم .

تعرضت الدول الأوروبية منذ نهاية القرن الثامن عشر وحتى ثلاثينيات القرن التاسع عشر لعدد من الهزات الثورية - ومن بينها الثورة الفرنسية العظمى (١٧٨٩ - ١٧٩٤) - ثورات العشرينيات من القرن التاسع عشر في ألمانيا والبرتغال وإيطاليا ، ثورة التمرد القومي في عام ١٨٢١ في اليونان ثم في بولندا في عام ١٨٣٠ ، وثورات الثلاثينيات في فرنسا وبلجيكا .

بحلول القرن التاسع عشر بدأت حروب نابليون التي انتهت بقيام عائلة بوربون في عام ١٨١٤ . وقد آتت الحكومات الأوروبية تطويقها من الصدمات العسكرية الجديدة بقلب الإمبراطورية العثمانية . وهذه الصدمات كانت من الممكن أن تساعد بدرجة على ظهور أوضاع ثورية في أوروبا . وقد أشار كارل ماركس إلى أنه " بدأ من عام ١٨١٥ كان أكثر ما تشابه الدول العظمى في هذا العالم هو تغيير الوضع الراهن Status-quo (٣ - من ١٦٨) . ولهذا فقد ساعد الوضع الدولي آنذاك على زيادة دور الدبلوماسية في العلاقات الدولية .

❦ بذائع الزهور في وقائع الدهور لمحمد بن إياس، الجزء الخامس، تحقيق محمد مصطفى.
 ولد محمد بن إياس بالقاهرة في عام ٤٤٨م وكان قريب الصلة بدولة المماليك خاصة في عهد المنبسط
 النورى. ويشكل هذا الجزء على الفترة من ١٥١٦ - ١٥٢٢ وهي فترة حاسمة في تاريخ العرب الحديث
 حيث تشمل الفتح العثماني للشام ومصر . ويعد هذا الكتاب من المصادر الرئيسية لحوادث الفتح العثماني
 لمصر.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشرين ذى الحجة وردت الأخبار بأن جايش عسكر
 ابن عثمان قد نزل بركة الحاج ، فانطربت أحوال عسكر مصر وحلقت باب الفتوح
 وباب النصر وباب الشريعة وباب البحر وباب القنطرة وغير ذلك من أبواب المدينة
 قاطبة ، وغابت أسواق القاهرة وتطلعت الطرامين وتشتطفت الفتيق والمهيز من
 الأسواق . ثم إن السلطان لما تحقق وصول عسكر ابن عثمان إلى بركة الحاج ، زمن التنوير
 بالوطاق وركب العسكر قاطبة ، وركب سائر الأجراء القنزين والأجراء المشايخات
 والبشرا ، وركب قاسم بك بن عثمان ، فاجتمع من الصالحين نحو ثلاثين متجفا ،
 واجتمع من السأك من الألياك السلطانية ومالك الأسماء والنيران نحو عشرين
 ألف فارس ، ودقت الطبول والأبواب حريا ، وسار السلطان طومان باي وأشيا بنفسه
 وهو يرتب الأجراء على قدر منازلهم ، وصعد العسكر من الجبسل الأحمر إلى عيطان
 الطرية ، فاجتمع هناك الخيم التنوير من العسكر . وكان السلطان طومان باي له حنة
 عالية في حنة الحركة ، ولو كان السلطان التنورى حيا ما كان يتور بيمض ما تار به
 السلطان طومان باي، لكن لم يشبه الله تعالى النصر على (١٧٦) ابن عثمان ، فربح في ذلك
 اليوم بين الثريين قتال ولم يبرؤ كل منهما إلى غيره . في ذلك اليوم ، قطعوا في ذلك
 اليوم بعض دوس من العمانية ورسولون بأقوالها على أبواب المدينة .
 فلما كان يوم الخميس تاسع عشرين ذى الحجة ، فيه وقعت كaptive عظيمة ، تفعل
 عند سماعها عتول أول الأكياب ، وتعلت قلوبها الأرواء من الصواب ، وما ناك إلا أن
 (١٧٥) لم يفته : لم يظلم . (٢١) ورسولون : ورسولوا .

السلطان طومان باي لا توجه إلى الريانية وتصب بها الرطاق ، فحُشِن الرطاق
بالسكاكل والدائع ، وسكَّ هناك القلورق ، وسَمِعَ عليها تسابير من الخشب ، وحفر
خندقاً من الجبل الأحمر إلى نبطان الطرية ، وقد تقدم القول على ذلك . ثم إن السلطان
جعل خندق السكاكل نحو ألف جبل وعليها زكائب فيها حلق ، وعلى أفتابها ستاجق
كبار بيض وحر يمتقون في الهواء ، وجمع عدة أبقار يسب جز السجبل ، وشن أن
القتال يطول بينه وبين ابن مئان ، وأن الحصار يلبث مدة طويلة ، فجاء الأمر بخلاف
ذلك . فلما نزل عسكر ابن مئان ببركة الحاج أقام بها يومين ، ثم بعس السلطان طومان
باي أن يوجهه إليهم ، ولو توجه إليهم ولما لبث هناك قبل أن يدخلوا الريانية فكان
عين السواب .

فلما كان يوم الخميس القديم ذكره زحف عسكر ابن مئان ووصل أوائله إلى الجبل
الأمر ، فلما بلغ السلطان طومان باي ذلك زعم التفير في الرطاق وتهدى السلطان
للعسكر بالمروج إلى قتال عسكر ابن مئان ، فركبت الأبراء القدمون ودقوا الطبول
حرباً ، وركب السكرك فاطية حتى سدَّ الفضاء ، وأقبل عسكر ابن مئان كالجزاد للقتل
وم السواد الأمطر ، فخلق الجيشان في أوائل الريانية ، فكان بين الفريقين وقعة
مهولة يطول شرحها أمطر من الوتة التي كانت في مرج دابق ، فقتل من الشمانية
ما لا يحصى عددهم ، وقتل سنان باشا لالا ، ابن مئان وكان أكبر وزواله ، وقتل
من أمراءه وعسكره جماعة كثيرة ، حتى سارت الجثث مرسية على الأرض من سيل
علان (١٧٦) إلى تربة الأمير يشيك الوادار . وقتل في هذه المعركة ابن بن سوار
قتل في الريانية ودفن على جده سوار في تربته التي تحاذ تربة يشيك الوادار ،
وكذلك قتل هناك سنان باشا وزير ابن مئان الأكبر .

ثم إن الشمانية تحامروا وجاموا أفراناً أنزاليا ، ثم اتسوا فرقتين ، فرقة جاءت من

(١٧) تسابير ، يقصد بها حج • سارة • • (١٨) يظنون: ينشرون أو الغوا • القوى .
(١٩) تحامروا ، أي دبت لهم المياه .

(تاريخ ابن الجراح • ١٠٠)

تحت الجبل الأحمر ، وقرقة جاءت للسكر عند الوطاق بالزبدانية فطرشوم بالندق
 الرصاص ، ونقل من عسكر مصر ما لا يحصى عديم ، ونقل من الأتراء القدامين
 جماعة ، منهم أربك الكحل وأخرون منهم . وجرح الأتابكي سودة الدواداري
 جرما بالنا وقيل السكر نغذ فاشق في ليلط هناك ، وجرح الأمير علان الدواداري
 فلم تكن إلا ساعة يسيرة مقدار خمس درجات حتى السكر عسكر مصر ووثق مدبرا
 وقتت عليهم الكسرة ، فثبت بعد الكسرة السلطان طومان باي نحو عشرين درجة
 وهو يقاتل بنفسه في نفر قليل من السبيد الزبارة والياك الساجدانية ، فقتل من
 عسكر ابن مئان ما لا يحصى عديم ، فلما تكاثرت عليه السبانية ، ورأى السكر قد
 قل من حوله ، خاف على نفسه أن يفرضوا عليه نظري الصليبي السلطاني ووثق
 واشق ، قبل أنه توجه إلى نحو طرا ، وهذه ثالث كسرة وقتت لسكر مصر . وأما
 القرقة السبانية التي توجهت من تحت الجبل الأحمر ، فلها ترك على الوطاق السلطاني
 وحل وطاق الأتراء والسكر ، فهبوا كل ما كان فيه من قناش وسلاح وخام وخيول
 وجمال وأبقار وغير ذلك . ثم تهبوا للسكر التي انهبها السلطان هناك ، وتهبوا فكت
 الطوارق والسائير الحشب والغريبات التي نصب عليهم السلطان وأسرف عليهم بركة
 مال ولم يبق من ذلك شيء ، وتهبوا البارود الذي كان هناك ، ولم يبقوا بالوطاق شيئا
 لا قليلا ولا كثيرا ، فكان ذلك مما جرت به الأقدار والحكم لله الواحد القهار .
 ثم إن جماعة من السبانية (١٧٧ آ) لا حرب السلطان وتهبوا الوطاق ، دخلوا إلى
 القاهرة وقد ملكوها بالسيف عدوة ، فتوجهوا جماعة من السبانية إلى القنطرة وأحرقوا
 بابها وأخرجوا من كان بها من العاصين ، وكان بها جماعة من السبانية سجنهم السلطان
 لا كان بالزبدانية فالتفروم أجمين ، وأطلقوا من كان في سجين الديلم والرحبة والقنطرة
 أجمين . ثم توجهوا إلى بيت الأمير تار بك للمهر أسد القنطين فهبوا ما فيه ،
 وكذلك بيت يونس الترحان ، وكذلك بيت جماعة من الأتراء وأميران الياترين
 وسائير الناس ، وسارت الإمر والفلان يهبون البيوت في حجة السبانية ، فالتفروم
 (١) الجبل : الأبل . (٢) خمس درجات : خمسة فرج . (٣) القى : القى .

في أهل مصر جرة نار . ثم دخلوا جماعة من المنبئية إلى الطرابيين وأخذوا ما فيها من البقال والأكلوبس ، وأخذوا عدة جمال من جمال السفارين . وسارت المنبئية تهب ما يلوح لهم من الناس وغير ذلك ، وصاروا يخطفون جماعة من الصبيان الرذ والبييد السود ، واستنصر الشعب متللاً في ذلك اليوم إلى بيد الرب ، ثم توجهوا إلى شون القصب التي بمصر ويولاق فيهبوا ما فيها من اللال. وهذه الحادثة التي قد وقعت لم نجر لأحد من الناس على يال ، وكان ذلك مما سبقت به الأندلس في الأول ، وقال الشيخ بدر الدين الزينوي في هذه الواقعة :

بيك على مصر وسكانها . قد خربت أركانها الفاسية

وأسيحت بالذل منقورة . من يد ما كانت هي القاهرية

وفي يوم الجمعة سلخ سنة اثنين وعشرين وتسعمائة ، فيه دخل أمير المؤمنين محمد التوكل على الله إلى القاهرة ، فدخل وصحبه وزراء ابن عثمان ومن عساكره الجرم الفير ، ودخل (٧٧ ب) ملك الأرمراء خاير بك نائب حلب ، ودخل فاضل القضاة الشافعي كمال الدين الطويل ، والفاضل المالكي هي الدين السبيري ، والفاضل الحنبل شهاب الدين التنوخي ، وهؤلاء كانوا في أسر ابن عثمان من حين مات السلطان النوري. ودخل يونس المادلي ، وشذقم الذي كان شاد الشون بمصر وهرب من النوري إلى بلاد ابن عثمان وكان سبياً لهذه السنة السطوية .

فما دخل الخليفة دخل من باب النصر وشق من القاهرة وتعدله الشاملة تنادي الناس بالأمان والامان والبيع والشري والأخذ والسطة ، وأن لا أخفا يشوش على أحد من الرعية ، وقد عُلم باب العلم ونُصّب باب العدل، وأن كل من كان عنده مملوك جركسي من ممالك السلطان ولا ينز عليه شئ على باب داره ، والقضاء للسلطان ذلك القدر سليم شاه بالنصر ، فنجح له الناس بالثناء من التوام . ثم تسرع المنبئية من هذه اللاداة ، وصاروا يهبون بيوت الناس حتى بيوت الأدياع في حجة أنهم يقتنون

(٣) يقتنون : يقتلوا . (٤) القى : القى . (٥) يهبون : يهبوا . ١١

على الأديك الجراكسة ، فاستمرّ النهب والمهجم مثالا في البيوت ثلاثة أيام متوالية ،
وهم يهبون القماش والحبول والبنال من بيوت الأسراء والسكّر ، فأأبثوا في ذلك
مكن .

وفي ذلك اليوم حُطِبَ باسم السلطان سليم شاه على منابر مصر والقاهرة ، وقد
ترجم له بعض الخطباء ، فقال : والله اللهم السلطان بن السلطان ، مالك البحرين
والبحرين ، وكسر الميثيقين ، وسلطان المراقين ، وخدام الحرمين الشريفين ، الله
القدر سليم شاه ، اللهم انصره نصرا عزيزا ، وانفتح له فتحا سحيبا ، يا مالك الدنيا
والآخرة ، يا رب العالمين . - انتهى ما أوردناه من حوادث سنة اثنين وعشرين
وتسعمائة ، وقد قلت في ذلك :

حُتِمَ السام بحرب وكدر وحمل الناس ثبات الفرور
وأناهم حادث من دهم كان حسنا بفضاه وقدر

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة

١٧ فكان مسجون العام يوم السبت - ثم إن السلطان سليم (٩٧٨) شاه أرسل
جماعة من الأستشارية وأوقفهم على أبواب المدينة بمنون الهابة من نهب البيوت ،
ولا أنكسر عسكر مصر حول السلطان سليم شاه وطلقه من بركة الحاج ونصبه
١٨ بالردانية ، وشرعت السباية تقبض على الأديك الجراكسة من القرب من فساق الوقي
ومن تيطان اللطية ، فلما بحضرتهم بين يدي ابن عثان بأمر يقرب أعتاقهم .
١٩ ثم إن بعض مشايخ المرمان قبض على الأتابكي سودون الدواداري وأحضره بين يدي
ابن عثان ، فلما حضر بين يديه وبجته بالسكلام فوجده قد تجرح وقد كسر ثقفه وهو
في حالة الأموات ، فأدركه على حمار وألبسه عمامة زرقاء وجرحه في وفاقه وقصد
٢٠ يشهده في القاهرة ، فأت وهو على ظهر الحمار ، وقيل حُرِّوا رأسه بيد القوت وعلموها
في الرطاق . ثم نُكِّسَ على الأمير كرتيهاي الأشرقي أحد الأسراء القديين الذي كان
٢١ وإلى القاهرة ، فوجدوه مختفيا في مكان حُرِّوا رأسه وعلموها في الرطاق . وصاروا
(١٧) بحضرتهم : بحضروم .

السيانية يكسبون القرب ويتبنون على الالايك الجراكسة منها ، وكل تربة وجد فيها
 ملوك جركسي حزوا رأسه ورأس من الثرة من المجازيين وغيرها وملقون روسهم
 في الوطاق ، فغرب في يوم واحد ثلاثمائة وعشرين رأسا من سكان الصحراء ،
 وقيل كان فيهم جماعة من البناية وهم أشراي ، فزاسوا ظلما لا ذنب لهم . وساروا
 يكسبون المرات ويقبضون الالايك الجراكسة من اسطيلاتهم ويقبضونهم باليد
 ويتوجهون يوم إلى الوطاق الريدانية فيقبضون أمثالهم هناك ، فلما كثرت روس
 التل هناك نسبوا سوارى وعلمها حبال وعلقوا عليها روس من قتل من الالايك
 الجراكسة وغيرها ، حتى قيل قتل في هذه الرقعة بالريدانية فوق أربعة آلاف إنسان
 ما بين مالايك جراكسة وعلمان ، ومن مران الشرقية والقرية ، وصارت الجثث
 مرمية من سبيل (٧٨ ب) علان إلى تربة الأشرف قبلياي ، جثت منهم الأرض
 وسار لا تعرف جثة الأمير القدام ألف من جثة الملوك وهم أيدان بلا روس . -
 وأما من قتل من عسكر ابن ميان في هذه الرقعة فلا يحصي عددهم .

ثم إن ابن ميان أرسل خلف الفر النامري محمد بن السلطان النوري ، فلما حضر
 إليه فظان نقل مدعبا ، وألبسه عمامة مياينية ، وأعطاه ورقة بالأمان له على نفسه ،
 ووسمه بأن يسكن في مدرسة أبيه التي في الشرايشين ، وأسكن المقرندو أحد وزراء
 ابن ميان في بيته الذي في البندقين . - ثم توجه إليه يوسف البدي الوزير فأعلمه
 أمانا وألبسه قملا عملا ، وأقره متحدثا على جهات القرية ، وكذلك أخلق على
 فارس السبق ترمز الشمس وأقره كاشف التبة وغير ذلك من الجهات القبلية ، وأخلق
 على الزبي ركات بن موسى وجعله متحدثا في الحسبة إلى أن يترجسها من مختاره ،
 وأخلق على يحيى بن نكار وجعله متحدثا في ولاية القاهرة إلى أن يترجسها من مختاره .
 وفي يوم الأحد ثاني شهر الله الحرم أشيح أن السلطان سليم شاه نقل وعطاه من
 الريدانية ونصبه في بولاق من تحت الرصيف إلى آخر الجزيرة الوسطى ، وقد أحضروا

(٢) وعلمان - دعبا . (٣) يكسبون ... ويقبضون ... ويقبضونهم ؛ كعبوا ...
 ويقبضوا... ويقبضون (٦) فقبضونهم ويقبضونهم (٧) قتل: القتل (١٧) الجهات: جهات.

إليه مناصب قلعة الجبل على أنه يطعم إليها فلم يلبثت إلى ذلك واختار الإطعة على شاطئ بحر النيل . - فلما كثرت المنابة بالقاهرة ساروا كل من وأوم من أولاد الناس لا يسا دنط آخر أو تخليفة يهرون له : أنت جركسي ، فيعطون رأسه ، ٢ فلبثت أولاد الناس كلها ماثم حتى أولاد الأسراء ، والسلاطين فاطية ، وأبيكدا ليس التخليف والرموط من مصر .

٦ وفي يوم الاثنين ثالث الحرم أوكب السلطان سليم شاه ، ودخل إلى القاهرة من باب النصر ، وشق السدينة (١٧٩) في موكب حقل ، وقدومه جناب كثيرة وصاكر عظيمة ما بين مشاة وركاب حتى ضاقت بهم الشوارع ، واستمر شانتقا من المدينة حتى دخل من باب زويلة ، ثم خرج من تحت الريح وتوجه من هناك إلى يولاق فوُزل بالوطاق الذي نصبه تحت الرصيف ، فلما شق من السدينة ارتفعت له الأصوات بالثناء من الناس فاطية . وقيل إن صفته ذرى التون ، حلقن الذنن ، والرف الأظف ، وأسع العينين ، فمسير الفامة ، في ظهره شبة ، وعلى رأسه عمامة سنيرة ، ولبس فضة ناعما عملا ، وعنده خنق ورجح ، كثير التلبث إذا ركب القرس . وقيل إن له من العمر نحو أربعين سنة أو دون ذلك ، وليس له نظام يعرف مثل نظام اللوك الساقفة : غير أنه سبيء أطلق سفلك للواء ، شمسعيد المنصب ، لا يرجع في القول . ولما شق من القاهرة كان قدومه المليحة وقناة القنطرة وجماعة من الباشيرين الذين كانوا بمصر . فكانوا يجادى كل يوم في القاهرة بالأمان والأطمأن ، والذهب والفنل مثال من جماعته ولا يسمعون له ، وحصل منه نقاش الضرر الشليل . وما أشيع عنه أنه قال في بعض مجالسه بين أعضائه وهو بالاشام : إذا دخلت إلى مصر أحرق بيوتها فاطية وأصب في أعقابها بالسيف . فقيل تلقت به المليحة حتى رجع من ذلك ، وأول فعل ذلك ما كان يجد له من مانع جمته من ذلك ، ٢١ . الله غالب على أمره .

فلما طغشت المنابة في القاهرة سارت أعيان الباشيرين يجلسون على أبوابهم

(٣) يهبطون : يهبطوا . (١٧) الرين : الرى . (٢٠) تلف : تلفت .

جماعة من الغائبية يخطونها من النيب ، وصارت الغائبية يسكنون أولاد الناس من
الطرافات ويقرنون لهم : أتم جراكسة ، فيشهدون عديم الناس أنهم مام مايلك
جراكسة ، فيقرنون لهم : اثروا أنسك منا من اجل ، فيأخذونك منهم بحسبها
بختارونه من الهلم ، وصارت أهل معدر تحت أسرم . ثم صاروا الناس من عتيق
مسر (٧٩ ب) يلتمزون الغائبية على حواصل القوتات والسكات فيهبون ما فيها
من الفاش النافر ، فانفتحت لغائبية كدوز الأرض بمصر من نيب قاش وسلاح
وخيول وبنال وجرار وعبيد وغير ذلك من كل شي ، فاش ، واحتبوا على أموال
وقشاش ما فرحوا بها قط في بلادهم ، ولا أستاذهم الكثير . ومن هنا تبرع في
ترجمة سليم شاه بن عثمان وذلك على سبيل الاستدسار من أخباره ، بحسبها فيسر لي من
ذلك على ما مشى عليه طريقة التاريخ من مبتداه إلى هذه الواقعة .

ذكر سلطنة الملك المظفر سليم خان

١٧ ابن السلطان أبي يزيد بن السلطان محمد بن السلطان مهرداد خان بن أبي يزيد
المروزي يهدم بن أوردخان بن أرغون علي بن عثمان بن سليمان بن عثمان الكبير الشهيد
بالنزاة بعد أن عاش تسع وستين سنة ، الشهير بابن عثمان ، من خلاصة ملوك الروم ،
١٨ وهو الثامن والأربعون من ملوك مصر وأولادهم ، وهو الثالث من ملوك الروم
بمصر ، فإن أول ملوك الروم بمصر الظاهر خشقدم ، والثاني الظاهر تحميرتا ، والثالث
سليم خان بن عثمان ، مقلد الخليفة من قبيلة . وقد حصل له سعد عظيم
١٩ ما لا حصل لأبيه ولا أجداده من قبيلة . وقد ساعدته الأقدار على يفرغ الأوطار ،
فتمسدى إلى قتال شاه إجميل الصوق سنة إحدى وعشرين وتسعمائة ، فأنكسر منه
الصوق وقتل غالب عسكره ، واحتوى على أمواله وسلاحه وبركه وخبوله من غير
٢٠ مائع ، وملك غالب بلاده التي بالبرلين . ثم تمسدى إلى قتال الملك الأحمق فانتصروه

(١٠) فهبون : فهبوا .

(١٢) أوردخان : أورجان . || بن أرغون علي : كنانة الأصل ، ولله بقصد في القتل .
راجع الحاشية في ص ٢٧٠ ج ١ السابق . || سليمان : سليمان . (٢١) التي : الذي .

التوري وتلاق منه على مرج دابق في وجب سنة التين وعشرين وتسبالة ، لم يجعل
 منه غير خمس درج وانكسر ، ومات قهراق وسط الحرب .
 ٢٤ ومك مدينة حلب وقلعتها من غير محاصرة ، فلما ملك قلعة حلب أرسل إليها
 شخصاً من جماعته ، أمرج أهور وفي يده دهبوس خشب وهو مائتي على أفضله ، فسلم
 الأموال والسلاح الذي كان بها ، حتى (٨٠٠ آ) قبل كلن بها من الأموال للسلطان
 التوري مائة ألف ألف دينار وثمانمائة ألف دينار ، خارجاً من السلاح والسكاكين ،
 الذهب والبروج الذهب والبلور والفضة ، والخلع التي بالمرز الذهب اليبلاوي ،
 وغير ذلك من التحف الفاخرة ، فاحتوى على ذلك جميعه ، خارجاً عن ترك السلطان
 والأمراء وأموالهم وشيوخهم وبناتهم وعالمهم وخاسمهم ، فاحتوى على ذلك جميعه .
 ٢٥ ثم توجه إلى الشام ، فملكها بالأمان ، ثم نزل إليه نائب قلعة الشام بالأمان فقتله
 وقتل منه نحو أربعين أميراً من أمراء الشام ، وملك قلعة الشام واحتوى على ما فيها
 من الأموال والسلاح والذلال والبارود وغير ذلك مما كان بها . وملك حلة وحمص
 وملك السكك ملكهم بالأمان ، ثم خرج من الشام وقصد التوجه إلى نحو الديار
 المصرية ، فسلم طرابلس وسدده وقرنة وبيت القدس وجبل نابلس وعدة بلاد مما
 حولها ، فسلم السكك بالأمان من غير حرب ولا مائح ، ولم يتفق هذا لأحد من اللوك
 قبله .
 ٢٦ ثم توجه إلى القاهرة فلاق مع الأتراك طومان باي على الريدانية فوقع بينهما
 قتال جليل ، فلم يكن إلا مقدار خمس درج وانكسر الأتراك طومان باي وولى
 معزوما ، وقتل من الأمراء والسكك ما لا يحصى عددهم ، وآخر الأمر ملك مصر
 والقاهرة عنوة بتأييد سفيه . أقول : ومن عهد عمرو بن الناس رضى الله عنه لما فتح
 مصر سنة التين وعشرين من الهجرة النبوية ، ففتحها عنوة بتأييد سفيه ، وإلى علم ،
 ٢٧ لم ينتصها أحد من اللوك بعده عنوة سوى سليم شاه بن عثمان ، ولم يقع مثل ذلك سوى
 للبحث أشر اللابل من قديم الزمان .

(١٠٠) قلنكا : سكتيا . (١٠٤) طرابلس : ترابلس .

ومن هنا ترجع إلى أخبار ابن عثان ، فإنه لما زلزل بوطراق الذي نصبه في بولاق عند الرسيف أقم به إلى يوم الثلاثاء رابع الحرم ، فلما كان ليلة الأربعاء خامس الشهر بعد صلاة المشاء ، لم يشر ابن عثمان إلا وقد هم عليه الأشراف طومان باي (٨٠٠ ب) بوطراق واحتاط به ، فالتصرت أحوال ابن عثمان إلى التابة ، وعثر أنه مأخوذ لا عمالة ، وأشيع أنه هم عليه بجمال وهي حقة ساسا وأطلق فيها النار ، فاشترق بعض شيام من بوطراق ابن عثمان ، ووقع فيه السيف تحت القابل فقتل من عسكر ابن عثمان ما لا يحصى عددهم ، واجتمع هناك الجيوش الكثير من الزمر وعتاق بولاق من البواتية وغيرها وساروا بزعيمون بالتاليق ولها الهجرة ، واستشرخوا على ذلك إلى أن طلع النهار فلتاحم الأشراف علان الدوادار الكبير من الناصرة عند الميدان الكبير ، فسكان بين عسكر ابن عثمان وبين عسكر مصر هناك وقعة تشيب منها التوامي ، فلكوا منهم من رأس الجزيرة الوسطى إلى قنطرة باب البحر وإلى قنطرة قديدار ، واستمر الحرب نازرا بين الفريقين من طرف الفجر إلى بعد الزهب . وأشيع أن المرين لا وقعت هذه الحركة تهبوا بوطراق الشمانية التي كان بالريادية . ثم إن الهليك الجراكسة ساروا يكسبون البيوت والحارات على الشمانية كما كانت الشمانية تكسب البيوت والحارات على الهليك الجراكسة .

ومتىما قتل شاة الحلي في فرض يميل في جدها فصاروا الأتراك كل من يظفرون به من الشمانية يظفرون رأسه ويحضرون بها بين يدي السلطان طومان باي وسائر القاطب معاقب . فلما كان يوم الخميس سادس الحرم اشتمت القتال بين الشمانية وبين الأتراك ، ونادى السلطان في الناصرة وخطب السباع الزمر والعتاق بأن كل من تبش على عثمان يأخذ مزيه ويقطع رأسه ويحضرها بين يدي السلطان . ثم إن الشمانية طردوا الأتراك من بولاق وجزيرة الفيل وملكوها منهم ، ثم طردوا الأتراك من الجزيرة الوسطى إلى الناصرة وملكوها منهم . ثم إن الأتراك خرجوا عند قنطرة قديدار (٦٨١) خوفا من الشمانية أن يسيروا

(٨) بالتاليق : كذا في الأصل ، وأما * بالتاليق * .
(١٧) يظفرون : يظفروا . يظفرون : يظفروا . يظفرون : يظفروا .

عليهم . ثم إن المشايخ هجموا على زاوية الشيخ محمد الدين التي في الناصرية وقبضوا
منها على عماليك جراكسة ، فأحرقوا البيوت التي حول الزاوية ، ونهبوا القناديل
والحصص التي في الزاوية ، وقتلوا جماعة كثيرة من النوام وقبض منهم وشيوخ . ثم إن

الناصرية طردوا الأتراك عن الناصرية إلى قناطر السباع .
ثم إن السلطان طومان بای نزل في جامع شيخو الذي بالصليبة ، وسار يركب بنفسه
ويكرّم من الصليبة إلى قناطر السباع في نفر قليل من العسكر . ثم رسم بغير خندق
فدّأس الصليبة ، وآخر عند قناطر السباع ، وآخر عند رأس الرمة ، وآخر عند جامع
ابن طولون ، وآخر عند حدة البقر . ثم إن السلطان رسم بحرق خان الخليل قومه
بعض الأمراء من ذلك . وأشيع أن السلطان قسم العسكر أربع فرق : فرقة إلى جهة
قناطر السباع ، وفرقة إلى جهة الرمة ، وفرقة إلى جهة جامع ابن طولون ، وفرقة إلى
جهة باب زويلة . فمما عاين من الهالك السلطانية إلا القليل ، وساروا يخطون في
الاصطبلات تحرقا من القتال ، وقد دخل الرعب في قلوبهم من المشايخ ما لم يخرج
منها .

ثم إن ثلاثة من المشايخ توجهوا من على مصر المتبقية ، وطلبوا من على القرافة
الكبيرة ، وملكوا من باب القرافة إلى مشهد السيدة عيسى رضي الله عنها ، فدخلوا
إلى غربتها وداخوا على قبرها ، وأخذوا قناديلها القنطرة والشمع الذي كان عندها ،
ونسبوا الزاوية ، وقتلوا في مقامها جماعة من الهالك الجراكسة وغير ذلك من الناس
الذين كانوا احتسوا بها . ثم إن السلطان قصد يهدم قناطر السباع ، فأحرق من مدها
بعض شيء . ثم إن الأتراك شحتوا جماعة من المشايخ قهروا وطلبوا إلى مولانا الجامع
الزويدي ، وساروا يرسمون على الناس بالصدق الرصاص ويمسونه من النحول إلى باب
(٨١ ب) زويلة ، واستنصروا على ذلك حتى طلبوا لهم الأتراك وتخلوهم في الشدة
أشرف قنطرة .

(٣٥٢) ابن القتيبي . (١٩٦) ياقوت ، (١٩٦) عابدين : عادل . (١٩٨) القرن : القوي .
(١٩٩) مولانا شمس الدين . (٢٠٠) رموز : رموز . II ومجموعه : مجموع . (٢٠١) القنطرة : القنطرة .

- ثم صارت القلعة من الأتراك والتمانية أجسادهم مرمية من يولاتي إلى قناطر
 السباع وإلى الرملة وإلى تحت القلعة ، وفي المرات والأثرة من الأتراك والتمانية ،
 ٤ وهم أهدان بلا روس . هذا والبرابن واقفة عند قلعة المطلب وهم يتشعرون الناس
 ويتردئهم [من] أتوابهم ، ويتنون من بلوح لهم من التمانية ، ولولا ذلك لكان
 لجسوا على القاهرة وتبينوا أسواقها ودورها . ثم إن السلطان طومان باي نادى
 ٥ في القاهرة أن كل من سلك أحدنا من عسكر ابن عثمان وعطاب منه الأمان فلا يفتله . -
 ومن الجانب أن السلطان طومان باي لما ظهر حُطِب باسمه على منابر القاهرة في يوم
 الجمعة ، وكان في الجمعة الثانية حُطِب باسم سليم شاه بن عثمان ، فكان كما يقال :
 ٦ لا تياسر من فرج ولطف وقوة تظهر بسند خفف
 فاستمر السلطان طومان باي يتفق مع عسكر ابن عثمان ، ويقتل منهم في كل يوم
 ما لا يحصى عددهم ، من يوم الأربعاء إلى يوم السبت طلوع الشمس ثامن الحرم ،
 ٧ قرأ عين التلب وقد تكامل العسكر من القتال وانقلوا في بيوتهم ، وتفرقت
 الأسماء كل واحد في ناحية ، واستمر السلطان يقاتل في عسكر ابن عثمان وحده
 يترده في نهر قليل من البعيد الزمالة وبعض عماليك سلطانية وبعض أبراء ، منهم
 ٨ شاد بك الأمور وآخرون من الأبراء القشرات ، فلما ظهر له التلب حرب وتوجه
 إلى نحو بركة الخيش ، وكان ليل الحفظ غير مسود المركبات في أمثاله ، فكان كما يقال:
 قليل الحفظ ليس له دواء ولو كان السبح له طيب
 ٩ وهذه رابع كسرة وقت لسكر مصر مع ابن عثمان ، وقد نُتت أبيهم من القتال
 حتى نفذ القضاء والحد ، وكان ذلك في الكتاب مسطورا . ولما هرب السلطان
 طومان باي وقع في القاهرة الذبية العظمى التي لم يسمع بمثها نيا تقدمت (٢٨٣)
 ١٠ من الزمان ، فلما انهزم السلطان صبيحة يوم السبت ثامن الحرم غلقت التمانية
 في الصلابة وأحرقوا جامع شينغو ، فاشترق سقف الإيمان الكبير والفتية التي كانت به
 كرون أن السلطان طومان باي كان به وقت الحرب ، وأحرقوا البيوت التي حوله
 (٣) يتلون : يتلوا . (٤) ويظنون : ويظنوا . (٥) التي : الذي .

- في حرب ابن هريرة ، ثم قيسوا على الشرق يحيى بن النعمان خليف الجامع وأحضروه إلى ابن يدي سليم شاه بن عثمان فهم بقرب عنقه ، فلما بلغ الخليفة ذلك ركب ، وأتى إلى ابن عثمان وشفق في ابن عداس وخلصه من القتل ، ودولا كان في أبله فسعة لقربوا عنقه في الحال ، وقضى شدة عطية من العربة .
- ثم إن الثانية عقدت في النوام والنقان من الزعم وغير ذلك ، ولقبوا فهم بالسيف ، وراح الصالح الطالع ، وديعا عوقب من لاجي ، فصار جشم مبدية على الطرقات من باب ذوبة إلى الرمة ومن الرمة إلى الصليبة إلى قنابر السباع إلى الناصرة إلى مصر النيفة ، فكان عددا من أهل في هذه الرقعة من يولاقي إلى الجزيرة الوسطى إلى الناصرة إلى الصليبة فوق البصرة آلاي إنسان في مدة هذه الأربعة أيام ، ودولا لفت الله تعالى [لكن] لب السيف في أهل مصر قاطية .
- ثم إن الثانية صارت تكس على الملائكة الجراكسة في البيوت والحارات ، فن وجدوه منهم قربوا عنقه . ثم ساروا الثانية تهجم الجوامع وتأخذ منها الملائكة الجراكسة ، فوجدوا على جامع الأزهر وجامع الحاكم وجامع ابن طولون وغير ذلك من الجوامع والمدارس والزارات ، ويقفون من فيها من الملائكة الجراكسة ، فيقول قيسوا على نحو جماعة جوك ماين أسماء . عسرات وعسكية وجمالك سلطانية ، فقربوا أرقامهم أربعين بين يدي ابن عثمان . وقول إن الشاعلي الذي كان هناك كان إفرنجياً ، وقيل كان يهودياً من الأروام ، فكان إذا ضرب عنق أحد من الملائكة الجراكسة يزل ردهم وحدها ودهوس النقان والقرين وحدها ، ثم ينصب الجبال على الصواري ويقف عليها تلك الأروس في الوطاق الذي في (٨٢٣ ب) الجزيرة الوسطى . وكان الشاعلي إذا حزن رأس الملائكة يرى جشمهم في البحر . وأشير من أن به أنه شاهد جنة الأمير قانسوه روح فر ، أحد الأمراء القديسين الذي كان نائب قنبرا ، وهي مبدية فدام سويل السلطان والسكراب تهن في مساربه وشجم ببله ، فإنه كان رجلا جسيا . وقيل في هذه الرقعة الأمير يشبهي من قائم الذي قرأ أمير
- (١) لقربوا - قربوا (١٤) وخطون ؛ وخطوا ؛ (١٥) ردهم ؛ ردهم ؛ (٢٠) من ؛ من ؛ (٢٤) مساربه ؛ مساربه .

- جلس كما تقدم ، وقُتل آخرون من الأسماء ، الفيلسافات والشرفاء والماسكية وغير ذلك . وصارت الجثث مهيبة في الرمة إلى سوق الخيل إلى الخيميين ، وقد تناهشت الكلاب أجسادهم . وصارت الخيول مرمية في الرمة وفي الأسواق والأوتة ، وقد تقار بالينيق الرصاص في الرمة .
- ١٢ ولم تناس أهل مصر شدة مثل حسنة ، فلما إن كان في زمن البحث نضرت الليل لا أن من بابل وزحف على البلاد يساكره وأخرها وهم بيت المقدس ، ثم دخل إلى مصر وأخرها عن آخرها وقتل من أهلها مائة ألف ألف إنسان ، حتى أهدت مصر أربعين سنة وهي خراب ليس بها ديار ولا نافع ناز ، فسكان النيل يطالع ويفرش على الأرض ويبسط فلا يجد من يزرع الأراضي عليه ولا يتفحص به ، فكانت هذه الواقعة لها ثوق الأثني سنة قبل ظهور عيسى بن مريم عليه السلام . ثم وقع مثل ذلك في بغداد في سنة هلاكم ملك التتار لا زحف على بغداد وأخرها وأحرق بيوتها ، وقتل الخليفة المستنصر بالله وقتل أهلها ، واستمرت من بعد ذلك خراباً إلى الآن .
- ١٣ فوقع لأهل مصر ما يقرب من ذلك ، وما زالت الأيام تدين السحاب .
- ١٤ فلما حرب السلطان ملومان باي وقُتل من قتل من الأسماء والشركاء ، رجع السلطان سليم شاه إلى وطائه الذي في الجزيرة الوسطى ونصب في وطائه مستجيبين ، أهدعها أبيض والأخر أحمراً ، وذلك إشارة مندم زرع السيف من أهل المدينة ، هكذا عاشهم في بلادهم إذا ملكوا مدينة وضربها بالسيف . . . وفي هذا الشهر توفى الشيخ شهاب الدين السنبلاني ، وكان علامة في الحديث وله شهرة طائفة (٨٣٣) بين الناس ، وكان لا بأس به ، وكان من أعيان المدائنيين .
- ١٥ وفي هذه الأيام سار الخليفة التتوكل على الله هو صاحب الخيل والسند والأمر والنهي في البلاد المصرية ، وصارت أولاد السلاطين جالسة في دعايلز بيته ، مثل الفر البلاء على بن الزويد أحد وإن القاهر خشنقدم وأولاد الملك المنصور عثمان ، وغير
- (٤٠٣) وصارت الخيول... الرمة: كتبها المؤلف في الأصل على المخطوط. (٤٠٤) ولم تناس : ولم تناس . (٤٠٥) مائة ألف ألف : كذا في الأصل. (٤٠٦) يلم : يلم . (٤٠٧) الأثني سنة : الأثني سنة .

ذلك من أولاد الأمراء وأعيان الناس من الرؤساء، والباشيرين ، وجماعة من الأمراء مثل قتيك رأس نوبة ثاني وسنبل مقدم القايك ، وغير ذلك آخرون من الأمراء، أيقه في دهاليز بيته لم يفتت إليهم . وكانت رسالته ملشبة في القاهرة لا تُرَدُّ عند وزراء ابن عثمان ، وشفاهته في الناس لا تُرَدُّ ، وسار رنكة مضروبا على غالب البيوت التي في القاهرة ، وسار هو مقام سلطان مصر في نفاذ السككة وإظهار السلطة في تلك الأيام ، ودخل عليه من الناس أموال وتقدم عقيقة ما لا ترح به أبواه ولا أجداده . وسارت جماعة من السكك والخوعدات مرتبة في دهاليز حرمه ، وسارت خوردا ابنة الأمير أبيردى الموادار زوجة السلطان طومان بكى عقيقة في بيته ، وقد فرز عليها السلطان سليم شاه مالا جزيلاً ترده ، فلزال الخليفة يتكلف بالسلطان سليم شاه حتى حطَّ منها جانباً من المال الذي فرزه عليها ، وحصل له من السكك والخوعدات خمسا جزيرة، فطاش الخليفة في تلك الأيام إلى الناية ، ووطن أن هذا الحال بهم له ، فكان البيان بأثره ، كما يقال في السى :

أورد تشبكتك السفهاء منها ويحك من جوانبها البيب

ومن الخوادت أن أولاد الزنككوى الذي جرى لم مع السلطان النورى ما جرى ومات أبوها تحت الضرب ، وابن نور الدين الشال الذي شنته النورى كما تقدم ، لما تفتت الدول ودخل ابن عثمان إلى القاهرة ولدى من كانت له علامة يرفع أمره إلى السلطان سليم شاه ، فارت أولاد الزنككوى وابن نور الدين الشال على القاضي شمس الدين بن مؤيدى ، وطاروا له : أنت ككتسبياً لشق نور الدين الشال وضرب الزنككوى . وقصدوا يمشون به إلى ابن عثمان يتطع رأسه ، فتراس على الخليفة في عمل الصالحة (١٨٣) بيته وبيناً أولاد الزنككوى وابن الشال، فكلم الخليفة بينهم على أن ابن مؤيدى يدفع إلى أولاد الزنككوى ثلاثمائة دينار ، وابن الشال مائتي دينار فأبوا من ذلك ، واستعمرت دعوتهم باقية على شمس الدين بن مؤيدى إلى أن يرضوا ذلك على ابن عثمان.

(١) الرؤساء : الرويسا . (٢) القى : القى .

(٢) مالا جزيلاً : مال جزيل . (٣) يمشون : يمشوا .

- وفي يوم الثلاثاء حادى عشر الحرم نادى السلطان سليم شاه بعد العصر في القاهرة بأن
 الأمرء القديين والأمرء الطليخانات والأمرء العشرات ، الذين استقروا بعد الورقة
 ٢ بظهورهم وعليهم أمان الله تعالى . وقيل إن السلطان سليم شاه كتب للأمرء بأمان
 في ورقة طويلة وعنفيا الشاغل على جريدة . ونادى أيضا بأن الأمرء القديين إننا
 ٣ ظهوروا بوجههم إلى مدرسة السلطان النوري . فظهر الأمير أركاش أمير سلاح
 والأمير أنصباي أمير آخور كبير والأمير نر الحسي رأس نوبة النوب والأمير
 ٤ مُتطاي حجب الخطاب والأمير تاي بك الشازندار أحد القديين والأمير تاي بك
 النجسي أحد القديين والأمير قانسوه أمير سنة أحد القديين . ومن الأمرء
 ٥ الطليخانات الأمير مصر باي الأخرج والأمير قنك رأس نوبة تاي والأمير يشك
 القتيه دوادار السلطان طومان باي لا كان دوادار كبيرا وكان عتقا في جامع الأزهر
 فطلع بالأمان . وظهر من الأمرء العشرات نحو أربعين أميرا أو أكثر من ذلك
 ١٦ وآخرون من الخاسكية . فلما ظهوروا اجتمعوا في المدرسة النورية ، واحتاط بهم جماعة
 من المشاية وقد تجوزوا وساروا في الترسيم معهم . ثم أشيع أن الأمرء المذكورين
 ١٧ قابوا السلطان ابن عثمان في الوطاق ، فلما قابوه وجهم بالكلام وصدق على
 ١٨ وجهمهم وذكر لهم ظلمهم وما كانوا يمتنون ، ثم رسم لهم بأن يظلموا إلى الغلظة
 وحبسوا بها محتفظ بهم . فظلموا بهم إلى الغلظة .
 وفيه أشيع أن جان بردي التزالي أرسل يطلب الأمان من السلطان سليم شاه ،
 ١٩ وقد وصل (TAE) إلى الماشكاه وصحبه جماعة من المايك الجراكسة الذين هربوا بعد
 الكسرة ، فأرسل له السلطان سليم شاه أمانا . - وفيه أشيع أن السلطان طومان
 باي لا وقت له تلك الكسرة التي كانت بالسليبية وهرب ، ظهر بعد ذلك أنه توجه
 ٢٠ إلى الهندسا وأقام بها ، فلما شجر مما قامه من الحروب والفتورود أرسل القاضي حيد
 السلام عاضي الهندسا إلى الخليفة ليطلب له الأمان من السلطان سليم شاه . - وفيه
 (١٨٢) القرن : لدى : (٢) ظهورهم : ظهوروا - (٥) بوجههم : بوجهوا .
 (١٦) ويقتبون : يقتبون .

- أُشيع أن الشامية هموا على مقام الإمام الشافعي رضي الله عنه ونهبوا ما فيه من
 البسط ومن التبادل في خيبة المالك المراكسة ، وكذلك مقام الإمام الهيثم بن
 سعد أيضا نهبوا ما فيه .
- وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر الحرم دخل جان بردي النزال إلى القاهرة وعمل رأسه
 وورقة فيها أمان من السلطان سليم شاه ، فلما دخل القاهرة توجه إلى وطاق ابن عثمان
 وقا له هناك . وكان النزال لا انكسر السلطان طومان باي في الزيدانية أشيع أن
 النزال توجه إلى غزة وسمه جماعة من المالك المراكسة ، وكان جان بردي النزال
 متواطئ مع ابن عثمان في البساط من أيام السلطان النوري ، وكان سينا لكسرة
 المسكر في صراج دابق هو وشار بك نائب حلب ، وبرزوا قبل المسكر وأشاعوا
 الكسرة على مسكر مصر .
- وفي يوم الأربعاء تاسع عشر الحرم أشيع أن المالك الذين ظهروا بحية النزال
 رحموا عليهم ، وقيل سجنهم بالقلعة ، وكانوا نحو أربعمائة عتوك ، وقد ظهروا بالأمان
 من ابن عثمان ، فلما ظهروا قبض عليهم وعذبهم في أمانه ، وكان من عادته يغل
 الأمان للأسماء والاليت ثم يندم في أمانه في الحلال ، فكان لا يتن أحد منه أمان إذا
 أصله لأحد من الناس . - وفيه فرز السلطان سليم شاه جماعة من أسمايته منهم
 ثمان مائة ومنهم كاشف المحلة وللشريعة والنورية ، وورث عدة جماعة ككشف في
 أماكن مختلفة من البلاد .
- وفي يوم الخميس عشرين الحرم نادى السلطان سليم شاه في الصليبية ونسافر
 السباع ، بأن أصحاب الأضلاع التي في الصليبية وجمع ابن طوفون بخون من بيوتهم ،
 فإن (٨٤ب) السلطان سليم شاه طالع إلى القلعة فقيم بها ، وسار يكرر المناداة في
 كل يوم بذلك المي ، فخرجت الناس من بيوتهم على وجعهم ، وانطلق إليهم جمرة
 نار ، وهدمت عليهم الشامية في بيوتهم وسكنوا فيها في عدة أماكن من بيوت
 القاهرة ، حتى سارت الحارات والأوقفة ما نشق منهم ، وساروا كالجراد المنتشر من
 (٨) حوامكا : متولط . (١٩) الو : الفى . || بخون : بخولوا . (٢٢) عدة : عدة .

- كثرتهم ، من الصافية إلى جامع قوسون إلى قناطر السباع إلى داخل باب ذوية ، وما خلا منهم موضع في المدينة ، وصارت الناس تسد أبوابها وتختبئها مثل الطوآخ حتى لا تدخل فيها الطيور ، ولم يبق من ذلك شيئا وعهدوا ما بنوه وسكنوا بها .
- ٣ تم إن السلطان سليم شاه طلع إلى القلعة في موكب حافل من منكره ، وهذا أول طلوعه إلى قلعة الجبل ، ولا أن طلع إلى القلعة لدى الناس بالأمان والاطمان .
- ٤ وفيه أشيع أن للرايك الذين طلبوا بالأمان تيدوم وأودعهم في الوكعة التي خلف مدرسة السلطان النوري .
- ٥ وفي أوائل هذه السنة كانت وفاة الإمام العالم العلامة بهمان الدين إبراهيم بن أبي شريف القديس الشافعي ، وكان عالما فضلا في مذهبه بارعا في العلوم ، ولي قضاء الشافعية في أيام السلطان النوري ، أقام بها مدة ومزل فيها ، ثم فرزه النوري في مشيخة مدرسته ، وظهر في أوائل عمره شغافه وعنا من السلطان النوري ، وأقام مدة طويلة وهو عاجل حتى مات ، وعاش من العمر فوق الثمانين سنة ، ولا مات كانت الحرب والفتن قائمة فلم يشمر بموته أحد من الناس رجة الله عليه . . . وتوفى أيضا البدي حسن بن العلوي، سلم للشيخ كان ، وكان ريشا حشا من أيمان أولاد الناس ، وكان كُفَّ بعصره قبل موته مدة طويلة ، وكان أنشأ له تاريخا في ضبط الوقائع ، وكان علامة في كل فن رجة الله عليه .
- ٦ وفي يوم الثلاثاء غاص مشرف الحرم أنبلع القردار على الشرق يونس الأستاذار فظن أن نزل معها وجهه متحفا على جهات بلاد الشرقية ، فجميع البلاد وكتبت ما فيها من إقطاعات الأديان الجراكية وغير ذلك من الرزق والأوقاف ، فأخذ قوام من أولاد الجيمان يسمي ذلك وركل إلى الشرقية ، فأنق من (هدا) أبواب اللطام شيئا حتى شبه بالشرقية . وقرّر نظر الدين بن عوض وركلت أنا شرف الدين السندي
- (٢) ونسبها : وشيخهم . . . (٥) الفت : الذي . ال تيدوم : تيدوم . (١١) شعافه وعنا : شعافه وعنا . (١٢) كانت : كانت . (١٣) والفتي : والفتي . (٢٢) أنا : أنا . (٢٣) تاريخ ابن لاس ج . ١١٠

متحدثين في جهات الغربية ، وقرّر الزبي بركت بن موسى تصديداً [ق] جهات
الجهة، وقرّر شرف الدين السنيبر وأبا البنا ناصر الاسطيل متحدثين في الجهات الغربية،
فأظهر كل منهم أبنائه من النظام في حق الناس بسبب الإطعامات والرزق . وأشيع
أن السلطان سليم شاه أوقف أسر الناصير التي بيد أولاد الناس بسبب أفعالهم ،
فحصل لهم ثأية التكد بسبب ذلك .

وفي أولخر هذا السنيبر تشتملت اللال من القاهرة وارتفع المنز من الأسوان،
وسبب هذا الأمر أن السانية لما دخلوا إلى القاهرة تهبوا الليل الذي كان في الشون
وأظمروه شيوخهم ، حتى لم يبق بالشون شيئاً من التلال ، وتنبوا النج الذي كان
بالطواحين وانتشرت أسواق الناس غلابة ، ثم إن الأخبار زادت بأن السلطان
تلومان باى ظهر أنه بالصيد عند أولاد ابن عمر ، ومنع الراكب من الرسول إلى
مصر بالتلال ، فتوجب ذلك وقتت هذه التشجيلة بمصر .

ولا طلع ابن مئان إلى القلعة احتجب عن الناس ولم يظهر لأحد ، ولا جاس على
التكة بالخور الساطق جالسا عاماً وحكم بين الناس ودينت النظام من القديم ، بل
كان يحدث منه ومن وزراءه كل يوم مظلة جديدة ، من قتل وأخذ أموال الناس
يتبر حق ، وكان هذا على غير القياس ، فإنه كان يشاع العدل الثالث من أولاد ابن مئان
وم في بلادهم قيل أن يدخل سليم شاه إلى مصر ، ثم يظهر لهذا الكلام نتيجة ولا
مشي سليم شاه في مصر على قواعد السلاطين السابقة بمصر ، ولم يكن له نظام يُعرف
لاهو ولاوزراء ولا أساقفة ولاعسكر ، بل كانوا هجوا لا يُعرف التلام من الأستاذ .
ولما أقام ابن مئان بالقلعة ربط الطيور من الخروش إلى باب القلعة إلى «سد الإجمان
الكبير وباب الجامع الذي بالقلعة ، وسار زيل الخيل هناك بالسكان على الأرض ،
وأخرب غالب الأماكن التي بالقلعة وذلك وعلما وتزل به في صاكب يتوجهون به
إلى (٨٥ ب) إسطنبول . - ولما أقام سليم شاه بالقلعة نصب وطاق عسكره بالقلعة

(١) التي : التي . (٢) لم يبق : لم يبق . (٣) مظلة : مظلة .
(٤) تلاله : تلاله . (٥) التي : التي . (٦) يتوجهون : يتوجهوا .

من باب القرائة إلى سوق الخيل - ثم إن العمالية نصبوا خيمة في وسط الزمعة وجعلوا فيها أذنان بوزة، وخيمة أخرى فيها جفن حشيش، وخيمة أخرى فيها عتيان مرده بخارون كما دوتهم في بلادهم.

وفي يوم الجمعة جاءت الأخبار من بلاد الصعيد بأن السلطان طومان باي توفيت شركته والتفت عليه جماعة كثيرة من الرهبان، واجتمع عنده من الأحرار والسكر الخمر النسيب، وأشيع أن وصل إليه من قنر الإسكندرية زرد عاناه ما بين ثياب وقسي وبارود. فلما تحقق السلطان سليم شاه ذلك أخذ حذره من الأشراف طومان باي، وسار على رءوس أهل مصر طيرة مما جرى عليهم في تلك الواقعة التي كانت في الصليبية، فغشوا من مثل ذلك.

وفي سفر كان مستهل الشهر يوم الأحد - في يوم الثلاثاء ثالث الشهر حضر التالي على ناظر الخناس وكان قد توجه إلى قنر الإسكندرية، فلما حضر أحضر صحبه جماعة من الياك المراكسة كانوا هناك، فأحضرهم في زنجير - ثم أشيع بعد ذلك أن ناظر الخناس كان توجه إلى الإسكندرية بسبب خلق الظاهر فالصورة خلق الظاهر الذي كان بقنر الإسكندرية، فقبيل خلق في البرج الذي كان به، وكان السلطان طومان باي أخرج منه وأخرجه من البرج وسكن في قاعة الملك اللويد أحد وأذن له أن يركب ويصلي صلاة الجمعة مع الناس في الجامع، فلما توجه ناظر الخناس إلى قنر الإسكندرية أظهد أنه بيد الظاهر فالصورة إلى البرج كما كان، فلما أريد إلى البرج خنقوه تحت الليل ودفن هناك، وكان ملكاً ممتناً لينا، ولما ول السلطنة جسر السلحت أحوال القبار المصرية في أيامه اتصالاً جيداً وتمنى كل أحد من الناس بقاءه، ثم تولى شهادته ومحا وأمر الأسماء كل عتونا، وكان له (٧٨٦) من المرحوم من أربعين سنة، وكان سبب خنقه أن كان قد أشيع أن الأتراك قصد مرده إلى السلطنة، فإد السلطان سليم شاه وخنقه وكفى أمره.

وفي هذه الأيام تزايد الأذى من مسكر ابن عتيان، فكانوا يخرجون وقت صلاة (٢) بخارون : بخاروا. (٧٠) شمامه وعنا: شمامه ومن: (٢٢) بخارون: بخاروا.

الصبيح ويوتجون [إل] الصياح التي حول المانكا ، فيحشون ما فيها من الزروع
 من البرسيم والبقول ، فيلصونه إلى خيوطه في كل يوم ، ثم ساروا بأختون دجاج
 الفلاحين وأنعامهم وأوزم ، حتى أورايم وششب السوف الذي هناك ، حتى أخيرا
 غالب ضياع الشرقية وسواحل البحر ، فلما برجمون أواخر التيار ياتون في الوفاق
 الذي في الرامة ، ثم ساروا بمحشون العوام ويمزون الناس في الأماكن الفردة من سد
 الشتاء ، فرسم السلطان سليم شاه بسمل دروب في كل طرفة ، وسدوا عدة طرق من
 المخرات ، وكذلك عدة أبواب جعلها خوخ ، وكان التوتى عمل ذلك يحيى بن سكار
 دودانو الوال ، فخلص الناس في هذه الحركة وأخذ منهم جنة سال ، ولم يند من عمل
 هذه الدروب شي ، وحصل الناس الضرر الشامل وجبروا الأموال من المخرات بسبب
 تلك الدروب . ولما أعلم ابن عثمان بالفتنة نزل منها ودخل حمام عشقتم الرسام التي
 بالرملة ، فألم بها إلى بند المعسر ، ثم عاد إلى الفتنة .

وفي يوم الأربعاء رابع سفر وردت الأخبار بأن الأمير ألكس كلف التربة طرق
 أطراف جهات الجزيرة على حين غفلة ، وأخذ منها عدة خيول كانت هناك ، وبمن حال
 كانت هناك خير بك نائب حلب ، ثم أشيع أن ألكس قتل جماعة من النهاية ، فلما
 بلغ السلطان سليم شاه ذلك أرسل تجمدة إلى جهة الجزيرة وبين بها أني عثمان ورملة
 بالصدق الرساس ، فلما عدوا إلى الجزيرة لم يجسروا أن يتبعوا ألكس وقاصوه
 العادل . ثم إن ابن عثمان نادى في القاهرة بأن أبواب المدينة وأبواب الدروب تطلق
 وقت صلاة الجمعة ، خوفا من المالك المراكسة أن لا يظفروا المدينة على حين غفلة من
 أهلها .

ثم إن السلطان سليم شاه قهر على جماعة من (٨٦) الأتراك المراكسة الذين
 كانوا ظفروا بالأمان ، وكانوا في الترسيم في الرملة التي خلف مقبرة النوري ، وكان

(١) ويوتجون : ويوتجون ، فيحشون : فيحشوا . (٢) ليشونه : ليشونه . (٣)
 ياتون : ياتوا . (٤) برجمون : برجموا ، ياتون : ياتوا . (٥) يمشون :
 ويمشوا ، يمشوا : يمشوا . (٦) يمشون : يمشوا . (٧) يمشون : يمشوا .

منهم جماعة في سجن الديلم ، وكان فيهم أمراء مشركت ، فرسم بأن يُلقوا إلى
 إسطنبول ، فأمر جوهر ومم في قيود وأر كروم على حيدر ، والأعيان منهم على حال ،
 ومنهم من هو ماش على أقدانه وهو في زنجير ، وكانوا نحو سبعمائة محبوك ، وقيل
 أكثر من ذلك ، فاشقوا بهم القاهرة ، ثم توذروا بهم إلى بلاق وأزلوم في الرأكب
 فلما استقروا في الرأكب خشوا منهم جماعة يقرأى خشب في أيديهم ، ثم سافروا
 بهم في البحر إلى نهر الإسكندرية ، ثم خرجون بهم من هناك إلى إسطنبول ،
 فصار قتلهم وأولادهم حبيج وكاء في ساحل بلاق عند ماوةعوم .
 وفي يوم الأربعاء حدى عشر سافر أئمة السلطان سليم شاه على القنطرة الأرمية
 القرن كانوا في أسره بحلب ، ومم قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل وقاضي
 القضاة عمر بن القضاة الحنفي وقاضي القضاة عمي الدين بن العمري المالكي وقاضي
 القضاة شهاب الدين الفخر بن الحنبل ، وأعلم إلى وظلهم كما كانوا في الأول بصر .
 وكانت الأحوال قد قدمت جدا فإن السلطان سليم شاه لا دخل إلى القاهرة جبل في
 المدرسة المسالمة فاشيا من قوله شاه قاضي العرب ، فصار لا يتم إلا في المدرسة
 المسالمة ، فتح توكب قضاة مصر والشهود الذين بها فقلبة أن لا يقدوا مقدا لأحد
 من الناس ولا يكتبوا إجازة ولا وكالة ولا وصية ولا شيئا من الأشتال فقلبة ،
 فكانت الناس إذا رأوا أن يقدوا مقدا تزوج من أيكتر أو نيات فيمشون إلى
 المدرسة المسالمة ويحمل لهم كاتبة زائدة وشقة ، وكذلك في الرسة أو في بيع
 أشتال الناس ، فصامت على الناس حقوقها وانظرت أحوال الأحكام الشرعية في
 هذه الأيام . وكان القاضي الذي قرره ابن مئان يحكم في المسالمة أجمل من حاره
 وليس يحدى شيئا في الأحكام الشرعية ، ويستع على الناس حقوقها ، وكان إذا دخل
 عليه مبلغ في كل يوم يدخل الوشيين والشهود الذين عنده من (٨٧٧) ذلك المبلغ
 بعض شيء ويقول الهاتي حصة بيت المال ، فيشيل بقية المبلغ في صندوق ويقل عليه ،
 واستمرت القضاة والشهود مع قاضي العرب الذي قرره ابن مئان في غاية التكد .

(٦) بروجيون : بروجوا - (٧) و١٠١٠ (٧) القرن : القى .

ومنع القضاة والتبهد من الحكم والشهادة ، وأقبلوا على ذلك نحو شهر وقد مندوا
من ذلك ، وفي هذه الرواية يقول الشيخ بدر الدين بن الزين في معنى ذلك :
٢ شئنا الحكم والإشهاد أيضا فياسة الكفرى عبي فرورى
بنت كانا من غير ذنب كذا فسد أيتسهم يزور
وفي هذا الشهر أتبع أن السلطان طومان باي أرسل عدة مطالبات إلى الأتابغين
وأعيان الناس وإلى كاتب السر حتى بن الخليفة ، فأرسل يشب عليهم ويقول لهم :
٣ يا سبحان الله بن كتمت تسيقونا ففحن ما شينا كرم . وأرسل يشب عليهم ويحترش
بهم ، ثم بعد أن أتبع أن طومان باي أرسل يقول إلى ابن عثمان : إن كنت تروم أن
٤ أجعل الخليفة والسكة يملكك وأكون أنا ثالثا معك بمصر وأهل لك خراج مصر
حسبا يقع الاثنان عليه بيننا من المال الذي أحله إليك في كل سنة ، فأرسل عن مصر
أنت وعسكرك إلى الصالحية وصون مماء المسلمين بيننا ولا تدخل في شطية أهل مصر
٥ من كوار وصنار وشيوخ وسبيان ونساء ، وإن كنت ما ترعى بذلك فخرج ولا تفر
في بر الخيرة ويسل الله تعالى النصر لن يشاء منا ، فلما وقف السلطان سائرا شاه على
مطالبة السلطان طومان باي أرسل خف أمير المؤمنين والقضاة الأربعة ، وأحضر
٦ جماعة من وزرائه وكتب يحضرتهم سورة حلف إلى السلطان طومان باي ، وكتب
ابن عثمان حثه عليه ، ووقع في ذلك اليوم الاتفاق بالتفعية أن الخليفة والقضاة الأربعة
يخرجون إلى السلطان طومان باي بذلك الحلف على أيديهم ، ثم إن ابن عثمان أبلغ
٧ على القضاة الأربعة مطالبات غلظ مذهبها وقال لهم : ارتزوا الخلفا برحمتكم حتى تتوجهوا
إلى طومان باي نحو المسجد . فارتزوا من القضاة على ذلك ، ثم إن الخليفة امتنع من
التوجه إلى السلطان طومان باي ، وقال : أنا أرسل حوادقارى يرد بك صبية القضاة
الأربعة . (٨٧٧) وأتبع أن السلطنة التي أرسلها السلطان طومان باي إلى ابن
عثمان ذكر في ذيل السلطنة : ولا تحسب أني أرسلت أسألك في أمر الصلح من مجزء
٨ فإن منى ثلاثين أميرا ما بين مقتدين أوزب وأرديينات وعشرات ، ومنى من الأبيك

(٢٦٦) الخ : لدى .

- السلطانية والبرهان نحو عشرين ألفاً ، وما لا يحصى من قتلك ، ولكن السلع أصاح
إلى صون دناء السليخ . ثم في غيب ذلك توجهت القضاة الأربعة ويرد بك دوادار
الخليفة إلى عند السلطان طومان باي نحو الصيد .
- ٢٤ وفي هذه الأيام توتبت الإشارات بأن السلطان طومان باي جمع من الصاكر
والبرهان ما لا يحصى عددهم وهو زاحف على ابن حيان بير الجزيرة ، فسكن القيل والقال
في ذلك ووقع الاضطراب في القاهرة بسبب ذلك . - وفي أثناء هذا الشهر أضحى أن
الأمر علان من قرايا الدوادار الكثير قد توفي بالصعيد ، ودفن في بعض الشوارع هناك ،
وسل عليه السلطان طومان باي والأمراء الذين كانوا هناك ، وكان الأمير علان جرح
في الرقبة التي كانت في الريدانية ، واستمرّ هليلاً من ذلك حتى مات هناك ، وكان
من غول الأمرء وأشجعهم ، والله غالب على أمره .
- ٢٥ وفي يوم الاثنين سادس عشر من شهر ربيع الأول سنة ١١٢٢ هـ بالشرقية ، وصاروا
يتطلعون الطريق على النجانية وينتظرون ويأخذون خبرهم وعالمهم وسلاحهم . ونهبوا
بلاد عبد القام بن أبي التوراب وأشرفوها ، ونهبوا عدة بلاد من الشرقية ، منهم
قلوب وقلقشندة وغير ذلك من البلاد ، ووصلوا إلى شبرا النبية ، وصاروا يتكلمون من
شبرا إلى قنطرة الحاجب . فلما تزايد الأمر أرسل إليهم السلطان سليم شاه بخرمبة فيها
من المسكر نحو ألف وخمسة مئتي ، وجعل ياتهم جان ردى التزالي ، فخرجوا من
القاهرة على حية وتوجهوا إلى الشرقية فألقوا بها أليماً ، فأخذت البرهان من وجههم
وسددوا إلى الجبال فرجع ذلك المسكر من غير عائل من البرهان .
- ٢٦ وفي أثناء هذا (١١٢٢) الشهير وردت الأخبار من بلاد الصعيد بأن القضاة
الأربعة ويرد بك دوادار الخليفة وقائد ابن حيان سماع الدين الذي كان أرسله معهم
وجاعة من النجانية ، فلما وصلوا إلى قرب البهنسا خرج عليهم جماعة من البرهان
وسمهم جماعة من الأراك فقتلوا النجانية ، وهرب ير بك دوادار الخليفة وعمره
وأخذوا آثاره وهرب حتى نجا من القتل ، ونهب جميع ما معه من الخيش وغسيرة ،
(٨) الذين : الذي (١١٢) وبنظيرهم وأخذون : وبخروهم وأخذوا . (١١) يدعون : يدعون .

- وأشجع قتل القاضي الهنسا عبد السلام ، ونهبوا ما كان مع القضاة من البرك ، وما سلبوا من القتل إلا بعد جهد كبير . فلما بلغ ابن عثمان ذلك اضطربت أحواله وتحنن أن السلطان طومان باي قد أتى من الصالح إنه أن أرسل يطلب الأمان . ثم إن ابن عثمان نقل وعظاته من الجزيرة فوصل إلى بركة الحليس .
- وفي يوم السبت حذى مشر بن سفر زال السلطان سليم شاء من القلعة ومنه يتم التغير من الساكر وتوجه إلى الرضاق بركة الحليس ، وتوجهت الباشاؤون صحبه حتى القاضي كاتب السر . - وفي هذه الأيام امتفت السقاين بمسلم ومسيح الناس من العنص ، وزعموا أن ابن عثمان طلب جميع السقاين بمسلم ورواياهم حتى يسافروا معه إلى الصعيد بسبب السلطان طومان باي إن كان يهرب منه إلى بلاد الرنج ، فوصل نحن الزاوية للآ لربة أنصاف ، وقيل غصة أنصاف .
- وفي يوم السبت ثامن عشر من سفر أشجع أن أوائل مساكر السلطان طومان باي قد وصل إلى ترسة بالقرب من الجزيرة ، فرسم ابن عثمان يصل وجداً على شاطئ البحر إلهراً لأجل تلبية مسكرو ، وكذلك في بر مصر النجفة . - وفي هذه الأيام امتنع الجلب من البضائع التي كانت تدخل إلى القاهرة من الأجيان والسمن والشمعة وغير ذلك من البضائع ، التي كانت تجلب من الجزيرة وعلوب واللينة وغيرها ، واضطربت أحوال القاهرة جداً بسبب إغلة هذه البضائع .
- وفي ربيع الأول كان مستهل شهر يوم الثلاثاء ، فاشجع أن جلي بردي التزق لما خرج إلى بلاد الشرقية كبس على عدة بلاد من الشرقية حتى وصل إلى الخن والزمركوين وإلى دنكاون ، فذهب ما فيها من الأبقار والأحصان والأوز والديجاج ، (١٨٨ ب) وأسر نساء الفلاحين وأولادهم الصبيان والبنت ، وسار يصعب في القاهرة بأجنس الأمان ، كما فعل أفندي الهوادار بالقرب الأملعة وأولادهم ، فاشترى بعض الناس منهم بنتاً بأربعة أشرقية وأعتقها وأوهبها إلى أمها وقد رقى لها من الأسف على أيتها ، وفعل في الشرقية ما لا تحه البحت تعثر لا دخل إلى مصر . ثم إن يونس شاه

(١٨) أي : الآ . (١٩) الباشاؤون : الباشاؤون . (٢٠) وترمزون : كلفا في الأصل .

ربيع الأول سنة ١٠٤٣

نادى في القاهرة بأن كل من اشترى من نهب بلاد الشرقية شيئا من الأبقار والأغنام
يرده على أصحابه، وكذلك أولاد التلاحين، ولأم جان بردي التزالي نيا غنله في الشرقية.
وفي يوم الأربعاء ١١ ربيع الأول رسم السلطان سليم شاه بأن الأمراء الذين
كانوا في القنطرة في التبريد، بأن يحضروا إلى بين يديه بالوفاق التي بيدها الجيش،
فأتوا بهم من القنطرة وهم على نبال وشي، على غير وشي، مشاة، وهم في جنائز
وعليهم كبرية عنق وعلى رؤوسهم كوفى غير شاشات، وقيل كان فيهم من الأمراء
الغديرين سبعة وهم: أركاش أكرسالج وأنصاي أمير أنجور كبير ونحر رأس نوبة القوب
ومططاي صاحب الخياط وتالي بك المازندار أحد الأمراء الغديرين وتالي بك التميمي
أحد الأمراء الغديرين وقاصره أبو سنة أحد الأمراء الغديرين؛ وأما الأمراء اللطيفيات
ففيهم: فتيك رأس نوبة تالي ومصرى الأفرح والناس والى القاهرة وسامى الصغير
المخشب ويوسف الأشرقى الرزكاش التالى والأمير يشيك القنبره وآخرون من الأمراء
اللطيفيات ما يحضروا أسسواهم الآن؛ وأما الأمراء البشراة فجماعة كثيرة
ما يحضروا أسسواهم، فكانت جمعة مؤلا. الأمراء القدام ذكرهم أربعة وخمسين أميراً
ما بين مقدى الفوف وغير ذلك، فلما ملوا بين يدي السلطان سليم شاه وتجمعهم الكلام
ثم أمر بقرب أمثالهم أربعين، وقد قال القائل في المعنى:

يا دهر يسع وقت الساقى سرعاً يسع الموان دعت أم لم ترجع
قدّم وأخر من أودت من الورى مات الذى قد كنت منهم استسعى

فقضت أمثالهم بالوفاق التي بيدها الجيش، وذلك في يوم السبت سادس
ربيع الأول، وصارت أجسادهم مرمية على الأرض شهيقهم السكاب بالهلال والضباع
والثياب البليل، وصارت لساء الأمراء الغديرين تيرطل للشامانية بالهلال سورة (١٩٠)

٢٠) (٢٠) : كتب لإفان ما يأتى على الورقة رقم ٨٩ وأندنيا في الأصل بن الفوفين رقم
٨٨ و ٩٠
٢١) (٢١) ومن الجواب أن الشبان طومان باي لا يخرج مع ابن عمه الفوفية وأهم
٢٢) (٢٢) : فوفين : فوفى - (١١٦) فرج : فرجس .

ربيع الأول سنة ٩٢٣

- حتى ينجوها من قتل جيشة زوجها ، كعصفرة كبريتا وحالين فيحصاه من ركبا
 الخيل إلى المدينة ، فخشته ونسكته وتدفقه في ترابه إن كان له تربة ، وصارت جنت
 الزبية مسربة هناك تشبها السحاب . وكانت هذه الركابية من أضخم الكرابين في
 ٢ حتى الأسماء ، وقد ظهروا بالأمان من ابن عثمان ثم تقدم وقتلهم ، فكان لا يبق
 أحد له يأمن وليس له قول ولا فعل . وقيل كان سبب قتل هذه الأسماء أن السلطان
 طومان بای لا قتل قاسد ابن عثمان وجماعة من عسكره الذين توجهوا بحبة القضاة الأربعة
 ٦ لا طلب طومان بای الأمان من ابن عثمان ، فلما قتل ذلك علم ابن عثمان أنه قد أتى من
 الصلح قتل هؤلاء الأسماء فلما بعد أن أعظم الأمان منه ، وقد قتل في هذه الواقعة:
 ٩ بیل الذي أتى مساكرا مصركا من دولة أتراكها من جركسي
 وأتت إليها دولة الأروام من أولاد عثمان ذوی القتل المسمى
 قتلوا أكرانا بأيسر حيلة عملت عليهم لا بأسيهم المسمى
 ١٢ باليت شمري دولة الأتراك هل تأتي كراكات وتذكر ما تسمى

== جامع شيخنا ، أراد الأمير أركاس أمير سلاح وأبى بای بك المقتدر والأمير عمر المسمى
 الزركاني وجماعة من الأسماء التتار أن يهجروا على السلطان طومان بای وهو جامع شيخنا
 ويعيشوا عليه ويخضعوا في الخلع ويسلموه إليه إلى السلطان سليم بای بن عثمان ويصالحوا لهم ويصالحوا
 ١٦ عند ابن عثمان ، فرد الله تعالى عليهم على أنفسهم ، فعادى لهم ابن عثمان بأن يظهر لهم ولم الأمان
 وكتب لهم أوامره وأبى أن يظهر لهم ، فظنوا أن هذا الأمان يفيدهم وقد حسن لهم الأمير بای بك المقتدر
 ١٨ لتأجيله إلى ابن عثمان وقال لهم : خاضتكم على هذا ما يفترون ما يعمل لكم إلا كل خير ، فوضعوا هذه
 الأوامر على رؤوسهم ووضعوا في أرتبيهم ما يدل ويظهر أن عثمان ، فلما ظفروا [٨٩ ب)
 بركا المسمى وغيره بالسكام فأنفذ عليه في القول الأمير أركاس أمير سلاح وعقابه : أن عاد القوم
 ٢١ أن يسلوا الأمان ويعتصروا . حتى منحه ابن عثمان وأمر بتزويدهم أملاك الأسماء أجمعين ، وقد ورد
 أنه قتل بای الأسماء على أنفسهم ، والذي زعمه السلطان طومان بای القتل عليهم ، والجزلة من
 جيش النيل ، والذي صدقوه لقرمان بای وعمران بای ، فقد ذلك من البهر القوية ، التي ذلك ،
 ٢٤ وقد قيل :

يا ملوك البرق اضموا بابه الله سليم
 ملككم كان عيراي والحدودي لا تقوم

(٢٠) أبي : ١١٠

ربيع الأول سنة ١٢٢٣

ومن المصادف أن السلطان سليم شاه لما نقل الأبرياء قُبض على نسائهم ورسم عليهم وأرسلهم إلى بيت نافر الخاص، وقد أشيع أنه يمتد أن يعادهم وقرّر عليهم مالا، فألقوا في بيت نافر الخاص أيما ولم يردوا من المال شيئا، فخلعهم إلى بيت القنطرة، فتمتد أن يناديهم وقيل سجن منهم جماعة في المطيرة حتى يردوا ما قرّر عليهم من المال، ورسم على مبادئ الأبرياء الذين قتلوا أيضا حتى يقيسوا حساب إقطاعاتهم، فألقوا في الترسيم مدة.

وفي يوم الأحد سادس ربيع الأول عدى السلطان سليم شاه إلى بر الجزيرة بحسب قتال الأكرق طومان باي، وقد بانته أنه قد وصل إلى الثاويات وسه من الريان والسكر من الهياك الجراكسة المجرّ القنبر، فلما عدى إلى الجزيرة أقام بها إلى يوم الخميس عاشر شهر ربيع الأول، فغلق عسكر بن عثمان وعسكر السلطان طومان باي على قردان، وقيل على الثاويات، فسكان بين الفريقين وقصة لم يسمع بثلاثها، أعظم (١٢٠٠) من القصة التي كانت على الريمانية، وقيل كانت هذه القصة عند كرم الحام، فسكان بين الفريقين وقصة مهولة وانسكرت النهاية غير ما مرّة، وطردتهم الأتراك حتى ألقوا أعينهم في البحر، وكانت الكسرة عليهم أولا، وقتل منهم جماعة كثيرة. ثم بعد ذلك تكاثرت النهاية على الأتراك وطردتهم الزمّة بالندق الرصاص، فهزموهم ووقعت الكسرة على الأتراك، وولى السلطان طومان باي مهزوما، فتوجه إلى بلدة تسمى البوطة في أملا زوجية. وهذه تسمى كسرة وقتت على عسكر مصر، وكان السلطان طومان باي ليس له سمد في حركاته، كل ما واهم أن يتصر على ابن عثمان يتكسر، فسكان كما يقال في اللي:

إذا لم يكن عون من الله لفتى : فأقول ما يعين عليه اجتهد

فلما انتصر ابن عثمان على عسكر مصر قطع دعوس الأتراك من الجراكسة، وقطع دعوس جماعة كثيرة من الريان الذين كانوا مع السلطان طومان باي، فلما تكلمت

(١٠) مبادئ، مبادئ. (١٠٠) غلال : ١٤٤. (١٠٠) تكاثرت : تكاثرت. (٢٢٢) الذين : اللي.

ربيع الأول سنة ١٤٤

- ١٤ قلع الروس دسم ابن عتيان وإخضار مراكب ، فلما حضرت وشعروا فيها الروس الذي قتلوا ، فلما عدوا إلى بـ بولاق صنعوا مدارى خشب وعاقوا عليها تلك الروس وعسنا التوائية على أكتافها ولاتهم العليل والرعود ، واندوا في القاهرة بالزينة فزيك زينة حافة ، وشقوا تلك الروس من باب البحر إلى باب المتلة ، وعللوا بهم من على سوق مرجوش وشقوا بهم من القاهرة ، وكان لهم يوم مشهور . وقيل كان عداء الروس الذي قتلوا في هذه الفرصة وشدوا القاهرة نحو ثمانية وأس ما بين أرك وعربان وغير ذلك ، ولقد قتلوا هناك وألغوا في البحر أكثر من ذلك .
- ١٥ وفي يوم الجمعة عاوى عشر ربيع الأول كانت ليلة الورد النبوي ، فلم يشربه أحد من الناس ، وبطل ما كان يمدل في ليلة الورد من اجتماع الفتاة الأربعة والأسماء بالموش السلطاني ، والأصله التي كانت تمدل في ذلك اليوم ، وما كان يمدل للمفرجين من الشفق والإنعام في تلك الليلة ، فبطل ذلك جميعه ، وأصبح ابن عتيان لسا طلع إلى القلعة (١٤١) وعرض الحراسل التي بها قرأى شعبة الورد فأبها
- ١٦ لمدارية بأربعة دينار ، فطموها فلما وأبها بها بناس ستار وسفر . وكانت هذه الطيبة من جهة جهانب الدنيا ، لم يمدل مثلها في الدنيا قط ، فبطل إن مصروفها على الأشراف فأبهاى ثلثين ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك ، وكان بها يمدل لسا
- ١٧ كسب يوم الورد الشريف ، وكانت كهيئة القاعة ولها أربعة أبواب وفتحهم قبة بتبرعات والسكل من فلان ، وكان فيها تقاسيم عربية ، وستابع كهيئة ، لم يمدل الآن مثلها أبدا ، فكانت إذا نصبت أيام الورد يحضرون جماعة من التوائية نحو من خمسة إنسان حتى يتصويتوا في الموش السلطاني . وكانت من جهة شمالي السلطنة
- ١٨ قاتبات بأجنس الأتقان ، ولم يعرف ابن عتيان قبيتها ، وافتدتها السلوك من بعده ، فحصل منه الضرر الشامل ، وهذا من جهة مساواة التي قبلها بغير .

(١٤) إحصار : إحصار . (١٥) الروس الذي قتلوا : كذا في الأصل ، ولا يحل عليه الأسلوب في غير هذه الآية . (١٦) والقرن : والى . (١٧) والى : الذي . (١٨) قاتبات : يحضرون . (١٩) قاتبات : كذا في الأصل .

٣ وقبضه أشيع أن السلطان سليم شاه لما بلغه أن القردار رسم على نساء الأبرار الذين قتلوا ، فأشكر على القردار ذلك وأمر بإطلاقهم من التراسيم ، وأن لا أحدا يأخذ منهم شيئا ويترك لهم ما تأخر عليهم من المال ، فوفيت له الأموات بهباء ، ثم يظهر لهذا السلام نتيجة نيا بسدد ، واشتريت المادوات عمارة كالكاتب ، وازدادت أشعافا فوق ما كانت .

٤ وقبضت الأخبار من الهندستان بأن قاضي القضاة الحنفى حسام الدين محمود ابن قاضي القضاة عبد البر بن الشيخة قد قُتل ، هو وأخوه أبو بكر ، وكان السلطان سليم شاه أرسله مع قضاة القضاة الثلاثة إلى السلطان طومان باي إلى الهندستان أرسل بطلب من ابن مئان الأمان ، فسكتب له أمانا وسورة حلف ، وأرسله على يدى قضاة القضاة وأرسل معهم أميرا من أمرائه وجماعة من الطائفة ، فلما وصلوا إلى هناك تم وفاق السلطان طومان باي على الصلح ولا يتكلمه الأبرار من ذلك ، وكروا على جماعة ابن مئان وقلوبهم عن آخرهم ، واتفقوا عبيد السلام قاضي الهندستان واتفقوا قاضي القضاة محمود ابن الشيخة ، وبطل كان حبيب فله أن أعاد أبا بكر كان عنده خلفه ورجع ، وكان عنده عشرة وسبعة رغبة ، فسقوه الناس الورز ، فزعموا أنه تمز على شخص من اللابيك المراكسة كان مختصا قى سكان قنقل الثانية عليه ، فحبسوا على ذلك الملوكة وقتلوا رأسه ، (٩١١ ب) فلما سافر قاضي القضاة محمود بن الشيخة إلى السلطان طومان باي بسبب الأمان الذى أرسله إليه ابن مئان ، فسافر أبو بكر صبية أخيه محمود إلى الهندستان ، فارتدت الأراك على جماعة ابن مئان وقلوبهم هناك ، فكان للملوكة الذى قُتل أخ هناك ، فتمز بعض الناس على أن بكر وقاتلوا له : هذا الذى تمز على أخيك حتى قتلوا رأسه ، فوثب ذلك الملوكة على أبي بكر وقلع رأسه هناك ٥١ فتمسب له أخوه محمود ، فقلع رأس الآخر وقتلها هناك ، وهذا ما أشيع واستفاض بين الناس عن أمرها .

ولا تنصر ابن مئان على صسكر مصر ، وأقام في بر الجزيرة ألبانيا ، وسرّ هناك

(٩) الذين : الذى . (١٠) أخ : أبا .

ربيع الأول سنة ٩٢٣

- وتفرج على الأعمام وتحتج من ثيابها . - ولا كثر الاضطراب بالفاهرة حيث الناس أبرابها السكيار ويطرفها نحوًا صغارا ، لا يدخل منها فرس ولا راكب - سوق يوم الأربعاء - سابع عشرة نادوا في الفاهرة بإبطال الفوس الشق ، وشرىوا الناس قوسا جندا كل اثنين بدرهم ونصف ، وعلهم اسم سليم شاه ، فكانوا في غاية الخفة ، فتصرروا الناس منها إلى الناية .
- ٦ وفي أثناء هذا الشهر كانت ولتمساحينا الفامري عدي بن الأشقر شيخ الشيوخ بمناخة مري الفوس ، وكان أسبلا عريفا من ذوى البهوت ، وكان والده الفاضل محب الدين ابن الأشقر ، وفي نظارة الجيش وكفاية السر بالديار المصرية ، وكان من أعيان الرؤساء رحمة الله عليه ، فأتى من العمر فوق الثمانين سنة ، وكان عنده ابن بجانب مع تواسع زائد ، وكان أمر الفوس جدا لأن أمه كانت جارية حبشية مستولدة ابن الأشقر . ومن هنا ترجع إلى أخبار السلطان طومان باي ، فإنه لما تلاقى مع عسكر ابن عثمان على المناوات ، وقيل بوزدان ، فانتكسر عسكر السلطان طومان باي كما تقدم القول على ذلك ، فلما انتكسر توجه إلى نحو تروجة بالقرب غلاله حسن بن مري وابن أخيه سُكُر مشايخ البجيرة في حامية تسمى البوطة ، فزم حسن بن مري وعسكر على السلطان طومان باي هناك ، وكان حسن بن مري بينه وبين السلطان طومان باي صداقة قديمة فآزره له طومان باي وتزل عنده على سبيل الضيافة ، ثم إن السلطان طومان باي أفسر إلى (٩٢ آ) حسن بن مري وابن أخيه سُكُر مصحفا شريفا ومثقفها عليه أنهما لا يخرقانه وينقدانه ولا يدسسان عليه شيء من أسباب المسك ، فلقا له على الصحف سبعة أيمان يمسى ذلك ، فطالب حينئذ قلب السلطان طومان باي عند ذلك وتزل عنده ، فلما استقرّ عنده اضططت به العربان من كل

(٩٠-٩١) ر٢ كثر ... ولا راكب : كتبها المؤلف في الأصل على الماشي .

(٩٢) نحوًا صغارا : نحو صغار . (٩٣) الرؤساء : الرؤسا . (٩٤) تلاقى : تلاقى .

(٩٥) لا يخرقانه وينقدانه ولا يدسسان : لا يخرقونه وينقدونه ولا يدسسون .

(٩٦) حياطة : حياطة .

جانب ، وأرسل أهل السلطان سليم شاه بذلك ، فأرسل إليه جماعة من مسكركه فقبضوا عليه ووضوه في الحديد وتوجهوا به إلى ابن عثمان . فلما رأى من كان مع السلطان طومان باي من الأمرء والسكر أنهم قبضوا عليه تحركوا من حوله وتشتتوا في البلاد ، وقتت الحيلة على السلطان طومان باي ، وعنه حسن بن مرسى بعد أن حلف له على الصلح الشريف وأركن إليه ، وكان حسن بن مرسى من أبرز أصحاب طومان باي ، وله عليه لاية الفضل والساعات من أيام السلطان التتاري ، وأقام معه بما عليه من المال ، ثم يذكر له شيئا من ذلك ولا أكرهه الخبر ، فكان كما يقال في العبيد : لا تركن إلى الظريف فإِنَّهُ مستوحش وهو آؤه خطفان يمشي مع الأجسام متى سديتها ومن السديق على السديق يخاف فلما أحضروا السلطان طومان باي بين يدي ابن عثمان كان عليه مثل ليس العرب المقلدة زوط وعليه شاش وملوطة بأكمام كبار ، فلما وقفت بين ابن عثمان عليه قام له ثم عتبه ببعض كلمات ، فلما خرج من قدومه توجهوا به إلى خيمة فأقام بها وأحاطوا به الأستكشافية بالسيوف لأجل الحفظ به ، فأقام هناك أياما وهو يرمق ابن عثمان يرمز إنيابة ، فلما وردت الأخبار إلى القاهرة بمسكة فصار طائفة من الناس تكذب بمسكة وطائفة تصدق بذلك . فأقام السلطان طومان باي في الرطاق عند ابن عثمان وهو في الحديد إلى يوم الاثنين تالي عشرين ربيع الأول من تلك السنة ، وكان ذلك اليوم يوم الخميس ، وهو يوم فطر التتاري وعيدم الأكبر ، فصدوا بالسلطان طومان باي من برّ إنيابة إلى يولاتي ، فظلموا به من هناك وهو راكب على إكديش وهو في الحديد ، وعليه ليس العرب المقلدة كما تقدم . (٩٢٤ هـ) وكان السلطان طومان باي لا يقبضوا عليه أقام في الرطاق عند ابن عثمان نحو سبعة عشر يوما وكان أشبه أن ابن عثمان يرسل طومان باي إلى مكة ولا يقتله ، ثم جدا له من بعد ذلك ما سنذكره . وفي مدة إقامة ابن عثمان في الرطاق فسكنت المشايبة بطرفون في المدينة تهاجم كله ، ومن بعد العصر يرجعون إلى الرطاق يأتون به .

(٩٢٤-٩٢٣) وفي سنة يأتون به : كتيبا للوفاء في الأصل على المثلث .

- ١٢ فلما بلغ ابن عمّان أن النساس لا تصدق بمسك طومان باي تحقق من ذلك
 وعذى به ، فلما طلع من بولاق شقّ من اللس وقدمه نحو أربعمائة متان ورداه
 بالقط ، فقطع من على سوق مرجوش وشقّ من القاهرة ، فحمل يستمر على النساس
 بطول الطريق حتى وصل إلى باب زويلة وهو لا يدرى ما يُنتج به . فلما دلّ إلى
 باب زويلة أزالوه من على الفرس وأرسلوه إلى الجبال ووقفت حوله النهاية بالسيف ،
 فلما تحقّق أنه يصدق وقف على أقدامه على باب زويلة ، وقال للنساس الذين حوله :
 اتروا في سورة الفاتحة ثلاث مرات . فبسط يده وقرأ سورة الفاتحة ثلاث مرات
 وقرأت الناس معه ، ثم قال للمشاهل : اعمل شفتك . فلما وضعوا الخيصة في رقبته
 ورتوا الحبل فانتطح به فسقط على حتبة باب زويلة ، وتسلل انتطح به الحبل مرتين
 وهو يقع إلى الأرض ، ثم شقوه وهو مكشوف الرأس ، وحمل جسده شاة جرح آخر ،
 وتوتها معلقة بيشاء يأكلهم كبار ، وفي رجليه لباس جرح أزدى .
- ١٣ فلما شقّ وظلمت رومته سرخت عليه الناس مبرحة عطية وأكثر عليه المظن
 والأسف ، فإنه كان شابا حسن الشكل سنة نحو أربع وأربعين سنة ، وكان شجاعا
 بطلا تصدى لقتال ابن عمّان ونجت وقت الحرب وحسده بنسبه ، وفلك في عسكر
 ابن عمّان وقتل منهم ما لا يحصى ، وكسرم ثلاث مرات في غر فلول من عسكره ،
 ووقع منه في الحرب أمور ما لا تنفع من الأبطال . وكان لا يسافر عمّه السلطان النورى
 جملة تلك النية بحسه إلى أن يحضر من حلب ، فداس الناس في نجية السلطان
 أحسن سياسة ، وكانت الناس منه راضية في مدة نجية السلطان ، وكانت القاهرة في
 تلك الأيام في نية الأمن من التماسر والمخرب وغير ذلك . فلما مات السلطان النورى
 عمّه والسلطان عرشه أبطل من النظام أشياء كثيرة ١٤ كان كسبل في أيام النورى ، ولم
 يتوش على أحد من الناس في مدة سلطته (٩١٣) ولا يتبل في أحد من الناس
 مرافعة ولا سائر أحدا من المباشرين في مدة سلطته ، ولما وصل ابن عمّان إلى الشام
 وقصد أن يخرج إليه فشك أن الغرائز غاية من الأموال ، فغابراه الأمرء وجماعة من

ربيع الأول سنة ٩٧٣

المشركين : أفضل كما فعل السلطان النوري وحسب آجرة أملاك القاهرة سببة أشهر ،
وحسب على الرزق والإفهامات خراج سنة . ثم يسمع لم شيئا وأين من ذلك ، وقال :
ما أجمل هنا أن يكون في صينى .

وكان ملكا حيا قبل الأذى كثير الخير ، وكانت مدة سلطته بالديار المصرية
ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما ، فإنه لسلطان رابع عشر شهر رمضان ، وانكسر
وعرب تابع مشربى ذى الحجة . وكان في هذه السنة في غلة القصب والسكر وقصب
شدها وعما وحروبا وشروبا ومجايبا في البلدان ، وآخر الأمر شق على باب
زوية ، وأقام ثلاثة أيام وهو ملتقى على الباب حتى جافت راحته ، وفي اليوم الثالث
أزرقه وأحضروا له تابوتا ووضعوه فيه ، وتوجهوا به إلى مدرسة السلطان النورى
معه ، فقتلوه وكذبوه وسفروا عليه هناك ، ودفعوه في الحوش الذى خلفه المدرسة ،
ومعت أسياره كأنه لم يكن ، وقد قلت من أبيات :

لمنى على سلطان مصر كرت قد وفى وزال كأنه لم يذكر
شكوه غلما فوق باب زوية والفسد أذاتوه الرمال الأكبر

يارباً قامت عن عظام جرمه واجلسل بختت النسيم له قرا
وكان شق السلطان طومان باى من نهسايات سعد سليم شاه بن عثمان ، ولم
يتضح أمره من بعد ذلك ، ولم يُسمع جمل هذه الواقعة قبا تقدم من الزمان أن سلطان

مصر شق على باب زوية قط ، ولا ثقت رأس سلطان على باب زوية قط ، ولم
يشهد جمل هذه الواقعة في زمن القديم ، ومن عهد شاه سوار لا كلبوه على باب زوية
لم يصدق عليه من له شهرة طائفة غير السلطان طومان باى .

ثم إن ابن عثمان لا شق السلطان سقا له الوقت وقبل بعد ذلك أمورا بأمر السلام
عليها . ثم أخذ في أسباب التوشة (٩٣ ب) إلى نحو بلاده إسطنبول ، فأخبر أنه

(٧) شدها وعما وحروبا وشروبا ومجايبا : شدها وعما وحروبا وشروبا ومجايبا .
(١٤) خلف : خلفوا .

(تاريخ ابن كثير ج ١ - ١٢٢)

V-الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها الدكتور عبد العزيز شنواي. وهذا الكتاب عبارة عن موسوعة في أربعة أجزاء أصدرتها مكتبة الانجلو المصرية وفيها تغني الدكتور شنواي بأسجاد الدولة العثمانية التي اجتاحت جيوشها الإسلامية أقاليم شاسعة في جنوب شرق أوروبا ووسطها وأحرزت باسم الإسلام انتصارات خاطفة وباهرة. وعلى الرغم من أن المؤلف ذكر في مقدمة كتابه أن دراسته عبارة عن دراسة علمية موضوعية محايدة، فالحقيقة إن دراسته كانت بعيدة عن الحياد خاصة وأن عنوان الكتاب نفسه يؤكد ذلك وعلى أي حال فقد شملت هذه الدراسة جوانب عديدة تطرقت إلى التاريخ الحديث والمعاصر في الشرق والغرب وإلى التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى، وإلى النظريات والنظم السياسية، وإلى القانون الدولي العام والعلاقات الدولية فضلاً عن قواعد الشريعة الإسلامية من حيث تعدد الزوجات واقتناء الجوازي وعمليات الخصاء وغيرها.

الفصل السابع والرابعون

عيوب الدولة العثمانية (هـ)

قضية الأرمن ومذابحهم (ب)

منذ بداية الحرب العالمية الأولى حتى الوقت الحاضر

التصراع بين العثمانيين والروس على أرمينية العثمانية ١٩١٤ - ١٩١٥ :
وضع وزير الخارجية تور باشا في اعتباره قيام مواجهة عسكرية بين
القوات العثمانية والروسية في شرق الأناضول حيث توجد الولايات الست
التي يسكنها الأرمن ، وذلك قبل نشوب الحرب العالمية الأولى التي دخلتها
الدولة العثمانية في ٥ من نوفمبر - تشرين ثان - سنة ١٩١٤ منضمّة إلى جانب
دولتي الوسط ، ألمانيا والإمبراطورية النمساوية المجرية ضد دول الوفاق الثلاثي
بريطانيا وفرنسا والروسيا . ولذلك أبدى تور باشا اهتماماً ملحوظاً بالجبهة
الشرقية في الأناضول . ومن ثم انصرف إلى دعم الجيش الثالث المتمركز في
ولاية أرضروم نظراً لمركزها الاستراتيجي الحام الذي يسيطر على الجزء الشرقي
من الأناضول . وكانت تغطي اختصاصات هذا الجيش مناطق شاسعة تمتد
من شمال شرقي الأناضول عند بحيرة فان حتى البحر الأسود . ووضع تور
باشا في اعتباره أيضاً احتمالاً قوياً جداً في أن ينضم فريق من الأرمن للعثمانيين
إلى القوات الروسية . بينما يقوم فريق آخر منهم بثورة داخلية على الحكم العثماني .
ولكن رأى تور باشا قبل أن ينضم الجيشان العثماني والروسي في الصدام
المتوقع الوثيقاً أن يبدل عاقبة النتيجة ليكسب تأييداً قوياً من الأرمن للدولة
العثمانية ، فقد اجتاعاً في أرضروم شهداء وعلماء أرمن لروثانياً وزعماء أرمن
الولايات الست في شرق الأناضول . ولكن لم يحقق هذا الاجتاع الآمال التي

كان يرتجىها أورد باشا ، فإن روسيا كانت قد وعدت الأرمن في حالة انضمامهم إليها بإنشاء دولة أرمنية ذات حكم ذاتي لا تشمل فقط مناطق القوقاز الواقعة تحت حكم الروس ولكن لتشمل أيضاً أجزاء غنية في شرق الأناضول ، كما وعدتهم بمساعدات عسكرية روسية تستهدف استكمال أراض الحرب الروسية العثمانية التي اشعلت في سني ١٨٧٦ و ١٨٧٧ ، وهي التي كانت ترمي إلى طرد المسلمين من رعايا الدولة العثمانية والذين لا يزالون يشكلون الغالبية من سكان هذه الأقاليم . وقد حاول الزعماء الأرمن في الاجتماع لتفصيل أورد باشا فأبلغوه أن رغبتهم من الزمام الجديدة في أثناء الحرب المرفقة . ولكن كان واضحاً لأورد باشا أن مواطني زعماء الأرمن كانت متجنبة نحو روسيا .

علق أمال الأرمن بالروسيا :

والواقع أن عدداً كبيراً من زعماء الأرمن البارزين من رعايا الدولة العثمانية ، وفيهم عضو سابق في مجلس المبعوثان العثماني ، قد تسلموا إلى القوقاز لتتبع كعادون الأرمن مع السلطات العسكرية الروسية ، وأبلغوها أنهم سيبدلون نصارى جهدهم لإحباط كل ضغط عدواني عثماني . وشال أورد باشا مقتنعاً برأيه أن في مكنة القوات العثمانية التصدي ضدنا القاطن الروس الأرمن الضخمين . وفضي في إجراءاته القيام بهجوم عام في شتاء سنة ١٩١٤-١٩١٥ . وفي ذات الوقت ذهب القيصر الروسي ليقول الأناي إلى القوقاز ليضع بمشاوره الأرمن المخطط الخزنية لضرب العثمانيين . وكان في صحبة القيصر رئيس المكتب القوي الأرمني في تفليس . واتفق الأرمن من ولايات شرق الأناضول لينخرطوا في صفوف الجيش الروسي ، ولتسهموا بجهدهم ولينزلوا أرواحهم رخيصة في سبيل نصرة القوات الروسية حتى يرفرف العلم الروسي خفاقاً حالياً فوق اليمسور والوردنكية ، وجاء في أحوال زعماء الأرمن ، دع ، يا صاحب الجلالة القيصر ، الشعوب الأثيقية تحت نير الحكم العثماني لتسترد حريتها ، ودع الشعب الأرمني المتنازع للدولة العثمانية والذي عاش متمسكاً بالعقيدة المسيحية يبحث من جديد ويعيش حياة جديدة حرة تحت حماية روسيا (١) .

(١) Hovhanniss Richard ; Armenia on the Road to Independence. (١)
Berkeley and Los Angeles, 1967, p. 45.
(ج ١ - ١٠٢ - الدولة العثمانية)

وعاد القيص إلى سان بطرسبرج مزهواً معتظاً أنه قد أن الأوان لكن يدخل على رأس قواته المنقرضة إلى إستاتبول ويضيق على الدولة العثمانية القضاء المبرم.

النظام العثماني من الأرمن :

... بدأ الروس عدوانهم باجتياز الحدود العثمانية في شرق الأناضول في مسبق شهر نوفمبر - تشرين ثان - سنة ١٩١٤ ، وكان الجيش الروسي يقم في سفوفه قوة من المتطوعين الأرمن من إقليم القوقاز وقوة أخرى من الأرمن العثمانيين الذين كانوا قد نجحوا في التسلل عبر الحدود إلى الأراضي الروسية وبذلك تحقق الشطر الأول من تقييدات أنور باشا ، واستطاع العثمانيون بعد بضعة أيام وقف الهجوم الروسي ورد القوات الروسية إلى الخلف . وفي ٢١ من ديسمبر - كانون أول - تولى أنور باشا قيادة الجيش الثالث في هجوم مضاد مستهدفاً قطع خطوط مواصلات العدو بين القوقاز وقاعدة الروس الرئيسية في قارص واستلاماً مع أردهان وباطوم كخطوة أولى لغزو عماني يستهدف منطقة القوقاز . ولكنه حتى بزجة فادحة عند ساريكاسس(١) Sarikams وهي مدينة تقع على مفرق الطريق الرئيسي بين قارص والقوقاز في يناير - كانون ثان - سنة ١٩١٥ ، وفقد أكثر من ثلاثة أرباع قواته سواء في الحركة أو في تفهقر هذه القوات ، وهبطت الروح المعنوية للعثمانيين في الجبهة الروسية وثالت الفرقة من صميم العسكرية ، وكانت نتيجة هذه الكارثة العسكرية أن ترك أنور باشا في منتصف شهر يناير - كانون أول - سنة ١٩١٥ قيادة القوات المتبقية من الجيش الثالث إلى قائد آخر وعاد إلى القيادة العامة للقوات المسلحة في إستاتبول ، وكلف بعد هذه الكارثة عن قيادة تشكيلات مقاتلة في ميادين الحرب في أثناء الحرب العالمية الأولى . وبعد الفرقة العثمانية الساسقة في ساريكاسس افتتح الطريق أمام الروس لقيام هجوم أكبر على شرق الأناضول . وزاد من حرج مركز العثمانيين أن هذا الهجوم الروسي الجديد المضاد قد صاحبه ثورة داخلية عارمة قام بها الأرمن في ولايات الأناضول ضد السلطات العثمانية . وبذلك تحقق الشطر الثاني من تقييدات أنور باشا . ولكن الشرا الأارمن في الجيش الروسي

(١) يطلق على هذا الاسم القلعة التي أسسها تيمور ، وهو يقع في جبال أرمينية .

تراجعت على شرق الأناضول والدلاع الثورة الأرمينية في الولايات الست
قد عادوا بمواقب وعجبة على الأرمين ، إذ أقب هناك الخاضعان لشور
العثمانيين المسلمين .

من أسباب انتصار الروس على العثمانيين في شرق الأناضول سنة ١٩١٥ :
وكان من أسباب انتصار الروس في حرب سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥ الرابعة
التي أظهرها تهمس روسيا بقولا الذي في تنظيم صفوف قواته ، فقد أصدر
لوازمه بإخلاء مناطق الحدود الروسية العثمانية من الأرمين . وبذلك تفرقت
لقادة الروس حرية الحركة والاتفاف حول العثمانيين في أثناء سير المعارك .
وعاد الأرمين عن طيب خاطر أماكن تجمعهم بمعلوم الأمل في أن انتصار
الروس لا يساعدهم فقط على العودة سريعاً إلى ديارهم والاستقرار فيها
بأطمئنان ، ولكن ليحتلوا أيضاً المناطق العثمانية التي يستقرون فيها والواقعة
على الحدود وداخلها .

الترحيل الإجباري للأرمين في شرق الأناضول إلى العراق :

استعد أنور باشا للهجوم الروسي الجديد . وأعلن الزعماء الأرمين صراحة
أنهم يتفوقون إلى جانب الروس ، وأنهم لن يتخلوا قيد أنملة عن هذا المبدأ .
ولم يكن في استطاعة أنور البشير بين الأرمين الذين سوف ينضمون إلى القوات
الروسية استجابة لرغبة زعمائهم والأرمين الذين يظنون على ولائهم للدولة
العثمانية . ولذلك فقد أنور إيجراداً وفاقياً لطلبه الضرورية الحربية تأمين سلامة
القوات العثمانية وهي تخوض حرباً شرسة ضد قوات الغزو الروسي لمناطق
شرق الأناضول خشية أن يعمد الأرمين ، وقد أعلنت جباراً جموع غفيرة
منهم لمعاقبتهم مع روسيا ، إلى ضرب القوات العثمانية من الخلف ، فتعرض
لحرب إبادة من القوات الروسية من الأمام وإلى مذابح أرمينية من الخلف .
ولذلك صدرت الأوامر في منتصف شهر مايو - آيار - سنة ١٩١٥ بإخلاء
ولايات فان ، ونيقيس ، وأرضروم من سكانها الأرمين ترحيلاً لأحي عمليات
تخريرية قد يقومون بها في مؤخرة القوات العثمانية بهدف تدمير مادها وتعاثرها
وموتها ، على أن يتم ترحيل هؤلاء الأرمين إلى منطقة الرصيف في شبال العراق

حيث أعدت لهم معسكرات يقبضون فيها بصفة موحدة حتى أُنقذ الحرب أوزارها. وبالإضافة إلى ذلك تقرر ترحيل الأرمن القاطنين في المناطق الأريزية، وليس في المدن، في منطقة كيليكا في جنوب شرقي الأناضول وكذلك الأرمن شمال سورية إلى المناطق الوسطى في سورية لنفس السبب. وصدرت أوامر لقوات النجاشية في جميع هذه المناطق بسطد خيليتها على الأرمن من هجرات البدو والأكراد وغيرهم من المسلمين حتى لا يصلحوا إلى الانضمام من الأرمن لأعمالهم الإرهابية التي سبق أن ارتكبوها ضد المسلمين. وتضمنت هذه التعليمات أيضاً تزويد الأرمن بكيات كافية من الأطعمة والسلع الأخرى لمواجهة مطالباتهم سواء في أثناء ترحيلهم أو بعد استقرارهم في مهاجرهم الجديدة. وصدر قانون بتشكيل لجنة خاصة تقوم بتسجيل أمتعة وممتلكات الأرمن المرحلين وبيعها في مزاد علني بأسعار معتدلة ورصد حصبة هذه المبيعات في حساب خاص. وعلى المسلمين الذين يريدون شغل المساكن والمخيمات التجارية التي هجرها أصحابها الأرمن أن يستقدموها كسأير فقط، وأن تخلوا هذه الأماكن بمجرد عودة أصحابها الأصليين، وأن يقوم الجيش بحراسة وحماية الأرمن المرحلين (١).

مناقشة مسألة ترحيل الأرمن سنة ١٩١٥ :

وجد المؤرخون والباحثون المتعاملون على الدولة النجاشية في حركة ترحيل الأرمن من شرقي الأناضول إلى العراق فرصة ذهبية لغتس الخلق وتشويه سمعة النجاشيين، فوصفوها بأنها كانت مقفلة حاجية أو مدعة للأرمن قام بها النجاشيون، وقرروا أن أكثر من مليون أرمني قد أُرقت أرواحهم بغير ذنب إلا أنهم مسيحيون. ذكر ميلر أن السلطات النجاشية قد أعادت في سنة ١٩١٥ تنظيم ملاح للارمن على قرار اللغابح التي أحدثت من قبل بعشرت عاداً (٢) في سنة ١٨٩٥، والتي عزت الضمير الأوروبي مؤزاً عتقاً. ومعنى هذا المؤرخ المتعامل على الدولة النجاشية يقول إن السفير الأمريكي في إسطنبول قد

(١) Stanford J. Shaw and Erol Kurd Shaw ; op. cit., vol. 2, p. 315.

وصفت منظمة الأرمن سنة ١٩١٥ بأنها مذبحة شعباً (١). ونشرت الحكومة البريطانية سجلاً نسخاً لهذه المذابح (٢)، وجاء فيه أنه في أثناء عمليات الترحيل سنة ١٩١٥ لقي ثلث الأرمن العثمانيين مصرعهم ، أي حوالي ٦٠٠.٠٠٠ أرمن ، وثلث الثاني عاش بعد الترحيل ، وثلث الأخير استطاع الهرب سواء في أثناء عمليات الترحيل أو من المعسكرات التي أقيمت لهم في منطقة الموصل (٣). وهذه الأقوال من قبيل المبالغة والتحايل على حقيقة المذبحة ، لأن حوادث الموت ، ولا نقول حوادث القتل أو النهب ، إنما وقعت في أثناء عمليات ترحيل الأرمن وهم يجاوزون سلسلة الجبال الجنوبية في حقبة الأناضول الوعر قادمين في طريقهم إلى منطقة الموصل (٤). وتناهى هؤلاء المفرضون أن ترحيل الأرمن كان ضرورة حربية لضمان سلامة القوات العثمانية وهي تتفوض معركة عسكرية ضد روسيا على مقربة من مناطق تجمعات الأرمن بل وفي هذه المناطق . وتعاظفوا عن الأوامر التي أصدرها العثمانيون بتوفير الرعاية الكاملة للأرمن المرحلين . وتناهوا أن الروس كانوا أسبق من العثمانيين في إخلاء ساحات الحرب والمناطق القريبة منها في روسيا من الأرمن . ثم يكن أتوم باشا هو أول من استن هذا الأسلوب الرهي . وقد أصبحت هذه المقتلة المزعومة حقيقة لا تقبل نقاشاً في أذهان الكثيرين عن وحشية العثمانيين وتختلف الإسلام عن المسيحية . وهذا هذا الزعم بمذبحة المذابح في سنة ١٩١٥ يروى للأجيال لمساعدة من الأرمن ، جيلاً بعد جيل ، حتى غدا الإرهابيون الأرمن ينظفون المظاهرات الصناعية ويرتكبون جرائم الاغتيالات السياسية كل عام في تاريخ وقوع المذابح المزعومة حتى نظل ذكراً ما حية في وجدان شبابهم وحتى يدعوا الخلق والمجدة في للزعم ضد أركان الجمهورية التركية باعتبارهم دولة وسلالة العثمانيين .

Miller W. ; op. cit., p. 538. (١)
 His Majesty's Britannic Government, Parliamentary Papers ; The Treatment of Armenians in the Ottoman Empire 1915-1916. London, 1916. (٢)
 Loc. cit. (٣)
 Kreger K., op. cit., p. 129. (٤)

... وقد تصدى أحد المؤرخين الأمريكيين وزوجته Stanford J. Shaw and Erel Koral Shaw لتفنيد ادعاءات الأرمن ومن القى تهمهم من مؤرخين وباحثين ، واستنفا مادتها العلمية من الوثائق المحفوظة في دار المحفوظات التاريخية في إسطنبول . وكنت حريصاً في أثناء زيارتي المذكورة لهذه الدار على الاطلاع على الوثائق التي أشاروا إليها ، فبين لي أن كلامها كان أميناً في عرض المادة العلمية ، وكان كل منها يمثل المؤرخ الموضوعي المقاب . فلا إن الزعم بأن أكثر من مليون أرمني قد قتلوا في حركة الترحيل سنة ١٩١٥ قد بين على أساس أن عدد السكان الأرمن قبل الحرب العالمية الأولى كان يصل إلى مليونين ونصف مليون . ولكن أثبتت الإحصائيات المثبتة الرسمية أن تعداد الأرمن في الدولة العثمانية بلغ قبل الحرب مليوناً والأشغال كلها ، وأن نصف هذا العدد كان يتم في المناطق التي تأثرت بالحرب . ولكن إذا وضع في الاعتبار أن عدد الأرمن من سكان المدن والذين صبح لهم البقاء فيها ، لم يزد عدد الأرمن المرحلين عن ٤٠٠,٠٠٠ نسمة كان من بينهم عدد من الإرهابيين والثوار من جميع من المدن التي فرض عليها الحصار عند بداية الحرب . وبالإضافة إلى ذلك كان قد حرب تامة ما يقرب من نصف مليون أرمني إلى العراق وإلى دول أخرى في أثناء المدة الشقية من الحرب، وأثبتت الإحصائيات أيضاً أن حوالي ١٠٠,٠٠٠ أرمني قتلوا وعاشوا في الدولة العثمانية بعد الحرب، وأن نحو ثمانين ألفاً من الأرمن يتراوح عددهم بين ١٥٠,٠٠٠ و ٢٠٠,٠٠٠ قد هاجروا إلى دول أوروبا الغربية وإلى الولايات المتحدة الأمريكية، فكانوا المصلحة النهائية هي أن ما تبقى ألف أرمني قد ماتوا نتيجة عدة عوامل منها انتشار الأوبئة والمخاضات والعمليات الخيرية التي دارت رحاها بين القوات العثمانية والروسية في أثناء بدء ترحيل الأرمن إلى العراق ، وهي نفس الظروف والعوامل التي مات بسببها وخلفاء مليونان من المسلمين في نفس الوقت . وقد أثبت المحققون الدقيقون مسجلات السرية الخاصة بالوزارة العثمانية في ذلك الوقت أنه لم يصدور أحد من رجال الاتحاد والترقي أو أي مسئول آخر في الحكومة المركزية في إسطنبول أوامر بقتل الأرمن ، بل على العكس كانت تصدر الأوامر إلى القوات الإقليمية بجمع الغارات ومنع الاضطرابات التي تؤدي إلى هلاك الأرواح (١).

Stanford J. Shaw and Erel Koral Shaw; op. cit, vol. 2 p. 316. (١)

وفي شهر أبريل - نيسان - سنة ١٩١٥ ، قبل صدور الأوامر العثمانية بترحيل الأرمن إلى العراق ، قام فريق من جماعة داشناكس Dashnaks الإرهابية ، من بين الأرمن الروسيا ، بإشعال ثورة في مدينة فان . وكان عدد سكانها الأرمن يبلغ ٣٣,٧٨٩ نسمة ويشكلون نسبة مئوية قدرها ٤٢,٣ من مجموع سكانها ، وهذه النسبة كانت تشكل أكبر كتلة سكانية أرمنية في أي مدينة في الدولة العثمانية .

وقد حاول الزعماء الأرمن المقلدون أن يكسروا جناح مرابطينهم في شرق الأناضول ويترضوا عليهم فيوداً لأهم كانوا . يملسون مقبة الشياكهم مع الأغلبية الإسلامية ، وأهم قد يتعرضون لصرع حربي مدبر وطويل المدى إذا اشتركوا مع المسلمين . ولكنهم غلبوا على أمرهم نتيجة تسلل القوز الأرمن من الشمال وعملاء الروسيا من القوقاز ، وقد مددوهم بالمساعدات العسكرية الروسية إذا أظهروا ولائهم للقيصر الروسيا بإسماهم في طرد المسلمين من شرق الأناضول .

تعلق أحد خبراء الشرق الأوسط على مذابح الأرمن سنة ١٩١٥ :

يعلق كروجر أستاذ خبراء شؤون الشرق الأوسط تعليلاً سياسياً على مذابح الأرمن في أعقاب الصدام المسلح بين القوات الروسية الأرمنية وبين القوات العثمانية في سنتي ١٩١٤ ، ١٩١٥ بقوله إنه لم يكن في مقدور أحد من الأصدقاء الخلفيين للدولة العثمانية تبرير تطرفها في مسألة الأرمن . ولكن يجب الاعتراض بأن الدولة العثمانية في صراعها من أجل الإبقاء على وجودها القومي على كل جبهة من جهات القتال في الحرب العالمية الأولى كان العثمانيون يتصرفون بالقلق والسخط ، ومن ثم كانت تفسيراتهم بأرواح الأرمن إحدى النتائج المؤرقة وغير المباشرة للاستعمار الروسي . وكان يجب أن تكون مأساة الأرمن في المرحلة الأولى للحرب العالمية تحذيراً كتابياً لقادة الأرمن في روسيا وأوروبا الغربية وفي الولايات المتحدة الأمريكية ، وأن تكون هذه المأساة مدعاة لتكبح جاحهم في امتناق الفكرة المبالغ فيها والخاصة باسترداد الحقوق التاريخية للشعب الأرمني . ولكن سوء حظ هذا الجنس النحس أن قاده لم يستوعبوا

هذه الخطة . ومن الدروس المستفادة من مذابح الأرمن أنه وقت التوقيع على معاهدة سيفر في ١٠ من أغسطس - آب - سنة ١٩٢٠ لم تكن روسيا قد منيت بالفزعة فحسب ، بل انسحبت انسحاباً كلياً من الولايات العثمانية التي كانت تحتلها ومن إقليم القوقاز . وليس هناك من عذر للأرمن في أن روسيا هي التي أوجرت إليهم باعثاق ادعائهم القومية (١) .

بيع المسلمين في فان وإثشاء دولة أرمنية فيها :

بدأ الجيش الروسي في القوقاز شن هجوم على ولاية فان - إحدى الولايات الست في شرق الأناضول - وكانت بين صفوف الجيش قوات كبيرة من الأرمن المتطوعين وقد جمعوا من اللاجئين في الأناضول ومن المقيمين المحليين في القوقاز . وقد تحركت القوات الروسية الأرمنية المهاجمة من ولاية إيرطان في ٢٨ من أبريل - نيسان - سنة ١٩١٥ متجهة إلى فان . ولدى وصولها إليها في ١٤ من مايو - آيار - سنة ١٩١٥ نظمت وفتحت عمليات مذابح قام بها الأرمن المسلمون خلال اليمين المتطاولين قبل أن ترد الحامية العثمانية إلى الجانب الجنوبي من بحيرة فان . وأقام الروس دولة أرمنية في ولاية فان تحت حماية روسيا . ويات واضحاً أنه ، بعد إعلان قيام الدولة الأرمنية الجديدة ، وبعد انخراط الأهل المسلمين في المنطقة والتيين ذهبوا أو نجوا من المذابح بهروبهم من المنطقة ، من الممكن أن تضم الدولة الأرمنية الجديدة دعائمها وأجهزتها الحكومية في أحد مراكز الحضارة الأرمنية القديمة ، ونظمت قوة عسكرية أرمنية ، لفرد القمّاتيين من كل السلسل الجبلي لبحيرة فان تمهيداً لغزو روسي لولاية بتليس متفق عليه من قبل (٢) . وتدفق على الدولة الأرمنية الجديدة الآلاف من الأرمن جاءوا من موش ومن مراكز الشرق توجد فيها مجتمعات أرمنية ، كما تسال إلى هذه الدولة عدد كبير من الأرمن المرحّلين وهم في طريقهم إلى العراق استطاعوا التخلص عن طوابير الرحيل وحس في سيرتها . وفي منتصف شهر يوليو - تموز -

Kruger K., op. cit., pp. 129-130.

(١)

Hovhannian Richard ; op. cit., p. 56.

(٢)

سنة ١٩١٥ كان هناك ما يقرب من ٢٥٠,٠٠٠ أرضي ازدحمت بهم منطقة فان التي لم تكن تلوي وتعلم أكثر من ٥٠,٠٠٠ نسمة من المسلمين وغير المسلمين.

ومع ذلك استطاعت العزيمات العسكرية العُربة التي أرسلت في ذات الشهر رد الجيش الروسي الأرميني على أعتابه . وكانت القوات العثمانية تنضم في صفوفها أعداداً وفيرة من الأرمن الذين عثر أن يوقع بهم العثمانيون أقصى العقوبات عن حوادث القتل التي ارتكبوها . وهي المذابح التي جنت من الممكن قيام دولة أرمنية جديدة ولكنها لم تدر "نقداً طويلاً" إذ سرعان ما تضررت أعمال الأرمن وأروس وذهبت أرباح بعد الهجوم الذي قامت به القوات العثمانية بقيادة جيودت بك الذي استطاع تحرير فان من الروس والأرمن وأجهزت القوة الأرمنية الجديدة ، وولت القوات الروسية الأتليار وعرب في أرها مائة ألف لاجيء . وقد نصب مرلاو وأولئك في ارتدادهم الأكراد الذين كانوا يخرجون من عنايتهم وبيافنون المرتدين بغارات عنيفة فتركوا مناهجهم وهم يهربون طلباً لشفاء من الأكراد ، والجهود نحو الترقاق حيث استلقوا فيها (١) ، وكان معهم نحو أربعين ألف أرمني مات معظمهم في أثناء هروبهم . وكان اللاجئون الذين ذكر عنهم يشمل بطبيعة الحال جميع الأرمن من سكان الولايات الأرمنية في شرق الأناضول الذين لم يتعرضوا لعمليات الترحيل التي قامت بها السلطات العثمانية . وقد ماتوا في أثناء مراقبتهم للجيش الروسي الذي تقى الذئبة وتراجع إلى القوقاز . ولم يكن موتهم نتيجة جيودت قام بها العثمانيون كتبتهم (٢).

الروس يطهرون غزو شرق الأناضول :

قامت السياسة الروسية على إهلاك القوات العثمانية حتى لا تلحق لها فرصة للاسترجاع العسكري في جبهة الأناضول . والعثمانيون من ناحية أخرى خصوم عازبون لشدها يذكون تماماً المطامع الروسية في بلادهم ولا يترددون في

Loc. cit.

(١)

Loc. cit., pp.53-58

(٢)

التي لا فرصة لإخلاق هزائم بالروسيا كلها وجدوا إليها سبيلا . وفي أقصى حدود الدولة العثمانية في الأناضول توجد ولايات ست أصبحت بحكم موقعها الجغرافي المسرح الأول لعمليات الحربية بين الدولتين المتصارعتين ، ويستوطن الأرمن هذه الولايات ، وهم وإن كانوا لا يشكلون أغلبية سكانية فيها ، كانوا يرمون إنشاء دولة مستقلة لهم فيها أو دولة ذات حكم ذاتي . واستحال عليهم تحقيق أمنيتهم القومية بسبب تمسك الدولة العثمانية بمبدأ تمسك أقاليمها . واستأهل الروس إليهم الأرمن المقيمين في الروسية ، بدلوا لم الوعود بمساعدتهم على تحقيق مطلبهم إذا انفسوا إلى القوات الروسية في زحفها على الأناضول . واتسم موقف الأرمن بالتهذيب في الولاء للدولة العثمانية حيناً وللروسيا أسياً . وقد تبادلت هاتان الدولتان المعركة والانتصار في حرب الأناضول في سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥ على النحو الذي مر بنا . ولا أنطق الروس في تحقيق انتصار حاسم في سنة ١٩١٥ أصروا على مطاردة غزو شرق الأناضول تعويضاً لهم عن خسائرهم القاسية في الجبهة الأوروبية (١) وقضوا بقية عام ١٩١٥ يستكملون استعداداتهم ويستخرجون الأرمن القروى حريباً إلى جانبهم مصورين أنفسهم بأنهم دعاة الحرية وعفقو آمال الأرمن في الاستقلال . وقد بدأ الغزو الروسي لشرق الأناضول في فبراير - شباط - سنة ١٩١٦ .

احتلال الروس شرق الأناضول في سنتي ١٩١٦ ، ١٩١٧ :

على الرغم من انتصار العثمانيين على البريطانيين في واقع الخصار عن كوت أو كوت الأمانة كما كانت تسمى وقتئذ (٢) ، وهي تقع على نهر دجلة جنوبي بغداد ، في ٢٩ من أبريل - نيسان - سنة ١٩١٦ . لم يكن في مقدورهم في ذلك الوقت شرب الثورة العربية التي قادها شريف مكة المكرمة وأميرها الحسين بن علي في ٥ من يونيو - حزيران - عام ١٩١٦ ، لأن القوات الروسية قامت بحملة مزدوجة صوب الولايات الست في شرق الأناضول منذ مطلع

(١) انظر في هذه الفترة ج ١ ، ص ٢٢٧ .
(٢) يرد ذكرها في بعض التراجم كوت الملهة .

سنة ١٩١٦ . انجبت القوة الأولى جنوباً حول بحيرة فان وفي اتجاه موطن ، بينما انجبت القوة الثانية شمالاً وتقدمت مباشرة من فارص نحو أرضروم التي استولت عليها في ١٦ من فبراير - شباط - سنة ١٩١٦ . وقد تبع هذا الهجوم المزدوج أسوأ فاجعة ومذبحة كبرى في الحرب . إذ اضطرت أكثر من مليون مسلم من القلاحين ورجال القبائل إلى الهرب من أطلال الطريق أمام آلاف آخرين في عائلاتهم اللحاق بالجيش العثماني في تلهتره نحو إرزنكان Erznkan وقد عهد أتور باشا وزير الحربية إلى أحمد عزت باشا ، وهو وزير حربية سابق ، بتنظيم قوة تقوم بهجوم مضاد على القوات الروسية . فاستعان الأخير بالجنود العثمانيين الذين تصادفت عودتهم في تلك الوقت بعد انتصارهم في معركة غاليبولي (١) . ولكن أفاق جهوده لاسترد أرضروم نقص السفن والمواد القوية . وكان كثير من القلاحين الأتراك قد تعرضوا لعمليات البيع من جانب القوات الروسية أو الأرمن المنضمين إليها أو من الأرمن المحليين ، بينما هرب بعضهم الآخر من وجه القوات الروسية الهاجمة . واستمر الروس في تقدمهم واكتسحوا طرايزون في ١٨ من أبريل - نيسان - سنة ١٩١٦ واستولوا على إرزنكان في أواخر يوليو - تموز - ، وغطوا الطريق بين بينفاس (سيواس) وأرضروم قبل أن يحل عليهم فصل الشتاء حيث تكاثرت الثلوج وتعطلت العمليات الحربية المماثلة .

أما في الجنوب فقد كان العثمانيون أوفر حظاً ، إذ استطاعوا أن يثأروا من القوات الروسية مثلاً عظيماً حول بحيرة فان على الرغم من أنهم تكبدوا خسائر فادحة في الأرواح والعتاد . وأنتفى الروس شتاء ١٩١٦ - ١٩١٧ يستعدون لهجوم عام مضاد في اتجاه خابريوت وسيواس وعلى الساحل الجنوبي للبحر الأسود ، واستأنفوا هجومهم على القوات العثمانية بحلول فصل الربيع سنة ١٩١٧ ، واستمرت الحرب سجالاً بين القوات المتحاربة . ولكن لم يستطع العثمانيون طرد الروس من شرق الأناضول ، واستقرت دعائم الاحتلال الروسي

(١) انظر في هذا الشأن ج ١ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) Stanford J. Shaw and Ezel Kural Shaw vol. 2, pp. 332-323

قده المطلقة . ولم يشمر هذا الاحتلال إلا شهوراً ذات حدد ، فسرعان ما انسحبت القوات الروسية من هذه المناطق بسبب قيام الثورة البولشيفية في عام ١٩١٧ كما ستوضح بعد حين .

موقف الأرمن من الغزو الروسي لشرق الأناضول ١٩١٦ - ١٩١٧ :

ليجئ الأرمن سواء من كانوا في الأناضول أو روسيا أو في مهاجرهم بالغزو الروسي لشرق الأناضول ، ونظمووا جمعيات تتولى تهريب كتاب أرمنية وإرسالها إلى الجبهة حيث انضمت إلى القوات الروسية الرابطة ابتداء الإسماعيل في طرد العثمانيين من شرق الأناضول وإنشاء دولة أرمنية مستقلة أو على أقل تقدير بقرار ما نظام الحكم الذاتي . ويلاحظ أنه كانت في القوات الروسية أيضاً كتاب أرمنية تنضم أرمن روسيا وكان أفرادها ضباطاً وجنوداً وإثاريين عندما بكل إنحلاص وتحمس بل وشراسة معاً القضية المشتركة أطلاق أن يكون الغزو الروسي للولايات الست في شرق الأناضول سبباً في تحريرها من الحكم العثماني . ولئن كانت الحكومة الروسية قد شعرت بارتياح لانضمام الكتاب الأرمنية على اختلاف جنسياتها إلى القوات الروسية إلا أنها كانت تشعر بقلق لاحتلال تكوين الدولة الأرمنية المبتدئة في شرق الأناضول . وكان يترى الحكومة العثمانية نفس القلق وهي تواجه احتماليين كلاهما شر : الغزو الروسي أو قيام الدولة الأرمنية .

وتمشيا مع الاحتمالات الجديدة الناجمة عن موقف الأرمن الإيجابي في الحرب الروسية العثمانية سلكى ١٩١٦ - ١٩١٧ ، لم يذكر شيئاً من أى التزام من جانب الحكومة الروسية بمنح الأرمن سكاناً ذاتياً أو استقلالاً تاماً في المقاطعات السرية التي جرت بين روسيا وكل من بريطانيا وفرنسا بشأن تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية في آسيا، وهو التقسيم الذي كان مقرراً تنقيح عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى . وقيامات الحكومات البريطانية والفرنسية والروسية مذكرات سياسية مؤرخة في ١٣ و ٢٦ من أبريل - نيسان - سنة ١٩١٦ و ١٠ و ٢٣ من مايو - آيار - عام ١٩١٦ و ٢٣ من أكتوبر

— تشرين أول — سنة ١٩١٦ وعرفت هذه الاتفاقية باسم اتفاق سايكس بيكو Sykes Plot Agreement وقد نظرت روسيا بنفسها ما يوجد بالحصول على إستانبول مع بضعة أميال في الشمال على جاني البوسفور وشرعية ضخمة تضم أربع ولايات كامة تجاور الحدود بين الدولة العثمانية وروسيا ، وهي أرزروم ، وطرابزون ، وفلان ، ونيكس ، فنلان من بعض الأقاليم الواقعة بين البحر الأسود وإقليم الموصل — الراميا — وستتكل من هذا الاتفاق بشئ من التفصيل عند عرضنا لحكم العقدة الثلاثة في موطن قادم في هذه الدراسة .

تتق الرأى العام العثماني الإسلامي وزيارة إمبراطور ألمانيا لإستانبول لرفع الروح المعنوية :

وفي أثناء النزور الروسي لولايات العثمانية في شرق الأناضول ، والتي تشكل أرمينية العثمانية ، حدثت مباحثات داخلية كانت لها آثارها السيئة في الدوائر الرسمية في الباب العالي وفي الرأى العام العثماني المسلم . فترن النزور الروسي باتجاه السلطات العثمانية إلى تجديد المزارعين في هذه المناطق . ثم انتشر وباء البقوس بين القوات العسكرية ، وجاء موسم مطول الأمطار في الأناضول شجعاً فشرقت الأراضي الزراعية . وأدت هذه العوامل مجتمعة إلى نقص خطير في الإنتاج الزراعي وبالتالي في المواد الغذائية شعر به سكان إستانبول والمدن الكبرى والصغرى على سواء . ثم جاءت القزائم العثمانية في شرق الأناضول ، ومن قبلها إضطاق المسيحيين العثمانيين بقيادة جمال باشا قائد الجيش الرابع على حدود مصر الشرقية في سنتي ١٩١٥ ، ١٩١٦ ، ولطور سير الحرب البريطانية في العراق فضر مدسنة العثمانيين إذ أسترجمت القوات البريطانية كوت الإمارة واستولت على بغداد في ١١ من مارس — آذار — سنة ١٩١٧ ، وانتشرت بعد سقوط بغداد في آسيا شرقاً وغرباً وشمالاً (١) . وهزائم الألمان في الجبهة الغربية ، ودخول

(١) عند طغر القسوى : تاريخ مفاوضات العراق الشمالية ، مطبعة جبر عوف ، الموصل ، ١٩٦٤ ، ص ٨٩ وما بعدها في الفصل الثالث .
والمراد أيضاً السيد به الحاشي ، حرب العرق ، بغداد ، سنة ١٩٣٦ .

الولايات المتحدة الأمريكية الحرب إلى جانب بريطانيا وحقبتها في أبريل
- نيسان - سنة ١٩١٧ . كل أولئك أدى إلى مزيد من خطب الجماهير الثيانية
المسلية لم تحفظ منه شيئاً زيارة الإمبراطور الألماني وولف الثاني لإستنبول
في سبتمبر - أيلول - سنة ١٩١٧ وقيام ولي العهد الأمير يوسف حر الدين
أندى برد الزيارة له في ألمانيا . وعلى الرغم من صرامة الرقابة الثيانية والنشاط
المكثف لأجهزة المباحث أخذت الجماهير تتسائل عن الأسباب التي دفعت
حكومة الطغاة إلى الرجوع بالنفوة في حرب مدبرة طويبة المدى واسعة النطاق .
ولم يستطع أحد من المسئولين الثيانيين الإجابة على تساؤلات الجماهير
وتهمته ووجهها . وفي وسط هذا الظلام ظهر بديهي من الأمل بقيام الثورة
البولشيفيكية في روسيا وما أعقبها من انسحابها من الحرب وعقد معاهدة مع
الدولة الثيانية .

ثورة الروسية وأثرها على قضية الأرمن :

قامت في روسيا ثورة بدأت في ٨ من مارس - آذار - سنة ١٩١٧
تفادى إليها الشعب الروسي ضد المعاناة من الجوع والقتل وسوء توزيع
موارد البلاد ومنتجاتها وطرق القمع الوحشية والذكوراث الخيرية الرعية
مئة في أربعة ملايين من قتل والجرحى . ولرغم التغيير نقولاً قال
(١٨٨٩ - ١٩١٨) (١) على النزول عن العرش في ١٥ من ذات الشهر .
وانتخبت حكومة مؤقتة برئاسة ليفوف Kerov وكان أبرز أعضائها
إسكندر كونسكي esander Alexander Kerensky وهو خطيب مجلس
عمال بتروجراد ووكيل لجنة السوفيت المركزية التنفيذية . وحاولت
هذه الحكومة أن تدير دفة الحرب بعد سقوط القيصر . وضمنت الجبهة
الروسية بعض الوقت ولكن الثورة أرهقت قوات الجنود . وتالياً كونسكي
بأن روسيا قد تمزقت ، وأنها لن تستطع المضي في الحرب بعد نهاية
عام ١٩١٧ . ولكن جاءت النهاية أسبق مما توقعه . وتعرض الجيش الروسي

(١) تولد مراد روسيا من سنة ١٨٨٩ خلفاً لإسكندر هناك من إيداع الثورة في
سنة ١٩١٧

لموجة أزمة في أغسطس - آب - من ذات السنة . وكانت قد تألفت في جميع أرجاء البلاد مجالس الجنود والعمال Soviets ، ثم تحولت هذه المجالس جميعاً في أوائل أبريل - نيسان - في مؤتمر مركزي واتخذ بنز وجراد مقراً له . وتمكن البولشييك (1) Bolshevik في مؤتمر السوفيت من إسكات الجماهير إلى جانبهم . وكان برنامج الحزب الذي وضعه البولشييك شديد العناية ، تضمن المبادئ الآتية : توفير الطعام للجميع ، إبرام صلح عاجل ، توزيع الأراضي على الفلاحين ، إقامة ديكتاتورية عمالية ، حق الطبقين الفتيين والوسطى . وكان شعار الحزب البولشييكى « لا طرح جديدة ، ولا فترامات جديدة » ومعنى هذا الحزب يضم الجماهير إليه ، وساعده على ذلك تعاسة الجماهير وسذاجتها . وانتصارات الألمان ، وضعف الحكومة المؤقتة التي لم يكن في جنبها برنامج يراق ينهوى الجماهير الكادحة . وضرب الحزب البولشييكى في ٢ من نوفمبر - تشرين ثان - شرهته التي عكس ردحاً طويلاً بعد جذتها وسقطت الحكومة المؤقتة بهجوم الثوار الحمر على قصر الشتاء في بنز وجراد . وتزعج الثورة الثامن من البولشييك كان قد عاداً سراً . كان الأول هو نيقولا لينين (2) Lenin . وكان الثاني جوزيف هو تروتسكى (3) Trotsky . ويقول فيشر إنه « لم يحدث قط أن استولى على السلطة في دولة حديثة معاصرون أعلى جسارة وهدماً واثباتاً من هذين المفاخرين الجبارين . فلم تحض ثلاثة أشهر على توليها زمام الحكم حتى كانا قد أخرجاها من الحرب ، وحقا الطبقين الفتيين والوسطى ، وفشا همة ثيابة كانت قد دعيت لوضع دستور برلكي بدموية ووسية (4) . وكان من أعمال البولشييك الأول أنهم نشروا في جريدة برالفا في نوفمبر وديسمبر - تشرين ثان وكالون أول - سنة ١٩١٧ تصدق المعاهدات السرية التي كانت الروسية طرفاً فيها . وكان من نتائج اتفاقية سايبس بيكو الثلاثية

(1) بولشييك كلمة روسية معناها حزب الأقلية .

(2) كان نيكولا لينين يسمي ألبانوف Uljanoff

(3) كان تروتسكى يسمي براونشتين Bronstein

Fisher H.A.L., op. cit., p. 1144.

(4)

Triple Entente Sykes-Picot Agreement

الموقعة في ٢٦ من أبريل

– نيسان – و ٢٣ من أكتوبر – تشرين أول – سنة ١٩١٦ بين بريطانيا وفرنسا والروسيا لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية. وكان من المقرر تنفيذها عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى. وقد سبب نشر وثائق هذه الاتفاقية حرجاً شديداً لبريطانيا وحلفائها. وأعلن لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية في محاولة لتهدئة وجهها في العالم أن بريطانيا لم ترغب قط في حرمان الدولة العثمانية من عاصمتها إسطنبول أو من أراضيها الغنية المشيرة في آسيا الصغرى وقرقيا، وهما الوطن الأصلي للعنصر التركي. وهكذا لم يستطع هذا السياسي أن يتصل من اتفاقية سايبس – بيكو، أو أن ينسأ على حقيقة هامة هي تكلم بريطانيا وفرنسا والروسيا في أثناء الحرب العالمية الأولى على تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية فيما بينها. ويزيد في فداحة هذا التكرار أن بريطانيا كانت قد تجهلت في سنتي ١٩١٥، ١٩١٦ لشريف مكة وأميرها الحسين بن علي منح البلاد العربية الأسيوية استقلالاً في مقابل تحريك ثورة عربية على الدولة العثمانية. كما أعلن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وودرو ويلسون Woodrow Wilson أنه يجب أن يقرر للعالمين السيادة على الجزء التركي من الدولة العثمانية، وأعلن أيضاً في البند الثاني عشر من برنامجه الذي اشتهر باسم النقاط الأربع عشرة (٨ من يناير – كانون ثان عام ١٩١٨) أنه يجب أن يكتفى بوضع القوميات غير التركية في الإمبراطورية العثمانية المجال لاستكمال استقلالها الذاتي. وكان الروس وحدهم هم الذين أعلنوا بصراحة إلغاء حقوق الروس التي جاءت بها اتفاقية سايبس – بيكو السرية وقروها في ٥ من ديسمبر – كانون أول – سنة ١٩١٧ إلغاء هذه الاتفاقية التي تنص على حرمان الدولة العثمانية من أرمينية، ولو أنهم قالوا: « إنه بعد وقتها العمليات الحربية مبسطة للأرمن حتى تقرير المصير فيما يخص مستقبلهم السياسي، والتصريح الروسي يقوم على التناقض: فهو في شقه الأول يقرر إبقاء أرمينية في حوزة الدولة العثمانية، وهو في شقه الثاني يعلن إعلاء الأرمن الحق في تقرير مصيرهم، ومعناه التهديد لسلخ أرمينية عن الدولة العثمانية مما يبعث في نفوس الأرمن مزيداً من الأمل في استقلال ظروف

الحرب العالمية الأولى لحل قضاياهم على النحو الذي يظنوه . وإذا كانت السياسة البريطانية قد اهتمت بالتفاهي والحديعة والتضليل فإن سياسة روسيا - سواء في العهد القيصري أو العهد البوليفيكي أو السوفييتي - كانت هي الأخرى على شاكلة السياسة البريطانية : مظنة ، مأكرة ، مخدعة .

معاهدة برست ليتوفسك تقضي على آمال الأرمن :

عقدت الحكومة البوليفيكية في روسيا في ٥ من ديسمبر - كانون أول - سنة ١٩١٧ عقب خروجها من الحرب هدنة مقصدة خاصة بها مع الدولة العثمانية ودولتي الوسط (ألمانيا والإمبراطورية النمساوية المجرية) . ولم تشارك في هذه الهدنة بطبيعة الحال دول الوفاق وهي حليقاتها السابقات في الحرب العالمية الأولى والتي واصلت الحرب ضد ألمانيا والنمسا والمجر والدولة العثمانية . وكانت دول الوفاق قد بذلت جهوداً مكثفة بالاشتراك مع عناصر بوليفيكية للإقناع على روسيا في الحرب حتى تكبح جماح الأطماع الأتمانية^(١) . وبعد عقد الهدنة بدأت مفاوضات الصلح التي استتالت ثلاثة أشهر . وقد طالب التنويريون العثمانيون بإنهاء الاحتلال الروسي لولايات الواقعة في شرق الأناضول وإعادتها إلى حوزة الدولة العثمانية . وعارضت ألمانيا هذا المطلب أكثر مما عارضته روسيا^(٢) . ولذلك نص مشروع المعاهدة على أن تسترد روسيا كلًا من قارص ووردغان^(٣) اللذين انتزعتها مع باطوم من الدولة العثمانية عقب الحرب التي قامت بينها في سنة ١٨٧٧ ، و١٨٧٨^(٤) ، ولما فرغ المتفاوضون من بحث المشكلات بين الدولة العثمانية والروسيا اتفقوا على إبقاء المعاهدة معلقة بدون توقيع حتى تنهى مخالفة المسائل بين ألمانيا والروسيا فيم التوقيع في يوم واحد . ولذاك أخذ الجزء

(١) Stanford J. Shaw and Ezel Karal Shaw; op. cit., vol 2 p. 325.

(٢) Loc. cit.,

Harewitz J.C.; Diplomacy in the Near and Middle East; op.cit., (٢)

vol.2 pp. 31.

(٤) انظر في ماء العرصة ج ٢ ص ١١٠٤

(٣) (١ - الدولة العثمانية)

المخلص بالدولة العثمانية شكل مشروع معاهدة Draft Treaty ، وكان هذا الإجراء الشكل في مصالحة الدولة العثمانية ، إذ لا وضحت روسيا البرلينية لمطالب ألمانيا (١) تدخل أذربايشا في المحطة الأخيرة وقدم مذكرة لهم عنها إدخال مادة جديدة تنص على الانسحاب الفوري للقوات الروسية من ولايات أذربايشا وغاريس وياطوم في شرقي الأناضول وإعادتها إلى الدولة العثمانية ، وعودة روسيا إلى خط الحدود الذي كان قائماً قبل الحرب وذلك في خلال مدة تراوح بين أربعة أسابيع وستة أسابيع من تاريخ التوقيع على المعاهدة ، وتبريح العصابات الأرمنية سواء الموجودة في روسيا أو في الولايات العثمانية المحطة في شرقي الأناضول ، كما وافقت روسيا على الانسحاب من منطقة القوقاز والمناطق التي كانت تحتها من فارس (إيران) . وتم التوقيع على المعاهدة في ٣ من مارس - آذار - سنة ١٩١٨ (٢) وصحيت معاهدة بريست ليتوفسك القانونية والسياسية Legal and Political Brest-Litovsk Treaty وفي ذات الوقت اتفق أتور باشا مع الألمان على إطلاق يده في القوقاز وشمال غربي فارس لتبني سياسته القومية إلى تنه ، وهي سياسة التترية - Pan-Turkism في معظم هذه المناطق .

وقد جلبت معاهدة بريست ليتوفسك على روسيا المذلة والاسهانة ، ولم يشعر ليتين باي خجل أو يحس بأى أسف أو تدم (٣) . كما أن المعاهدة قضت على آمال الأرمن الذين كانوا يملكون أمهذب الآمال على العون

(١) تاروت الروسية لآسيا من برلينة الروسية ، ولوكراينا ، وبلغاريا ، ورومانيا ، وجرانيا ، وإندونيسيا Livonia وكورلاند Courland
الفرع ١١ من

Taylor A.J. P.; The Struggle for Mastery in Europe, op. cit., p. 566.
Fisher H.A.L.; A History of Europe, op. cit., p. 1144.

ومن قبله ، وإندونيسيا ، ولاتفيا ، ولتوانيا القز
Grant A.J. and Temperley Harold; op. cit., 442-444.
Hurevitz J.C.; Diplomacy etc., op. cit., vol. 2, pp. 31-33.

(٢) وتم تبادل وثائق تصديق عليها في برلين في ١٢ من يوليو - تموز - سنة ١٩١٨
Fisher H.A.L., op. cit., p. 1144. (٣)

العسكري والأيدي السياسي من روسيا . ولذلك لم تلق هذه المعاهدة أي ترحيب في روسيا لوى دوائر الأرمين . وأصبحت الدولة العثمانية تسيطر على شرق الأناضول وفي مقدورها أن تقف في وجه تطلعات الأرمين لإنشاء دولتهم المرجحاة . أما ألمانيا فأصبحت صاحبة النفوذ في شرق أوروبا وفي دول بحر البلطيق .

العلاقة بين الدولة العثمانية وأرمين جمهورية عبر القوقاز :

كان من بين خطط أنور باشا وزير خربة إنشاء إمبراطورية تركية تمتد عبر منطقة القوقاز إلى القرم وآسيا الوسطى . وكان أنور من أنصار سياسة تريك الدولة العثمانية ، ومن ثم تحمس لهذا المشروع ولسبب أكبر هو أن يكون هذا المشروع تمهيداً جزئياً عن لولايات العربية في حالة ضياعها من الدولة . ولكن الجماعات القومية من أعالي القوقاز وجورجيا وأذربيجان ، وهي مناطق يسكنها الأراك مسلمون وأرمين ، قد نجحت في شهر ديسمبر - كانون أول - سنة ١٩١٧ في إنشاء جمهورية مستقلة سميت « جمهورية عبر القوقاز المستقلة » *The Independent Transcaucasian Republic* . واتخذت من تفليس عاصمة لها ، وشكلت حكومة وبيشياً خاصين بهذه الجمهورية (١) . وكانت لبريطانيا وأانيا مطامعهما في السيطرة على الثروة البترولية الموجودة في باكو ، وعلى المنجنيز وغيره من المعادن المنتشرة في إقليم جورجيا . واستبان لرجان السياسة في ذلك الوقت أن الجمهورية الوليدة ستكون في دائرة النفوذ الروسي بحكم البوار .

الأرمين يفلتون الأراك في جنوبي القوقاز وشرقي الأناضول :

ومتماشى مع السياسة العليا للحكومة الروسية برياسة لينين بعد الثورة البولشيكية ، عقدت هذه الجمهورية هدنة مع الدولة العثمانية وتم التوقيع عليها في إرزنكان في ١٨ من ديسمبر - كانون أول - سنة ١٩١٧ ، ولكن لم تلق هذه الهدنة ترحيباً من الأرمين الذين قاموا بتفويض عامة بين من تبقى من

Sinford J. Shaw and Eml Karal Shaw; op. cit., vol. 2, p. 325(١)

الموارثين الأتراك المسلمين في جنوبي القوقاز وشرق الأناضول، وأصبح فيها أكثر من ٦٠٠.٠٠٠ لاجئ من بين مجموع سكانها السابقين قبل الغزو الروسي بشرق الأناضول في سنتي ١٩١٦ ، ١٩١٧ وكان تعدادهم يبلغ وكفذلك ٢.٢٩٥.٧٠٥ من الأتراك في ولايات أذربيجان ، إرزنجان ، طرايزون ، فان ، بلبس . وجملة المنابع الجماعية تقف الأرمين القاقية الحديثة (٢) .

العثمانيون يكتسحون قارص وأردهان وياطوم وأذربيجان وفان :

أجاب شور باشا على التهك الأرمين لأحكام القذبة هجوم عام اشتركت فيه قوات عثمانية من الجيش الثالث المرابط في ديار بكر وموش ، وبلودها على احسان صالح ، وقوات عثمانية من إرزنجان يرأسها كاظم قره بكير . واستطاع الأخير في ١٤ من فبراير - شباط - سنة ١٩١٨ أن يطرده جميع السكان الأرمين من إرزنجان وأن يجبرهم على الهاق بجيشهم في ارتدادهم إلى القوقاز . ولا جاءت الأنباء بحقد معاهدة برست ليتوفسك في ٣ من مارس - آذار - سنة ١٩١٨ عهد شور باشا إلى كاظم قره بكير باشا بحملة شامية بتحرير المسلمين الأتراك ، فاجه لاستلال قارص ، وأردهان ، وياطوم بعد أن انسحب الروس منها . ولا رفض الأرمين الانسحاب من أذربيجان ، أوقع بهم كاظم قره بكير حزيمة أليمة واستولى على منطقة أذربيجان في ١٢ من مارس - آذار - سنة ١٩١٨ وملك قطع الاتصال مع الأرمين المرابطين في الشمال، وأجبر الأرمين المتشددين في فان في الجنوب على الارتداد دون مقاومة .

الأرمين يرفضون مطالب العثمانيين في مؤتمر طرايزون :

وبدأت مفاوضات الصلح بين الدولة العثمانية وجمهورية عبر القوقاز في طرايزون ، وعرض شور باشا أن يتنازل عن كل مطالبه أو منطامه في القوقاز في مقابل الاعتراف بحق الدولة العثمانية في استرجاع الولايات الست

الواقعة في شرق الأناضول تقريبا إعادة برست ليوفسك . واعتقد الأرمن أن تنازل أنور باشا عن مطالبه دليل على الضعف . وضغط زعمائهم على النواز العليا في جمهورية عبر القوقاز لرفض مطلب أنور باشا ، واستولت العمليات القتالية ، واضطر الأرمن إلى الارتداد خلف خطوط القتال بموجب الأمل في أن يظفروا . بعد أن أوقعت القوات العثمانية في ظنهم ، بانتصار لاحق قريب يساعدهم على الاستيطان والاستقرار في الولايات الست في شرق الأناضول . ولكنهم لم يجدوا لهم ملاذاً سوى التهرب إلى أرمينية الأصلية وازدحت بهم ليرفان التي انتشرت فيها المجاعة والأوبئة والتوحش .

الأرمن يرفضون مطالب العثمانيين في مؤتمر باطوم :

وعقد مؤتمر آخر للسلام في باطوم في ١١ من مايو - آيار - سنة ١٩١٨ وتقدم العثمانيون بمطالب جديدة تجاوزت أحكام معاهدة برست ليوفسك لتشمل عدداً من المناطق حول تفليس ، والكستوربول (١) Alexandropol وإشميازين (٢) Echmiadzin ومطالب أنور باشا أيضاً بأن يتخلى التجار العثمانيون الحق في المرور عبر منطقة القوقاز . وأن تكف عن الجمهورية قواتها المسلحة ليحول هذا التخليص دون تجدد الهجمات الأرمينية للأناضول . ورفض أعضاء الوفد الأرميني ووفد آذربيجان في المؤتمر مطالب العثمانيين مما أدى إلى زحف الجيش العثماني على مناطق في أرمينية الروسية لم تكن تحت حكم الثورة العثمانية منذ القرن السابع عشر . وكان السكان الأتراك المسلمون قد أرسلوا استغاثات متعاقبة إلى الحكومة العثمانية يطلبون إنقاذهم من المذابح وشيئ صور الاضطهادات الأرمينية . وقد أعطت هذه الاستغاثات لأنور باشا تبريراً أكثفاً للعمليات الحربية التي قام بها الجيش العثماني .

(١) تسمى بالتركية جومرو Gunru أو كمرود ، وتسمى الآن لينة كان Leningan وبعد التميز بين اللغة إنكليزية وكتابة إنكليزية وليس Alexandropol الأرمينية تطلق على بلدة في إقليم أرمينيا الغربية في أرمينيا وتسمى بالتركية ديدجاس Dedeagac أو ديدجاسي .

(٢) كان هدف أنور باشا من هذا الطلب هو إنشاء خط جداري في الشمال يربط الأرمن وجورجيا Juba مع باكتر ، ومن خلال آسيا الوسطى .

الأرمن يستغيثون بألمانيا :

عفا الأرمن إلى وسيلة جديدة ومبتكرة لعليها تقديم في ساعة العسرة ، فوجهوا استغاثات متتالية إلى الحكومة الألمانية يتسوسون إنقاذهم من أخطار الهجوم العثماني ، على أساس أن الثورة العثمانية وألمانيا حليفتان في الحرب الأول وباعتوا هذه الاستغاثات عن طريق أعضاء البعثات التنصيرية الألمانية مما يعد خروجاً من هولاء الأعضاء عن رسالتهم الدينية وزجاً بالنفسيين في غمار السياسة الدولية ، وكان هولاء المنصرون الألمان يطمون جيداً أن حكومتهم تترقب بأبصارها نحو مناطق جورجيا وباكور . واستجابت ألمانيا لاستغاثات الأرمن وضغطت على أتور باشا لكي يستقي قواته في شرق الأناضول لمواجهة أي هجوم بريطاني عثماني على شمال العراق بعد سقوط بغداد ، وعلى بلاد الشام من مصر . وقد حاول الألمان أكثر من ذلك ، وضغطوا على أتور باشا لكي يسحب القوات العثمانية من باطوم بصفتها نهاية خط أنابيب البترول من باكور فتصبح باطوم مركزاً لشحن المواد الخام من آسيا الوسطى وإرسالها إلى المصانع الألمانية (1) .

(1) دة، القباية ، ويتشبع من ألمانيا ، التمثل إقليم جورجيا عن جمهورية جبر القوقاز في ٢٦ من مايو - أيار - سنة ١٩١٨ وكون سكان هذا الإقليم دولة مستقلة خاصة بجمهورية ألمانيا . واتفق أرم من الأرمن وأرثوذكس الأرمن بعد نصرة . ثم حدث أن التقت ألمانيا مع روسيا البولشاكوية في ٢٧ من أغسطس - آب - سنة ١٩١٨ على أن يخرج المشاكور من إقليم جورجيا وباكور في مقابل إرسال البترول لإمداد السفن الحربية الألمانية بقاء السنة المقبلة . وفي ذلك الوقت جاءت فكرة بريطانيا بقيادة دنسترفيل Dunsterville من دارس (إيران) لإخراج الألمان والعثمانيين من إقليم القوقاز ، ودرست هذه الفكرة إلى باكور في منتصف أغسطس - آب - وأصبح القوقاز يفرح بفتح الإسلامات . وفي هذا الوقت تخضع طابقت باتا لخطط الألمان ووقع في ٢٣ من سبتمبر - أيلول - سنة ١٩١٨ اتفاقاً ينص على انسحاب القوات العثمانية من القوقاز ، وأن تكون جمهورية كورديجان القريبة منطقة لقوة أجنبية وبخاصة في المجالات الاقتصادية والسياسية . وانسحب الألمان ، فزاد وجود دنسترفيل في باكور أن ينظروا من مدارسهم لرحل مائل . وأرسل أتور باشا قوة جديدة زحفت على القوقاز ، واستقرت على دربند Derbend في ١٠ من سبتمبر - أيلول - سنة ١٩١٨ وقطعت اتصال باكور مع المناطق الشمالية ، وانسحب ثلاثة البريطانيين دنسترفيل في العودة من حيث أتى . وطفا ما خلع الروس البترول والأرمن الذين انصرفوا إلى الحرب إلى إريكان . =

استسلام الدولة العثمانية للحلفاء :

وإذا كان أنور باشا قد أحرز انتصارات محدودة في جبهة شرق الأناضول إلا أن هذه الانتصارات كانت على حساب الجبهات الأخرى الغرب، وخاصة في العراق وبلاد الشام حيث تساقطت المدن تباعاً في أيدي القوات البريطانية . واحتل الأسطول الفرنسي مدينة بيروت في ٦ من أكتوبر - تشرين أول - سنة ١٩١٨م، وسقطت في يد الجنرال الذي Alleby حلب وحمص وطرابلس الشام وحلب وإسكندرونة في ١٤ من أكتوبر . وتراجعت القوات العثمانية إلى الأناضول لتضطر في أخصه وبات الموقف الحرجي بالقضية فتدولة العثمانية ميثوساً منه . وكانت قوات بلغاريا قد استسلمت لبريطانيا وحقبتها في ٢ من أكتوبر وقطعت طرق المواصلات المباشرة بين الدولة العثمانية وألمانيا . واستطاعت بريطانيا أن تظهر مواءمة حليفاتها على أن ترسل قواتها من سالونيك عبر تركيا إلى الجزء الأوروبي من إسطنبول مع قوات صغيرة ومزينة لحليفاتها . وقد عجزت هذه المواءمة لبريطانيا الحق في السيطرة على المناطق التركية وإسطنبول برأ وعمراً بمجرد عقد الهدنة التي بدأت يلجج المراقبين السياسيين والمسكربين في ذلك الوقت أنها لامتناس منها، وأن وفاة رجل أوروبا المريض قد أصبحت وشيكة .

وفي وسط هذه المزام التلاخفة جاز إلى ربه السلطان محمد الخامس (رشاد) في ٢٨ من يونيو - حزيران - سنة ١٩١٨م وخلفه على عرش آل عثمان السلطان محمد السادس (وحيد الدين) أحد إخوة السلطان عبد الحميد الثاني والسلطان محمد الخامس . وسرعان ما أعلن السلطان الجديد أعرابه في يد الحلفاء الثلاثة كما كان أخوه محمد الخامس من قبل . وكانت الأقطار الخارجية والداخلية تعصر الدولة عصراً . وانما لت إسطنبول باللاجئين الجياح ،

هذا احتل المآثور المدينة ويطرما عامة بشهوية كترية . وكلمه لاستيعاب التي الروس اليونانيات ساحة برمت ليو فلك في بونده الحاسة بالمآثور . ولم يكن لما الإيلاء نتيجة تذكر بعد أن السبع الوثنيقية وليست لهم قوة عسكرية لافية مطالبهم .

انظر : Stanford J. Shaw and Ezel Kural Shaw; op. cit., vol. 2, p. 328.

وعانت العاصمة تقصراً خطيراً في المارد الغذائية ، وانتشر النفوس بين سكانها . وزاد من خطورة الموقف أن الأسطول البريطاني شدد حصاره على القردليل .

التقى رئيس الوزارة النمائية ، طلعت باشا ، مع الأمان على التماس وساطة الرئيس الأمريكي ولسن لعقد هدنة مع بريطانيا وبلجيتيا في ٥ من أكتوبر - تشرين أول - في ضوء النقاط الأربع عشرة التي أعطاها هذا الرئيس حتى لا تعرض الدولة النمائية وألمانيا لشروط قاسية تفرضها بريطانيا ، كما اتفق طلعت باشا من جهات عسكرية وسياسية أخرى التوسط في عقد الهدنة . وحاولت هذه الطلقات إلى قائد الأسطول البريطاني في البحر المتوسط أميرال كالتورب Admiral Calthorpe فذهب إلى ميناء مدروس في جزيرة ليموس Lemnos في بحر إيجه في ١١ من أكتوبر ليضع الشروط العسكرية للهدنة . وكانت حكومة الطغاة الثلاثة قد استقلت في ٨ من أكتوبر وبقيت البلاد بدون وزارة لمدة أسبوع إذ لم يجرؤ أحد على تشكيل وزارة في مثل هذه الملامسة الانتحارية في ظلها وقسوتها حتى قبر أحمد عزت باشا تشكيل وزارة جديدة في ١٤ من أكتوبر لتكون مهمتها الأول عقد الهدنة المنتهية . ونسأل الطغاة الثلاثة لماذا أخرج البلاد حرباً وقزماً وجبناً . وطلب الأميرال البريطاني حضور وفد نمائى لتوقيع شروط الهدنة . وكان هذا الوفد برئاسة وزير البحرية حسين زبوف بك أورباي (١) Orbay وتم التوقيع على الهدنة في ٣٠ من أكتوبر ، وعرفت باسم هدنة مدروس Armistice of Mudros . وكانت في شروطها القاسية تسليم كادلا غير مشروط لمغالب بريطانيا ، وتلقوا في قسوتها المعاهدات التي فرضت على القبول

(١) كان حسين زبوف بك أورباي من سواحه سنة ١٩١١ ، وعمل ضابطاً بحرياً في الأسطول النمائي وانتشر كميل لوى بشجاعته ومآثره العزة في أثناء تهادنه لثلاثة وجعية . وقام بطرد النم يفسر الأهمية في الصراع الحربي الذي قاد به ذلك سخطى كمال باشا في الأناضول .

Lewis B.; op. cit., p. 239. En.2

المسيحية الأخصاء في دول الوسط (١) . وهي الدول التي كانت حلقة للدولة العثمانية في الحرب . وهي ألمانيا ، والإمبراطورية النمساوية المجرية ، وبلغاريا . مما يدل على أن الروح الضالعية كانت لا تزال منتشرة متأججة في الدول الأوروبية الكبرى ، وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا وإيطاليا ، على الإسلام والدول الإسلامية . هذا وقد نجم عن تلك حدة مدروس أن سقطت سقوطاً ثنائياً معاهدة برست ليتوفسك للمرة في ٣ من مارس - آذار - سنة ١٩١٨ بين روسيا البولندية والقوقلة العثمانية وألمانيا .

قتلية الأرمن في حدة مدروس :

قتلت حدة مدروس على الإنفلاق القوي لسراخ جميع أسرى دول الحلفاء . وكذلك المسجونين والأسرى الأرمن مهذا كانت نوعية الجرائم التي ارتكبتها (٢) كما ورد فيها نص نفيس بالرمزية جاء فيه : إنه في حالة وقوع اضطراب في الولايات الأرمنية الست (٣) يحفظ الحلفاء لأنفسهم بحق احتلال أي جزء منها : مع سيس Sis ، وهاشين Hasin ، وزينين Zeytin ، وعتاب Ayinap فتصبح تحت الاحتلال القوي .

مخافة الأرمن بالأترك العثمانيين :

دخلت قوات الحلفاء أراضي القوقلة العثمانية طبقاً لأحكام حدة مدروس ، وكان يسيطر عليها اعتقاد لا يتزعزع في صلب الدعاية المعادية للقوقلة العثمانية في أنها دولة متعصبة تعصباً دينياً صارخاً . لوقمت ملابيح جماعة حلزون المسيحين بدون أدنى سبب سوى اختلاف الدين . وأن المسيحية حقوق الإسلام في تمسكها بالراحة وحرصها على عدم سفك دماء الأكرباء . وصرح

(١) - "The (Mudros) Armistice provided for a total and unconditional surrender, a considerably harsher arrangement than that imposed on the Christian members of the Central Powers".

See :

Stanford J. Shaw and Ezel Karal Shaw; op. cit., vol. 2, p. 328.

Loc. cit.

(٢) - حرفت الأرمنية العثمانية باسم «الولايات الست» في فترة الاحتلال .

المتدرب السابق لملف في إسطنبول أميرال كالتوب (1) Admiral Canope بتوكه ، إن عملنا الثانية هي الاظهار أي عمالة مهما كانت ضيقة لأي تركي . وقد منعا منعا بآنا جميع أفراد قوات الاحتلال من أن يتبادلوا الحياة مع الأتراك أو قيام أي صداقة أو غير ذلك من أنواع السلوك الاجتماعي معهم .

كان عقد الهدنة وتجسيد معاهدة برست ليتوفسك قد بدأ الآمال في نفوس الأرمين ، وابتوا يعتقدون آمالهم على بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، وانظروا الأرمين من هذه الدول الثلاث القبلية السياسية التي يربطون وجوههم شظرها . وعولوا على بذل جهود مستبينة في مؤتمر الصلح في باريس لتحقيق آمالهم الوطنية .

وفي هذا الجو المادي للأتراك أظهر الأرمين شحنة ساقرة بهم وترحيباً جارياً بقوات الاحتلال الدولي المشترك . صنع الأرمين في لندن الكبرى والصلوى على السواء كليات وافرة من الأعلام البريطانية والفرنسية والإيطالية ورفعهما فوق مساكنهم وأمام عيالاتهم التجارية وغيرها . وكانوا يلحسون بأعلام صغيرة منياً كلما مرت أمامهم كتيبة أو سرية أو فصيلة من قوات الاحتلال ، وكانوا يتنافسون على أفراد هذه القوات بشاوتهم ويحيونهم ويطلقون عليهم اسم المخلصين . وكان اليونانيون يشاطرون الأرمين في إظهار شعورهم العناني نحو الأتراك . وقام الأرمين واليونانيون تحت جمع قوات الاحتلال وبصرها بنسخ الجنود الأتراك المسرحين منذ عقد الهدنة ، كما ذهبوا آلاً من المدنيين المسلمين دون أن يبدل سلطات الاحتلال أي جهود للدخول من أجل وقت هذه المناسخ . ولم يشد عن موقف قوات الاحتلال سوى القوات الإيطالية التي استطاعت أن تسيطر في مناطقها على الأقليات غير الإسلامية وحماية السكان المسلمين (2) . وظهر بجلاء التمييز القبيح بين

(1) كانت تساند التعريب من قبلهم لعدة لغة لولا من تولى أعضا ، أولها بريتان ، واليهما فرنسا ، وإيطاليا .

(2) Stanford J. Shaw and Ezel Kural Shaw; op. cit., vol. 2, pp. 329—330.

المسيحيين والمسلمين عندما فتحت المدارس التي انطقت في الشهور التي تلت عقد القذة ، فلم يسمح إلا لتلاميذ وطفلة المسيحيين باستئناف دراستهم . أما زملائهم المسلمون فقد تركوا في الشوارع (3) . وقام أعضاء البعثات التنصيرية في أقاليم الدولة بدور بارز ، ولكنه مزر ومشتت ، حين عهد إليهم بالإشراف على ملابج الأيتام المسلمين الذين فقدوا آباءهم في أثناء الحرب العالمية الأولى ، فقد طردوا منها إلاّ من حولاء الأيتام وروضعوا في أمماتهم أيتاماً مسيحيين من الأرمن والبيزنطيين (4) .

مجز الحقاء التصاوخ للأرمن :

ومنأ أن بدأ الاحتلال الخلفظ للأناضول وترافق الشرقة وغيرها من الأقاليم العثمانية حتى وضع بجلاء تام أن نية بريطانيا وحقباتها متجهة إلى منع الأرمن حكم الولايات الست في شرق الأناضول . ولم تقل هذه القول عند هذا الحد ، بل منحهم أيضاً الأقسام الثلاثة وهي قارس ، ولردهان ، وباطوم وكانت تعيش في هذه المناطق الثلاث أقليات أرمنية بالنسبة لعدد سكانها . وكانت الدولة العثمانية قد نجحت في استردادها من روسيا طبقاً لمعاهدة برست ليتوفسك . ووضع هذا الاتجاه في السياسة البريطانية نحو الأرمن منذ شهر فبراير - شباط - سنة ١٩١٩ حين حولت سلطات الاحتلال البريطاني للموظفين العثمانيين في الولايات الست والمناطق الثلاثة وعينت مكانهم موظفين أرمن ، كما صيغت الشرطة الحالية - شباط وحتوداً - بالصيغة الأرمنية تمهيداً لإقامة الدولة الأرمنية وحتى تعقد معاهدة مع الدولة العثمانية تقروا تصاع هذه الأقاليم من الدولة العثمانية وإنشاء دولة أرمنية مستقلة . واعتقد الأرمن أنهم أصبحوا نائب قريسين أو أدنى من تحقيق أمماتهم الوطنية .

الوفد الأرمني أمام مؤتمر الصلح في باريس سنة ١٩١٩ :

لم يترك الأرمن فرصة لعرض قضيتهم على الصعيد الدول إلا التزوها . وكان اجتماع على دول العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى في مؤتمر الصلح

Loc. cit.

(3)

في باريس والذي المنع جلساته في ١٨ من يناير - كانون ثان - سنة ١٩١٩
فرصة ذهبية للأرمن . وعلى الرغم من أن جمهورية أرمينية قد تأسست في
سنة ١٩١٨ وعرفت باسم جمهورية أيرطان ، لم يقنع الوفد الأرميني بها ، وتقدم
إلى المؤتمر مطالباً بالاستقلال التام للدولة تحت من البحر الأسود إلى البحر
المتوسط تحشياً مع الهدأ التام « ما لا يترك كله لا يترك كله » . وقد أسس
الوفد طلبة على أنه تعويض عن التضحيات والمطالب التي تحملها الأرمن قرونًا
متعاقبة ، ومكانة لم على مساعدتهم كقضية الخلفاء بالوقوف إلى جانب
القوات الروسية في الحرب ضد الدولة العثمانية (١) . ويقرر أحد المؤرخين
الحاليين أن مطالب الأرمن كانت تدم بتوسط كبير من الحلالا (٢) .

كان الجو السياسي في المؤتمر في مصلحة الأرمن بصفة عامة . كان رئيس
الوفد البريطاني في هذا المؤتمر هو لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية .
وكان يحقت الدولة العثمانية مقبلاً شديداً لأنها دولة إسلامية (٣) انقسمت إلى
جانب ألمانيا في الحرب العالمية ، وسببت لبريطانيا قبل الحرب مشكلات
عديدة ، ولو أن الأخيرة خرجت من هذه الأزمات مكاسب سياسية وعسكرية
وإقليمية كبيرة (٤) . وفضلاً عن ذلك ، رأى لويد جورج أن تحقيق المطالب
الأرمنية يخدم المصالح البريطانية ، فإن إنشاء دولة أرمينية في الأناضول ، أو
على الأقل في شرق الأناضول ، وتكون هذه الدولة صديقة لبريطانيا وتلعب
في تلك السياسة البريطانية يجعلها مدناً متباً في وجه أي زحف قد تقوم به
القوات الروسية السوفيتية نحو البحر المتوسط . ولذلك طفر الوفد الأرميني
بتأييد بريطانيا في مؤتمر الصلح . ووقعت فرنسا في المراسل الأولى للمؤتمر

(١)

Hovhannissian Richard; The Republic of Armenia vol.1, pp. 276-283.
M. Gilbert, Winston S. Churchill, vol. 4, 1916-1922. London, 1975,
pp. 472-489.

Stanford, J. Shaw and Eyal Karal Shaw; op. cit., vol. 2, p. 330.(٢)

Loc. cit.

(٣)

(٤) غزت بريطانيا بندا سنة ١٨٤٩ ثم جزيرة قبرص سنة ١٨٥٨ ، ثم مصر
سنة ١٨٨٢ ، ثم قامت سكا لتأريخ مصر في السودان سنة ١٨٩٩

لزيد الأرمن في تحقيق مطالبهم . ولكن سرعان ما انقلبت عليهم عند ما طالب الوفد الأرمني بأن تحدد الدولة الأرمنية المرجحة لتشمل منطقة كيليكيا في الجنوب الشرقى من الأناضول والتي يحملها فرنسا . وما زاد الموقف تعقيداً أمام المؤتمر أن الأكراد وسكان جورجيا وأذربيجان طالبوا بتدخّل في الدولة التي يعني الأرمن إنشائها . وطالبت فارس أيضاً بإتاحة القوزاق التي كانت قد استولت عليها الروسية في القرن التاسع عشر . وكانت تشمل معظم أرمينية التاريخية والمناطق التي يسكنها الأكراد في الجنوب الشرقى . أما جمهورية أذربيجان فطالبت بالقسم الجنوبي والأجزاء الجنوبية من بايليس ، وإربقان ، وباكوتسكو ، وباطوم ، وفارس (١) . وبينما كان هذا التزامم بين شتى الدول والمطارات قائماً على قدم وساق لانقسام الأسلاب ، طالب الأرمن بمنع عودة أي شخص تركي أو كردى إلى شرق الأناضول ، وأن يحل محل المظروفين الفلاحون الأرمن حتى تتحقق لشكّان الأرمن في هذه المنطقة الأقلية العديدة . وعهدت بريطانيا وفرنسا إلى الظاهر بإيداع العتبات على مطالب الأرمن ، ولكنها رأّت إرجاء بحث قضية الأرمن حتى يتم الفراغ من وضع ميثاق عصبة الأمم ، وفرض شروط الصلح في معاهدات تتقدّم مع ألمانيا والنمسا والمجر وبلغاريا ، ثم تتفرغ بريطانيا وفرنسا إلى وضع شروط معاهدة عامة تفرض على الدولة العثمانية وينتظر فيها مصير قضية الأرمن لتحقيق آمالهم القومية .

إسحاق مشروخ تعيّن الولايات المتحدة دولة متتدية على أرمينية :

ولما كانت المطالب التي تقدم بها الأرمن لمؤتمر الصلح في باريس تتعارض مع مبدأ تقرير المصير الذي كان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وودرو ويلسون Woodrow Wilson قد أعلنه وأخذ به المؤتمر في بعض الحالات (٢) فقد قام الأرمن في الولايات المتحدة الأمريكية بحملة واسعة لتأييد قضيتهم

Hovhannesian Richard: Republic of Armenia, vol. 1, pp. 283—291.(١)
(٢) على مؤتمر الصلح هذا تقرير المصير عندما قرر إنشاء دولة بولندية مرة ثالثة الصلح باليسر ومنه إنشاء جمهورية تشيكوسلوفاكيا :
Fisher H. A.L.; op. cit., p. 1160.

وخلل الرئيس الأمريكي على تركه الأربع عشرة نقطة التي أعلنها وسيلة للتسويات السياسية التي يتفصّلها المؤتمر . وحاول لويد جورج رئيس الوفد البريطاني حلاً وسطاً لإرضاء الأرمين بتطبيق نظام الانتداب على الولايات الأرمنية المتنازع عليها أو ككل الأناضول إذا كان ذلك في الاستطاعة ، وأن يكون تقرير نظام الانتداب على الأرمين في شرق الأناضول في ذات الوقت الذي يضع فيه تحت الانتداب البلاد العربية التي كانت خاضعة للدولة العثمانية مثل العراق وسورية ولبنان . وأن تكون الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة المنتدبة على الولايات الأرمنية . وكان الرئيس الأمريكي ولئن غير معترض على هذه الفكرة . وأرسل بلنتن إحساناً إلى بعض البلاد العربية (١) والأخرى إلى الأناضول . وكان يرأس اللجنة الثانية جيمس هاربود Major General James G. Harbord وطافت بالأناضول في صيف سنة ١٩١٩ ووضعت تقريرها في أكتوبر - تشرين أول - سنة ١٩١٩ . وجاء فيه أن الغالبية العظمى من السكان في الأناضول هم من الأتراك . ورأت اللجنة في تقريرها أنه بالنسبة لطلاب الأقليات أن تنشأ منطقة انتداب واحدة وتشمل أيضاً القوقاز لتحقيق وحدة سياسية واقتصادية ، وتجهد الطريق بعد ذلك لوضع تسوية نهائية بعد فترة زمنية . ولا كانت الولايات المتحدة الأمريكية قررت عدم الانضمام إلى عصبة الأمم على الرغم من أعيان ولئن بالشأن (٢) ، ولا كان نظام الانتداب منبثقاً عن العصبة فقد سقط بالتالي مشروع الانتداب

(١) مرت اللجنة الأولى باسم لجنة كينج - كرين King-Crane من تشاغيا ولقرهيا نظر :
دكتور حسن ميرزا الخولي ، مرفق الاستخبار والجمهوريّة ... الخ ، مرجع سبق ذكره ، رسالة مذكورة تحت إترافنا ، ج ١ ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .
(٢) كانت لجنة كينج - كرين في مركز الرئيس الأمريكي ولئن أنه لم يكن يمثل جميع مواطني الولايات المتحدة . فلهذا كان وجه الحرب الديمقراطي هنا كانت للحزب الجمهوري أفضلية في مجلس الشيوخ الذي يمين في الغالبية على السياسة الخارجية للولايات المتحدة . ولا قرر الرئيس ولئن انتداب إلى باريس كان من مدافعي الرأي أو أنه دعا إلى موافقة بعض من الأقطاب البارزين في الحزب الجمهوري . ولكن كان الرئيس ولئن يميله أوتوماتياً . وكان في كشور الغالبية ضد الحزب ، فذهب إلى باريس من غير أن يعصب أسماً من أعضاء

الأمريكي على أرمنية تلقائياً^(١) . ومفكر لويد جورج في مشروع بديل أفضل من الانتداب ، وهو إنشاء دولة مستقلة للأرمن وأن يدرج قرار إنشائها في صلب معاهدة الصلح مع الدولة العثمانية .

بداية المقاومة العثمانية للأرمن عقب عقد لندن :

تطورت حركة المقاومة التي قادها مصطفى كمال في الأناضول بعد إعلان هدنة مودروس إلى حرب حقيقية أطلق عليها حرب التحرير ثورة ، وحرب الاستقلال ثورة أخرى . وبدأت مقدمات حركة المقاومة على يد بعض قادة الجيش العثماني في الأناضول قبيل وصول مصطفى كمال إليها من إسطنبول ، ثم تعاونوا معه قلباً وقالباً في صراعه الحربي الشرير ضد قوات الاحتلال البريطانية والفرنسية والإيطالية واليونانية والأرمنية . وحسبنا أن تذكر في هذا المقام قائدين ، أحدهما على فؤاد باشا سيبيسي Cebesoy أحد قادة الجيش العشرين في أنقرة ، قام في شهر مارس - آذار - سنة ١٩١٩ بإرسال مندوبين عنه ليتعاونوا مع قوات الدفاع الوطنية في المنطقة على تنفيذ حركة المقاومة العسكرية والشعبية . وكان القائد الآخر من كاطم قره بكير باشا ، وهو أحد الأبطال في المعارك التي دارت وساحا في منطقة القوقاز ضد الأرمن على عهد حكومة الطغاة الثلاثة (أنور وطلمت وجمال) ، وكان أحد قادة الجيش الخامس عشر في ولاية أرضروم، وعهد إليه أيضاً في ١٣ من أبريل -

سالحرب الجمهوري . فإثر خلافه مع بان أسطرا جميع خطته ، وانجسرت في حل مجلس الشيوخ على عدم التصديق على معاهدات الصلح .
ويج من محس هريسي الأمريكي ومن القيام بحية الام أنه قرأ في بنده اللجنة في وضعت سياسة القتالية ليدك حصة الام بعد أن أسر على أن يدرج موضوع الحصة على رأس التسلل إلى تعرض على المؤتمر . وينقل لقوله العظيم كبر هذا التسلسل وأمر ميتال الحصة في وقت نصير . ويجعل موضوع الحصة جزءاً لا يتجزأ من معاهدة أرسي . ويذكر أوضاع على مؤتمر الصلح إيرين جيمين قبل أن ينظر المؤتمر في عهد الأسمى وير وضع معاهدات الصلح .
انقر .

Fisher H.A.L.; op. cit. pp. 1160—1161.
Howard Harry N.; Turkey, the Straits and the U.S. Policy. (١)
Baltimore and London. 1974, pp. 51—129.

– نيسان – سنة ١٩١٩ يوليئى فان وطرايهزون ، أى أنه كان يشرف على ولايات ثلاث من الولايات الست في شرق الأناضول والتي يدعيها الأكر من لأنفسهم . وقد نصت مزجئة هذا القائد على أن يجعل همه الأول تحرير الأناضول واسترداد قارص وأردعان وبالطوم والأجزاء التركية في منطقة القوقاز . وسيصبح هذان القائدان في معظم الأوقات من أقرب المقربين إلى مصطفى كمال .

تعين مصطفى كمال مفتاحاً عاماً للجيش في شرق الأناضول :

وجاء الحادث الثالث والأكثر أهمية : وهو فرار أحدفدته حكومة إستانبول في ٥ من مايو – أيار – سنة ١٩١٩ بتعيين مصطفى كمال مفتاحاً عاماً للجيش التاسع . وكانت اختصاصاته واسعة تشمل شرق الأناضول . وكان مقر وظيفته سامسون Samsun على الساحل الجنوبي للبحر الأسود في الأناضول . وكان مصطفى كمال ملبياً في إستانبول بدون عمل منذ ١٣ من نوفمبر – تشرين ثان – سنة ١٩١٨ بعد عقد الهدنة وتسريح جيش الباغلة الذي كان قد تولى قيادته خلفاً للقائد الأتالي إيمان فان ساندرس Eiman van Sanders ، وفي أثناء إقامته في إستانبول شاهد من كتب التصرفات الثلاثة للسلطان محمد السادس وحيد الدين وأعضاء الوزارة الذين كانوا يعترضون على أى حركة للباغلة ضد قوات الاحتلال قد تعرض مراكزهم للخطر وتسي إلى مشاعر بريطانيا وبليلانها ، وعملوا بإخلاص على تجريد القوات الضمائية المرابطة في إستانبول من أسلحتهم . وذهبوا في أسلحتهم إلى حد أنهم أصدروا الأوامر إلى القوات الضمائية في إزمير بعدم التبرص اليونانيين في تلك المنطقة . وتخلص مصطفى كمال رأياً إلى أنه لا فائدة ترجى من بقائه في إستانبول ، وأن الواجب الوطني يفرض عليه الانتقال إلى الأناضول حيث ظهرت فيها مبادرات طيبة للباغلة لقوات الاحتلال (١) . ولذلك جاء تعيينه في منصب مفتش عام الجيش في الأناضول في الوقت المناسب وفرصة ذهبية لمغادرة إستانبول والتوجه إلى الأناضول لإقامة فيها ومباشرة نشاطه الثورى في أرجائها . ولذلك

Lewis B., op. cit., pp. 245–255.

(١) .

حرص مصطفي كمال على سرعة مغادرته إسطنبول قبل أن يصل نأ تعيينه إلى سلطات الاحتلال .

وكانت التعليلات التي زودته بها حكومة إسطنبول هي إعادة النظام والأمن إلى المناطق التي تدخل في اختصاصاته في الأناضول ، وتسوية الخلافات وفض الاضطرابات بين المسلمين والمسيحيين فيها ، وتجريد العصابات شبه العسكرية من سلاحها وثقلتها ، والإشراف على تجريد القوات العثمانية في هذه المناطق من أسلحتها وتسريح أفرادها طبقاً لبيروت هدنة مايروس . وعلى التقيض من معظم هذه التعليلات ، شرع مصطفي كمال منذ اليوم الأول لوصوله إلى سامسون في إنشاء وحدات الصال عسكرية بين مجموعات المقاومة التي كانت قائمة وقتذاك والتي كانت لا تزال في مراحله الأولى ، كما عمل على إنشاء مجموعات مقاومة جديدة ، وإعداد وسائل الدفاع المسلح عن الوطن التركي الأصلي وهو الأناضول وإعلانه من الغزاة المحتلين أو الذين يهددون بالاحتلال (١).

وتذكر أسباب مقاربة تعيين مصطفي كمال في هذا المنصب الخطير فيقول البعض إن تعيينه جاء عرف العاطف ووليد المصادقة ، فقد كان هذا المنصب شامخاً في ذلك الوقت . ويقول البعض الآخر إن السلطان ووزرائه كانوا يريدون إلى إعادته عن إسطنبول لأنه كان يجاهر بمعارضته لهدنة مايروس وشروطها القاسية . ويرى البعض الثالث أن تعيين مصطفي كمال في هذا المنصب صدر بعد تدبير محكم ابتداءً بدمير شيرته كقائدة على اكتسبها منذ أن انتصر على بريطانيا وفرنسا في معركة خاليبول في حلة القردنيل ، وأنهم كانوا يتوقعون فشله في مهمته المتعددة الجوانب في الأناضول . وهناك رأى رابع يقول إنه قد وقع عليه اختيار رؤسائه في وزارة البحرية والصادر الأعمق والسلطان لأهم توقعوا أنه هو القائد الوحيد الذي يستطيع تنظم مقاومة عسكرية وشعبية في الأناضول ضد قوات الاحتلال الدولي (٢) . وهذا الرأي الرابع رأى ضعيف

Loc. cit. (١)
Stanford J. Shaw and Erol Kural Shaw; op. cit., vol.2, p. 342. (٢)
(مؤيد الدولة العثمانية)

لأن ماضي وتصرفات السلطان والصدر الأعظم وسائر الوزراء دل على أنهم لم يكونوا جادين في مقاومة الاحتلال أو إقصاء المنتصرين . ويبدو أن الرأي الثاني هو الذي يفسر الملاحظات التي أحاطت بعينه .

قضية الأرمن في مؤتمر أرمزوم أغسطس - آب - ١٩١٩ :

ولما تزايد أطماع الأرمن في إنشاء دولة خاصة بهم في الولايات التي في شرق الأناضول كون الأتراك القاطنون في هذه المنطقة تنهياً سريعاً عسكرياً وسياسياً في الثالث من مارس - آذار سنة ١٩١٩ ، وجعلوا مقراً في أرمزوم ، وأطلقوا على هذا التنظيم اسم شرق الأناضول مدعين حقوق جميعين أي جمعية المدّعين عن حقوق شرق الأناضول ، وقد دعيت هذه الجمعية إلى اجتماع عقد في أرمزوم في ٢٣ من يوليو - تموز سنة ١٩١٩ . لبحث موضوع تهيئات الأرمن لشرق الأناضول . وحضر الاجتماع مصطفى كمال باشا الذي انتخب رئيساً للمؤتمر منذ اليوم الأول . وكان وزير الحربية قد قام بزيارة مصطفى كمال باشا في الأناضول بعد أن بلغت مسامع الدوائر الرسمية في في إستانبول أخبار نشاطه في الأناضول وطلب إليه الوزير العودة معه إلى العاصمة . فلما رفض مصطفى كمال صديقه وإزادة سلطانية يعزله من منصبه كفتش عام فقبض الفصح في ماسون على الساحل الجنوبي للبحر الأسود في الأناضول (١) . وعند مصطفى كمال الأمر السلطاني وبلغ زياد العسكري وارتدى ملابس مدنية وغيه منه في تماني أي مستام ثوري سافر مع حكومة إستانبول التي كانت لاتزال عن الحكومة للشرعية في البلاد . وفي أثناء انعقاد المؤتمر الذي استمرت جلساته حتى ٧ من أغسطس - آب - ١٩١٩ صدر الأمر من إستانبول إلى كاتلم قره بكير باشا قائد الجيش الخامس عشر في أرمزوم بالقبض على مصطفى كمال وزميه حسين ونوف أورباي Ozbay ولكن رفض كاتلم باشا تنفيذ الأمر . وعلى الرغم من أن المحافظة على وحدة الولايات التي في شرق الأناضول وإبقاها في حظيرة الوطن التركي كانتا على رأس الموضوعات المدرجة في جدول أعمال المؤتمر (٢) .

(١) ألق على هذا الجيش ليا بعد اسم الجيش الثالث .

تطرقنا في الجزء الثاني من موضوعات ذات صلة سياسية عامة لتكامل الأوضاع التي آتت إليها الدولة العثمانية بعد استسلامها ومقاومة أطراف الدول المنتصرة في توزيع الأقاليم العثمانية فيما بينها ، وانقلد فيها قرارات أصبحت فيما بعد جزءاً من الميثاق الوطني ، وميثاق ميثاق .

وقد أصدر المؤتمر عدة قرارات كانت الأساس الذي قامت عليه حرب التحرير أو حرب الاستقلال . ولذا نذكر هنا ما يتعلق منها بموضوع الأرمين :

أولاً : « إن ولاية طرابزون ، وقسم سامسون ، وولايات أرضروم ، وسيراس ، وديار بكر ، والأناضول ، وغان ، وبنيس ، وهي الولايات التي يظن عليها أحياناً الولايات الست ، من في صيغها جزء لا يتصل بعضها عن بعض ، كما أنها لا تتصل عن الأقاليم التركية لأي سبب من الأسباب . »

ثانياً : « من الضروري ، من أجل المحافظة على سلامة الإمبراطورية العثمانية واستقلالها الوطني وحماية السيادة والحلقة ، أن يعمد إلى تقوية الوطنية القيام بهذه الإجراءات . ولابد أن يعترف بإرادة الشعب على أنها مصدر السيادة في الإمبراطورية . »

ثالثاً : « كل احتلال أجنبي وكل تدخل أجنبي يعدلان من أجل إنشاء دولة أرمينية أو دولة يونانية في الأناضول يجب التصدي لها بالقتال الموحد والمقاومة المسلحة . ولن يسمح بمنح امتيازات جديدة للسبحين بطريقة تثير الرقابة السياسية والتوازن الأجنبي . »

رابعاً : « في حالة إكراه الحكومة المركزية في إسطنبول ، تحت الضغط الأجنبي ، على التنازل عن أي جزء من الإمبراطورية العثمانية ، تتخذ بمرحلتها الإجراءات والقرارات للدفاع عن حقوقنا القومية وعن حقوق السلطة والحلقة . »

خامساً : « تكون جمعية الدفاع عن حقوق شرق الأناضول هي أداة الاتصال بين الجمعيات التي أُنشئت عن الغائة والكوارث التي سببت بالإمبراطورية العثمانية » .

سادساً : « تقوم لجنة تمهيلية بخيار المؤتمر أعضاها بالعمل باسمه لإرساء قواعد الوحدة الوطنية بين المسلمين وغير المسلمين في الدولة على جميع المستويات من القرية إلى الولاية » (1).

وكان اجتماع المؤتمر في أرضروم ، وهي إحدى الولايات الست في شرق الأناضول تحدياً حرجياً وسافراً للأرمن الذين كانوا يرمون إلى إنشاء دولة أرمنية تكون هذه الولاية جزءاً منها . كما تعد القرارات التي أشرنا إليها تحدياً واضحاً لموقف الحكومة التركية الجديدة بقيادة مصطفى كمال باشا الذي أخذ يتظاهرها في الأناضول بأنها لن تتنازل عن شبر واحد من الأراضي الواقعة في شرق الأناضول والتي يريد الأرمن إقامة دولتهم عليها . كما يعد مؤتمر أرضروم دليلاً عملياً على اهتمام الثورة الكفالية وهي لا تزال في مهددها بإبعاد الخطر الأرمني .

قضية الأرمن في مؤتمر سيواس ديسمبر - أيلول - ١٩١٩ :

اجتمع مؤتمر وطني آخر في سيواس - إحدى الولايات الست في شرق الأناضول - في ٤ من ديسمبر - أيلول - سنة ١٩١٩ ، وكان اجتماعه في هذه الولاية تحدياً آخر للأرمن . وافتتح مصطفى كمال المؤتمر وانتخب رئيساً له ، وهو الذي أدار مناقشاته . واعتُلت هذا المؤتمر عن سابقه مؤتمر أرضروم ، إذ شهد مندوبون من كل بقاع الأناضول وإقليم تراقيا Thracie في أوروبا بينما كانت عضوية المؤتمر الأول مقصورة على مندوبين شرق الأناضول . وتماشياً مع تنوع الجهات التي جاء منها أعضاء مؤتمر سيواس تقرر تغيير اسم جمعية الدفاع عن حقوق شرق الأناضول إلى

(1) انظر جميع قرارات مؤتمر أرضروم في :

Stanford J. Shaw and Ezel Kural Shaw; op. cit., vol. 2, pp. 344-345.

اسم جديد أهم وأجمل هو «أناضول روملي مدافى حقوق جربو» أي جماعة المدافين عن حقوق الأناضول والروملي (١) . مع قيام لجنة تمثيلية دائمة يرأسها مصطفى كمال . وقد أصبح هذا التنظيم الجديد هو أداة الاتصال السياسي بعد ذلك من أجل تحرير الأناضول وترقيتها في أوروبا . وكان من أهم قرارات المؤتمر أن تنبأ إلى جميع أنحاء البلاد تنفيذ قرارات المؤتمر السابق في أرضروم ، وقد أدخلت عليها بعض تعديلات تجعلها أكثر إيجابية . وأثار بعض الأعضاء موضوع تعيين الولايات المتحدة الأمريكية دولة متتبية على الأناضول . وكان هذا الاقتراح يلقى تأييداً من بعض الدوائر في إستانبول . وقد رفضت أغلبية المؤتمر جلسة وتفصيلاً . وأعلن المؤتمر ضرورة العمل على تحريك أجزاء الإمبراطورية العثمانية والمحافظة على الاستقلال الوطني واستخدام القوات المسلحة الوطنية عند الضرورية في وجه قوات الاحتلال الأجنبي (٢) ولم يرد ذكر لولايات العربية الخاضعة للدولة العثمانية . واقتصرت القرارات على تحرير الأناضول وإقليم ترابيا .

وحدث في أثناء انعقاد المؤتمر وجود لجنة أمريكية لتقصي الحقائق والتي أوفدها الرئيس الأمريكي ولسن إلى الأناضول وكانت برئاسة جيمس ج . هاربرود كما سبق أن ذكرنا . وتمت مقابلاته في سيواس في يومي ٢٢ و ٢٣ من سبتمبر - أيلول - سنة ١٩١٩ بين رئيسها ومصطفى كمال الذي أكد لرئيسها تأكيدهم قاطعاً أن الأناضول إقليم تركي ، وأنه - أي مصطفى كمال - لن يقبل أو يسمح بأي انتداب ينفرد بالقسبة لقطاع الساسي في الأناضول (٣) .

(١) Anadolu ve Rumeli Müdafası - Hukuk Grubu

مصدر ذكر اسم هذه الجماعة في الرابع الإنجليزية :

Group for the Defense of the Rights of Anatolia and Rumelia

والروملي مصطلح تاريخي سنده لركبة أوروبا .

Lewis B.; op. cit., pp. 248-249.

(٢)

Stanford J. Shaw and Earl Kural Shaw; op. cit., vol. 2, p 346. (٣)

أدرك الأرمين أن الكالين هم العدو اللدود لهم ، وأنهم يقفون في وجه تحقيق أمنيتهم القومية بإنشاء دولة مستقلة في الأناضول ، وأنهم يتهددون الأرمين بشن حرب عليهم لمحاولة بئسهم وما يشنون . ولكن كان الأرمين يحتقرون آمالا كبيرا على بريطانيا وعلى الحكومة المركزية في إسطنبول في تحقيق أهدافهم . ولم يكن السبب راجعا إلى أن حكومة إسطنبول كانت تقسم بالخطيئة ؛ ولكن لأنها كانت حكومة متعاقبة في ضعفها وتدعورت أوضاعها إلى حد أنها أصبحت العنق في يد الثغوب الساس خلفاء وبنامه سلطات الاحتلال البريطاني التي كثيرا ماخرقت أحكام هدنة مودروس للسلطة البريطانية دون أن تحرك حكومة إسطنبول ساكناً . ولم يستطع الأرمين اصطفاح الصبر حتى تفرغ بريطانيا وخليفتها من وضع معاهدة صلح مع الدولة العثمانية وفرضها عليها مفروضة فيها إنشاء دولة للأرمين في شرق الأناضول ، فشكروا حرباً على الكالين في شهر مايو - آيار - سنة ١٩٢٠ قبل أن يوقع مندوبو الحكومة المركزية في إسطنبول مكرهين على معاهدة سيفر Sevres في ١٠ من أغسطس - آب - سنة ١٩٢٠ . وقد حاول الأرمين استغلال حرج مركز القوات الكالية في صراعها الحربي ضد الغزاة اليونانيين ، وعملوا على تصعيد فضيتهم وفتح بريطانيا بأنها قضية عاجلة وملحة لا تتحمل تأجيلاً . واستمرت الحرب الكالية الأرمينية سنتي ١٩٢٠ و ١٩٢١ وانتهت بجزمة ساحلة للأرمين سئتمير إليها بعد عرض معاهدة سيفر .

الحلفاء يقررون في معاهدة سيفر إنشاء دولة حرة مستقلة للأرمين :

لم تنتع بريطانيا وخليفتها بعد انتصارها في الحرب العالمية الأولى بالتنازع البلاد العربية وتصلها فصلاً تاماً عن الدولة العثمانية ، وذلك في معاهدة سيفر Sevres ؛ ولكن أمنت الدول المتحالفة المنتصرة في سياسة تقنين هذه القبلة ، فقررت في ذات المعاهدة إنشاء دولة حرة مستقلة A Free and Independent State للأرمين (المادة ٨٨ من المعاهدة) وصحلت المعاهدة أيضاً موافقة الدولة العثمانية والأرمينية والأطراف المتعاقدين على أن يعهدوا إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بتمهية تعيين الحدود

بين الدولة العثمانية وأرمينية في ولايات أروستوم ، وطرايزون ،
وقلان ، وبتليس ، وأن يقبلوا القرار الذي يتخذه في هذه المسألة
وأي قرارات أخرى يرى الرئيس الأمريكي إيجابياً لضمان إيجاد طريق
يصل أرمينية بالبحر ولتجريد أي جزء من الأراضي العثمانية المشاعة
هذه الحدود من السلاح (المادة ٨٩) . وإذا كان تعيين الحدود
يتطلب نقل جميع أجزاء الأراضي من ولاية من الولايات المذكورة في
المادة السابقة أو نقل جزء منها ، فإن الدولة العثمانية تتنازل ، من تاريخ صدور
هذا القرار عن جميع حقوقها على الأراضي التي تنتقل إلى الدولة
الأرمينية . ثم تعرضت ذات المادة في فقرتها الثانية لشبهة الإلتزامات المالية
التي تتعهد بها الدولة العثمانية للدولة الأرمينية ، ونصت الفقرة الثالثة على أن
تعقد عند الضرورة المفاوضات لاحقة تتناول كافة المسائل التي لم تشملها معاهدة
سيطر والتي يمكن أن تنشأ عن نقل الأقاليم المذكورة إلى سيادة الأرمينية
(المادة ٩٠) .

وإذا حدث ضم أي جزء من الأقاليم العثمانية لدولة الأرمن فإن لجنة حدود
تقرر تعيين الحدود على الطبيعة بين الدولة العثمانية وأرمينية ويصدر قرار
بتشكيل هذه اللجنة في خلال ثلاثة شهور من إبلاغ قرار رئيس الولايات
المتحدة للأطراف المتعاقدين وأرمينية . ويكون تعيين هذه الحدود في ضوء
قرار الرئيس الأمريكي (المادة ٩١) .

أما مسألة الحدود بين أرمينية - وأذربيجان - وجورجيا فتقرر في
اتفاق مباشر بين الأطراف المعنية . وفقرت الفقرة الثانية من هذه المادة أنه
في أي حالة تشمل الدول المختصة في تعيين الحدود عن طريق الاتفاق في تاريخ
القرار المشار إليه في المادة (٨٩) فإن عهد الحدود منازع النزاع تفرزه لتسوية
الكبرى الرئيسية المتحالفة ، وتقوم أيضاً بتحديد على الطبيعة (المادة ٩٢) .

(١) انظر القسم الخامس من معاهدة حبار والناس بأرمينية ، في :
Great Britain, Parliamentary Papers, 1920, Treaty Series No. 11, Cmd.
964, pp. 16—32.

وغيرت المعاهدة أن توافق أرمينية على عقد معاهدة مع الدول الكبرى
الرئيسية المتحالفة ترى هذه الدول أنها ضرورية لحماية مصالح سكان أرمينية
الذين يختلفون في الدين واللغة والجنس عن الأرمن . وجاء في الفقرة الثانية
أن أرمينية توافق على وضع معاهدة مع الدول الكبرى الرئيسية المتحالفة
ترى هذه الدول أنها ضرورية لضمان حرية المرور والسواقة في المعاملة
أيما يخص تجارة الشعوب الأخرى .

الأرمن يشنون الحرب على السكان سنة ١٩٢٠ - ١٩٢١ :

أظهر الأرمن حماة بالدولة العثمانية عقب هزيمتها في الحرب العالمية الأولى
وعقدت مدينة مدروس Mudros الجزيرة في ٣٠ من أكتوبر - تشرين أول -
سنة ١٩١٨ كما سبق أن ذكرنا ، ومن ثم أرادوا أن يكتشفوا عن حقدهم
الذين يحدهم الأمل في إزالة أعباء بريطانيا وحليفاتها المنتصرات بقضيتهم
في المعاهدة المتوقع إبرامها لتصفية الدولة العثمانية . ولم يكن في مقدور الحامية
الأرمنية أو فروع العصابات الأرمنية الليرة أن تباشر نشاطها الإرهابي في
إسطنبول بدفع المسلمين ومهاجرة المنشآت العامة بها إنشاء الفتناء عليها
كما كانت تفعل من قبل ، لأن قوات مشتركة من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا
كانت تحتل إسطنبول وتحمل مسؤولية المحافظة على الأمن العام ، وأشرف على
قوات الشرطة والجنديرة ووسائل المواصلات العامة بها . وأدرك الأرمن
أن الطريق أمامهم مسدود في العاصمة ، ولذلك نقلوا نشاطهم المعادي إلى
الأناضول للاستيلاء على شرق هذا الإقليم . واعتقدوا أن الفرصة مناسبة لهم ،
إذ كان الكاثليون منصرفين قليلاً ونزحياً إلى بحارة اليونانيين وإسلاهم عن
الأناضول بعد أن تولوا في ثغر إزمير تحت حاية الأساطيل الأمريكية
والبريطانية والفرنسية في ١٥ من مايو - آيار - سنة ١٩١٩ .

تحالف الأرمن مع فرنسا التي كانت تحتل منطقة كيليكية في الجنوب
الشرقي من الأناضول . وشن الأرمن حرب عصابات على القوى التركية يقتل
سكانها ونهب محاصيلها ، وكانت حرب استنزاف . أما الحرب النظامية

Lewis B. ; op. cit. , p. 261.

قلدها جمهورية إريشان Erivan الأرمنية التي أنشئت حديثاً في الوقت ذاته .
لم تقع هذه الجمهورية بأراضيها التي حصلت عليها سنة ١٩١٩ وتطلعت إلى
توسعات إقليمية على حساب الكالين .

بدأ هجوم الأرمن في مايو - آيار - سنة ١٩٢٠ وسارعت حكومة
الكالين إلى تعيين قائد كبير يسمى كاظم قره بكير في ١٥ من يونيو
- حزيران - سنة ١٩٢٠ قائداً لهيئة الشرقية في الأناضول ، وأعد جيشاً لطرد
الأرمن من الأراضي التي استولوا عليها . وطلب مراراً من المجلس الوطني
الكبير في أنقرة أن يأذن له في التحرك بقواته ناحية الشرق وإنقاذ الفلاحين
الأكواك من الكولوث التي يتزعمها الأرمن بهم . ولكن زهد المجلس الوطني
في اتخاذ قرار في هذا الصدد نظراً لخرج مركز الكالين أمام تقدم القوات
اليونانية الشرسة ، ورأى أنه من الحكمة تأجيل الهجوم المضاد على القوات
الأرمنية في ذلك الوقت الحرج الذي استأنف فيه اليونانيون هجومهم المستمر
في يونيو - حزيران - سنة ١٩٢٠ من غربي الأناضول في اتجاه الشرق
إلى وسطه . وكانت وجهة نظر الكالين في هذا التأجيل أن القوات الكالينية
في حاجة إلى تعزيز أمام الحرس اليوناني الكاسح بدلاً من تشتيتها بين الجبهتين
اليونانية والأرمنية . ولما اكتفى المجلس الوطني الكبير في أنقرة بتقديم
احتجاجات دبلوماسية إلى حكومة جمهورية إريشان .

وحرص الموقف العسكري بالنسبة للكالين في صراعهم ضد اليونانيين
الغزاة ، إذ استطاع عصمت باشا أن يبرز انتصاراً رائعاً عليهم في معركة
دلوت في ١٠ من يناير - كانون ثان - سنة ١٩٢١ في وادي إينونو شمالي
كوتايعة ، ثم أباد قوات يونانية أخرى في مدينة إينونو في ٣١ من مارس
- آذار - وهي لاقتل في أمشيها من المعركة السابقة . وتوج هذا النجاح
العسكري المزدوج بانتصار حربي ثالث قاده مصطفى كمال بشخصه في معركة
هر سلطانة في ٢٤ من أغسطس - آب - في ذات السنة . واضطر اليونانيون
إلى الانسحاب إلى خط دفاع جديد في غربي الأناضول (١) .

Lewis B. Ford; op. cit., p. 253.

(١) Stanford J. Shaw and Erol Kural Shaw; op. cit., vol. 2, pp. 356-357.

انصرف المجلس الوطني الكبير في أنقرة إلى مسألة الأرمن بعد أن اطمأن مؤقتاً إلى الموقف المحرج ضد اليونانيين، فأذن لقائد التركي قوة كبير في التحرك بشراهة ضد الأرمن في ٧ من أكتوبر - تشرين أول - سنة ١٩٢١ ولكن بشرط ألا يتوغل في زحفه أكثر من مدينة قارص Kars لأنه كان من المتوقع أن يتألف اليونانيون هجوماً جديداً . ولكن كان قره بكي يفسر أمراً آخر هو التوغل في أراضي الأرمن ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . وقد سقطت قارص في يده في ٣٠ من أكتوبر - تشرين أول - ومضى يتوغل في المناطق الأرمنية فيما وراء الحدود التي رسمت سنة ١٨٧٧ . وأمام الزحف السريع للقوات الكيالية طلبت حكومة جمهورية أرميا عقد هدنة أخفيتها معاهدة صلح في ليلة ٢ - ٣ من ديسمبر - كانون أول - سنة ١٩٢١ وقد وقعت المعاهدة في إسكندروبول (1) Alexandropol

وجعلت هذه المعاهدة تنازل الأرمن عن كل ادعاء لهم في الأراضي التركية ، ووافقوا على إتقان هجوم قواتهم المسلحة ، وعلى السماح لتركيا باستخدام طرق الحديدية التي تمر في أراضيهم في اتجاه الشمال، وعلى أن تستقر تركيا على إسكندروبول . وبذلك كسب الكاليدون مركزاً حرجياً في كل المعاهدات التي عقدها مع روسيا السوفيتية . ومن ناحية أخرى قام الكاليدون بنقل الأسلحة التي استولوا عليها من الأرمن إلى الجبهة الغربية لاستخدامها في الهجوم المرتقب لليونانيين في الأناضول . ولكن من الأهمية تكافئ أن هذه المعاهدة قد أرست الحدود الشرقية لتركيا الحديثة في جميع المعاهدات اللاحقة بدون تغيير تقريباً إلى الوقت الحاضر . ولكن لم يتم التصديق على هذه المعاهدة سواء من جانب حكومة أنقرة أو جمهورية أرميا، لأن هذه الجمهورية سرعان ما ابتلعها البلاشفة .

وجدير بالذكر أن الهجوم الذي قام به الكاليدون ضد الجمهورية الأرمنية لم يتم بالاشتراك مع الجيش الأحمر كما تزعم بعض المراجع التاريخية . وكل ما حدث أن البلاشفة قد فزوا أذربيجان بينما كان الكاليدون يحاربون الأرمن .

(٢) نس أيضاً لبريغات Leninakan في الد التركية بزمير Garmu .

ويعد أن عقدت معاهدة إسكندروبول زحف البلاشفة على جمهورية أذربايجان الأرمنية وصيغها بالصيغة الشيوعية .

وقد مهدت الحرب التركية الأرمنية وما أعقبها من إبرام معاهدة إسكندروبول الطريق لعقد معاهدة تركية سوفيتية في ١٦ من مارس - آذار - سنة (١٩٢١) وقد اعترفت هذه المعاهدة بالحدود الشرقية لتركيا طبقاً لما ورد في معاهدة إسكندروبول وأدخلت استثنائين :

الأول : تنازلت تركيا عن سيادتها على مدينة وانغرا بالمعنى Batum لجمهورية جورجيا على أن يكون لتركيا الحق في استخدام هذا الميناء استخداماً حراً في نقل جميع صادراتها ووارداتها بدون دفع ضرائب أو رسوم جمركية، وأن تصنع الطوائف المقيمة هناك بقدر كبير من الحكم الذاتي بحيث يتضمن لكل طائفة الاحتفاظ بحقوقها الدينية والثقافية (المادة الثانية بفقرة الأولى والثانية) .

الثاني : يكون إقليم ناخيتشان Nakhichevan (١) جمهورية سوفيتية ذات حكم ذاتي تحت حماية آذربيجان بشرط ألا تنقل آذربيجان الحماية لدولة أخرى . وأن تحدد حدود هذا الإقليم بمعرفة لجنة يشترك فيها مندوبون عن تركيا وآذربيجان وأرمينية (٢) .

(١) بالإضافة إلى الحرب التركية الأرمنية، كانت هناك أسباب أخرى تربت بين الكتلين والحاد الجمهوريات السوفيتية وأدت إلى عقد المعاهدة . وكان من بينها رغبة الكتلين في كسر عزلة التي فرضتها بريطانيا وفرنسا على تركيا الكاثرة من بريطانيا وفرنسا بسبب احتلالها لجزء طاعة كثيرة من بلادها بعد توقيعها على معاهدة سيفر في ١٠ أغسطس ١٩٢٠ . وكان الاتحاد السوفيتي يريد أن يخلق من خلال هذا التقارب نشر الشيوعية في أوساط الكتلين . ويؤيد هذه الفكرة الأخيرة أن السوفيت في أثناء مفاوضات عقد معاهدة لاغوس أمروا لحساق كمال من دغيم في إيصال الشيوعية إلى تركيا فأجاب بأنه يفضل تأجيل بحث هذا الموضوع إلى ما بعد التراجع من إيصال الاتحاد السوفيتي لبلخ أمم تركيا .

(٢) يقع إقليم ناخيتشان بين وادي أراكسس Araxes وجبل داغيا Daghia في شرق الأناضول .

(٣) النص الفرنسي للمعاهدة التركية السوفيتية في :

**بريطانيا وفرنسا وإيطاليا تقترح في مؤتمر لندن ١٩٢٢ إنشاء دولة
أرمنية مستقلة تتصلح من الدولة العثمانية :**

وعلى الرغم من انتصار الكمالين في المرحلة الثانية من حرب التحرير ضد اليونانيين ، وهي المرحلة التي توجت بانتصار الأولين في معركة سقزيرة (٢٤ من أغسطس - آب - سنة ١٩٢١) ، اجتمع وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في لندن في مارس - آذار - سنة ١٩٢٢ وعقدوا عدة اجتماعات لقرروا في نهايتها عقد هدنة بين الكمالين واليونانيين تعطيها معاهدة سلام شامل تقوم على المبادئ الآتية :

- ١ - إنشاء دولة أرمنية مستقلة في الولايات الست في شرق الأناضول .
 - ٢ - تنازل الدولة العثمانية لليونان عن الزمير وراثية الشرقية بما فيها أدرنة العاصمة السابقة للدولة العثمانية قبل أن يتخذ السلطان محمد أبو الفتح من إسطنبول عاصمة لها .
 - ٣ - إبقاء الرقابة الدولية على المضائق التركية - البوسفور ، والدردنيل ، وبحر مرمرة - وإعادة العثمانيين عنها .
 - ٤ - الإبقاء على نظام الامتيازات الأجنبية ولجنة الدين العام .
 - ٥ - إلغاء الرقابة المالية الأوروبية على الحكومة العثمانية .
 - ٦ - رفع الحد الأقصى للجيش العثماني إلى ٨٥,٠٠٠ مقاتل .
- والنقى المشفاد من هذه الامتيازات أن الدول الأوروبية الكبرى ، وهي تنطلق مشروع خريطة سياسية جديدة لأجزاء من مناطق الشرق الأدنى والشرق الأوسط ، كانت تضع مسألة إنشاء دولة مستقلة جديدة للأرمن تتصلح من الأقاليم العثمانية في شرق الأناضول في عداد المسائل الكبرى التي كانت تعلق عليها آمال كبرى مثل تدويل المضائق وتجريد ممتلكاتها من السلاح ،

British and Foreign State Papers, vol., 118, pp. 990-996.
وقد تم تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة في مدينة لوزن في ١٤ من ديسمبر -
أيلول - سنة ١٩٢٢ .

ودعم الأطماع اليونانية في إنشاء إمبراطورية هيلينية بتوسطها بحر إيجه من ساحل الشرق والغرب وتشمل - فيما تشمل - لزمير والنصف الغربي من الأناضول فضلاً عن تراقيا الشرقية ، والإبقاء عن نظام الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية ولجنة الدين العام . وكانت كل هذه التنازلات في مقابل إنهاء حالة الحرب في الأناضول وإلغاء الرقابة المالية الأوروبية ، ورفع الحد الأقصى للجيش العثماني إلى 80,000 مقاتل بدلاً من 40,000 الذي قرره معاهدة سيفر . وبذلك تحققت بريطانيا وحلفائها أهدافها وهي السيطرة بالدولة العثمانية إلى حال دولة ، أو كما يسمى a state-in-state .

وقد رفض المجلس الوطني الكبير في أنقرة قبول الهدنة وما اقترنت به من القروض ، لأنها تتعارض تماماً مع مبادئه مع الميثاق الوطني . وقرروا الموافقة على طلب مصطفى كمال بإتمام الجلاء الكامل قبل البدء في المفاوضات الصلح . وبذلك تساقطت ساقطاً تلقائياً مشروع الهدنة والمبادئ التي قام عليها . والصرف مصطفى كمال وقواته للمضي في الصراع الحربي لطرده اليونانيين على بكرة أبيهم من الأناضول وتراقيا الشرقية في حرب التحرير والاستقلال .

الإجهاذ إلى وضع معاهدة جديدة بدلاً من سيفر

كان في حكم الاستحالة تنفيذ معاهدة سيفر على الرغم من أن عدة دول أوروبية اشتركت في التوقيع عليها وطلت المعاهدة جديدة . وكان من المظاهر الأولى لعدم تنفيذها أن رفض التوقيع عليها رئيس الولايات المتحدة ، ويوغوسلافيا ، والشريف الحسين بن علي ملك الحجاز . ولكن كان السبب الأهم في تجسيد المعاهدة هو موقف مصطفى كمال ورفاقه ، فقد رفضوا المعاهدة رفضاً باتاً ووصفوا بالخيانة العظمى كل موامن يقبلها ، وجعلوا ذكرى التوقيع عليها يوم حداث عام في أنحاء البلاد . وحدثت الكابليون بقيادة مصطفى كمال صراعاً حروبياً مبريراً ضد الغزاة اليونانيين والفرنسيين والإيطاليين والأرمن لطرده هؤلاء الغزيرين من الأناضول . وكانت قوات بريطانية مع قوات رمزية من حلفائها تحمل إسطنبول . وكانت أساطيل الحلفاء تقي مراسيها في الشياخ التركية وفي موانئ تركيا على البحر الأسود . واستطاع مصطفى

كان بعد جهاد شاق استطاع سنين عددا تحرير الأناضول وإقليم تراقيا الشرقية في أوروبا .

ورأى الحلفاء أن مصالحهم السياسية والاقتصادية والعسكرية تقتضي إنهاء حالة الحرب في منطقة الشرق الأدنى ، لأن كثيراً من الدوائر السياسية في العالم الإسلامي والقطاعات الشعبية كانت سائطة على سياسة الحلفاء تجاه الدولة العثمانية وفتيتها على هذا النحو المرير . وكان الحلفاء يحشون قيام حرب عامة جديدة ينضم فيها الاتحاد السوفيتي إلى تركيا بقتضى المعاهدة المتوقعة بينهما بتاريخ ١٦ من مارس - آذار - سنة ١٩٢١ . وكانت هذه المعاهدة هي الورقة الرابطة في يد مصطفى كمال ، وقد قررت في مادتها الأولى عدم الاعتراف بأي معاهدة فرضت على تركيا لم تتعرف بها الحكومة الوطنية في تركيا . وأتى الحلفاء رأياً إلى عقد مؤتمر دولي يجتمع في فيينا لوضع معاهدة جديدة مع تركيا بدلاً من معاهدة سيفر ، ثم اتجه رأيهم إلى عقدته في لوزان بسويسرا تأسيساً على أنها دولة محايدة .

لم يكن من مصلحة الأرمين على الإطلاق القرار الذي اتخذته الحلفاء بعقد مؤتمر لوزان ليعيد النظر في كافة المسائل التي اشتملت عليها معاهدة سيفر ، لأنه على الرغم من أن المعاهدة الأخيرة لم تنفذ ، كان الأرمين يعتقدون أنهم على أن إنشاء دولة حرة مستقلة لهم كما قررونها معاهدة سيفر إنما هو قرار سيخضع طريقته إلى التنفيذ العاجل أو الأجل وسواء طالبت مدة الانتظار أو قصرت . ولذلك التفتهم المراجيس خوفاً من المؤتمر الجديد الذي سيبدأ تحت المسائل التي سبق تحريرها ، وأن هذا البحث سيؤدي حتماً إلى إيجاد نتائج ثلاث ، إما الإبقاء عليها أو تعديلها أو إلغائها . وكان الأرمين يحشون إحدى النتيجة الأخيرة .

إرهابيان أرمينيان يتحلان أحد قادة الجيوش العثمانية :

بينما كانت الدول الأوروبية قد صحت عزيمتها على عقد مؤتمر دولي يضع معاهدة جديدة بدلاً من معاهدة سيفر مع الدولة العثمانية وتضمن المعاهدة الجديدة تسوية مشكلات هذه الدولة والمشكلات المترتبة عنها مثل قضية

الأرمن ، وقع حادث الخيال جمال باشا حين فرغ من أرمينيا إرهابيان ١٨ :
تركين لآنيان، وسرجو غارنيان ، في مدينة بليس بأرمينية ، وأطلقا عليه عدة
أعيرة نارية أودته قتلاً في ٢١ من يوليو - تموز - عام ١٩٢٢ (١). وكان
جمال باشا قائداً للجيش العثماني الرابع إبان الحرب العالمية الأولى، تولى قيادته
من شهر نوفمبر - تشرين ثان - سنة ١٩١٤ إلى ديسمبر - كانون أول -
سنة ١٩١٧، وأخذ دمشق مقرّاً لقيادته. وكانت اختصاصاته العسكرية والإدارية
تجده عبر منطقة واسعة تبدأ من جنوبي طرروس في آسيا الصغرى حتى اليمن ،
وشملت ولايات أضنة ، وحلب ، ودمشق ، وبيروت ، ومصرقية جبل لبنان ،
ومصرقية القدس (فلسطين) ، وولاية الحجاز . ويلاحظ أن المناطق الخمس
الأولى كانت تقع فيما يجموع كثيفة العدد من الأرمن . ولعل تعرفاته معهم
في أثناء قيادته للجيش الرابع قد أوفرت صدر الأرمن عليه . ولما انتهت
الحرب العالمية الأولى بزعمة الثورة العثمانية حرب سبياً واطلاق بعض دول إلى
أن انتهى به الأمر بتعيينه مفتقلاً عاماً للجيش الأتقاني . وقد تم هذا التعيين بناء
على تدخل قوميبر الشؤون الخارجية السويشئ شترين . وفي عرقة جمال باشا
من ألقائستان تعرض للاختيالك ويبدو أن قتله كان جزءاً من حملة الاختيالات
نفسها التي دبرت لطلعت باشا وسعيد حلم باشا المدين مطلقاً صريعين من قبله.
وقد دفن جمال باشا في بتليس ثم أعيد دفنه في أرضسروم . وقد وقع حادث
اختياله قبل عقد مؤتمر لوزان بأربعة أشهر . وبصرف النظر عن أن القتل
كان وزيراً البحرية العثمانية وقائداً للجيش العثماني الرابع وعضواً في الحكومة
الثقلاء وعضواً بارزاً في حزب الاتحاد والترقي ، فإن حادث الاختيالك في حد
ذاته أشاء إلى قضية الأرمن ، لأنه أعطى العالم صورة كريمة عن الأرمن ،
وأكد أنهم لا يزالون إرهابيين ، كما أفاد مقتله مصطفى كمال ورفقه، إذ زادهم
إصراراً في مؤتمر لوزان على عدم إنشاء دولة لهم في شرق الأناضول .

مؤتمر لوزان يناقش قضية الأرمن مع قضايا الألبان :

الصحح المؤرخ في ٢٠ من نوفمبر - تشرين ثان - سنة ١٩٢٢ وقسمت

(١) دائرة اللغوف الإدارية ، مجلة ثمانية، مادة جمال باشا بقلم D.A. Rutlow .

أعماله بين ثلاث بلدان. كان يرأس اللجنة الأولى لورد كيرزون وزير خارجية بريطانيا ورئيس الوفد البريطاني في المؤتمر ، واختصت هذه اللجنة ببحث موضوع نظام الملاحة في البوسفور وبحر مرمرة والبرديزيل والبحر الأسود والمسائل العسكرية ومسائل الأقليات والمسائل الإقليمية . وكانت هذه اللجنة هي أهم بلجان المؤتمر (5).

بدأ المؤتمر عند جلسة أول ديسمبر - كانون أول - يناقش قضية الأرمين مع قضايا الأقليات الدينية والقومية في دولة تركيا الحديثة مثل اليونانيين والأكراد والأشوريين والبيد . وألقى لورد كيرزون خطاباً شعبياً تناول فيه موضوع الأقليات بشكل عام وأشار إلى اهتمام حكومات العالم بهذا الموضوع . وقال إن الرئيس العام العالمي يعلق أعذب الآمال على المؤتمر لإيجاد حل عادل يضمن للأقليات في تركيا المحافظة على حياتها وحريتها وممتلكاتها . واقترح لورد كيرزون وضع ضمانات معينة للأقليات على غرار الضمانات الممنوحة للأقليات في الدول التي أنشئت في وسط أوروبا عقب الحرب العالمية الأولى ، كما طالب بإنشاء لجنة من قبل عصبة الأمم للإشراف على تنفيذ هذه الضمانات .

وقد رد عليه عصمت باشا وزير الخارجية التركية ورئيس الوفد التركي في المؤتمر قائلا إن وجود أقليات دينية وقومية في الدولة الضامنة كان أمراً

(١) كانت اللجنة الثانية يرأسها التركي جيرول Marquis Geroni وزير خارجية لبنان ورئيس الوفد الإيطالي في المؤتمر ونحس بنظر مسألة الأجناس اللغويين في تركيا . أما اللجنة الثالثة فكان يرأسها بارير Barrère رئيس الوفد الفرنسي في المؤتمر . وكان اختصاصها بمسائل الاقتصاد والبلدية .

Ministère des Affaires Etrangères. Documents Diplomatiques. Conférence de Lausanne sur les affaires du Proche-Orient 1922-1923. Recueil des Actes de la Conférence. Première Série, tomes 1-17. Deuxième Série, tomes 1-II. وهذا المبدأ يتناولها جلسات المؤتمر والتقرير التي وضعت في أثناء انعقاد المؤتمر ونجد في ذلك التوثيق أنها تضمنت معاهدة الصلح والائتلاف والبروتوكولات والتصريحات المتعلقة بها .

طبيعياً ، لأن الدولة كانت مترامية الأطراف وتمتد أقاليمها في ثلاث قارات . ولكن تدخل الدول الأوروبية في موضوع الأقليات هو الذي أعطى المسألة أبعاداً كبيرة وخطيرة . فالدول الأوروبية كانت تشجع الأقليات على إثارة الاضطرابات في وجه الحكومة العثمانية ، فلذا نفذت الانتصارات أرسلت هذه الدول قوات عسكرية بحجة حماية الأقليات ، وبخرجت الدول من هذا التدخل بتكاسب سياسية وإقليمية كانت تزيد الدولة العثمانية وهماً على وهن . وأصبح تدخل الدول الأوروبية في شؤون الدولة العثمانية سنة بارزة في تاريخها في القرنين التاسع عشر والعشرين . وبخرج عصمت باشا من مقدمته إلى أن زوال الدولة العثمانية لا بد أن يؤدي إلى تغيير وجه موضوع الأقليات تغييراً جذرياً ، لأن دولة تركيا الحديثة لا تقبل على أي نحو من الأنحاء أن يكون وجود الأقليات في بلادها سبباً في المساس بالسيادة التركية على أراضيها أو تخريب هذه السيادة . ويخلص من خطابه المستفيض إلى رفض فكرة إشراف عصبة الأمم ، لأن هذا الإشراف نوع من التدخل الدول في الشؤون الداخلية . وقال إن أحسن ضمان لمستقبل ديم القوانين التي تضعها الحكومة التركية والسياسة الحرة التي تتبناها الحكومة التركية . وإن الحل الأفضل لمسألة اليونانيين هو تبادل إجباري لسكان الأتراك المسلمين والسكان اليونانيين ، بمعنى أن يعود جميع الأتراك المسلمين المستوطنين في بلاد اليونان إلى تركيا ويظهر تركيا إلى بلاد اليونان جميع اليونانيين المستوطنين في الأناضول وراقيا الشرقية . وذكر أن حكومة أنقرة مصممة على إبعاد اليونانيين من الوطن التركي لأنهم عنصر مشاغب ويهتمون بامتيازات سياسية وإدارية مستثنيين إلى وجود البطريركية اليونانية في إسطنبول حيث يمارس البطريرك اليوناني سلطات واسعة ، ويتدخل في المسائل السياسية والإدارية إلى جانب المسائل الدينية ، ويطلب «عصمت باشا أيضاً ينقل مقر البطريركية اليونانية من إسطنبول» (١) .

Harry N. Howard, The Partition of Turkey. A Diplomatic History
1913—1923. New York, 1966, p. 301.
(م ١، ٦، الدولة العثمانية)

ولم يوافق لورد كيرزون على طلبات عصمت باشا . وقال ويتشارد^(١) لتشايد Richard Washburn Child المراقب الأمريكي (١) إنه يجب اتخاذ إجراءات حازمة لضمان سلامة الأقليات الدينية والقومية في تركيا . وأيد مندوبو فرنسا وإيطاليا ويوغوسلافيا واليونان القراحات وليس الوفد البريطاني . وفي جلسة ١٣ من ديسمبر - كانون أول - سنة ١٩٢٢ استأنف المؤتمر مناقشة موضوع الأقليات . أعطيت الكلمة لعصمت باشا ، فشرح القطاع التي ارتكباها اليونانيون ضد الأتراك في الأناضول من إخراج القرى وبيع سكانها وتدمير مساكنهم . وأصر على تبادل السكان ونقل مقر البطريركية اليونانية من إسطنبول ، ووصف هذه الإجراءات بأنها «مضرورة مؤلمة ولكنها منطقية» (١) *painful necessity, but logical* . وبعد مناقشات طويلة وساخنة اشترك فيها أعضاء المؤتمر ، انتهى الرأي إلى حل قبله اليونانيون على مضض ، وهو تبادل الإيجاري لسكان المسلمين الأتراك من جانب واليونانيين من جانب آخر على أن يستقضى من هذا التهجير الإيجاري اليونانيون الذين استوطنوا إسطنبول قبل ٣٠ من أكتوبر - تشرين أول - سنة ١٩١٨ . ولم يستطع عصمت باشا أن يفلح بمحاولة المؤتمر على نقل مقر البطريركية اليونانية من إسطنبول بعد أن تفهد لورد كيرزون أمام المؤتمر بأن البطريرك اليوناني في إسطنبول لن يمارس أي نشاط سياسي أو إداري وأن عمله سيكون مقصوراً على المسائل الدينية . وتم التوقيع في ٣٠ من يناير - كانون ثان - سنة ١٩٢٣ على مشروع الاتفاق بين الوفدين التركي واليوناني على أن يكون تنفيذ

(١) تم نشره في صحيفة الولايات المتحدة الأمريكية في مؤتمر لوزان ، واكتفت بزمال كوتت بذكرات إلى الدول العظمى رسم بريطانيا وفرنسا وإيطاليا أوصفت فيها وجهات نظرنا في المسائل التي يهملها المؤتمر ، وقد سبق أن أشرنا إلى هذه المذكرات الفصحى في موقف سابق في هذه المراجعة (ج ١ ، ص ٢٨٠ - ٢٩١) ، كما اكتفت بزمال ومرافقين يعرضون جلسات المؤتمر ويشرحون في مناقشته ويوضحون موقف حكومتهم في المسائل المعروضة ويعرضون حكومتهم بموقف الدول العظمى . وأسفدت المذكرات الأمريكية في اجتماعها من الاتراك في المؤتمر إلا أنها لم تكن في حالة عروب مع تركيا ، ولم تكن أحد الأطراف في حدة معروس ، ولا قريب في التوقيع على الاتفاقية الجديدة القترسة .

(٢) Harry N. Howard; op. cit., p. 303.

إعتباراً من أول مايو - آيار - سنة ١٩٢٣ ، وتم التوقيع على الاتفاق النهائي في ٢٤ من يوليو - تموز - سنة ١٩٢٣ وأُتفق بمعاملة لوزان على أن يكون مرافقاً بها وجزءاً لا يتصل عنها (١) .

ويلاحظ أن مسألة اليونانيين قد استغرقت من المؤتمر وقتاً طويلاً ، وكانت لها الصدارة على مسألة الأرمن . أما مسألة اليهود فلم تلتزم من المؤتمر وقتاً ولا جهداً ، لأن عصمت باشا حسمها بقوله الإبقاء على اليهود في تركيا الحديثة لأسباب سبق أن ذكرناها في الفصل السابق .

وانتقل المؤتمر في ذات الجلسة إلى مناقشة قضية الأرمن والترحيل المكثف لإنشاء وطن قومي للأرمن داخل تركيا بدلاً من دولة حرة مستقلة . واحترض عصمت باشا على هذا الاقتراح وقال إنه لا يستطيع أن يوافق على هذا الاقتراح الجديد لئلا يترك وحده تركيا الحديثة من أجل الأرمن ، فلم يجهز ليريدان ، كما أن حكومة أقرة لا يمكن أن توافق على إنشاء لجنة دولية ، لأن من شأن هذه اللجنة بكل تأكيد التدخل في الشؤون الداخلية لتركيا . ومع ذلك فإن الحكومة التركية تستطيع أن توافق على منح ضمانات على غرار الضمانات التي أُدرجت في معاهدات الدول التي أنشئت حديثاً في أوروبا

(١) كانت معاهدة لوزان تقسم إلى جانب معاهدة الصلح بعد اتفاقات وروتردام على اتفاق الصلح التركية ، واتفاق تمييز السكان المسلمين الأتراك والسكان اليونانيين في اليونان و تركيا ، واتفاق حدود ترابيا ، واتفاق من شروط الإنهاء والشمول والنفاد ، والترحيل بأموال العام عن اليهين السياسيين ، والترحيل عن الأمور الشخصية في تركيا ، والترحيل من آثاره الصلح في تركيا ، وروتردام من انضمام باجينا والبرلمان إلى نفس مواد المعاهدة ، وروتردام من انضمام القوات اليونانية والفرنسية والإيطالية من الأراضي التركية المحتلة ، وروتردام من إرثي قره قلان وجيزرة، إيريس Imbros وتيغوس Tenos ، وروتردام من توقيع يوغوسلافيا معاهدة الصلح .

الترجمة من :
La Conférence de Lausanne sur les Affaires du Proche-Orient 1922-1923,
op. cit.,
Great Britain, Parliamentary Papers, 1923, Treaty Series No. 16, Cmd.
1929. Treaty of Peace with Turkey and other Instruments, signed at
Lausanne on July 24, 1923.

عقب الحرب العالمية الأولى . ووصف عصمت إقراجه بأنه آخر معنى يمكن أن تصال إليه تركيا . واقترح أيضاً منحهم حرية الانتقال والحركة في أقاليم الدولة . ولكنه رفض إعطاهم من الواجبات العسكرية (١) .

وعهد لورد كيرزون في رده على أقوال عصمت باشا إلى التفكير بأن أنظار العالم متجهة إلى الأتراك وما سيقبلون مع الأرمن . وحيد إحالة قضية الأرمن إلى عصبة الأمم لعلها تجد حلاً يتناول المسألة الأرمنية من جميع جوانبها . وقد أجاب عصمت باشا بجملة ١٤ من ديسمبر - كانون أول - بأن حكومته ترفض رفضاً باتاً منح الأرمن وطناً قومياً في تركيا . كما ترفض تماماً تشكيل لجنة دولية لتصرف على الأقليات . وستمنح الحكومة التركية حقاً عاماً عن اللجنة التي ارتكبت جرائم في السنوات القليلة السابقة ، وسوف تنصق قوانين لحماية الأقليات الدينية والقوقية في تركيا . وهنا تسامل لورد كيرزون عن جدوى التوائين أو المعاهدات التي تتضمن حقوق الأقليات ، واقترح إجراء دراسة أخرى عن قضية الأرمن بأحالتها إلى لجنة الأقليات بأمل التوفيق بين الآراء المتضاربة حولها .

إعطاق قضية الأرمن في مؤتمر لوزان :

قدم تقرير اللجنة الفرعية عن الأرمن إلى المؤتمر بجملة ٩ من مايو - آيار - سنة ١٩٢٣ متضمناً إدراج تصويص في معاهدة الصلح مع تركيا تخص بضمانات للأقليات في الدولة التركية الجديدة . ورفض التقرير فكرة إنشاء لجنة دولية لتصرف على تهديد هذه الضمانات . وكان هذا الرفض انتصاراً للورد التركي (٢) . وعلق عليه لورد كيرزون بإبداء أسفه على رفض وفد تركيا وجود مندوب عن عصبة الأمم يقم في إنستابول . وقال إنه متألم كتشدد الوفد التركي في قضية الأرمن . ونرى الأيام الموجه إلى الخلقاء والتفاس بإنشاء وطن قومي للأرمن في تركيا . ولم يبدد هذا الحق عنوف الوفد التركي فلم يترشح عن موقفه قيد أمثلة . ولحق أن عصمت باشا وزعمائه أعضاء الوفد التركي في المؤتمر كانوا على حق في معارضة إنشاء وطن قومي للأرمن

Harry N. Howard, op. cit., pp. 303-304.
Loc. cit.

(١)

(٢)

في الجزء الشرقي من تركيا الحديثة، لأن هذا يمثل الوطن القومي national home وهو تعبير استعارته بريطانيا من تصريح بالفتور وزير الخارجية البريطانية في ٢ من نوفمبر - تشرين ثان - سنة ١٩١٧ بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين - كان سيؤدي إن عاجلاً وإن آجلاً إلى قيام جمهورية أرمنية تلتطع من جسم الوطن التركي في الأناضول .

على هذا النحو أسقطت مسألة الأرمن من مناقشات مؤتمر لوزان ، وأدرجت في صلبه معاهدة الصلح مع تركيا المواد من ٢٨ إلى ٤٤ وهي مواد إضافية تنص في مجموعها على أن تضمن الحكومة التركية حياة أرواح وممتلكات وحرية سكان تركيا بدون تمييز في جنسية السكان . أو دينهم ، أو لغتهم ، أو مكان مولدهم . وقررت لأعضاء الأقليات الدينية غير الإسلامية الحق في ممارسة شعائرهم الدينية في السر والعلن بشرط أن تكون هذه الممارسة متسقة مع النظام العام والأخلاق العامة ، ولم الحق في الهجرة وحرية الحركة في تركيا . ويكون لم الحق في جميع الحقوق المدنية والسياسية المقررة لرعايا المسلمين في الدولة ، والمساواة التامة مع المسلمين أمام القانون . كما يكون لم الحق في إقامة المنشآت الخيرية والتعليمية والاجتماعية والتطوعية ، وأن تكون لغة التعليم في مدارسهم بلغاتهم ، وأن يمارسوا داخل هذه المؤسسات أيضاً شعائرهم الدينية دون قيد ، وتضمن الحكومة التركية حياة هذه المنشآت بكافة أنواعها . وفيما يخص بالتعليم العام تمهدت الحكومة التركية بأن تمنح في المدن والقسم المدن التي تقيم فيها نسبة كبيرة من رعايا الدولة غير المسلمين تسهيلات مناسبة تضمن أن يكون التعليم في المدارس الابتدائية لأطفال هؤلاء الرعايا غير المسلمين بلغتهم القومية ، ولا تمنع هذه التسهيلات الحكومة التركية من جعل تعلم اللغة التركية إجبارياً في مثل هذه المدارس . وإلى جانب ذلك كله تصهد الحكومة التركية عند النظر في قضايا الأحوال الشخصية المتعلقة بأفراد الأقليات الدينية غير الإسلامية بإتخاذ إجراءات تنص على أن يكون الفصل في هذه القضايا طبقاً لمبادئهم وتقاليدهم ، وأن يعهد إلى لجنة خاصة تشكل من عدد متساو من ممثل الحكومة التركية وممثلين عن الأقليات الدينية بوضع هذه الإجراءات . وإذا تعذر الاتفاق بين أعضاء

التي، فإن الحكومة التركية وباتفاق مجلس عصبة الأمم يعهدان إلى أحد الحاميين الأوروبيين كحكم لفصل في هذا الاختلاف في وجهات النظر . كما تضمنت المعاهدات ضمانات أخرى .

وهكذا انقض مؤتمر لوزان دون أن يحصل الأرمن على كيان سياسي خاص بهم . وتحققت مخاوفهم من عند هذا المؤتمر ليعيد النظر في معاهدة سيفر . فقد استبعد مؤتمر لوزان ما جاء في هذه المعاهدة من إنشاء دولة حرة مستقلة لم في شرق الأناضول . ولا عرضت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا على المؤتمر إنشاء وطن قومي للأرمن داخل الأراضي التركية اعترضه الوفد التركي بشدة على هذا الاقتراح ونجح في استبعاد المشروع البديل . وبالحظ أيضاً أن عصمت باشا لم يطالب بإخراج الأرمن من تركيا كما فعل مع اليونانيين الذين استوطنوا تركيا . وسمح لهم بالبقاء في أراضي الجمهورية التركية ككافة مدينة غير إسلامية تمارس نشاطها الاقتصادي والمالي والتجاري والاجتماعي في ظل القوانين التركية، ووافق على الضمانات التي وضعها لم لجنة الأقليات في المؤتمر وأدرجتها في معاهدة الصلح .

ويقول الدكتور ناسن، تعليقاً على النتيجة التي انتهت إليها قضية الأرمن، إن مؤتمر لوزان قد سمى بالأرمن ، وهم شعب موهوبة ذو نشاط حاد في العبادة ، وهم لا يملكون آبار بترول ولا مناجم ذهب . وكان من الأفضل لو التزم أعضاء مؤتمر لوزان الصمت التام لزاء قضية الأرمن ولم يرد على أسئلتهم ذكر كلمة الأرمن (١) . وكان ناسن قد أوفدته عصبة الأمم قبل عقد مؤتمر لوزان إلى منطقة الشرق الأدنى لدراسة مشاكل الأقليات في أرجائه . وأسهم في مناقشات المؤتمر بعد عودته .

موقف الأرمن من ثورة الأكراد سنة ١٩٢٥ :

وقف الأرمن بعينهم مواطنين أترك موقفاً اتسم بالولاء والإنحياز للجمهورية التركية سنة ١٩٢٥ حين قام الأكراد بثورة عارمة في الجنوب

(١) Fridtjof Nansen; Armenia and the Near East. London. 1928, p. 324.

الشرق من الأناضول متأثرين بالدعاية الشيوعية التي دوج لها الشيوعيون في الاتحاد السوفيتي ومثرتين أيضاً بالمحافظين الأتراك وجماعات الدرويش الذين كانوا يعارضون السياسة العلمانية في اتجاهها كمال أتاتورك ، وكانوا ينظرون إليها على أنها تتعارض مع مبادئ الإسلام . ويرى البعض أن ثورة الأكراد هي حركة قومية انفصالية توحيها كبرواهم الذين حلوا على طلبة أميران الوادي Dersboys في الأناضول . وكانت هذه الطليقة قد انحضت قبل عهد الجمهورية (١) .

قام الأكراد بمحاولات تحريرية في ديار بكر بزعمارة الشيخ سعد، ونبيوا ثم أحرقوا عدداً من المدن الكبيرة والصغيرة والقرى . ولقيت الثورة حطفاً عظيماً من المواطنين الأتراك المحافظين المتمسكين بالإسلام في إستابول وغيرها، وكذلك من أصحاب الطرق الصوفية والدرويش ومن إليهم . وعلق الشيوعيون والأكراد آمالاً كبيراً على انقلاب الأرمين في تركيا إليهم . فقد كان الروس (السوفييت) حلفاء للأرمين في الحرب العالمية الأولى . وكان الأكراد يفترون الأرمين بالعمل على تحسين أوضاعهم السياسية في الأناضول . ولكن لم يجد الشيوعيون والأكراد استجابة من الأرمين، إما خوفاً من بطلان قوات الجمهورية التركية لهم، وإما رضاء بوضعهم بعد أن فقدوا الأمل بعد كفاهم المرير من أجل الاستقلال أو الحكم الذاتي . وكانت ثورة الأكراد عارمة واجهها كمال أتاتورك بعنف متزايد ، فعين عصمت إينوتو رئيساً للوزارة بدلاً من عل فتحي في ٣ مارس - آذار - سنة ١٩٢٥ ، واستصدر من المجلس النيابي في أنقرة في اليوم التالي قانون « إعادة النظام » ، وقرر بوجيه منح الحكومة سلطات استثنائية واسعة ، وإنشاء محاكم الاستقلال (استقلال محكمة سي) في أنقرة والولايات الشرقية في الأناضول لحاكمة وجين أو إعدام الوارد تبعاً بلطامة الجريمة التي يرتكبها كل منهم . وقيست السلطات التركية على الشيخ سعيد وكبار مساعديه في ١٥ من أبريل - نيسان - عام ١٩٢٥ وقدمتهم

Lewis B.; op. cit., pp. 38, 409-410.

(١) .

لهيئة الاستقلال في ديار بكر في ٢٥ من مايو - آيار - وتقدّم عليهم بحكم
حكم الاعدام في ٢٩ من يونيو - حزيران - في ذات السنة .
الأرمن بعد مؤتمر لوزان (١٩٢٢ - ١٩٢٣) :

وأتى إلى الفصل الأخير من قضية الأرمن استكمالاً لها في هذه الدراسة .
استوى الأرمن شعور من الأسي السيق كنتيجة السلبية التي أثبتت إليها
فضيئهم في مؤتمر لوزان لسنة ١٩٢٣ وانظروا على مفضض الوضع السياسي
الذي تفرق لهم : أقلية دينية غير إسلامية تعيش جنباً إلى جنبه وعلى قدم
المساواة مع أقلية إسلامية ساسقة هي الشعب التركي (١) . وأدخلوا إلى
السكينة والهدوء . وأوفت الحكومة التركية بعهودها والتبعت معهم سياسة
السامع ومنحهم حريات سياسية واقتصادية وثقافية ودينية وغيرها . وأخذت
تجد شبابهم في القوات المسلحة التركية أسوة بالمسلمين . وتجمع بعض منهم في
الانتخابات العامة وخدموا أعضاء في البرلمان التركي . وتقلد بعض آخر مناصب
قيادة في الحكومة . وانصرف الأرمن في مجموعهم إلى مواصلة نشاطهم
التجاري والصناعي والتصرف المكثف في الجمهورية التركية بحيث أمسى
الأرمن من أبرز الأقليات الدينية غير الإسلامية في المجتمع التركي . أما في
المجالات الدينية والثقافية فكانت لم ثلاثون كنيسة وأكثر من ثلاثين مدرسة

(١) كان حزب الشعب الجمهوري والذي كان يرأسه بصفة دائمة كمال أتاتورك قد واثق
في ٤ من أبريل - نيسان - سنة ١٩٢٨ من حيث المبدأ على طمأنينة القصور التركي أن تفرقة
من أسكاف الحرية الإسلامية . وأمال الفروع في ذات اليوم إلى المجلس الوطني الكبير الذي
أسسه بوزر . إلى سنة الثماني المستورة بالتقسيم لدراسة . وفي اليوم التاسع من ذات الشهر
وإلى جميع الأطفال الماترين - وكان عددهم ٢٢٩ طفلاً - على مشروع ثلاثون يادمان
تصديرات التفرقة وكان من بينها إلقاء الآلة الثانية من القصور واثق نفس على أن يكون
الإسلام من دين الحكومة التركية . وكان على نفس موجرة في القصور لعمالي التي أصدره
السلطان سنة الحية التي سنة ١٠٧٩ مع تشيخ عريف نقله كثير الفروع الثلاثون تركيا بعد
إيدون قسام الجمهوري جا . وتشيد المجلس تلك الهيئة جارة جديدة هي أن الجمهورية التركية
موتة عطانية . وفي ذات الجلسة أعمل المجلس لثلاث لعمالي على القصور لعت على التيماء
القصور الدينية الإسلامية الواردة به .

الطريق :
Atatürk. Biography; published by the Turkish National Commission
for UNESCO, Istanbul, 1981, p. 151.

في مختلف درجات التعليم . ووقفت الأرمن موقفاً وطنياً تركياً واضحاً حين أدخلت الحكومة التركية في ١٧ من فبراير - شباط - سنة ١٩٢٦ القانون الذي على غرار القانون المدني السويسري لتنظيم حياة الأسرة ومنع تعدد الزوجات وتنظيم مسائل الطلاق وغير ذلك من مسائل . فغلب الأرمن في تركيا التنازل عن الحق الذي فُرضه لم معاهدة لوزان (١٩٢٢) في أن يكون الفصل في قضايا الأحوال الشخصية الخاصة بهم طبقاً لتقاليدهم وعاداتهم ، وطالبوا بتطبيق القانون المدني التركي الجديد عليهم . ووافقت الحكومة التركية على طلب الأرمن دعماً للوحدة الوطنية ولتعييناً للشعور الوطني بين رعايا الجمهورية (١) .

وإضافة لمن آثرت مجموعة من الأرمن مغادرة الأراضي التركية ، إما خوفاً من أن تتكث الحكومة التركية بمهودتها ما يرضهم للاضطهاد ، وإما طمناً في تحقيق فروات شخصية في دول أخرى . فهاجرت جموع منهم إلى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا ورومانيا وبلغاريا ومصر وسوريا ولبنان والعراق . ولكن أجمع معظمهم إلى كندا والولايات المتحدة الأمريكية وبخاصة الأجزاء الشمالية منها . ويبلغ عدد الأرمن في تركيا في الوقت الحاضر (١٩٨٠) أكثر من سبعين ألف نسمة .

عودة إلى النشاط الإرهابي الأرمني :

تألفت جماعات من الإرهابيين الأرمن منذ سنة ١٩٦٥ يتلقون صفوفهم وكونوا جمعيات إرهابية لها كانت بحق جمعية القلوب Hunchak وجمعية داشناكس Dashnaks أو الاتحاد الثوري الأرمني A.R.F. وزاولوا نشاطهم الإرهابي خارج أراضي الجمهورية التركية ضد أعضاء السلكين الدبلوماسي والفنصلي التركيين . وبدأ نشاطهم الثوري في صورة متواضعة نسبياً حين أعلن أسقف الأرمن في بيروت اختيار يوم ٢٤ من أبريل - نيسان - سنة ١٩٦٥ يوم حداد عام للأرمن في لبنان

ATATURK. Biography, op. cit., p. 150.

(١)

بمناسبة مرور خمسين عاماً على مذابح الأرمن في مائل هذا اليوم من سنة ١٩١٥. والتي قامت فيه السلطات العسكرية العثمانية بتأجيل الأرمن من شرق الأناضول إلى معسكرات الرحيل في التوصل لتأمين سلامة القوات العثمانية التي كانت تخوض معارك ضارية ضد الروس. وأتجه تفكير الأرمن في لبنان إلى تنظيم مظاهرة سلمية وصاعية تطوف بأحياء العاصمة اللبنانية ترحيماً للذكرى شيداء الأرمن. وقد استنكر كبير أساقفة الأرمن في إسطنبول يوغوس كيرشيان Bogos Kerchyan هذا التصرف وأدان المرفعين عليه والمتضمين إليه. وذلك في بيان وصي نشرته جريدة Harirye أى الحرية، التي تصدر في إسطنبول في عدده الصادر في ٦ من أبريل - نيسان - ١٩٦٥. وكان هدف الأرمن المتطرفين من هذا التصرف يشقيه - إعلان الحداد العام وتنظيم المظاهرة - هو جعل هذه المذابح حية في أئنة الأجيال الصاعدة من شباب الأرمن، فضلاً عن إثارة الأقطاب على الأتراك عن مذابح قديمة تعرض لها الأرمن في القرنين التاسع عشر والعشرين وطواها التاريخ. ولم ينكر هؤلاء المرفضون شيئاً عن المذابح التي أوقعتها الأرمن بالمسلمين العثمانيين.

ولم يلبث أن عمد المتطرفون الأرمن بعد حادث بيروت إلى توسيع نطاقهم الإجماعي بعد أن تحولوا إلى إرهابيين ضد الأتراك منذ سنة ١٩٧٥ في العواصم الأوروبية: باريس، لندن، فينا، مدريد، القاتيكان. فكانوا يتصيدون أعضاء الشئكن الدبلوماسي والتتصل الأتراك. وعسكرن بالقضية وينتالون عليها في لحقات معدودة بوابل من القناعات الثورية ثم يولون الأديار. وفي فريق من المبنومسيين الأتراك مصرعهم وأصيب آخرون بجراح خطيرة. واتخذت الحكومة التركية بالتعاون مع حكومات الدول الأجنبية إجراءات أمن مشددة للحفاظ على أرواح مواطنيها السياسيين وعلى سلامة دور السفارات والتتصلبات التركية.

الأمن الأتراك يتهدد بالإرهابيين الأرمين :

وقد صدر في سنة ١٩٨٠ كتاب باللغة الفرنسية عنوانه : « حقائق عبر
عليا الأرمين الأتراك » وقد سبق أن أشرنا إليه . وقد نشرته جريدة يومية
أرمينية تسمى جاماناك تصدر في إستانبول . وترجم إلى اللغتين الإنجليزية
والتركية .

وقد كشف هذا الكتاب بصراحة عن أسرار خطيرة وراء العمليات
الإرهابية التي قام بها أرمين أتراك مخلوعون بدعاية بعض الدول الأجنبية
وخاصة من الحكومة اليونانية ومن الشيوعيين . فالعلاقات السياسية بين
الحكومتين التركية واليونانية تمر بأزمات سياسية متعاقبة بسبب جزيرة قبرص
حيث تمثل القوات التركية الجزء الثقال من الجزيرة وبسبب الأقلية الإسلامية
التركية في أرمينيا الغربية - حيث يعيش أكثر من مائة ألف تركي مسلم يتعرضون
من الحكومة اليونانية لسياسة التمييز العنصري وما يقبها من وسائل الاضطهاد
والقمع والكنيت (١) . ومن المعروف أن أرمينيا كانت تابعة لبلغاريا . فلما
دخلت الحرب العالمية الأولى إلى جانب دولتي الوسط والقوة العثمانية وتعرضت
هذه الدول لهزيمة فرنسية بريطانيا وحلفائها حل بلغاريا معاهدة نوييل
Neully في ٢٧ من نوفمبر - تشرين ثان - سنة ١٩١٩ وبتنفيذها تنازلت
بلغاريا عن أرمينيا الغربية لليونان (٢) . وفي معاهدة سيفر (١٠ من

(١) نشرت مجلة لسان الأتراك راجيا الغربية كتاباً سنة ١٩٧٦ عنوانه :

How the West Thrace Moslem Turks are annihilated .

أي كيف يباد المسلمون الأتراك في أرمينيا الغربية ؟ وله سبيل ومبدأ دعماً للاضطهاد العنصري
والسياسي والعنصري والفقير واللايمكاني الذي يراجه الأتراك المسلمون في أرمينيا الغربية .
والكتاب مطبوع في شركة مطابع آلتورك - Alitok .

(٢) انظر بنود معاهدة لوزان في :

Miller W., op. cit., pp. 540-541 .

٧- أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦-١٩٠٩ للباحث الفلسطيني

يوسف حسين عمر أجازتها جامعة اليرموك.

وهذه الدراسة محاولة جادة لدراسة فترة حكم السلطان عبد الحميد ومعرفة الظروف السياسية المحيطة به داخليا وخارجيا خاصة منذ ظهور جمعية الاتحاد والترقي ونشاطها الداخلي والخارجي وعلاقتها بالقوى الأوربية واليهودية العالمية بجميع مؤسساتها، والأشكال التي عبروا فيها عن أنفسهم من ماسونية وصهيونية وغيرها، والظروف التي أدت إلى خلع السلطان عبد الحميد، ومساهمة القوى الأجنبية المختلفة مع جمعية الاتحاد والترقي في خلع عام ١٩٠٩.

ب- أحوال الدولة العثمانية الخارجية .

تعرضت الدولة العثمانية للعديد من المؤثرات الخارجية أثرت على سياسة الدولة، والتي عكس أساسها كلت الدولة في كثير من الأحيان ترسم سياستها وفق مصلحتها ومن ذلك .

١- الامتيازات الأجنبية:

تعرف كلمة الامتيازات اسلاماً : بأنها مجموعة الحقوق التي تمنح للدول الأجنبية من قبل دول أخرى بناء على اتفاق أو معاهدة مبرمة بينهما^{١١}.

وتاريخ الامتيازات قديم جدا ، وكانت أحد الشروط الرئيسية لتبادل التجارة الدولية ، وكانت إحدى الوسائل الضرورية للإمبراطوريات القوية لتحقيق مصالحها في شتى المجالات ، وقد توعت الامتيازات، قلها الامتيازات التجارية والديبلوماسية وغيرها^{١٢}.

وقد مرت الامتيازات في أربعة مراحل كان أهمها المرحلة الرابعة التي امتدت من سنة ١٨٣٩- ١٩١٤م. وتميزت هذه المرحلة من الامتيازات عن سابقتها بالتفاهل معاهداتها مسمة القولية المشتركة ويقصد بها تحالف عدة دول وتشراكها معا في طرف واحد في معاهدة ما مقابل التسرف الثاني الساذج تمثله الدولة العثمانية. بعد أن كانت هذه المعاهدات ثنائية الأطراف في السابق، كما تميزت هذه المرحلة بالشمولية في تحقيق الأهداف الاقتصادية والديبلوماسية والديبلوماسية والعسكرية وحقوق الملكية الخاصة والحريات العامة والتولعي الاقتصادية والعلمية وأخذت الامتيازات تتاسبب العصر الجديد والمصالح الأوروبية^{١٣}.

اثر الامتيازات على اقتصاد الدولة العثمانية .

أثرت الامتيازات تأثيراً سلباً على الاقتصاد العثماني بشكل خاص، وعلى الدولة العثمانية بشكل عام ، حيث شهدت الدولة ضغطاً واسعاً على المستوى السياسي والعسكري والاقتصادي، في الوقت الذي قررت فيه الامتيازات لدول الأوروبية الكثير من الحقوق، منها الإعفاء الكامل من الضرائب الجمركية الداخلية ، الأمر الذي أدى الى خفض أسعار البضائع واستهلاكها بسرعة، كما أدى إلى انخفاض التجارة الداخلية والخارجية، في الوقت الذي وجدت فيه أسواق أوروبية داخل الدولة ، الأمر الذي جعل المصانع العثمانية غير قادرة على منافسة نظيرتها الأوروبية، وفي الوقت نفسه الذي قلقت فيه أوروبا باستغلال

^{١١} وفيه تعريف: " تاريخ الامتيازات لم الدولة العثمانية والفرع " مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية ، جلد ١، ٢١م، ١٩٩٧ . ص ١٢٥ .

^{١٢} المرجع والمصطلح نفسه.

^{١٣} المرجع نفسه ، ص ١٥٦ . - أنظر عن مراحل الامتيازات بؤنوخ في: تعريف، تاريخ، ص ١١٨-١٥٦.

المواد الخام واستخراجها بأسعار زهيدة ، وهذا أدى في كثير من الأحيان إلى صعوبة إيجاد المشائين لهذا المورد لمصانعها الرابطة ، مما أدى إلى إخلاء المصانع الصغيرة من الأسواق¹⁷، وقد تركزت الأسواق الأوروبية في قلب الدولة العثمانية، دون مناطق أخرى في شرق القارة والمناطق العربية¹⁸.

ويوضح 'جب - بيون' مدى ما كانت تمنحه الامتيازات للأجانب ومدى استغلالها من قبلهم بأوليه: 'ولما كان تحت تصرف كل سفير خمسون برامة ولما كانت العملة تتجدد عند كل تعيين جنيس، لا بد من للمعب ان ترداد بسرعة أعداد أولئك الذين كانوا ينصون بالرعاية الفرنسية والنمساوية والسويدية والبريطانية، وغيرها من الجنسيات الأوروبية ممن كانوا ينتمون في هذه الجنسيات ويتساركون في ناس القضاء القضائي، ويمكن أن تبين مدى سوء استعمال هذا الحق ما وصل إينا من أن باشا 'لنبا' شكا إلى الباب العالي في عام 1793 من أن عدد تراجمة القناصل في 'لنبا' زاد حتى بلغ حوالي ألف وخمسة وألوف معاون من الضرائب ويسلون في التجار'¹⁹.

الحقيقة أن الامتيازات وجدت في ظل ظل وانحيا في النشاط التجاري للدولة العثمانية، حيث اعتبر هذا النشاط محظا لغير حضارتهم التي تقوم على القومية والشهامة، إلا أن الأمور بدأت تخرج من كراها مجرد امتيازات تجارية إلى اكتساب مميزات قانونية أصبحت حقوقا في أيدي الدول العظمى لتؤسس إما في تعزيز أهدافها القومية، وإما لإجبار الدولة على إدخال الإصلاحات التي وعدت بها في صدد مؤتمرات وفرمانات إصلاحية²⁰.

ومن وجهة النظر العثمانية كان من الاعتراضات على نظام الامتيازات الأجنبية هو الطريقة التي أدت إلى ظهور نظام الحماية التي أعطت نوعا من التتبع الذي يقول الرعايا العثمانيين إيسا المحصور على الجنسية الأجنبية، وإما طلب الحماية من أية دولة أجنبية دون أن يتطلب هذا الإقامة في هذه الدول التي تملية الحماية، بالتالي يصبح له حق التمتع بالامتيازات الأجنبية سواء كانت سياسة أو تجارية أو دينية، كما يتمتع بها رعايا الدول الأخرى الذين يعيشون في الدولة العثمانية²¹.

هذا الأمر أدى بالكثير من هؤلاء الرعايا للهروب من حبه الضرائب والتمتع بالامتيازات، مثل وصل الأمر إلى أن الصناديق البريانية للدول الأوروبية كانت وفق الامتيازات مطلة تماما ضمن القنصن والمراقبة من وإلى الدولة العثمانية²².

¹⁷ الفريش، تاريخ ، ص 158.

¹⁸ ديار الجليل، القرن العرب الحديث، 1811-1911 [الدمشق : جامعة دمشق ، 1991] ص 246.

¹⁹ مشكورن جب - مارولد بيون، المبتع الإسلامي والعرب ، ترجمة ، امد عبد فرحيم مصطفى ، [بصر : دار المعارف، 1977]، ج 4، ص 114.

²⁰ مير كمال أوك، المقتان حد السيد الثاني، بين المسيحية القبطية والمشكلة القبطية ، ترجمة، إسحاق صادق، (بدا : القاهرة : دار هراء للأعلام العربي، 1992)، ص 44-45.

²¹ المرجع نفسه ، ص 52.

²² بقرية، سلاطين ، ص 66.

تعدى لور الامتيازات إلى قيام الدول الأوروبية بأعمال المراقبة داخل ولايات دولة العثمانيه فبني
مكتونيا¹¹ (Macedonia) التي تتألف من ولايات *ماناستير* (Monastir)¹² و*كومسوفو* و *سالونيك*-
تأسست لور القرن التاسع عشر بإدارة خاصة تحت مراقبة خمس دول أوروبية هي إنجلترا وفرنسا
وروسيا والنمسا وإيطاليا، وكانت المراقبة تشمل بوجه خاص الشؤون المالية وأمن الأمن، وكانت كل
منها تحت مراقبة دولة من هذه الدول الخمس، على أن يكون مركز كل ولاية هيئة مراقبة تشرف على
أعمال مراقبي الإقليمي، على أن تكون في *سالونيك* هيئة للمراقبة الدولية مع ممثل عام حكومي يعين لمدة
خمس سنوات، فلا يتم عزله طواق هذه السلطة ويتمتع بمناطق تنفيذية عامة¹³ الأمر الذي كان يقتصر من
سيادة الدولة العثمانية على أراضيها.

ويع أن المقصود أصلاً من هذه المعاهدات أنها امتيازات منحها حاكم ذو سلطان، لا أنها حقوق
تكتسب من سيده جنوبي، فقد منح الأتاليب امتيازات إقليمية كانت شديداً مبدلاً للشركه حتى أصبحت
الإمبراطورية¹⁴.

كانت حصيلة الامتيازات أنها وفرت للأوروبيين تشكيل حكومة داخل الحكومة العثمانية مما جعل
توهم قيام الدولة حقاً بتنفذ مشروعاتها، لذلك فقد اختلفت الامتيازات الأجنبية بمطابقة مواليف مبدئية

¹¹ مكتونيا : هي إقليم جنوب شرق أوروبا ، تمتد شمالاً من بحر إيجة بين الغريون وقرطاجا ، ويقسم الأقليم من العاصمة
التيانية إلى مكتونية البوذية وعاصمتها سالونيك ، وجمهورية مكتونية الفوسلافية المشيخة بالحاكم القانسبي وطاسميتسيا
سكوبلي ، ومكتونية البانارية ، وقد صادرت مكتونية رافعة خليجة من الأيمن والقرصيات من المسيحيين والمسلمين واليهود
والإندار والروان ، وعندما انشأت الدولة العثمانية فتلكه في القرن التاسع عشر ، أُنعت كل من البودان وسربيا وبلغاريا
حالياً في ملكها ، وأصبحت معاهدة سان ستيفانو الجانب الأكبر منها في بلغاريا ، لكن مؤتمر برلين أعاد الحكم العثماني
المباشر عليها من جديد . انظر - عهد الفتي العريسي ، مختارات البهيو ، (ط 4 - بيروت) دار النهار للنشر - ١٩٩٦ (١
من ٢٩٧.

¹² ماناستير - أو بوليا *Manastir* في السلطانية ، وعلمك من يرى أن هذا الاسم من *Manastir* اليونانية أو *Manastir* السلطانية ، أو
بيت الله بالعربية ، ومن هنا نشأ الصلة بين تسمية بيت الله وتسمية العثمانيه *ماناستير* أي *بيت* ، وذلك عندما سقطت فيس
يد العثمانيين خلال ١٢٨٣ - ١٢٨٧ ، حيث تطورت بسرعة لتصبح من اعظم المراكز الاقتصادية والثقافية في البلقان ،
وفي القرن الخامس عشر ، استولمت فيها ٢٠٠ عائلة يهودية ، مما جعل اليهود حضور مميز فيها منذ تلك الحقن . انظر
حسن كاشي ، الوجه الآخر للعثمان والترقي، تقديم وترجمة محمد الإبراهيم ، (إربد : نسبة للثقافة والفن ، ١٩٩٠) ،
ص ٢٨.

¹³ سابع الحموري . الفلك العربية والدولة العثمانية ، (ط ٢٢، بيروت: دار العلم للملايين ، ١٩٦٠) ، ص ١٠٧ .
¹⁴ غليب جلي، تاريخ سوريا وبلدان فلسطين ، ترجمة: كمال البرازي ، (بيروت : دار الفکر ، ١٩٦٩) ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ .
١ - التنوير - الدولة - ج ١، ص ٧٠.

للعثمانيين^{١١} خصوصاً وأن مبدأ التجميد والتعامل بالمثل على ميول لاكتاف امر ترميد، أيضاً عندما نرى عليه الأمر في السابق^{١٢} ويوضح السلطان "عهد الحميد" أنه لما أورد إلغاء الامتيازات كانت الصحف الأوروبية بالصياح والحوار، حيث ظهرت الدولة العثمانية بمظهر المعتدي على حقوق الآخرين في حين يدرك العثمانيون أن هذه الامتيازات هي التي عصمت حقوق الدولة العثمانية وألحقت بها الجلب^{١٣}.

٢- التنافس الدولي وظهور المسألة الشرقية.

ظهرت العديد من الدراسات الأوروبية التي تحدثت حول تقسيم الدولة العثمانية نسي الثلث الأول من القرن التاسع عشر^{١٤}. ومن هنا ظهر مصطلح "المسألة الشرقية" الذي أُرعدوا به حال الدولة العثمانية بالتفر إلى مصالحهم وأطماعهم ، حيث اعتقدت أوروبا أن الدولة العثمانية توسعت التسوية ، وأن احتلالها، وكل دولة تثلب حلها من تلك القضية ، ويتارعون إلى ذلك غالباً بأسباب دينية، أبرزهم السهم بربادون حماية المسيحية في الشرق ، أو القصاص من بعض الحكام العثمانيين ، لأنهم تعدوا على مصالحهم التجارية ، وكان الفرض الأساسي من هذا التنزح هو القضاء على دولة العثمانية كلياً^{١٥}.

ومن الصعب حصر المسألة الشرقية في إطار واحد من التعريف، ولكن يمكن القول بوجهه صاه بأن المسألة الشرقية تتناول المصالح المتعارفة ، والتنافس العنيف الذي وقع بين الدول الأوروبية نسر مجالات السياسة والاقتصاد والتين ، وعلى وجه التحديد ، فهي المسألة التي تتناول في الدرجة الأولى الدولة العثمانية، منذ أن ظهر العثمانيون في آسيا الصغرى ، وفي جلوب أوروبا ، ومنطقة الشرق الأوسط، وبذلك شاع القول السائد: "منذ أن ظهر الأتراك في أوروبا بدأت مسألة شرقية"^{١٦}.

كما استعمل على تسمية دولة العثمانية باسم "رجل أوروبا المريض" (The Sick Man of Europe) ، وقد سخرت هذه التسمية عن القيصر الروسي نيكولا الأول (Nikolas I) في حديث جرى سنة ١٨٤٤ بينه وبين "أبردين" (Aberdeen) رئيس وزراء بريطانيا وذلك في "وندسور" (Windsor) في إنجلترا، حيث كانت تجمع الاثنان صداقة وثيقة ، لكن هذا المصطلح أو التصريح لم يكسب الأول سن

^{١١} قصوري ، إيلاف ، ص٧١.

^{١٢} أمين قزويني، الدولة العثمانية ترميد جديد لمرآة الانطباع (١٦-١٧ لوردي)، مركز دراسات الإسلام والعالم، ١٩٩١، ص٧٠.

^{١٣} عهد الحميد الثاني، مكتبة، ص٧٠.

^{١٤} ريفن شافر القشة، السلطان عبد الحميد ورساين، المطران الذي كسر حركته من لوبل لفسلين، (١٥) ، القرائن، شركة مطابع نجد التجارية، ١٩٨٤، ص ٧٢ .

^{١٥} حسن أيب، تاريخ المسألة الشرقية، (مصر: مطبعة الهلال، ١٩٢١)، ص ٤ .

^{١٦} زين نور الدين زين، السراج القديس في الشرق الأوسط، رسالة دكتوراه في سوريا ودمشق، (مطبعة دار النهار للشرق، ١٩٦٠)، ص ٢٤ - انظر، وديع الحق، المسألة الجديدة في لفسلين، دمشق: مطبعة الفيل، ١٩٨٤، ص ٢٤ .

توجه القيصر روسيا ، بأن سيئة التصريح بتلق في مضمونه على ذلك ، جيبين صبرج قسي جسام ١٨٤٢
بالقول : "I have no power to give life to the dead, and the Turkish Empire, is dead, I have no confidence in this old body, preserving life, it is dissolution from all sides" "ليس في استطاعتي ان ابعث الحياة في الموتى، ان الامبراطورية العثمانية بولسة ميتة ، وليس لدي ثقة في ان يستمر هذا الجسم الجعوز محافظا على الحياة ، انه في حالة التحلل قسي جميع الجوانب"¹¹.

ولذا فقد سعت الدول الأوروبية لحل هذه المشكلة، وقد وضعوا لذلك الخطط ، وكانت إنجلترا
أول الدول رغبة في إنهاء المسألة الشرقية ، بالقيام أملاك الدولة العثمانية¹²، في حين كانت روسيا
رغبة من غيرها في إنهاء هذه المسألة ، حيث كانت روسيا في سياستها تجاه الدولة العثمانية تقوم على
لتطبيق العملي للتعليمات التي وضعها القيصر بطرس الأكبر "مؤسس روسيا الحديثة" بالإضافة إلى
تطبيق وصايا القيصر الاسكندر الأول (Alexander I) الذي طلب في ١٦ نيسان م ١٨١٢ من رجال
السياسة وموظفي الدولة ان يقرروا في قلوب الأمم الثلاثية حب الروس، وتحرير الناس على تأسيس
مملكة داخل الدولة العثمانية، وهكذا روسيا ورجال سياستها الي وقت بعيد يطلقون هذه التعليمات
والوصايا بختابها¹³.

ولم تترك الدول الأوروبية حركات التحرر الذاتي تسير بنفسها داخل القوميات التي تخضع للدولة
العثمانية، بل تسرعت وقامت بصيغتها بالصيغة القنبية العامة لتسببها مع أهدافها الخاصة ، ذلك لأن مبدأ
التوسع الاستعماري الحديث كان قد انتشر بها ، وكانت هذه الدول تتنافس فيما بينها في هذا الميدان ،
وكان منها تسعى للظفر بخصم الأسد ، وتسمى لسبق في السيطرة ، وانتزاع أجزاء مما تلحق إليه قبل
سواها من الدول ، ولما كانت الدولة العثمانية تسبب فعليا على منافذ بعض المضائق ، وعلى تفسير من
البلدان التي تتنازعها منافع الدول الاستعمارية، لذا أصبح لا بد من إزالتها عن الطريق بأية وسيلة كانت
والقيام تركتها وتوزيع ممتلكاتها غنائم وأساليب على تلك الدول الطامحة¹⁴.

لذلك فقد قال قيصر روسيا لقرلا الأول حين كان يندك جهده لاقتراح بريطانيا على اقتسام الدولة
العثمانية : يوجد بين وزيرائي وأبان بشأن تركيا ، فيعضهم يصرح بأنها في حالة الانحطاس، وبعضهم
يعلم انها لقيت حتفها ، وعلى كل حال فلا شيء يعول دون معالمتها العاجل¹⁵، وكانت إنجلترا تسعى لسي

¹¹ شهابي، الدولة ، ج ٢ ، ص ٨٦٦ .

¹² ليد، تاريخ ، ص ٥ .

¹³ جود الصيدا لثاني ، مذكراتي ، ص ١٢٥ .

¹⁴ شعوب الصكيرة، ص ٢٠ .

¹⁵ قصر نظريات، ص ١٦٩ .

هذه المرحلة إلى إثبات الصداقة بينها وبين الدولة العثمانية بسبب ما تمكته الأخيرة من تفوذ لدى مسيحيي الهند¹¹.

كما يذكر في هذا المجال أن اللورد كاتزبورج¹² رئيس الوزراء البريطاني في حينه له عام 1895 مبع دي كورسيل¹³ (de Courcel) السفير الفرنسي في لندن صرح بأنه أشرف عند الأسف لأن الحكومة البريطانية رفضت مشروع تسليم الدولة العثمانية الذي عرضه عليها نقولا الأول عام 1887 ، وقال بأن الحكومة البريطانية قد رفضت على ما يبدو لانحصان الماس¹⁴ مويبدأ بدأ توجهه البريطاني يتجه في مسان كانت نتيجة إله العديد من الدول الأوروبية ، خصوصاً روسيا¹⁵ والنمسا¹⁶ لإنهاء وجود الدولة العثمانية¹⁷ وكانت إنجلترا رغم ذلك كثير قبول حثراً في تعاملها مع السلطان أحمد الحميد¹⁸ إلى جانب كونه غير محبوب إلا أنه رجل دولة لديه الملايين من المسيحيين ، وبصفة خالصة له تفوذ على رعايا الدول الأوروبية المسلمين، في الوقت الذي كانت فيه ممتلكات إنجلترا تشتمل على أكبر عدد من المسلمين في العالم ، أما الدولة العثمانية فكانت تعاني¹⁹.

يمكن قول أن السلطان أحمد الحميد²⁰ لم يكن يتربص من المشاكل التي تواجهه داخلياً وخارجياً بسبب معرفته بأنه لن يترك في يد غير المكا²¹، ولما كان يعلم تفاصيل السياسة الأوروبية، فقد كان يأخذ رأي مستشاريه قبل إصدار أي قرار، ويوزن أفكاره بعد أن يوزن أفكارهم²².

كان ذلك الأخطر حدث بالدولة العثمانية وعلى رأسها السلطان أحمد الحميد²³ للوصول إلى سيطرة القوى، وكانت الحجة الموجهة لإحداث تلك التوازن هي ألمانيا ، التي وصلت علاقاتها القوية مع الدول العثمانية في العقد التاسع من القرن التاسع عشر ، الأمر الذي كان يتشبه مع سياسة ألمانيا العليا، التي بدأت بالظهور على مسرح الأحداث، بعد أن شهدت بحريتها نمواً كبيراً، وتقدمت صناعاتها، وازداد عدد سكانها وزيادة دعائها إلى إيجاد أسواق لصناعاتها ، وكان هذا الأمر يفرض عليها القيام بسياسة نشطة ليس كل بقعة من بقاع العالم ، وبذلك بدأت ألمانيا تتجه إلى الطريق الخارجي متخرصة بسأل الضرورة كدولها²⁴، وأصبحت ألمانيا بذلك إحدى الدول المنافسة لإنجلترا الدولة الأكثر تطوراً من الناحية الصناعية، وبدأت بسياساتها العالمية (Welt Politik) ضد جهود القسطنطين الاستعماري بولسها²⁵ وبين إنجلترا²⁶، وبدأت بذلك تهدد إنجلترا المتفرقة منذ زمن بربما بعد يوم²⁷، ورغم ذلك كانت سياسة السلطان

¹¹ مصطفى كاتل ، المسألة الشرقية، (مترجم: د.علاء الدين)، ج 1، ص 141 .
¹² كاتزبورج ، الدولة ، ج 1، ص 177-178 .
¹³ نيزونجا، تاريخ ، ج 1، ص 129 .
¹⁴ لوك ، جاسوس ، ص 43 .
¹⁵ فرج عيسى، ص 23 .
¹⁶ كاتل ، الدولة ، ج 1، ص 178 .
¹⁷ لوك ، جاسوس ، ص 181 .

عبد الحميد" تقوم على مبدأ "الحديد المطلق" ويقصد بذلك الإلتزام كلياً عن السيادة الأوروبية والتأكيد على أنه من الأهمية الإلتزام عن الدول الأوروبية في أي مواجهة عسكرية¹¹. لقد كان السلطان عبد الحميد يخطط سياسته بإداء بتعزيز بالثقة والسيطرة على الأوضاع المتناقضة سواء ما انتهى منها أو لم ينته¹².

بذلك دخلت "السياسة" السياسة الخارجية من أوسع أبوابها ، وأصبحت السياسة الخارجية لها توجه نحو عدم تحكم روسيا في مضائق "البلقان" و "الترنيل" ، يشاركها في تلك إمبراطورية "ألمانيا - النمسا - المجر" ، بعد أن كانت لا تهم بذلك مطلقاً، وكان هذا الإهتمام وانضماماً بعد النزاع السياسي الذي وقع بين روسيا وبروسيا ، وبعد أن أصبحت لألمانيا مصالح في مد خط حديد "الأناتولي" و"بغداد" ، إذ أن مضيق "البلقان" هو المنفذ الدولية لكثير من هذه الخطوط ، لا سيما خط حديد "الأناتولي"¹³.

من أجل هذه العلاقة الجديدة بين ألمانيا والدولة العثمانية ، قام القيصر الألماني "أوليسر الثاني" (Kaiser William II) ، بشي زيارته لسلطان عبد الحميد في ٢٠ أيلول ١٨٩٨ ، فوكد موقف ألمانيا من الحرب ضد اليونان عام ١٨٩٧¹⁴ حيث أيدى القيصر اهتماماً بهذه الحرب، لأنه قد أربط القيصر الألماني ضابطاً عسكرياً كبيراً لمساعدة صديقه السلطان¹⁵، وكان القيصر إلى جانب ذلك يسعى لتثبيت العلاقات الثنائية بين الدولتين في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والعمارة والعلمية، بما فيها تشييد العتبات الألمانية للكثف عن الأثر في المناطق العثمانية، وقد عرفت سياسة التقارب نحو الدولة العثمانية باسم "الدرانج نحو الشرق" (Drang Nach Osten)¹⁶.

بعد زيارة القيصر الألماني إلى العاصمة العثمانية، قام بزيارة إلى الأراضي المقدسة - فلسطين - وسوريا و"إيران" كما زار قبر صلاح الدين الأيوبي، فخطب مشيداً بالخليفة "عبد الحميد" وبـ ٣٠٠ مليون مسلم الذين يؤمنهم مؤكداً على صداقة إمبراطور ألمانيا للمسلمين¹⁷.

وقد شجعت ألمانيا تطلق رؤوس الأموال الألمانية على الدولة العثمانية ، وزيادة حجم التبادل التجاري بين الدولتين، حيث أوفدت مندوبين للتركة التجارية الألمانية إلى "الأناتولي" ، وأسست بنوكاً كبرى، كما أنشأت جماعة من أصحاب رؤوس الأموال الألمانية خطاً للملاحة البحرية بين "المنورج" و"الأناتولي" سنة ١٨٨١ ، علقت فريزة الأولى للقيصر الألماني "وليام الثاني" الدولة العثمانية ، وقد أطلق على هذا الخط اسم "خط القوتل" (الألماني) (Deutsche levante linie) وذلك لدعم تجارة ألمانيا في الدولة، ولهذا يترك راس شمال

¹¹ لوكه - جاسوس ، ص ٢٤ .

¹² المرجع نفسه ، ص ٥١ .

¹³ عبد الحميد الثاني - مذكراتي ، ص ١١٨ .

¹⁴ Als Palmer, *The Decline and Fall of the Ottoman Empire*, (London: John Murray, 1992), p. 189.

¹⁵ بازيك، ملاحين ، ص ٢-١-٣ .

¹⁶ كشاف، الدولة ، ج ٣ ، ص ١٢٤٦ .

¹⁷ Ibid, p.181-182.

¹⁸ لوكت - تاريخياً، هي الأتجار التجارية على طول ساحل البحر المتوسط، وقد ارتبط هذا المصطلح عموماً بإنشاء علاقات تجارية بين الدول، وقد استعمل هذا المصطلح خلال التبادل التجاري مع سوريا، وأحياناً بين اليونان ومصر كما-

الإكسلي المالية الأولى بوصفت عن مركز الصداقة وروس أموال كل من 'كينترا' وفرنسا¹⁹. رغم ذلك كان السلطان 'عبد الحميد' أدهى من أن ينجس بصره بطولات حاميه الجديد، لكنه كسان يترك جيداً أصية هذا الخليف القوي في المحافل الأوروبية ، لذلك فقد رحب السلطان أشد الترحيب بما أخته القصر من صداقة له وتجميع المسلمين ، وسياحته بذلك، ويمكن القول ان السلطان 'عبد الحميد' لم يكن لترحب بمثل هذه الصداقة من أول صداقة نفسها، بل من أجل المدايح التي تعود عليه وعلى بولته منها، وأما المطامع لا تطوي على سيطرة سيلية ، بل وكان شديد الحرص على الظهور بمظهر الكريم في مسانته²⁰ ولم يكن بد من ذلك ، إذ لا يمكن للدولة العثمانية أن تبقى وحيدة.

ويوضح السلطان 'عبد الحميد' سبب توجيهه نحو ألمانيا يقول: 'لني كنت أرى بوضوح أن غشسور ألمانيا كليل بإختلال التوازن الأوروبي ، وإن هذا سيوقع الدول الأوروبية بعضها في بعض . كسكنت لسوء الأكران تزداد عاماً بعد عام، وكنت ألاحظ اضطراب كل من الفرنسيين والإنجليز والروس لهذا القوم الألماني . ونهاية هذا الأمر سيكون صدامهم'²¹. في نفس الوقت الذي خفت فرنسا من حدة تنافسها مع كينترا وإن لم تتركه ، وبدأت تسلك طريقاً أقيمت عن تقام مع الروس لجنمان أمتها، لذلك فقد تراجمت سياستها لتجسء دولة العثمانية، وأخذت في تثبيد الاتصال الروس في خلافاتهم مع الدولة العثمانية، في الوقت نفسه الذي بدأ فيه الروس يعملون حساباً للألمان، جيروهم الأقباء في الغرب، أما النمسا فقد أقيمت سياستها من جديدة لوز الفصل بين العدو والمصدق²².

في جانب هذا التوازن قدي قام به السلطان 'عبد الحميد' بصداقته لألمانيا كان يقوم على السستور الداخلي سياسة لا تقل في أهميتها عن إحداه التوازن الخارجي ، وهذا الأمر كان في مسيرة سفراء السور الأوروبية، واكتساب تقهم ، وفي كثير من الأحيان شراء منهم، حيث كان هؤلاء السفراء يقومون بإرساء تقايرهم بما يصغر أمر الدولة العثمانية²³، وكانت مهمة السفراء الأوروبيين مهمة يتلقون كافة أساليب بسهولة ويسر في عهد السلطتين 'عبد الحميد' و'عبد العزيز' لأن مهمتهما كانت مقتصرة على تسخير الشحنة فقط وليس الحكم حسب مقدرات دولة أما في عهد السلطان 'عبد الحميد' فقد اختلف الأمر كلياً بحيث ربط كل شيء في الدولة بسه شخصياً، وكان يتدخل في كل صغيرة وكبيرة²⁴، لذلك نسبو له بأن

¹⁹ -تمثل من الألفصول والقرن الأوسط والآخر، ثم أصبح في حد ذاته يعني الولايات التي وضعت تحت الالاف الفرنسي في سوريا ولبنان، ثم أصبحت تني مابين السلطان قط من استقلالها.

²⁰ -The New Encyclopedia Britannica (U.S.A: International Copyright Union, 1991) . Vol. 7,p.304.

²¹ -التاريخي . دولة ، ج ١، ص ١٣١ .

²² -جورج لشرابوس ، ثقافة العرب، تاريخ حركة العرب القريبة ، ترجمة ، ناصر الدين كند - (إسان جاني، القا ٧، بيروت ١٩٦٠) .

²³ -علم العلاقات ، ١٩٨٠، ص ١١٧ .

²⁴ -عشر -عظمت ، ص ١٧٨ .

²⁵ -لوكه ، جاسوس ، ص ٢٨ .

يقال بسهولة استقبال سفراء الدول الأجنبية، وفي حالة موافقة على مقالتهم كانوا لا يحصلون إلا على أجرة محددة وواضحة، إضافة إلى السرية التي كانت تنص بها هذه المقتضات في كثير من الأحيان¹¹. وإلى جانب ذلك كان لفتح سفراء هذه الدول باللغة المشائية أثره أيضاً، مما جعلهم عاجزين على فهم الترتيبات، ولهذا ظل السلطان 'عبد الحميد' بالنسبة لهم لغزاً صعب الحل، بل وعاجزين عن اكتشاف أسرار سياسته رغم مبالغتهم احتيكية لأعماله¹². وفي حالة اكتشاف أحد هؤلاء الدبلوماسيين حب السلطان أكثر من غيره نجد الأمور تختلط عليه ما بين الاحترام والخوف، ذلك أن السلطان كان يوزن لئسائاته ونظراته وحتى مكرماته عليهم، كما اتبع أسلوب المساواة بين الجميع في المعاملات، وذلك حتى يستطيع أن يتفهم بوضوح ما يفعله كل دبلوماسي، ثم تغيير أفعالهم. ولذلك ما كان هؤلاء يذكرون تأثيرهم على السلطان 'عبد الحميد' أو عن منزلتهم عليه¹³.

هذه الصفات التي تمتع بها السلطان جعلت هؤلاء الدبلوماسيين الذين كانوا دائماً يحوطون خداعه يحوطون كثيراً، كما أن اللطف والحمية والصدقة تجاه كل واحد منهم كانت تعلمهم يحوطون نسي قسم أسس سياسته ونوابه، التي كانوا يحوطونها من كل جانب. ومن الطبيعي جداً أن يشعر هؤلاء الدبلوماسيون بأنهم يفتقروا أصابعهم ونهارت أفعالهم بعد عزيمهم على الوقوف على أسرارهم¹⁴.

ويقول في ذلك السلطان 'عبد الحميد': 'يُحسد السقراء كراهيم في قسورهم وكألم حكام القلاع. لا تتعدى صلاتهم بعض كبار الموظفين، وهم يصنرون حكمهم من علي، لا يعرفون من هسلات سوى استنبول' والجزر. ليست لديهم أية فكرة عن التركيب الداخلي لمجتمعنا، لا يعرفون شيئاً ولا يتفهموننا. ومع ذلك فهم ذاهبون على جهلنا فقبل بنصائحهم. ومن حسن الحظ أنهم لا يتفكرون فيما بينهم¹⁵.

ولقد لشهر عن السلطان 'عبد الحميد' دهانه السياسي، حيث تحدثت صحيفة 'الكورن' (Al-Kawn) والتي كثيرا ما كانت تتحدث عن ملعبان السلطان عبد الحميد واستبداده- عن هذه الخصلة فقلت: 'ليس بسمارك' (Bismarck) في زمانه بأعظم سياسة من 'عبد الحميد' في هذه الأوان، وليس 'عصرو بن كعاس' بأعظم منه في دهائنه، فقد حشر العالم بأسره من توغلبه نسي دهائنه

¹¹ أوكس، جاسون، ص ٢٢.

¹² المرجع نفسه، ص ٨٠.

¹³ المرجع نفسه، ص ٢٦.

¹⁴ المرجع نفسه، ص ٥٦.

¹⁵ عبد الحميد الثاني، مذكراتي، ص ٨٩.

¹⁶ بسمارك، ولد عام ١٨١٥، وهو أول مستشار لألمانيا لثورة الألمانية بعد إنشائها سنة ١٨٧١، وقد صوب القوس الأخير من القرن التاسع عشر في أوروبا، به عصر بسمارك، لثورة القوي الذي قام به، حيث حصل على نسبة سلطات بروسيا على الإمارات الألمانية، وترأس مؤتمر برلين ١٨٧٨ عقب الحرب الفرنسية البروسية الشاغية أو أماد غلبته حدود الإقليم، غير أن وديان القوي الذي كان يقود النشاط الاشتراكي ضدته حتى إلى ١٩٠٢ في ١٨٩٩ وتوفي في ١٨٩٩ - باريس، مذكرات، ص ٢٧٥.

والشكر، حتى أنه يلعن بولقة برمتها على إسمه و يداعبها كما يداعب الهن القارة ، ويروغ عنها تحسلاً واستحاطاً ليلوغه خيافته منها كما يروغ الثعلب¹¹.

إن بقاء الدولة العثمانية لا يعود فقط إلى ما كتع به السلطان "عبد الحميد" من دعاء، وساعدت نفس ذلك التنافس بين الدول الأوروبية، وخدم اتفاق مصالحهم ، حيث يقول البارون فون مارشال (Von Marshall)، السفير الألماني في استانبول في ٣٠ أيار ١٩١٠ من الإمبراطورية العثمانية استطاعت في القرن الماضي أن تعالظ على بقاءها ، ليس بفضل قوتها ، بل بفضل تضارب مصالح الدول العظمى . لقد كان الراكون المتنافسون على إرث الرجل المريض من القوة والعدد ، بحيث لم يجرؤ وراث واحد بمفرده ، أن يأجأ إلى القوة كي يجعل في موت الموروث ثقباً نصيبه من الإرث¹².

ولما كان السلطان "عبد الحميد" لا يثق باستمرارية الأتواقي الأوروبي حصول الدولة العثمانية ، والذي طلبها حصل على إتكاله فهم قد سعى إلى إدخال إصلاحات والعمل على تجميع كلمة المسلمين ، لذلك نجد أن معظم إصلاحاته قد أتت بموجب قرارات سلطانية تم توجيهها نحو برنامج طوره بنفسه ، وأرسله إلى وزيره عام ١٨٧٦ ميثاقاً بعد أن قام بإلغاء الدستور وحل البرلمان ، وبذلك فشطر الإصلاحيون العثمانيون منذ البداية إلى قسمين: قسم معه وآخر ضده ، فسبب ذلك الاشتقاق مشاكل عديدة أثرت مباشرة على تنفيذ برنامجه¹³. لذلك كله فقد توجهت أوروبا نحو إثارة الأقليات العرقية والمذهبية. كما عملت على دعم الجمعيات العثمانية السرية مادياً ومعنوياً من أجل خلق السلطان "عبد الحميد".

الجماعة الإسلامية .

برز في المجال الإسلامي داخل الدولة العثمانية ثلاثة اتجاهات فكرية هامة:

الاتجاه الأول: نادى بضرورة الإصلاح عن طريق الاقتباس المبادئ من النظم والأفكار الأوروبية في مجالات الحياة المختلفة كالإدارة والاجتماع والثقافة والاقتصاد دون قسود أو تشويه، ودون أي اعتبارات خاصة بمبادئ الدولة العثمانية الإسلامية. وكان من أشهر المنادين بهذا الاتجاه قزاق باشا (١٨١٥-١٨٦٦) و "محمد باقيا" (١٨٢٢-١٨٨٥).

الاتجاه الثاني: كان يمثل الاتجاه الإسلامي الصرف، مؤكداً أن العثمانيين منبشون أكثر من غيرهم للإصلاح لا اعتباراً بالهوية التي دخلوا منها التاريخ، فالإسلام عندهم أساس دولتهم وخصائرتهم وأبسه يرجع كل ما يتخرون به، وقد ترحم هذا الاتجاه المؤرخ أحمد جودت (١٨٢٢-١٨٩٥)، و محمد عاكف أرسوي¹⁴ و "ديبع الزمان سعيد النورسي" ، وكان السلطان "عبد الحميد" يمثل إلى هذا الاتجاه، لذلك فقد كان يتكلمه.

¹¹ الكون، نيويورك، العدد ١١٤ ، السنة ٢٥٥ ، المجلد ٢٩ ، نيسان ١٩٠٩ ، ص ١ .

¹² زين ، ص ٥٥ .

¹³ Shaw-Sleay, Missey, p 221.

الاتجاه الثالث: وهو الاتجاه التوفيقى فى الإصلاح ، الذى نادى بضرورة العودة إلى الجذور الإسلامية وتطبيق ما يتعلق بالإسلام من مبادئ وأفكار فى الحياة العملية داخل الدولة العثمانية، وفى نفس الوقت الأخذ بأسباب الحضارة الغربية، ومن أمثال هذا الاتجاه تلمس كمال¹¹ (١٨٨٤-١٨٨٨)¹².

كان من ضمن سياسة السلطان "عبد الحميد" كثرة المخاطر التى تحياه الدولة العثمانية من قبل الدول الأوروبية سياسة الجامعة الإسلامية¹³.

كانت سياسة الجامعة الإسلامية عند السلطان "عبد الحميد" فكانت تهدف فى تجميع كلمة المسلمين ورفض صفتهم من أجل مواجهة التحدي الذى تفرضه عليهم الدول الأوروبية، ولقى اندحاضها بشك يوماً بعد يوم، وبدأ يتحول بعد ذلك إلى نفوذ فعلي واحتلال عسكري ، حيث قامت القوات الإنجليزية باحتلال قبرص سنة ١٨٧٨ ، واستولت فرنسا على تونس سنة ١٨٨١ كما نظمت القوات الإيطالية "مصر" سنة ١٨٨٢ ، وأضحت أوروبا تهدد قلب العالم الإسلامي، فى الوقت الذى رأت فيه شعوبها هذا الخطر الذى يهدد كيانها ، وارتأت كل منها مصيرها المحتسوم ، وكان من الطبيعي أن تتجه هذه الشعوب جميعاً نحو الدعوة إلى التضامن عند هذا الخطر المشترك¹⁴.

لذلك فقد اعتبرت الجامعة الإسلامية من أهم الحركات السياسية والدينية التى ظهرت فى العالم الإسلامى خلال القرن التاسع عشر ، إذ أحدثت فيه نتائج بعيدة المدى ، وكان لها كبير الأثر فى نمو الوعي السياسى والدينى البقطة الدينية فى مختلف أرجاءه¹⁵.

ومن مقاصد الجامعة الإسلامية :

- ١- العمل على التصدي للأطماع الأوروبية المتزايدة فى العالم الإسلامى .
- ٢- إيجاد حسن التفاهم بين جميع مسلمي العالم فى المسائل الاجتماعية .
- ٣- ترقية العالم الإسلامى فى شؤونه الدينية والاجتماعية والأدبية .
- ٤- تنمية شعور الإخاء بين المسلمين وتبادل مصالحهم .
- ٥- إزالة سوء التفاهم الحاصل بين المسلمين وغير المسلمين .

¹¹ انظر عن ذلك كمال فى الفصل الثانى.

¹² أحمد أبه بركات الترابلية ، حركة العمامة الإسلامية ، (إلى: الأزهر: مكتبة المعارف ، ١٩٨٤) ، ص ٣٣ .

¹³ عبد الحليم محمد حسن ، جهان الدين الأمانى وأثره فى العالم الإسلامى الحديث ، (إلى: القاهرة: مكتبة ودية ، ١٩٨٢) ، ص ٢٢٩-٢٣٠ .

¹⁴ فخر جع نفسه ، ص ٦٥ .

- ٦- مساعدة المسلمين بذكر المستطاع في سائر أنحاء العالم .
- ٧- إجهاد معاهد علمية إسلامية في غير الأقطار الإسلامية .
- ٨- تمحييد الخلافة في آل عثمان^(١) .

وقد ارتبط اسم الجامعة الإسلامية بشخص المصلح الإسلامي ، جمال الدين الأفغاني^(٢) المشتهر في نسبه ومذهبه وربما يكون 'الأفغاني' قد انتسب للأفغان الأمر عام يتعلق برسائله الإصلاحية الكسيري ، ليس لمرأ سبلا أن تنتشر أكثره في أقطار سبلة المذاهب إذا علم أنه شيعي ، وإن درجة ثقته بسننكون^(٣) .

وكانت دعوة جمال الدين الأفغاني تهادف إلى بلوغ غايتين هما:

- ١- إصلاح أحوال المسلمين ، ولا يتأخر ذلك إلا بمسيرة الحياة الحديثة، والأخذ بأسباب التقدم .
- ٢- السعي إلى تحرير الشرق من سيطرة الغرب ، ولا يكون ذلك إلا بالحداد المسلمين وجمع كلتسبب حتى يستلزموا تحقيق استقلالهم وحرية قوم^(٤) .

وقد قام جمال الدين بزيارة العديد من المناطق ، حتى أصبح السفر والتكلم صفتين متلازمين له والقاء توليده في كرامنة قام بإصدار صحيفة 'العودة الزاقي' مع العديد من المصطلحين في الفترة ما بين

^(١) هدار . مصر ، الصحافة الإسلامية والجماعة العلمانية ، ج ١١ ، م ١٣ ، ص ١٨٢ .

^(٢) جمال الدين الأفغاني: هو ابن السيد سفر ، ولد في قرية أند قرب ميدان سنة ١٢٥٤هـ / ١٨٦٨ م ، وقد اكتسب شهوره في أمر نسبه ومذهبه حتى أن عد القادر الشجوي وهو على علاقة بجمال الدين الأفغاني ، تسامح كسبنا يكون الاختلاف في أمر جمال الدين وهو قريب العهد بهم ، ويذكر محمد حسن خان القلق بانشاد الدين وأند هارمين إلى ملك إيران ناصر الدين شاه في كتبه المعروفة باسم 'الديار والذكر' أن جمال الدين نشأ في قرية أند أسد أسد من أصل إيران ، وإن أهل إيران يتكلمون به كثيرا . في حين أن كثير من أهل السنة يتكلمون بحسبي القسب والأصل مني المذهب ، كما يؤكد ذلك كثير تأليفه محمد هده . لكن اعقب قلن أن جمال الدين الأفغاني ينحدر من أصل إيراني وله شيعي المذهب ، انظر:

- محمد أبو رية ، جمال الدين الأفغاني ، (القاهرة: دار المعارف للطباعة ، ١٩٦١) ، ص ١٥-١٦ .
- محمود لبيب ، جمال الدين الأفغاني ، حياته ورسالته ، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية) ، ص ٩-١٠ .
- ميرزا لطف الله خان الأسد نادى ، حياة جمال الدين الأفغاني ، ترجمة ، عبد السلام حنين ، (القاهرة: دار الفؤاد للطباعة ، ١٩٨٦) ، ص ٢٨ .
- محمد صلاح مذكور ، جمال الدين الأفغاني ، باعث النهضة الفكرية في الشرق ، (ط١) القاهرة: مطبعة الجورجي ، ١٩٣٧) ، ص ٢٥ .
- قطر - تركه ، ماسون ، ص ٩٦ .
- ^(٣) كاري كشمي ، جمال الدين الأفغاني ، (بيروت: دار العلم للملايين) ، ١٩٦٧) ، ص ١١ - قطر - محمد محمد حنين .
- الإسلام والحضارة الغربية ، (ط١) بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١) ، ص ٦١ .
- ^(٤) حفي حوروس إسحاق ، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٦٧) ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

١٣ آذار ١٨٨٤ وهو اليوم الذي صدر فيه العدد الأول حتى آخر عدد منها في ٦ تشرين أول ١٨٨٤ ، وكانت هذه الصحيفة تدعو إلى إعادة الأمل والفتح في القوس، والعودة لتصله بالأصول التي كان عليها الأهل الأول ، والدفاع عن الإسلام ، وتقوية الصلات بين المسلمين^{١١} ولما ذهب جمال الدين الأفغاني في استئناف سنة ١٨٨٢ ، استقبل استقبالاً حسناً حيث قرسه السلطان 'عبد الحميد' ، ولما تباهت معه في شؤون الدولة وحال الإسلام ، وكان لذلك أثره في 'جمال الدين' الذي عزم على الإبقاء^{١٢} ، وفي إحدى اجتماعاتهما الخاصة ، خاطب السلطان 'عبد الحميد' 'جمال الدين' بقوله: 'في مجلس من حضرة قد ان تبدل غاية اللجدة ، حتى تستطيع توحيد أركاننا وبمساعدة حضرتكم أن ننشئ ونؤسس اتحاداً وثقافة قويا ثابت الأركان ، لا يأول الخلل بين الشعوب الإسلامية ، حتى يمكن بفضل تلك الوحدة التي نعد أتم الجامعة الإسلامية بد اللوذة والإخاء ، بعضها ليس بعض ، وتلكهض بالعساعة والعلوم في ظل الاستقلال والاتحاد الإسلامي، ولكي يحصل لها التوافق بعون الله تعالى، لاسترجاع القوة العظيمة السابقة ، ولا تتأخر عن ركبة السعادة والرفق'^{١٣} .

من هنا يتضح أن السلطان 'عبد الحميد' كان هو صاحب الفكرة بالدعوة إلى الجامعة الإسلامية ، وليس 'جمال الدين' كما يتأهل ذلك العديد من المؤرخين. ورغم التغيرات التي حصلت حول شخصية 'جمال الدين' - بخصوص تشابهه للمخالفات المسؤولة وتدرجه فيها، حتى وصل إلى درجة عالية من الأهمية، وحول موقفه المعادي من الاستعمار، ومن ثم لوجهه إبهام ضد خصومه المسلمين^{١٤} إلا أنه كان يؤيد قيام حكومة إسلامية واحدة تكم الإسلام وتعاليمه وتمثل على مقارعة الدول الاستعمارية، حيث قام بالتحريض ضد الإنجليز في الهند وفي مناطق وسط آسيا^{١٥}.

ومن أجل الجامعة الإسلامية قام السلطان 'عبد الحميد' بإرسال أعداد كبيرة من خريجي مدارس استنبول الدينية للدعاية للجامعة الإسلامية في الهند وتركستان وإيران والصين وأندونيسيا وماليزيا والحبشة ، والقطر المغرب العربي^{١٦} لينشروا الأبناء الصلة عن الخليفة والقوة المشايخية ، ويشهدوا بوجده، ويشيروا بحركة الجامعة الإسلامية ، وإعادة أيجاد القوة الإسلامية في صدر الإسلام، كما كانوا يسمعون في توثيق الروايات بينها وبين الدولة تحت إمامته كخليفة للمسلمين ، وقد سطر التسلسل الفصيح والبدأ الفجوات ، والفتريات القوية ، كما كان يدعسو وجبال الفكر الإسلامي لإرساء استنبول^{١٧}.

^{١١} قديمي ، جمال الدين - من ٦٥ : انظر عن العودة الوثائق والسياسات التي لها في

- محمد صفر - جمال الدين الأفغاني مركز الشرق والمغرب الإسلام ، (١٩٠١ بيروت) دار الوحدة ، ١٩٨٤) من ٦٩ .

^{١٢} الدكتور جمال الدين ، من ١٨٧-١٨٨ ١٨٨٨-١٨٨٨ . عالم . جمال الدين - من ٨٠ .

^{١٣} الإند بدي ، مجلة ، من ١٧٩ .

^{١٤} نظر - مجلة التي صغرة . المسؤولة في الوطن العربي ، (لندن: مركز الدراسات القوية، ١٩٨٠) من ٢٢-٢١ .

^{١٥} تركه . جيسوس ، من ٩٦ .

^{١٦} أبو تونان تاريخ ج ، من ١٤١ : إبراهيم خليل احمد . تاريخ الوطن العربي في عهد العثمانيين ١٥١١-١٨١١ (القاهرة: جامعة السوربون، ١٩٨٤) من ٢٢٨ .

واستشاقهم رغبة منه في إيجاد ميلات معهم ، لدعم نفوذه في الأوساط الإسلامية . وكان يحرس على ان يقرن لقب الخليفة مع كلمة السلطان¹⁷ .

قام السلطان 'عبد الحميد' بتخصيص مبالغ وقيرة جدا لاصلاح المساجد ، وأقيمت معاهد ومدارس إسلامية جديدة ، تقوم بعملها على تكويف الجيل العثماني الشاب ، كما اصدر أوامره بضرورة الإهتمام بالأعياد والمناسبات الإسلامية على مدار السنة ، وفنخل العلوم الدينية واللغة العربية في المجالات القانونية والإدارية ، كما منع الحكومة من إطلاق الترجمات الأوروبية للأسماء العربية والتركيبة على أسماء الشوارع والديار العامة ، في الوقت الذي استعاد فيه السلطان 'عبد الحميد' حقه في تعيين الموظفين الذين في الولايات العشوائية السابقة التي سقطت تحت استعمار وحكم الدول الأوروبية، في الوقت نفسه الذي كان الباب العالي يمتنع ويتدخل بشكل رسمي فيما لو وردت أخبار عن وقوع مظالم على المسلمين في هذه الأقاليم¹⁸ .

لقد حظيت سياسة الجامعة الإسلامية برود فعل طيبة ، حيث وصلت الردود التي تعبر عن قبول حسن وسرور عظيم من قبل مختلف طبقات المجتمع الإسلامي ، سواء كانوا علماء أو غير ذلك ، بسبب ان كثير منهم قد أرسل تحفا وهدايا ورسائل كتبت عن رضاهم ، وتصوير لهذه الفكرة¹⁹ .

وربما يقاس مدى نجاح الجامعة الإسلامية في العالم الإسلامي أثناء الحرب العشوائية -الوثائقية سنة ١٨٩٧ ، حيث كان هذا الحدث ان يسر طبعيا كثير من الأحداث قبل الجامعة الإسلامية ، دون أن يؤثر اعتمادا لدى الشعوب الإسلامية، لكن في أعقاب الحرب أقيمت احتفالات واسعة في الأقطار الإسلامية خارج نطاق الدولة العثمانية ، لهاجا بالانجازات التي حققتها العثمانيون على 'بولسار' ، وبفاتي شجعت هذه الحرب سكان هذه البلاد بكثير من ثقة والاعتقاد بالناس ، والقدرة على التخلص من السيطرة الأوروبية²⁰ .

¹⁷ Sire - Stav - Mavry, p. 200 .

¹⁸ Loc. cit .

¹⁹ الأندلسي، مذكاة، ص ٨٤ .

²⁰ الشاذلي، المجلد ٢، ص ١٢١٩ .

ذلك الوقت خلف تلك بلغارية أعلنت إسلامها ، الأمر الذي أثار مشاعر المسلمين ، حيث قُتل كسل من قسطنطينية فرنسا وألمانيا ، توافر الانتحار إن قلنا ثم إنقلوا في بيت قسطنطينية ، الأمر قسطنطينية دعا أوروبا لتبادل المخابرات، حيث اجتمع كل من الرئيس 'هورشاكوف' رئيس وزراء 'روسيا' ، وفكرت كترانسلي (Count Androssy) ⁽¹⁾ رئيس وزراء ألمانيا مع 'بسمارك' ، لإيجاد سبب للتدخل، وقاموا بتحرير لائحة السلطان سميت بـ'لائحة برلين' وهي متكررة لإصلاح أحوال المسيحية في الولايات العثمانية ، خصوصا فيما يتعلق بالمعاملات العرقية والمذهبية . وإلا فإن الدول الأوروبية ستتدخل إذا لم تمل الحكومة العثمانية لهدنة معهم خلال شهرين أو ستة أشهر⁽²⁾ .

مؤتمر الأستانة .

في ٥ تشرين أول ١٨٧٦ خرج وزير خارجية إنجلترا على باقي الدول التي كره حتى التدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية ، عقد مؤتمر في العاصمة استانبول (الأستانة) لتسوية حالة مسيحيي الدولة لمنع حرب محتملة بين الدولة العثمانية وروسيا التي تؤكد على حقها في حماية المسيحيين داخل الدولة العثمانية، حيث كانت روسيا في حالة إعداد وتجهيز لجيوشها استعدادا للحرب .

ولقد تم عقد اجتماعات إضافية من ١٦-١٧ كانون أول في سفارة 'روسيا' ، ولم يتم قبول الوثيقة العثمانية في هذه الاجتماعات ، مما يدل على تميز الوضع من قبل دول أوروبا لصالح 'روسيا'⁽³⁾ مؤكداً على ما جاءت به 'لائحة برلين' ، مؤكداً على الدولة العثمانية ضرورة قبول الكثير من الالتزامات الفعلة بموادها .

وفي ٢٣ كانون أول ١٨٧٦ ، اجتمع المؤتمر في استانبول بصفة رسمية في سراي البحرية تحت رئاسة 'صوفت باشا' نظير خارجة الدولة ، حيث التقى فيها المؤتمر ، والشركاء العبيد من ممثلي الدول الأوروبية⁽⁴⁾ ابوعتقت ٩ جلسات من ٢٣ كانون أول ١٨٧٦ وحتى ٢٠ كانون ثاني ١٨٧٧ ، بينما كان عصيان 'الرومنة والهرسك والاضطرابات في جزيرة كريت' مستمرا⁽⁵⁾ .

⁽¹⁾ كانت كترانسلي هو سياسي مغربي شهير ، ولد سنة ١٨٢٢ ، تولى في منارة بودابست ، واشتغل بالسياسة ، وفي سنة ١٨٤٨ كان من أهم دعاة الثورة ، وساعد هسيو كسوت على طلب العوية ، والمجازرة للمسيحيين فيها ، واتاه الثورة سافر إلى استانبول للحصول على المساعدة كذلك فعل في إنجلترا ، وهناك وصله خبر الحكم عليه بالإعدام لكنه عاد فيما بعد ، بعد صدور العفو بصفه ١٨٥٩ ، حيث قتل عدة مناصب عالية ، وتوفي سنة ١٨٩٠ - المجلد تاريخ ، ص ١١٠ .

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص ٦٠٢ .

⁽³⁾ المصدر نفسه، ص ١١٥-١١٦ .

⁽⁴⁾ المصدر نفسه، ص ١١٦-١١٧ ، لوزيونا، التاريخ، ج ١، ص ١٠١ .

⁽⁵⁾ لوزيونا، التاريخ، ج ٢، ص ١٠١ .

وإزاء انعقاد المؤتمر أطلقت المدافع من جميع القلاع ، والمراكب إيدانا بإعلان القانون الأساسي (الدمشقي) الذي ساوى بين جميع الرعايا في الدولة العثمانية ، الأمر الذي أثار ارتباكاً لدى مبعوثي الدول، وكانت النتيجة النهائية لهذا المؤتمر هو القتل ، حيث حارب مندوبي الدول العاصمة ، وبذلك أُنشأت روسيا شتعة فعليا للحرب¹⁷ في الوقت الذي شكل نُصحت باشا في الباب العالي مجلسا فوق العادة يتألف من ٢٤٠ شخصا ، ٦٠ منهم مسيحيون ، دعا فيه إلى الحرب وهاجم الذين لا يصوتون لها، ولتهمهم بأنهم غير محبين لوطنهم ، بأن واتهمهم بالخيانة، وقام فيما بعد بتوزيع القنود على طلاب المدارس الدينية، وكعاد المظاهرات العمالية بالحرب حتى قُسر السلطان. ولم تكن المسألة أقل تعريضا بحيث تسلطوا برؤسنا مؤتمر الأستانة، وأي قرارات صدرت عنه¹⁸.

إعلان الحرب .

في ٢٤ نيسان ١٨٧٧ أرسل في توقيق باشا المكلف بمصالح الباب العالي لدى روسيا كتابا من 'فورشكوف' رئيس وزراء روسيا ، يقول فيه: إن الإمبراطور الروسي متضايق للاعتساف على القوة العسكرية لتفليد مطالب روسيا والمحافظة على أمنها، ومن واقعها تعانير روسيا نفسها في حالة حرب مع الدولة العثمانية، كما صحت روسيا إلى منح موقفها جوائزك السوار النكرمة كعاشمة على كطبع العلاقات الدبلوماسية بسبب الحرب¹⁹.

كان الروس يأملون نصرا سريعا نظرا لما كان عليه الجيش العثماني من تجهيز سيئ ، وحصد كغاية التوسيع ، والتخصات الصحية²⁰ ، لكن الحروب تسببت هذه جيومات ، كسان الشيرما معركة 'لغنا'²¹ حيث هزمت القوات الروسية هزيمة ساحقة في بداية المعارك حتى سقطوها ، كذلك جبهات الأناضول ، حيث تمت محاصرة مدينة 'كارص'²² لمرتدين ، ومن ثم قتلها عنوة في ١٨ تشرين الثاني ١٨٧٧ ، وبسقوط مدينة 'كارص' القامة 'لبن' العرب أن للصر حثيف القوات الروسية ، لذلك أُعتوا الحرب على الدولة العثمانية ، في نفس الوقت الذي استطاعت القوات الروسية محاصرة العاصمة 'بستايول'²³.

¹⁷ همامي ، تاريخ ، ص ٦١٧ .

¹⁸ أوزوندا ، تاريخ ، ج٢، ص١٠٢-١٠٣ .

¹⁹ همامي ، تاريخ ، ص ٦٢٧ ، أوزوندا ، تاريخ ، ج٢، ص١٠٦ .

²⁰ دور الدين معلوم ، تاريخ القرن التاسع عشر في تركيا والعالم ، (١٣) ، دمشق : دار الفكر ، ١٩٩٥ ، ج ٢ ، ص ٣٣١ .

²¹ بلغا - Fleve ، تقع اليوم في شمال بلاد بشاريا بالقرب من الحدود الرومانية ، وفي الشمال الشرقي من ميديا .

²² كارص - Kars ، شمال شرق الأناضول .

²³ أوزوندا ، تاريخ ، ج٢، ص١١٥ ، همامي ، تاريخ ، ص ٦٢٦ - ٦٤٠ .

مؤتمر برلين .

كانت إنجلترا أكثر الدول تخوفا ورفضا لتنتج معاهدة سان ستيفانو ، لا حفاظا على سيادة الدولة العثمانية ، ووحدة أراضيها ، بل خوفا من أطماع روسيا ، التي تردد وكهنا نفوذ المستعمرات البريطانية في الهند ، لذلك رأت إنجلترا ضرورة تعديل هذه المعاهدة رضاء عن روسيا ، لتظهر أمام الهند بظهر القوة والياس ، وتفرد الكلمة ، لا سيما وان سلطتها على بلاد الهند مبنية على قهرم اكسبر من قوة السلاح^(١٩).

كما كانت الإمبراطورية النمساوية معارضة لمعاهدة سان ستيفانو لأنها لم تحقق لها رحتها قسي ضم ولايتي البوسنة والهرسك^(٢٠) في حين ظلت فرنسا على الحيث^(٢١) ، لذلك تم التمثل الأوروبي وعلى رأسهم إنجلترا لتعديل معاهدة سان ستيفانو وعدم ليقاء الأحداث محصورة بين القيصر والسلطان ، وقد رحت إنساركة بتلك معفا بأنه سيكون وسيجا لينا ، لذلك دعا القول الأوروبية لعقد المؤتمر المقترح قسي برلين ، الأمر الذي اضضب القيصر الروسي ، لأنه يعلم علم اليقين ان مؤتمرا كهذا يمثل ان يجبره روسيا من كلو ما حصلت عليه في معاهدة سان ستيفانو ، لكن إنجلترا العاغنية قامت بالتهديد بفسق الحرب ضد روسيا فيما لو رفضت عقد مؤتمر برلين ، وقامت بمظاهرة للأسطول الإنجليزي في الميناء العثمانية لاقناع روسيا بالمساهمة في المؤتمر^(٢٢).

أخيرا وافقت روسيا على المشاركة في هذا المؤتمر ، حيث اجتمع قسي ١٣ حزيران ١٨٧٨ برئاسة إنساركة فكان قبول القول الكبرى للاجتماع في برلين هو اعتراف ضماني بسلطة المركز السياسي المتول الذي أصبحت تتقله ألمانيا و على رأسها إنساركة ، المتلوق على رجال السياسة العباسيين له^(٢٣).

واشتم مؤتمر برلين ٣١ يوما، وصيغت قراراته في ١٤ ما ٤٦ ، كان أهم بلود هذه القرارات قتي وقعت يوم ٣١ تموز ١٨٧٨ ما يلي :-

- ١- أعيدت تكوينية إلى الدولة العثمانية بعد ان ضمت إلى بلغاريا في معاهدة سان ستيفانو .
- ٢- قسمت بلغاريا إلى قسمين ، القسم الشمالي (بلغاريا الأصلية) وجعلها أمارة ذات استقلال ذاتي على ان تدفع ضريبة سنوية لباب العالي . أما القسم الجنوبي ، فقد جعلت إمارة مستقلة تحت اسم الروملي الشرقية على ان يكون حاكمها مسيحيًا تحت سيادة الباب العالي .
- ٣- ضمت البوسنة والهرسك وإتي بوزار في النمسا .

^(١٩) شملي . التاريخ ، ص ٦٦٥ .

^(٢٠) الثناري . القزلة ، ج ٩ ، ص ١٠٩٦-١٠٩٩ .

^(٢١) شملي . التاريخ ، ص ٦٦٠ .

^(٢٢) هز . التاريخ ، ص ٤٠٣ .

^(٢٣) أوروبا ، تاريخ ، ج ١٧ ، ص ١١٢٣-١١٢٦ ؛ الثناري . القزلة ، ج ٦ ، ص ١١٠٠ .

- ٤- ملحت 'رومانيا' و'الصرب' و'الجبل الأسود' الاستقلال .
- ٥- نصت المعاهدة على إجراء الإصلاحات في المنطقة الشرقية من 'الأناضول' التي كانت تحتلها الإكثية الأرمنية .
- ٦- خفضت التزامات الحربية المفروضة على الدولة العثمانية إلى ٨٠٢.٥٠٠.٠٠٠ قرنكاً طس إن كدفع على أقساط ، وكان قسط بحدود ٣٥٠.٠٠٠ ، وفيما بعد نجح السلطان 'عبد الحميد' في تجديد العديد من بنود هذه المعاهدة (الرقد عقب 'هورشاكوف' بأن 'روسيا' خسرت مائة ألف جندي- ومليون روبل، دون أي مكافئ)^{١٢}.
- كان إيذ الحرب الآثار الكبيرة على جميع الأصعدة سواء كانت سياسية أو عسكرية أو اقتصادية أو اجتماعية ، أثرت على كثير من القرارات الداخلية والخارجية للدولة العثمانية فيما بعد . كما كان لسياسة الحرب آثارها على المستوى الدولي بالنسبة لموقفها من الدولة العثمانية ، حيث انتهت هذه الدول لسياسة 'التعويض' (Compensation Policy) ، وسياسة 'المصالحة' (Conciliation Policy) ، على حساب الدولة العثمانية في مؤتمر 'برلين' عام ١٨٧٨ ، حيث بسطت 'إنجلترا' سيطرتها على 'كسبرين' وبسطت فرنسا حمايتها على 'كوس' سنة ١٨٨١ ، وانحلت 'إنجلترا' 'مصر' عام ١٨٨٢ ، ومن ثم إقامة حكم تشالي (Condominium) بريطاني مصري في 'السودان' عام ١٨٩٩ ، وكان هذا الحكم قسي لخصته يعتبر إستتاراً بريطانيا بحكم 'السودان'^{١٣} .

الحرب اليونانية العثمانية ١٨٩٧ .

كانت هذه الحرب هي الثانية في عهد السلطان 'عبد الحميد' ، وكان من أسباب هزيمة الحرب أن جزيرة 'كريت' كانت قد حصلت على بعض الامتيازات الخاصة ، بحيث أصبح نصف عدد التصويتين و القائمين من المسيحيين ، كما كان قوالي معاونان ، ولقد معلم وآخر مسيحي ، وكان لها مجلس إدارة يتشكل المسيحيون فيه الأثارية ، لذا فإن المشاكل بين الوالي وهذا المجلس لا تكاد تنتهي حتى تبدأ من جديد^{١٤} .

بدأت القلاقل في هذه الجزيرة بعد أن طالب مسيحيوها أن يتولى مسيحي ولاية الجزيرة ، ولما استجاب السلطان تار المشهور على هذا التبعين ، وبدأت الصدامات ، حيث كتفتت 'الفرنسا' بإياد مسيحيي الجزيرة بالعدة والمداد والرجال ، بل تعدى الأمر إلى إرسال أسطولها، وانساز جنودها قسي

^{١٢} محمد علي . السلطان ، ص ١١٩-١١٤ أنظر تود معاهدة برلين في - العناني ، تاريخ ، ص ١١١-١١٢ .

^{١٣} تاريخ ، ص ٩٣ .

^{١٤} قشاري ، ص ٢٠٩-٢٠٨ .

^{١٥} محمد علي . السلطان ، ص ٢٢٠ .

الجزيرة حيث أرقوا دماء المسلمين ، محرية عن كنفها للدولة العثمانية والدول الأوروبية التي سيطرت عليها ، سبب جبهتها خلال سنة أيام مؤكدة لها عدم رغبة أوروبا في ضم الجزيرة إلى اليونان¹¹ . لم تكلف اليونان بالتدخل في الجزيرة ، بل بدأت بالهجوم على حدود الدولة العثمانية ، وفي يوم الجمعة ٩ نيسان ١٨٩٧ بدأ الجيش اليوناني بتدمير بعض المخافر العثمانية ، وتكرر الهجوم واستهدفت اليونان مدنها ، واحتلت جميع المخافر العثمانية على الحدود ، في الوقت نفسه الذي كان السلطان 'عبد الحميد' يراقب بشدة ما يجري بينه وبين وزيره ويتكلم كثيرا للتأكد أكثر إلى بعد إفساد ممكن ، وكان يخشى الدول الأوروبية بما يجري ، ويعلمها أولاً بأول عن مجريات الأحداث حتى يعزل اليونان ويقتربها بظهور المعتدي على أراضي الغير¹² .

وعلى الأثر قام السلطان 'عبد الحميد' بجمع وزراءه ، وحضر هو على رأسهم ، وسأل سائر الحربية عما نمتلجه العرب من اموال ، ومطلب من وزير المالية فتباح اعتماداً بخصف مليون من خزائنه الخاصة ، ثم أعلن الحرب رسمياً على اليونان¹³ بعد أن كان وثاقاً من القصر السريع عظيم ، بناء على التقارير ، لا سيما تقارير ناظر الحربية¹⁴ .

لقد استطاعت القوات العسكرية العثمانية إزلال الهزيمة الساحقة بالجيوش اليونانية، المتخصصة في المواقع العسكرية الجبلية، التي كانت اليونان تعتمد عليها¹⁵ . وذلك انفتحت الطريق أمام العاصمة أيضاً، وعلى الأثر طلبت اليونان مساعدة الدول الأوروبية للضغط على الدولة العثمانية لتوقف الحرب، ولقد استجابت هذه الدول حيث أثرت السلطان 'عبد الحميد' ضرورة إيقاف الحرب مؤكدة على المسد القائل أنه حيث يدخل العتيد لا يدخل الهلاك¹⁶ .

استجابت الدولة العثمانية لهذه الضغوط، وعقدت الاجتماعات بحثت ثم التوصل إلى تسوية أهم بنوعها:-

- ١- أن يعطى قسم من منطقة تساليا¹⁷ للدولة العثمانية حيث كانت الدولة قد سيطرت علىها خلال الحرب.
- ٢- أن تكف اليونان أربعة ملايين ليرة للدولة العثمانية كتعويضات حرب ، الأمر الذي أدى إلى إغلاق اليونان ووضع حالها تحت إشراف دولي .
- ٣- أن تقيم اليونان مائة ألف ليرة ذمعية للمتضررين من رعيا الدولة العثمانية أثناء الحرب .

¹¹ محمد علي، السلطان، ص-٢٢-٢٢١ .

¹²الشرح نفسه ، ص ٢٢١ .

¹³الشرح - نظرات ، ص ١٩١ .

¹⁴ محمد علي، السلطان، ص ٢٢٢ .

¹⁵الشرح والصفحة نفسها .

¹⁶الشرح - نظرات، ص ١٩٢ .

¹⁷ تساليا : يقع هذا الإقليم في وسط اليونان إلى الجنوب الغربي من سالونيك .

- ١- إن كنهى 'اليونان' إصمالم العصبانيات على الحدود^(١) وتعتبر هذه الشروط لصالح 'اليونان' المهزومة ، والله كالمطلف الذي كانت كنيه أوروبا معسها ، والتي بذلك التصرف حرمت الدولة العثمانية من جاني شار نصرها ، إذ طلقت أوروبا مع الدولة العثمانية الدولة المشهوره^(٢) إذا هزمت الدولة العثمانية لحد ماها الشيء الكثير ، ولما إذا انصورت فلا تأخذ شيئاً^(٣) لكن لتتصار القوت العثمانية في هذه الحرب كانت له نتائج منها:
- ١- فترة الدولة على الردع العسكري لأي اعتداء أوروبي خارجي على أراضيها بعد هزيمتها في الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧.
 - ٢- تخفيف الضغط الأوروبي على الدولة العثمانية كون هذه الحرب الأخيرة كسبات مخالفة من حيث النتائج. ومدى فترة الرجل العريض على الدفاع عن نفسه.
 - ٣- إعادة ثقة والأعزاز بالناس بالنسبة للشعب الدولة العثمانية وقرتها على مواجهة التحديات.
 - ٤- أدت هذه الحرب إلى إضمار الأحزاب والجمعيات العثمانية المعارضة، التي كانت تدعى أن السلطان 'عبد الحميد' أوصل الدولة والجيش إلى حالة من الانهيار، بحيث لا تستطع القيام بواجب الدفاع عن نفسها.
- ويمكن إجمال نتائج حروب الدولة العثمانية بما يلي :
- ١- إن ضعف الدولة العثمانية أدى بها إلى العديد من الهزائم التي أثرت على سياستها الخارجية بسبب التيون التي رسمت لشذ فترات الحرب ، وبالتالي إلى إضمار الدولة على القسروخان ، مما أدى إلى زيادة وتوسع الإمبراطرات الأجنبية داخل الدولة العثمانية.
 - ٢- أدت الحروب إلى لجوء الدولة العثمانية إلى زيادة الضرائب على المواطنين، إلى جسابت الضرائب الأخرى التي يؤدونها إلى الدولة، كذلك اقتطاع أجزاء من ممتلكات الموظفين، وهذا أدى إلى زيادة الأعباء المالية للمواطنين، مما أدى إلى ظهور معارضة تشمل السلطان ومسؤولية كنى مستوى معيشتهم.
 - ٣- تسلاخ العديد من الولايات والمقاطعات الأوروبية عن الدولة العثمانية كنتيجة من نتائج الحروب والمعاهدات، أو بسبب ترددها وإعلان استقلالها استقلالاً ادخول الدولة العثمانية في هذا الحروب.
 - ٤- زيادة تفعيل المسألة الشرقية من قبل أوروبا خصوصاً بعد الحرب مع روسيا كراسياً أوضحت مدى الضعف العسكري والاقتصادي للدولة العثمانية .

(١) أكرم. نظرات من ١٩٩٠، أوزونا. تاريخ، ج٢، ص١٢٨-١٢٩ محمد علي . السلطان ، ص ٢٢٢ .
 (٢) محمد علي . السلطان ، ص ٢٢٢ .

٥- تغير سياسة التصرف تجاه العديد من القضايا ، وخصوصاً مسائل الامتيازات والائتمانيات والعلاقات الدولية.

٦- أجبرت هذه الحرب الدولة العثمانية - في كثير من الأحيان - على إدخال إصلاحات هي في الغالب غير مخطط لها وغير مرغوب فيها من قبل الدول الأوروبية. من